

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# عَلِيٌّ وَالْحَكِيمُونَ

دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية  
وحكم الإمام علي عليه السلام في دولة إسلامية مباركة

مؤلفة: سَمَاءُ حَسَنَةُ الشَّيْبَانِي

آية الله العظمى الدكتور محمد الصادق الطهراني



تأسس ١٣٥٨  
جامعة علوم القرآن

سرشناسه: صادقی تهرانی، محمد، ۱۳۰۵ - ۱۳۹۰.  
عنوان و نام پدیدآور: علی و الحاکمون؛  
دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية و حکم الامام علی (ع)  
فی دولة اسلامية مباركة / بقلم محمد الصادقی الطهرانی: محرر محمد حاج محمدی.  
مشخصات نشر: قم: شکرانه، ۱۳۹۳.  
مشخصات ظاهری: ۴۰۰ ص. - ۱۵۰۰۰۰ ریال  
شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۶۳۳۷-۹۰-۶  
وضعیت فهرست نویسی: فیا  
موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - سیاست  
و حکومت / موضوع: اسلام و دولت / موضوع: اسلام و سیاست  
شناسه افزوده: حاج محمدی، محمد  
رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ BP۳۸/۰۹ ۲ص ۹س /  
رده بندی دیوبی: ۲۹۷/۹۵۱۵  
شماره کتابشناسی ملی: ۳۴۵۸۷۹۶



انتشارات شکرانه

مرکز نشر آثار آیت الله العظمی و کتر محمد صادقی تهرانی

علی و الحاکمون

دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية  
و حکم الامام علی علیه السلام فی دولة اسلامية مباركة

تأليف: محمد صادقی تهرانی

آية الله العظمى الدكتور محمد الصادق الطهراني

حروفچینی و ویرایش: واحد تهیه و تنظیم متون انتشارات شکرانه  
امور هنری: واحد گرافیک جامعه علوم القرآن  
ویراستار: محمد حاج محمدی  
چاپ: دانش / نوبت چاپ: نخست، پاییز ۱۳۹۳ ه. ش، ۱۴۳۶ ه. ق.  
شمارگان: ۳۰۰۰ نسخه  
قیمت: ۱۵۰۰۰ تومان  
شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۶۳۳۷-۹۰-۶

قم، بلوار امین، کوی ۲۱، پلاک ۷ / کدپستی: ۳۷۱۳۹۳۴۸۹۴  
تلفن: ۳۲۹۳۴۴۲۵ و ۳۲۹۲۵۴۹۹ - ۰۲۵ / نمابر: ۳۲۹۲۴۸۶۷ - ۰۲۵

www.forghan.ir

email: Sadeghi@Forghan.ir

کلیه حقوق برای ناشر محفوظ می باشد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ: ١٣٩٣/٨/١٥  
عدد: ٩٣/١٣٤٨ ب



## تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

جامعة علوم القرآن تقدم للعالم الإسلامي كتاب عليّ والحاكمون تأليف العالم الكبير سماحة آية الله الشيخ الدكتور محمّد الصّادقي الطهراني بالنجف الأشرف سنة ١٣٨٩ هجرية قمرية منذ بدء تطلّبه علمياً من مباراة كتابية، فأجاب خلال من أجاب، جمعاً بين تهيئة مطالب وترتيبها خلال خمسين يوماً، في بدايات سفرته إلى النجف الأشرف، دونما إجادة تامّة للغة العربية، فتشرّف إلى حرم الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) قائلاً زائراً وضارياً حينما يقول: «لا أنا عربي اللسان ولا أعرفك يا مولاي كما يحقّ! فأسال الله لي أن يحقق بغيتي في جنابك في عريية راقية ومعرفة لائقة لابقه بك!»، ولما رجع من تلك الزيارة المشرفة قال: «أفاض عليّ ربي بما ترون، وأريته مخطوطا للمغفور له، العلامة الأميني، صاحب الغدير فقال: «هذا غدير صغير، يضمّ الغدير الكبير بلياقة ولباقة!» ويعجبني ذلك التعبير المعبر عمّا ألفتّه، كتأليف جدير، فأكرّم به وأعظم، تعريفاً بخليفته البشير النذير! ودعا لي بدعاء غزير، رحمه الله من مؤلف للغدير الكبير والحمد لله أولاً وآخراً» دام ذكره وطاب ثراه.

وقد منع صدام عن طبعه في النجف الأشرف؛ فطبع مرتين في بيروت؛ ومن ثمّ طبع لمرة ثالثة مع إصلاحات وإضافات في بيروت، سنة ١٤٢٥ هجرية قمرية. ومن مفاخر دار الشكرانة بطبع المرة الرابعة، هذا العام طبعة منقحة محرّرة.





عاشق حبيب

عاشق حبيب حوالہ  
شہداء باحضرہ فاخرہ

عام ترویج و اصلاح ادارہ  
السلام عليك يا ائمة المؤمنین

## الفهرس

١٢.....	الإهداء.....
١٣.....	مقدمة المؤلف للطبعة الأولى.....
١٥.....	مقدمة الطبعة الثانية.....
١٧.....	مقدمة الطبعة الثالثة.....
١٩.....	المدخل.....
٢٢.....	القواعد الأربع لعرش الخلافة الإسلامية الكبرى للإمام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> .....
٢٣.....	* القاعدة الأولى لعرش الخلافة: الولادة.....
٢٣.....	ولد الإمام في قبلة الإسلام!.....
٢٨.....	علي أول من أسلم.....
٢٩.....	علي وُلد مسلماً.....
٣٠.....	* القاعدة الثانية لعرش الخلافة: الأخوة.....
٣٣.....	* القاعدة الثالثة لعرش الخلافة: الوزارة.....
٣٣.....	علي وزير الرسول ونصيره الأوحد.....
٣٦.....	ذكريات وزارة الإمام طوال حياة الرسول الأعظم <small>عليه السلام</small> .....
٣٧.....	علي <small>عليه السلام</small> باب مدينة علم الرسول <small>عليه السلام</small> .....
٣٨.....	سد الأبواب.....
٤١.....	علي هو المخصوص بكرامة النجوى:.....
٤٤.....	علي <small>عليه السلام</small> شاهد من الرسول <small>عليه السلام</small> .....
٥٢.....	الرسول الأعظم <small>عليه السلام</small> يواصف علياً <small>عليه السلام</small> في ثلاثمائة كلمة.....
٦٩.....	* القاعدة الرابعة لعرش الخلافة: علي نفس الرسول الأعظم <small>عليه السلام</small> .....
٧١.....	ذكريات مماثلة للإمام <small>عليه السلام</small> للرسول الأعظم <small>عليه السلام</small> .....
٧٦.....	صاحب الغار.....
٧٨.....	حول آية التطهير:.....
٨١.....	ذكرى عتيقة من الخمسة الطاهرة في كتاب إدريس النبي <small>عليه السلام</small> على نبينا وآله وعليه السلام.....
٨٢.....	سفينة نوح والبشارة المحمدية والعلوية على أنقاضها:.....
٨٦.....	تصريحات الرسول الأعظم <small>عليه السلام</small> حول صاحب العرش:.....
٨٦.....	ولاية الامر بعد رسول الله <small>عليه السلام</small> .....
٨٩.....	أولياء الامور بعد الرسول الأعظم <small>عليه السلام</small> .....

- ٩٣ ..... هامة الخلافة الإسلامية وتبليغها.
- ٩٣ ..... آية التبليغ وحديث الغدير :
- ١٠٨ ..... هامة الغدير .....
- ١٠٨ ..... تهنئة الشيخين علياً عليه السلام بإمرة المؤمنين :
- ١١٠ ..... ذكرى تكميل الدين: .....
- ١١٤ ..... رزية يوم الخميس! .....
- ١١٧ ..... الدين والسياسة.....
- ١١٨ ..... المؤامرة الأولى على الإسلام.....
- ١٢١ ..... مؤامرات على الإسلام في حياة الرسول الأعظم عليه السلام.....
- ١٢٢ ..... تأمر السقيفة على الإسلام فطرة لتحقيق التآمر الأموي من وجه آخر:.....
- ١٢٣ ..... حكم بني أمية في نظر الإمام عليه السلام : .....
- ١٢٤ ..... ما هي الحكومة العادلة في ألوان الحكومات.....
- ١٢٨ ..... المرجعية الدينية والسياسية .....
- ١٣١ ..... السلطات الباطلة الغاصبة:.....
- ١٣٣ ..... ويلات شورى السقيفة .....
- ١٣٣ ..... شرائط القيادة والحكومة:.....
- ١٣٥ ..... من هو الوالي؟.....
- ١٣٦ ..... الحقوق المتبادلة بين الولاة والشعوب:.....
- ١٣٨ ..... الشورى وحدودها في نظر الإسلام:.....
- ١٣٩ ..... الشورى لغوياً:.....
- ١٤١ ..... ضرورة الوحدة الإسلامية.....
- ١٤٢ ..... مقالات الإمام:.....
- ١٤٣ ..... حول الشقشقية.....
- ١٤٥ ..... خليفة السقيفة يصف الإمام عليه السلام.....
- ١٤٨ ..... الخليفة أبوبكر ابن أبي قحافة بين الكتاب والسنة:.....
- ١٤٨ ..... مدى علم الخليفة بكتاب الله:.....
- ١٤٨ ..... غائلة فدك .....
- ١٤٩ ..... فتوى الخليفة في ميراث الأنبياء.....
- ١٤٩ ..... فاطمة الزهراء عليها السلام في لسان الرسول عليه السلام.....
- ١٥٣ ..... حرق بيت الصديقة الطاهرة عليها السلام.....
- ١٥٥ ..... نبوغ الخليفة في علم التفسير:.....
- ١٥٥ ..... نبوغ الخليفة في السنة:.....
- ١٥٥ ..... رأي الخليفة في إرث الجدة:.....
- ١٥٦ ..... احتراق قلب الخليفة من خوف الله:.....
- ١٥٦ ..... الله يستحي من أبي بكر ويفضله على رسوله! .....
- ١٥٨ ..... ثواب أبي بكر أكثر من النبي! .....
- ١٥٨ ..... المؤامرة الثالثة ضد الحكومة الإسلامية الغراء.....
- ١٦١ ..... وصية الخلافة يكتبها ثانیهم! .....
- ١٦١ ..... محاكمة عادلة:.....
- ١٦٣ ..... الخليفة عمر بن الخطاب بين الكتاب والسنة:.....
- ١٦٣ ..... «ويكثر العثار فيها والاعتذار منها».....
- ١٦٤ ..... الخليفة يمنع عن دراسة القرآن ورواية السنة!.....
- ١٦٥ ..... الخليفة لا يعرف معنى «الأب» :.....

- ١٦٦..... الخليفة يدرس سورة البقرة طوال ١٢ سنة!
- ١٦٧..... حضور قلب الخليفة في الصلاة.
- ١٦٨..... زهد الخليفة في بيت المال.....
- ١٦٩..... فتوى الخليفة في أكل اللحم : .....
- ١٧٠..... نهى الخليفة عن رواية الحديث عن الرسول ﷺ: .....
- ١٧١..... أمر الخليفة بالحفاظ على دواوين الجاهلية:.....
- ١٧١..... اجتهاد الخليفة في الطلقات الثلاث :.....
- ١٧٢..... فتوى الخليفة فيمن ولد لستة أشهر «لولا علي لهلك عمر»؛.....
- ١٧٣..... لولا علي لهلك عمر!.....
- ١٧٣..... فتوى الخليفة في إرث الزوجة من الدية :.....
- ١٧٤..... كل احد - كل الناس - أفقه من عمر.....
- ١٧٥..... زهد الخليفة عمر!.....
- ١٧٥..... كل احد أفقه من عمر - كل احد أفقه من عمر - كل احد أفقه من عمر:.....
- ١٧٦..... الخليفة لا يعرف حكم «الجُنُب» فأقد الماء : .....
- ١٧٧..... قومية الخليفة في المبراث: العجم لا يرث !.....
- ١٧٧..... ذكاء الخليفة في فهم القرآن:.....
- ١٧٩..... الخليفة يجهل معنى الخلافة .....
- ١٧٩..... الخليفة يتجسس ويتسور البيوت .....
- ١٨٠..... اجتهاد الخليفة في البكاء على الميت خلاف حكم الرسول ﷺ.....
- ١٨٢..... لولاك لافتضحنا.....
- ١٨٢..... زلة الخليفة في سياسته:.....
- ١٨٣..... من أين يبدأ تاريخ الإسلام؟.....
- ١٨٣..... لا عشت في أمة لست لها يا أبا الحسن!
- ١٨٤..... رأي الخليفة في بيت المقدس:.....
- ١٨٤..... رأي الخليفة في الأسماء والكنى وتعريضه فيها على رسول الله ﷺ.....
- ١٨٦..... ويد لك مع أيادٍ لم أجرك بها.....
- ١٨٦..... فرج الله عنك يا أبا الحسن، كما فرجت عنا!
- ١٨٧..... عود على بدء في وصف الخليفة عمر:.....
- ١٨٨..... رأي الخليفة في علي أمير المؤمنين عليه السلام.....
- ١٨٩..... فتوى الخليفة في حد البلوغ.....
- ١٨٩..... فتوى الخليفة في المتعتين :.....
- ١٨٩..... تحريم الخليفة متعة الحج :.....
- ١٩٢..... تحريم الخليفة متعة النساء.....
- ١٩٤..... فضائل مختلقة للخليفة عمر بن الخطاب، مكافحة لما قرأت.....
- ١٩٤..... ١ - مهانة الرسول الأقدس ﷺ، بغية إكرام عمر!
- ١٩٥..... ٢ - عمر لا يحب الباطل والله ورسوله يحبان الباطل!
- ١٩٦..... ٣ - فرق الشيطان من عمر دون الرسول ﷺ!
- ١٩٦..... الشورى الثانية.....
- ١٩٨..... كيان أعضاء الشورى وشرايطها:.....
- ١٩٩..... الخليفة يقبِّح أعضاء الشورى الانتصابية.....
- ١٩٩..... الخليفة يخبر أعضاء الشورى عن أنفسهم :.....
- ٢٠١..... الخليفة! يخلف عثمان الأموي مرتين.....
- ٢٠٤..... الهيئة التنفيذية للشورى وشرايطها.....

- ٢٠٤..... محاكمة عادلة، في الشورى الدامية: .....
- ٢٠٥..... عملية الشورى .....
- ٢٠٩..... حصيلة الشورى خلافة أمية .....
- ٢١٠..... الخليفة عثمان بين الكتاب والسنة .....
- ٢١٠..... فتوى الخليفة برجم امرأة ولدت لستة أشهر: .....
- ٢١١..... فتوى الخليفة بالنداء الثالث .....
- ٢١١..... رأي الخليفة في الجنابة: .....
- ٢١٢..... كتمان الخليفة حديث النبي: .....
- ٢١٢..... الخليفة يقدم خطبة العيد على صلواته: .....
- ٢١٣..... خصومة يرفعها الخليفة إلى أمير المؤمنين عليه السلام .....
- ٢١٤..... فتوى الخليفة في عدة المختلعة .....
- ٢١٤..... تفقه الخليفة في القرآن: .....
- ٢١٧..... بداية عمليات الخليفة: الاصلاحية! .....
- ٢١٧..... قصر الخليفة: طمارد الزوراء! معتلفه الواسع! .....
- ٢١٩..... قطائع خليفة أمية وعطاياه إلى حزبه .....
- ٢٢١..... محاكمة عادلة: .....
- ٢٢١..... تخلف الخليفة عن سيرة النبي صلى الله عليه وآله والشيخين في دولته .....
- ٢٢٢..... صحيفة سوداء من نماذج الفوضى في مال الله: .....
- ٢٢٣..... ثورة العامة على خليفة أمية .....
- ٢٢٤..... مفايسة بين خليفة الشورى والشيخين: .....
- ٢٢٤..... من ذكريات استبداد لشيخ أمية: .....
- ٢٢٥..... نصائح الإمام لشيخ أمية دودا عن الثورة .....
- ٢٢٧..... الإمام لا يثور ولا يشير للخلافة .....
- ٢٢٧..... نظرية الإمام في الثورة والقتل: .....
- ٢٢٧..... علي والخلفاء!!! .....
- ٢٢٧..... كيف يصنع الإمام مع الخلفاء في خلافتهم؟ .....
- ٢٢٨..... طرف من علل قعوده عليه السلام عن الأخذ بحقه المنصوص: .....
- ٢٣٠..... إنقلاب الثوار .....
- ٢٣٠..... تقضي خلافة الزور بأيدي الانقلاب: .....
- ٢٣٠..... مقتل عثمان: .....
- ٢٣٣..... تعاضد النص والرأي العام في خلافة الإمام عليه السلام .....
- ٢٣٦..... أني يريد الخلافة وقد...! .....
- ٢٣٨..... هامة البيعة الانقلابية .....
- ٢٣٩..... «دعوني والتمسوا غيري»! .....
- ٢٤١..... عقد الخلافة المنيرة العلوية: .....
- ٢٤٢..... الخليفة عمر يشرب الخمر! .....
- دولة الإسلام في حكم مهرجان الإمام عليه السلام في أرجاء أرض الوطن الإسلامي الكبير تلو الرأي العام  
٢٤٦..... على بيعته بالخلافة؟! .....
- ٢٤٧..... مهرجان ومهرجانات .....
- ٢٤٩..... عود على بدء في بداية الحكم العلوي العادل: .....
- ٢٤٩..... طليعة الدولة الإسلامية .....



- ٢٥٠ ..... برامج الحكومة للعزير والضعيف :
- ٢٥١ ..... الظلم في مذهب الإمام كفر والانظام هوان وتقوية للكفر!
- ٢٥٥ ..... ضرورة إنقاذ المظلومين .....
- ٢٥٥ ..... معونة الظالمين! .....
- ٢٥٦ ..... أقوى الأقوياء وأشد المظلومين : .....
- ٢٥٨ ..... الحكومة العلوية تعدل في الحاضر وتصلح الآتي والغابر: .....
- ٢٥٩ ..... برنامج آخر في هذه الحكومة : .....
- ٢٦٠ ..... التسوية في العطاء : .....
- ٢٦٢ ..... وزارة المالية .....
- ٢٦٢ ..... برامج الإمام في بيت المال، وزارة المالية في هذه الحكومة: .....
- ٢٦٣ ..... عدل الإمام في بيت المال : .....
- ٢٦٧ ..... أني لك هذا؟ من أين، ولم يكن؟ .....
- ٢٦٩ ..... أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين(!) .....
- ٢٦٩ ..... ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .....
- ٢٧٠ ..... بذل الإمام وسماحته : .....
- ٢٧٣ ..... الحكومة العلوية الغراء .....
- ٢٧٥ ..... حكومة القرآن في مختلف البلاد الإسلامية في جبهة واحدة .....
- ٢٧٦ ..... أسس الحكومة العلوية الغراء .....
- ٢٧٦ ..... واحد كأمة! فرد كهيئة! .....
- ٢٧٧ ..... عهد الإمام عليه السلام .....
- ٢٧٨ ..... هل المأمور معذور؟ .....
- ٢٧٩ ..... أيهما أوفق للعدل وأجمع للصلاح، رضا الخاصة أم رضا العامة؟ .....
- ٢٨٠ ..... لها سبعة أبواب .....
- ٢٨١ ..... أقرب الرعية وأبعدهم؟ .....
- ٢٨١ ..... عمال الأمن .....
- ٢٨٢ ..... العلماء حكام على الملوك! .....
- ٢٨٣ ..... كيف يرد القائد سوء الظن عن الشعب؟ .....
- ٢٨٤ ..... بمن يلصق القائد من شعبه؟ .....
- ٢٨٤ ..... الوزراء المشاورون في الحكومة العلوية : .....
- ٢٨٤ ..... شاكلة الوزراء في هذه الحكومة ومن لا يصلح للوزارة : .....
- ٢٨٥ ..... أثر الوزراء عند القائد الأعظم! .....
- ٢٨٦ ..... وزارة البلاط الاسلامي .....
- ٢٨٦ ..... كتاب البلاط! .....
- ٢٨٧ ..... كيف يتعرف إلى صلاح الوزراء، للبلاط وغيره؟ .....
- ٢٨٧ ..... فماذا يصنع القائد في تخير الوزراء؟ .....
- ٢٨٨ ..... وزارة الدفاع والتجنيد .....
- ٢٨٨ ..... من ذكريات بطولته طيلة حياته المنيرة: .....
- ٢٨٨ ..... في طفولته: .....
- ٢٩٠ ..... «لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار»! .....
- ٢٩٠ ..... «يا أمير المؤمنين لم لا تشتري فرسا عتيقا؟» .....
- ٢٩١ ..... يا أمير المؤمنين! لم لا تلبس جوشنا تماما، فما لجوشنك ليس له ظهر؟ .....
- ٢٩١ ..... كيان الجنود في نظر الإمام! .....

- آثرُ الجنود عند القائد! ..... ٢٩١
- مصارف الجنود على الشعب، كما أن الذود عن الشعب على الجنود: ..... ٢٩٢
- قائد الجنود وزير الدفاع ..... ٢٩٣
- وظائف قواد الجنود وأصحاب المسالِح في مختلف الثغور: ..... ٢٩٣
- أسرار الحرب لا تعدوا رئيس الدفاع! ..... ٢٩٤
- كيف تتقى الجنود الأعداء؟ (قرارات التجنيد وأنظمة الدفاع والصلح) ..... ٢٩٦
- متى تسير الجنود؟ ومتى تقف؟ وكيف تسير؟ ..... ٢٩٨
- الثبات في الحرب: ..... ٢٩٩
- المحل المناسب للمعسكر؟ ..... ٢٩٩
- أين يقف قائد الجنود من المعسكر وكيف النضال؟ ..... ٣٠٠
- موارد الصلح ..... ٣٠١
- شريعة الجهاد: ..... ٣٠٤
- شريعة الجهاد في كتابات الوحي: ..... ٣٠٦
- استعداد السيد المسيح للحرب ..... ٣٠٦
- وزارة العدل وشروط القاضي والقضاء ..... ٣٠٨
- من لا يصلح للقضاء؟ ..... ٣٠٩
- ولايات القضاء من غير أهلها: ..... ٣١٠
- تناقض الأحكام في قضية واحدة في مختلف المحاكم القضائية الدخيلة! ..... ٣١١
- من يصلح للقضاء؟ ..... ٣١٢
- مقام القضاء أرفع المقامات في هيئة الدولة العلوية! ..... ٣١٣
- الشروط الأربعة عشر في القاضي ..... ٣١٣
- وزارة التعليم والتربية ..... ٣١٥
- القائد الأعظم، هو بنفسه، وزير الثقافة والتربية ..... ٣١٨
- المعلم والمربي ..... ٣١٨
- الإنطلاقة العلمية الإسلامية مشيا مع الزمن ..... ٣١٩
- نظرية الإمام في حركة الأرض ..... ٣١٩
- نظرية الإمام في مدن السماء ..... ٣٢١
- ثقافة الإمام في نظر الخليفة عمر ..... ٣٢٣
- التقدمية العلمية والتربوية في الإسلام؟ ..... ٣٢٤
- وزارة الاقتصاد ..... ٣٣١
- الإفساد الزراعي! ..... ٣٣٢
- استعمار الأرض واستثمار أكلة الأرض ..... ٣٣٥
- كيف تعمل عمال الصداقات والضرائب المستقيمة وغير المستقيمة؟ ..... ٣٣٧
- وزارة الداخلية ووظائفها ..... ٣٤٠
- التدابير اللازمة لاستصلاح عمال الحكومة: ..... ٣٤٠
- النظام الطبقي ..... ٣٤١
- معاملة الحكومة مع التجار وذوى الصناعات؟ ..... ٣٤١
- الحكومة العلوية ﷺ والطبقة السفلى: ..... ٣٤٢
- الأمر الشخصية للقائد الأعظم، التي لا حول فيها عنه؟ ..... ٣٤٣
- لا يطولن القائد احتجاجه عن الشعب! ..... ٣٤٣

- ٣٤٤ ..... رقابة الإمام الشديدة علي أمرائه وولاته في شتي الأقطار الإسلامية.
- ٣٤٦ ..... الإمام يعزل وينصب:
- ٣٤٩ ..... علي عليه السلام ومعاوية
- ٣٤٩ ..... من هو معاوية؟
- ٣٥٠ ..... من هو أبو سفيان؟
- ٣٥١ ..... معاوية بين الكتاب والسنة
- ٣٥٤ ..... معاوية في لسان النبي صلى الله عليه وآله
- ٣٥٤ ..... معاوية لعين الرسول صلى الله عليه وآله
- ٣٥٥ ..... معاوية خارج عن الملة
- ٣٥٥ ..... معاوية من أهل النار
- ٣٥٥ ..... النبي صلى الله عليه وآله يهدر دم معاوية
- ٣٥٦ ..... معاوية في لسان أمير المؤمنين علي عليه السلام
- ٣٥٧ ..... معاوية عدو القرآن والسنة
- ٣٥٧ ..... معاوية وثن بن وثن
- ٣٥٧ ..... عزل معاوية وحمله على البيعة
- ٣٥٩ ..... معاوية يستبقي حكم الشام
- ٣٦٤ ..... قميص عثمان طيار بكل عار وبوار، معذار للعصاة والثوار!
- ٣٦٥ ..... يا قميص الشر الثوار!
- ٣٦٦ ..... مؤامرة قاضية على الإسلام، تفكيكا بين القيادة الدينية والسياسية
- ٣٦٧ ..... كتاب معاوية إلى الحسين عليه السلام
- ٣٦٧ ..... كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية
- ٣٧٠ ..... الملكية الوراثية والجمهورية!
- ٣٧١ ..... قول فصل في ألوان الحكم
- ٣٧١ ..... بين الملكية والجمهورية
- ٣٧٢ ..... أضواء من نظرية الإمام الحسين في الحكم
- ٣٧٢ ..... طوابع الثورات الإسلامية
- ٣٧٣ ..... الحياة الإسلامية
- ٣٧٣ ..... الوظيفة الجماعية للمسلمين
- ٣٧٣ ..... احتلال القدس - إحراق المسجد الأقصى
- ٣٧٤ ..... نهضة الإسلامية خاصة
- ٣٧٥ ..... عوامل النكسة:
- ٣٧٥ ..... توجيه إسلامي هام
- ٣٧٧ ..... ثورة إسلامية في ضوء الإسلام
- ٣٧٩ ..... نبذة عن حياة آية الله العظمى، العلامة، الإمام الصادق الطهراني عليه السلام وسيرته
- ٣٨٠ ..... من مؤلفات سماحة الشيخ آية الله العظمى الصادق الطهراني عليه السلام باللغة العربية
- ٣٨٢ ..... من مؤلفات سماحة الشيخ آية الله العظمى الصادق الطهراني عليه السلام باللغة الفارسية
- ٣٨٤ ..... الكتب الجديدة النشر

## الإهداء

إلى مراجع المسلمين، من روجيين وسياسيين؛ ليركزوا عروشهم على قلوب الشعوب، بدل الدماء والحروب، وليتخذوا من حكم الإمام عليه السلام نبراساً، ينيروا به درب الحياة على الرعايا، ومتراسا يقضوا به على المنايا والبلايا، وليعلموا أن الحاكم ليس إلا ليخدم الرعية تقياً عادلاً مجاهداً، لا ليملكهم ويستعبدهم ويتبني من جسومهم قواعد لعرشه...؛ فليدرسوا حكم الإمام عليٍّ أمير المؤمنين عليه آلاف التحية والسلام لإيجاد الأمن والسلام واللّه هو المستعان.

محمد الصادق الطهراني

## مقدمة المؤلف للطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مُقلّ العيون من عجائب قدرته، عزيزَ الجند، عظيمَ المجد؛ فَطَرَ الخلائق بقدرته، واستعبد الأرباب بعزته، وساد العظماء بجوده؛ الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول؛ فلم تجد مساعا إلى بلوغ غاية ملكوته، وهو الملك الحق المبين، المتجلي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجته؛ كل شيء خاضع له، وكلّ شيء قائم به، غنى كل فقير، وعزٌّ كلّ ذليل، وقوّة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف!

نحمده على آلائه، كما نحمده على بلائه؛ ونستعينه على وظائف حقوقه، وعلى هذه النفوس، البطّاءِ عمّا أمرت به، السّراعِ إلى ما نهيت عنه؛ ونستغفره مما أحاط به علمه، وأحصاه كتابه، ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود!

وأفضل الصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، محمّد ﷺ، الذي أرسله داعيا إلى الحق، وشاهدا على الخلق؛ فبلغ رسالات ربه، غير وانٍ ولا مقصرٍ، وجاهد في الله أعداءه، غير واهنٍ ولا معذّرٍ. أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجمة من الأمم، وانتقاض من المبرم، فجاءهم بتصديق الذي بين يديه، بالنور

المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي. أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها متهدّلة<sup>١</sup>، ولا سيّما ابن عمه، وليده، وأخيه، ووزيره، وعينه، وخليفته: علي أمير المؤمنين، عليه أفضل صلوات المصلين، وعلى أولاده المعصومين، أئمة الدين، وسادة المتقين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته.

التّجف الأشرف

سنة ١٣٨٩ هجرية قمرية




---

١. مقتبسات من كلمات الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

## مقدّمة الطّبعة الثّانية

الطبعة الأولى من «عليّ والحاكمون» قد حلّت محلّها من قلوب ضافية وأفكار منيرة صافيه، وإن كانت - أحيانا - قاسية التعبير بالنسبة للبعض من خلفاء المسلمين، على حدّ تعبير البعض من إخواننا المسلمين، وهي التي قد تحول دون انتشارها كما يحق، إضافة إلى شدة وطأتها على الحكام الظالمين، ولكنها انتشرت سரா وإعلانا، رغم كافة المحاولات لتجميدها، والعراقيل بجنبها، حتّى نفدت.

ولقد نقحناها وزيدناها وزودناها وخففنا وطأتها على الخلفاء، وأفردنا لكلّ فصلاً عن بيئتهم وكيانهم، للطبعة الثانية؛ فأصبحت خيرا من الأولى تدقيقا وتحقيقا وإسنادا عن الحفاظ وأرباب الصحاح والسنن والمسانيد - مهما كانت رواياتهم قاسية - حفاظا على الأمانة في النقل. أرجو من الناقلين أن يشرفونا بنقودهم؛ علّنا نستفيد إن كان حقا أو نفيد إن كان سواه.

تجد هذا الكتاب كله ثورة ضد الظلم والباطل، وحرّكة إسلامية سامية نحو تأسيس دولة إسلامية مباركة، على أساس دولة الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام، رفضاً لدويلات الجور والفساد، غابرها وحاضرها. هذه التي لاتحكم بما أنزل الله:

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة، ٤٤]

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة، ٤٥]

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [المائدة، ٤٧]

استعرضتُ فيه شيئاً يسيراً من حياة الإمام عليه السلام، منذ طفولته حتى رجولته وخلافته؛ ليكون نبزاً، يبين الدرب على الحاكمين.

نفع الله به المسلمين الأحرار ورجعهم إلى الأمن والسلام! آمين!

بيروت - سنة ١٣٩٣ هجرية قمرية





## مقدّمة الطّبعة الثّالثة

الطّبعتان الأوّليان قد نفذتا عن الأسواق، وهذه هي الطّبعة الثالثة بمزيدات وإصلاحات جديدة. ومنها ما في تفسيرنا الموضوعي، «خلفاء الرسول ﷺ بين الكتاب والسّنة»، وقد يطبع تباعاً مع سائر المجلّدات، حول كافة الموضوعات والمواضيع القرآنية، بمشية الله سبحانه وتعالى.

وقد أَلْفناه منذ بدءِ تطلّبا علميا من مباراة كتابية، فأجبنّا خلال من أجاب،<sup>١</sup> جمعا بين تهيئة مطالب وترتيبها خلال خمسين يوما، في بدايات سفرتي إلى النجف الأشرف، دونما إجاداة تامّة للغة العربية، فتشرّفت إلى حرم الإمام أميرالمؤمنين ﷺ قائلاً زائراً وضارياً: «لا أنا عربي اللسان ولا أعرفك كما يحق! فاسأل الله لي أن

---

١. وقد احتلّ هذا الكتاب الدرجة العليا بين كافة الكتابات في تلك المباراة العالمية. أخبر بذلك المغفور له، الشهيد الخطيب الكبير، السيد جواد شبر، في خطابه بحشد عام من علماء وفضلاء الحوزات العلمية العراقية، لا سيما النجف الأشرف، في الحسينية الإيرانية بكربلاء، قائلاً: «إن آية الله الدكتور الصادقي، الذي فاز في الدراسات الشرقية والغربية، وفاز أيضاً، في هذا الكتاب القيّم، مناوئيه في العالم كله...»

ولكن الحكومة البعثية برئاسة صدام منع حتى عن طبعه، ومما حصل حول هذا الكتاب بعد طبعه أن شرّفتني زميلي الشهيد، آية الله السيّد محمد باقر الصدر، في بيتي بالنجف الأشرف، وقال في ما قال: «لِكم مدّة أَلَفْت هذا الكتاب؟» قلت: «حصلت على مطالب له خلال عشرين يوماً، ثم الفته خلال شهر». قال: «كيف، وأنا العرب وابن العرب، لا أقدّر ان أكتب مثله، فضلاً عن تأليفه!»؛ فقلت: «هذا من فضل مولانا الإمام أمير المؤمنين ﷺ باذن الله ودعائه ﷺ». ومن ذلك، لقاء مُشرّف في بيروت، مع المغفور له، الشيخ محمد جواد مغنية، حيث قال: «انني أَلَفْت كتاب (الشيعة والحاكمون)» فقلت له: «وأنا أَلَفْت كتاب (علي والحاكمون) و(علي إمام الشيعة)»؛ فقال: «وأنت يا شيخ، إمامي في اللغة والأدب والعلم!» ومن ذلك، تأثّر خطيب الجمعة من إخواننا السنة في طرابلس لحدّ، وضع هذا الكتاب في القسم الأمامي في مكتبته؛ ولذلك عزّله عن منصبه! وكذلك قيل لي: «إن جماعة من إخواننا السنة، في صحن الزينبية، كانوا يقرؤون هذا الكتاب، ويبيكون!»

يحقق بغيتي في جنابك في عربية راقية ومعرفة لائقة لابقة بك!»، فما إن رجعت من تلك الزيارة المشرفة أفاض عليّ ربي بما ترون، وأريته مخطوطا للمغفور له، العلامة الأميني، صاحب الغدير فقال: «هذا غدير صغير، يضمّ الغدير الكبير بلياقة ولباقة!»! ويعجبني ذلك التعبير المعبر عمّا ألفتّه، كتأليف جدير، فأكرمُ به وأعظمُ، تعريفاً بخليفته البشير النذير! ودعا لي بدعاءٍ غزير، رحمه الله من مؤلف للغدير الكبير والحمد لله أولاً وآخراً.

قم المشرفة - سنة ١٤٢٥ هجرية قمرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المدخل

هذا مكرّس صغير عن أكبر النوايح البشرية، وأعظم القادة والهداة للإنسانية جمعاء، وأطهر الفروع القيمة من الشجرة الطيبة المحمدية ﷺ، التي ﴿... أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾؛ [براهيم، ٢٥] وها هو الإمام أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، عليه أفضل التحية والسلام، بين أيدينا يتكلم ويخطب، ويرشدنا إلى سوي الصراط في شتى مجالات الحياة، بالرغم من القرون الطائلة الفاصلة بينه وبيننا؛ فلا الزمان بقادر أن يخنق صوته في آذاننا، أو أن يمحي ويخفق صورته وسيرته عن أذهاننا، ولا المكان بمبعده عنا. ورغم أنه من المستحيل على أي كاتب أو مؤرخ – مهما بلغ من النبوغ والعبقرية – أن يأتيك بصورة كاملة من عيار الإمام، يمثله كما هو، ولو كان البحر مداداً لكلماته! رغم ذلك، فإنّ هذا المؤلف، على قلة باعه وكثرة أشغاله، يريد أن يرسم في هذا السِّفر المتواضع صورة جميلة إجمالية عن الإمام ﷺ في أقواله وأفعاله وأفكاره وحلّه وترحاله، وشتى مجالاته الحيوية الخالدة، يرسمها، كما يهديه إليها كتاب الله ومقالات الرسول الأعظم ﷺ وكلمات الإمام ﷺ نفسه، بالنسبة لمكانته من الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

فإن مواقف الإمام الخطيرة، والذي فكّره وقاله ذلك العملاق العبقرى الكبير طيلة حياته النيرة، بينه وبين نفسه وربّه، وبين الشعوب المتشعبة، إنها لم تسمعه أذن ولم تبصره عين، إلا من نسخته الأصلية المحمدية عليهما أفضل الصلاة والتحية.

وإذ ذاك، فكل صورة نرسمها نحن لهذا العبقري، إنما هي صورة ناقصة، إلا ما صوّره الله تعالى ربّه، وما صوّره رسوله الأعظم ﷺ، الذي ربّاه بوحى من ربه، وما عرّف به نفسه المقدسة.

إن الإمام ﷺ، كيفما كانت معاليه، فليس إلا تجسيدا وتمثيلاً للحقيقة المحمّدية العظمى، تلك الشجرة الطيبة التي نبتت في أرض قاحلة جرداء، لا ماء فيها ولا كلاً، أرض سقيمة عزلّى عن كل خير وبركة، لا هي تأتي بأي خير ولا إنسانها يأتي إلا بكل رذيلة وفضيحة. نبتت فيها وأثمرت ثمرات قيمة ثمينة، لا تستغني عنها الإنسانية أينما بلغت! وها هو الإمام فرع من ذلك الأصل، يمثله كما هو، وامتداد له كما يحق، فإنه: وليده، وأخوه، ووزيره، ونفسه المقدسة وخليفته؛ ولقد بلغ من تمثيل أصله القمّة المرموقة، وهو أمة مستقلة ليس له في الأمة مثيل، ولا لهم غيره بعد نبّيها بديل، كأول دليل.

فهذه صفحات يسيرة من شخصية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، «تلك النسخة المفردة العملاق من ذلك الأصل، النسخة التي لم يرَ مثلها الشرق ولا الغرب صورةً طبق الأصل، لا قديما ولا حديثاً»<sup>١</sup> ولن يرَ مع الابد! وليس زورا من القول أنه: من معجزات الرسول الأعظم ﷺ ومن الشواهد الهامة على رسالته، كما يعتبره كذلك ربّه في كتابه المجيد قائلاً:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾؛ [هود، ١٧]<sup>٢</sup> فلا أكاد أظن أن التعابير تتسلم للتعبير عن شخصيته الوحيدة؛ حيث الوحيد لا يعبر عنه حتى الكثير، إلا إذا كان يمّا متلاطم الأمواج، وملتطم الأفواج! وإذ ذاك؛ فما لي والتعبير عن هذا العبقري العملاق، عديم النظير إلا أن أستعير من كلام ربي العزيز الخبير، ورسوله البشير النذير! ومهما يكن من شيء،

١. للفيلسوف الكبير جبران خليل جبران.

٢. وقد يأتي البحث في ثنايا هذا الكتاب أنه هو الشاهد من رسول الله، صدر عنه ويرجع إليه شاهدا لرسالته، كضياء الشمس لها في صص ٢٤ - ٣٣؛ بصور مفصلة وسيرة محصّلة.

ففيما يلي صورةٌ، تمثل لنا هذا الزعيمَ الإنساني الوحيد من بعيد، أنَّ له الاختصاص الأتم بالرسول الأعظم ﷺ، وله القيادة العظمى والسياسة العليا في الحكومة العادلة بما لها من محض الحقيقة، بعد الرسول ﷺ، وفي الحكم والقضاء العادلين بين الشعوب المتشعبة، وفي تأسيس الأنظمة الدولية والدوائر العامة في شتى أرجاء الحكومة، من دائرة التجنيد والدفاع عن النواميس المقدسة الإسلامية والإنسانية، وإدارة الثقافة والتربية العامة، وشتات أنظمتها البالغة بالشعوب إلى أرقى مراقبها، ومن الإقتصاد وتنمية الأموال، ومن سائر الأسس التي أسستها الحكومة المحمدية الغراء الخالدة، فيما يرجع إلى الحياة في كُلِّما تمسه حاجة الإنسان فردياً وجماعياً؛ حيث إن بطولات الإمام لن تقتصر على ميادين الحرب ومناضلة الشجعان؛ حتى يوصف بالشجاعة فحسب؛ فقد كان بطلاً سابقاً، في شتى ميادين الكمال والفضيلة، كلَّ المناوئين، كيفما كانوا وأينما كانوا.

إنَّ هذه صورة تمثل حكومة العدل، بصميم حقيقتها ومعناها، وسلطان الحق الذي لا بديل له، من ظل الله الذي يأوي إليه كل مظلوم ويفرّ عنه كلُّ ظالم مشؤوم.



القواعد الأربعة

لعرش الخلافة الإسلامية الكبرى

للإمام أمير المؤمنين عليه السلام

## القاعدة الأولى لعرش الخلافة: الولادة

ولد الإمام في قبلة الإسلام!

من كان في حرم الرحمن مولده وحاطه الله من بأس وعدوان<sup>١</sup> مولده خير مولد، ومنبته خير منبت، ومرماه خير المرامي...؛ فلقد وُلد في أول بيت وُضِع للناس، لَلَّذِي بَبَكَّةً مَبَارَكًا وَهَدَى للعالمين، وكانت ولادته فيه من أكبر الآيات الحاكِية لمكانته العظيمة من رب البيت؛ حيث انشق جدار البيت حينما ظهر قمره المنير إلى الوجود، كما انفجر عنه فجر الإسلام بينابيع العلم والتقى طيلة حياته النيرة.

ولد في بيت الله لكرامته على الله، واستشهد في بيت الله لشدة عدله وقوة وطأته وتتمُّره في ذات الله، وهو بين مهده ولحده في طاعة الله.

فيا لمولد الإمام في بيت الله من تشرِيف، خُصَّ به، لم يسبقه إلى ذلك سابق ولم يقع للآحق وحتى القيامة! اللهم إلا سيِّد الرِّسل ﷺ إذ كان أكرم من الكعبة المكرمة، حيث يقسم الله به دونها؛<sup>٢</sup> فطوبى لمكة المكرمة له مولدا، وللنجف الأشرف مثوى لجثمانه الطيب، ما أكرمهما وأطيبهما مهدا ولحدا!

١ من غديرية السريجي الأوالي.

٢. حيث يقول: «وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» [البلد، ٣] بعد قوله: «لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» [البلد، ١]؛ إذ «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» [البلد، ٢] حلولا لك إياه؛ فأنت أعظم من هذا البلد، لا فحسب، بل «... وَمَا وَلَدَ» [البلد، ٣] تعني: أفضل ما تعني ولادة علي ﷺ عنه علميا ومعرفيا.

«... فاطمة، بنت أسد، تشتكي المخاض وأبوطالب زوجها حائر قلق، لا يدري ماذا يصنع؟ فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله يصادفه قائلاً: يا عمّ، ما شأنك؟ فأخبره؛ فأخذ الرسول صلى الله عليه وآله بيده، فجاء إليها، فذهب بها إلى الكعبة المكرمة، فأجلسها فيها قائلاً: اجلسي على بركة الله، على اسم الله. فطلقت طلقة طيبة دون دم؛ فولدت غلاماً طيباً مسروراً نظيفاً؛ فسماه أبوطالب عليّاً، وحمله الرسول صلى الله عليه وآله حتى إذا أدّاه إلى منزلها»<sup>١</sup>.

أجل، لقد انشق جدار البيت لفاطمة بنت أسد؛ فدخلته، ثم التأمت الفتحة. فلم تنزل في البيت العتيق؛ حتى ولّدت مشرف البيت، بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنة، لم ينغلق صدف الكعبة عن درّه الدرّي إلا وأضاء الكون بنور محياه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقة ناصعة، أصفّق على إثباتها الفريقان متواتراً<sup>٢</sup>.

«إن الإمام عليه السلام لا يفتح عينيه - من حين يولد - في وجه أحد إلى ثلاثة أيام، حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله، فأخذ عليه السلام ينظر إلى وجهه المنير؛ ليقتبس من أنوار قدسه منذ البدء، فيقول الرسول صلى الله عليه وآله آنذاك: حَصَّنِي بالنظر وخصصته بالعلم»<sup>٣</sup>.

ظلّ الإمام - من حين ولد - يترعرع في ظلّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولم يكد يفتح عينيه على هذه الرسالة السامية حتى أمتعها من مهده إلى لحدّه، فظلّ يتطور في أطوار حياته النيرة الرسالية وقبلها، استيحاءً من صميم

١. البحار: ٣٠-٣٥، الطبعة الحديثة، عن علي بن الحسين عليه السلام، أوردناه مختصراً.

٢. المستدرک للحاکم، ج ٣، ص ٤٨٣؛ قال متواتر - الحافظ الكنعي الشافعي في الكفاية من طريق ابن النجار عن الحاکم النيسابوري - أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبدالعزيز الدهلوي مصنف التحفة الإثنا عشرية في الرد على الشيعة قال: متواتر - الألوسي صاحب التفسير في (شرح الخريدة الغيبية) - مروج الذهب ٢: ٢ - تذكرة خواص الأمة ٧ لابن الجوزي - الفصول المهمة ١٤ لابن الصباغ - السيرة النبوية، ج ١، ص ١٥٠؛ لنور الدين الشافعي - شرح الشفا، ج ١، ص ١٥١؛ للشيخ علي القاري الحنفي - مطالب السؤل ١١ لابي سالم الشافعي - محاضرة الاوائل ١٢٠ للسكتوري - مفتاح النجا في مناقب آل العبا لميرزا محمد البدخشي - المناقب للترمذي - مدارج النبوة للدهلوي - نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٤؛ للصفوري - روائح المصطفى ١٠ للبردواني - نور الابصار ٧٦ للشبلنجي - كفاية الطالب ٣٧ للشقيطي وطائفة آخرون.

٣. نفس المصدر، ج ٤، صص ٣٨-٣٩٤.



معاليها، ولكي يكون هو المساعد الأول والمستشار الأجلّ للرسول الألمعي الأبطحي عليه السلام.

فرسول الله ﷺ هو الذي يدلّ على مولده الطيب، ثم يخصه بالتربية في حجره ويصنعه على عينه ويرعاه برعايته.

أخذه من والديه قبل أن يبلغ الرابعة من سنّه، فضمّه إلى نفسه المقدسة، وهذه أوّل الأزمنة التي يتأهل فيها الطفل لتلقّي بذور الأخلاق الفاضلة.

«ذلك حينما أصابت قريشاً أزمة شديدة، وأبوطالب ذو عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ لعمّ العباس - وهو من أيسر بني هاشم وأغناهم -: إنطلق بنا، نخفف عن أخيك عياله، أخذ من بنيه واحداً وتأخذ واحداً؛ فأخذ الرسول ﷺ علياً عليه السلام فضمه إليه وألحقه بأسرته، وأخذ العباس جعفرأً فضمه إليه، فلم يزل مع الرسول الأعظم ﷺ، يترعرع في كنف رحمته وتربيته، حتّى بعثه الله نبياً، فاكتملت تربيته عنده بصبغة النبوة والوحي»<sup>١</sup>.

إن الرسول ﷺ يستهدف في ذلك أمرين:

١ - ليخفف العبء عن كاهل عمّه.

٢ - ويضع عن نفسه المقدسة وزر الرسالة بنصرته ومعونته، تناصرا من الجانبين، وليس يحق ذلك إلاّ فيمن يربيه كما يحب ويجب؛ ليستلهمه ﷺ كيف يوازره وينصره في الظروف الراهنة من حياته المنيرة.

أجل، إنه لم يكن الرسول ﷺ ليأخذ علياً من والديه بين أولادهما لمجرد التخفيف عنهما، ولا صدفةً، وإنما كان ينظر إليه بنور الله، فيرى فيه تلك العبقرية العظيمة، يسطع نور الإيمان والنباهة وفروع البلوغ والنبوغ من صفحات وجهه المنير، وجبينه الساطع بالحق واليقين؛ فكل جنس يميل إلى شاكلته، والمؤمن ينظر بنور الله؛ فيخرق الظلمات إلى النور.

١. البحار ٢٤ - ٣٥ الطبعة الحديثة نقلاً عن مجاهد ذكرناه مختصراً.

فلقد كانت في هذه الأخذة الرابية، تخفيفٌ عن أبي طالب، وتخفيفٌ عن أوزار الرسالة وأثقالها للرسول الأعظم عليه السلام إذ رباه، وإظهارُ ثقلٍ عظيمٍ للأمة الإسلامية إلى الوجود، يوئد سفينة نجات الأمة، وينجيها عن التورط في ورطات الهلاك. وقد يعدُّ الإمام عليه السلام هذه التربية الخالدة لنفسه في حجر الرسول الأعظم عليه السلام، من أوليات الصفوف من صنوف فضائله، ويفتخر به في مفاخره قائلاً:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله عليه السلام بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا وليدٌ، يضمنني إلي صدره، ويكنفني في فراشه، ويؤمِّنني جسده، ويؤمِّنني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه؛ وما وجد لي كذبةً في قول، ولا خطله في فعل. ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظمَ ملكٍ يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليّله ونهاره، ولقد كنتُ أتبعه أتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كلِّ يومٍ من أخلاقه علماً، وبأمرني بالاعتداء به. ولقد كان يجاور في كلِّ سنةٍ بحراً؛ فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيتٌ واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله عليه السلام وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه عليه السلام؛ فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان، قد أيس من عبادته! إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست نبيًّا، ولكنك لوزيرٌ وإنك لعلَى خيرٍ!»<sup>١</sup>

أجل، إنّه كان يُنيمه في فراشه في طفولته؛ ولكي ينام هو وحده على فراشه في رجولته وبطولته، دوداً عنه وصيانةً لنفسه المقدسة، احتفاظاً على الرسول الأعظم عليه السلام؛ حيث المشركون ائتمروا في قتله أو إبادته.

١. نهج البلاغة، الشريف الرضى، بشرح محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الخطبة: ١٩٢، ج ٢،

إذ ذاك، يدعو عليًّا ويخبره بما يوحى إليه ربه: «أوحى إليَّ ربِّي أن أهجِر دار قومي، وأنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي هذه، وأن آمرك بالمبيت على فراشي؛ ليخفى بمبيتك عليهم أمري، وأشتمل ببردي الحضرمي». وحينذاك يجيبه مُسرِعاً فرِحاً، فيضمه الرسول إلى صدره ويعانقه، وكما ضمَّه إليه منذ طفولته، ولكي يزود عنه ذوداً عن الإسلام.

يقول ابن عباس، ذلك الصحابي الكبير - مقبول الأمة الإسلامية جمعاء -:  
«سألت أبي عن وُلد رسول الله ﷺ الذكور، أيهم كان رسول الله ﷺ له أشدَّ حبًّا؟ فقال: علي بن أبي طالب، فقلت: سألتك عن بنيه! فقال: إنه ﷺ كان أحبَّ إليه من بنيه جميعاً وأرأف، ما رأيتُه زائلاً يوماً من الدهر منذ كان طفلاً، إلا أن يكون في سفر لخديجة، وما رأيتُ أباً أبرَّ بابن، منه ﷺ لعلي ﷺ، ولا ابناً أطوع لأب من علي له ﷺ!»  
فمن استقى عروقه من منبع النبوة المحمدية، وارتضع من ثدي الرسالة الختمية، وتهدَّلت أغصانه من نبتة الولاية الإلهية، ونشأ في حجر الوحي، وربى في بيت التنزيل، ولم يفارق الرسول ﷺ طيلة حياته، هل إن ذلك العبقري يقاس بسائر الناس؟ أم هل يُقرن بنظائر كابن أبي قحافة وابن الخطاب وابن عفان؟ أم متى اعترض الريب فيه حتى صار يُقرن إلى هذه النظائر؟!



## علي أول من أسلم

يصرح به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فيما تواتر عنه، قال صلى الله عليه وآله: «أولكم وارداً - ورداً - عليّ الحوض، أولكم إسلاماً: عليّ بن أبي طالب»<sup>١</sup>.

وقال صلى الله عليه وآله: «لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين؛ لأننا كنا نصلي، وليس معنا أحد يصلي، غيرنا»<sup>٢</sup>، ومعهما خديجة كما ورد عنه صلى الله عليه وآله. وكما تواتر عن عليّ صلى الله عليه وآله - قال صلى الله عليه وآله: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر، ولقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين، وأنا أول من صلى معه»<sup>٣</sup>.

ولقد روت جماعة كثيرة بطرقٍ عدّة، عن كثير من الأصحاب والتابعين: «إن عليّاً صلى الله عليه وآله أول من أسلم وصلى»،<sup>٤</sup> كما أخرج العلامة المغفور له، في

١. أخرجه الحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ١٣٦؛ وصححه، والخطيب البغدادي في تاريخه، ج ٢، ص ٨١؛ ويوجد في الاستيعاب، ج ٢، ص ٤٥٧؛ وشرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٥٨؛ وروى مثله السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٨٥؛ وسيرة زيني دحلان، ج ١، ص ١٨٨؛ ومناقب الفقيه ابن المغازلي ومناقب الخوارزمي.

٢. مناقب الفقيه ابن المغازلي باسنادين وأسد الغابة، ج ٤، ص ١٨؛ ومناقب الخوارزمي وكتاب الفردوس للدليمي وشرح ابن أبي الحديد عن رسالة الإسكافي، ج ٣، ص ٢٥٨؛ وفرائد السمطين ب ٤٧.

٣. إسناده من طريق ابن أبي شيببة والنسائي وابن ماجه والحاكم والطبري صحيح رجاله ثقات.

٤. من المروي عنهم: أنس بن مالك - بريدة الاسلمي - زيد بن أرقم - عبدالله بن عباس - عفيف - سلمان الفارسي - أبو رافع - أبوذر الغفاري - المقداد بن عمرو الكندي جابر بن عبدالله الأنصاري - أبو سعيد الخدري - حذيفة بن اليمان - عمر بن عتبة - مالك بن الحارث الاشر - عدي بن حاتم - محمد بن الحنفية - طارق بن شهاب الاحمسي - عبدالله بن هاشم المرقال - عبدالدين حجل - أبو عمرة بشير بن محصن - عبدالله بن خباب بن الأرت - عبدالله بن بريدة - محمد بن أبي بكر - عمرو بن الحمق - سعيد بن قيس الهمداني - عبدالله بن أبي سفيان - خزيمه بن ثابت الأنصاري - كعب بن زهير - ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب - الفضل بن أبي لهب - أبو الأسود الدؤلي - مالك بن عبادة الغافقي - جندب بن زهير - زفر بن يزيد - جرير بن عبدالله البجلي - عبدالله بن حكيم التميمي - عبدالرحمن بن حنبل - أبو عمرو عامر الشعبي - أبو سعيد الحسن البصري - الإمام محمد بن علي الباقر - قتادة بن دعامة الاكمة البصري - محمد بن سلم المعروف بابن شهاب - أبو عبدالله محمد بن المنكدر - أبو حازم سلمة بن دينار - أبو عثمان ربيعة بن أبي عبدالرحمن المدني - أبو النضر محمد بن السائب الكلبي - محمد بن إسحاق - جنيد بن عبدالرحمن.

الغدِير. <sup>١</sup> وقد تربو هذه الروايات مائة رواية؛ فلا يُعبأ بما ترويه شِبابَة عن فرات بن السائب قال: قلت لميمون بن مهران: «أبوبكر الصديق أول إيماننا بالنبي أم علي بن أبي طالب؟ قال: لقد آمن أبوبكر بالنبي زمن بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب!»

وأصدقُ بحديث! لم ينقل عن الرسول ﷺ، ولا عن أبي بكر، ولا عن أحد من الصحابة! وقد يكذبه نفسه؛ إذ الإيمان قبل النبوة لا نعرف له معنىً، لا سيما إن الإيمان الظاهر من أبي بكر لم يكن إلا بعد النبوة بسنتين!



## عليُّ وُلد مسلماً

حصيلةُ البحث عن ولادة الإمام ﷺ وتربيته أنه وُلد مسلماً، بكلتا الولادتين؛ فولادته الجسدانية كانت في قبلة الإسلام بدلالة نبي الإسلام، وولادته العقلية والروحانية كانت في حجر الهدى وجو الوحي والرحمة؛ حيث ننظر إلى ميلاد المعاني الإنسانية من نبوِّ الروح والعقل وأخذهما في التكامل، كما ننظر إلى ميلاد المواد الجسمانية من صدورها عن مصادرها المادية.

والإمام فتح عينيه في وجه منير من الرسول البشير النذير ﷺ قبل أن يفتحه في وجه أحد حتى والديه، وتعلّم منه عبادة الله الواحد المتعال قبل أن يعلم بوجود الأصنام والطواغيت، وسمع رنين العبودية لله الواحد قبل أن يسمع رنة الشيطان؛

١. الغدير، العلامة الأميني، ج ٣، ص ٢٢٠ - ٢٣٥.

واستكملت فطرته السليمة البارقة ببوارق التوحيد وأنوار اليقين قبل أن تتكدر بعبارات الضلال ومزلات الشياطين.

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يسير به سيره ومسيره المقدس، ويذهب به مذاهب الهدى إلى ان ابتعثه الله رسولاً صلى الله عليه وآله، فأمن به قبل الرجال وقبل رجولته وبلوغ الحُلُم، ولَمَّا يشمُّه قلم التكليف في ظاهر الحال؛ فأصبح يسبق الرجال في كافة ميادين الرجولة والبطولة.

أجل، إنه صلى الله عليه وآله يصطنعه لنفسه وزيراً؛ فليُصنع على عينه ورعايته دون انفصال، ثم ليسبق المسلمين كافةً في الإسلام، وقد يُعدُّ سبقه في الإسلام من فضائله قائلاً يوم الشورى: «لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم»<sup>١</sup>.

فقد صُدِرَ الإمام عليه السلام عن مصدر الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله صدور الأشياء عن مصادرها ومعادنها الأصيلة؛ فهو استمرار للرسول صلى الله عليه وآله وشيء عظيم من كيانه؛ لأنه صلى الله عليه وآله صبغه بصبغته، وصنعه برعايته وصنعتة، وكوّنه بكيانه؛ حتى جعله صنواً من نفسه المقدسة.

من هنا وهناك، يظهر لنا هذه البارقة، أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان من بادئ بدءٍ يمهّد لعلِّي عليه السلام سبيل الخلافة والقيادة الإسلامية الكبرى بوحي من الله؛ وحقُّ لصنيع خير الورى صلى الله عليه وآله أن يكون خير الورى بعده، يحذو حذوه وينحو نحوه.



## القاعدة الثانية لعرش الخلافة: الأخوة

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يولد ويكوّن الإمام عليه السلام مثل كيانه، حتى يجعله أخاً لنفسه، فأكرم بولدٍ يدعوه الوالد أخاً لنفسه، يمثله بمثاله، ويرفعه إلى مكانته؛ حيث آخى بينه وبين

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٣٩، ج ٢، ص ٢٢.

نفسه المقدسة في مكة المكرمة قبل الهجرة، وفي المدينة المنورة بخمسة أشهر بعد الهجرة، إذ يواخي بين المهاجرين والأنصار مرتين هاتين، ويتخذ، لهذه الغاية الغالية، نفسها عليّاً أخاه. يؤثّره بذلك على من سواه؛ فقد آخى بين عمر وأبي بكر، وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف في المرة الأولى، ثم في الثانية بين أبي بكر وخارجة بن زيد، وبين عمر وعتبان بن مالك.

أمّا عليّ، فكان في كلتا المرتين أخوا رسول الله ﷺ، وذلك تفضيلاً له على من سواه، كما تواتر به النقل،<sup>١</sup> ويقول له رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».<sup>٢</sup> ويقول ﷺ: «أما أنت يا عليّ، فأخي وأبو ولدي ومَنِّي وإلَيَّ».<sup>٣</sup> وإلى أن حضرته الوفاة، قال ﷺ: «أدعوا لي أخي؛ فدعوا عليّاً ﷺ»؛ فقال ﷺ: «أدنُّ منِّي» فدنا ﷺ منه وأسندته إليه، فلم يزل كذلك، وهو يكلمه؛ حتى فاضت نفسه الزكية؛ فأصابه بعض ريقه.<sup>٤</sup>

ومن مقالاته ﷺ في أخوته: «مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ أخو رسول الله... قبل أن تُخلَق السماوات والأرض بألفي عام».<sup>٥</sup> أجل، إن الشكل ينضم إلى شاكلته، ولا سيّما أن المنضم إليه، هو الرسول الأعظم ﷺ؛ فكما أن الإمام كان هناك بين وُلد الرسول ﷺ ولَدَه الفريد - ولادة

١. حديث المواخاة ذكره العلامة الأميني في الغدير، ج ٣، صص ١١٣-١٢٥؛ عن خمسين مصدراً من طرق إخواننا، وممن رواه ابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ومخدوج بن يزيد وعمر بن الخطاب والبراء بن عازب بن علي بن أبي طالب ونفر آخرون عن رسول الله ﷺ.

٢. أخرجه الحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ١٤، عن ابن عمر من طريقين صحيحين، وأخرجه الذهبي في تلخيصه مسلماً لصحته، والترمذي فيما نقله عنه ابن حجر في ص ٧٣ من صواعقه، وأرسله كل من تعرض لحديث المواخاة من أهل السير والأخبار، ارسال المسلمات.

٣. أخرجه الحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ٢١٧؛ بسند صحيح على شرط مسلم واعترف الذهبي بذلك في تلخيصه.

٤. أخرجه ابن سعد في الطبقات، ج ٢، ص ٥١؛ وتجدّه في كنز العمال، ٤ - ٥٥.

٥. مناقب أحمد - تاريخ الخطيب، ج ٧، ص ٣٨٧؛ الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٦٨؛ تذكرة السبط، ص ١٤ - مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١١؛ مناقب الخوارزمي، ص ٨٧؛ شمس الأخبار، ص ٣٥؛ عن مناقب الفقيه ابن المغازلي - كنز العمال، ج ٦، ص ٣٩٩؛ عن ابن عساکر - فيض القدير، ج ٤، ص ٣٥٥؛ كفاية الشنقيطي، ص ٣٤؛ مصباح الظلام، ج ٢، ص ٥٦؛ نقلاً عن الطبراني، ر: الغدير، ج ٣، ص ١١٧.

روحية مقدسة - كذلك هنا هو أخوه الوحيد، لا يضاهيه أحد من المسلمين؛ فلقد رقى عن مرقى الولادة إلى عرش الأخوة من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ حيث كان التآخي بينه وبين نفسه المقدسة صلى الله عليه وآله روحياً، كمثل ولادته الروحية.

وحقيقة هذه الأخوة هي المماثلة والموازرة؛ إذ إنَّ الأخَّ يماثل أخاه، وهو عونُه وظهيره وظهيره. أجل، إنه والرسولَ أخوان بعد أن كان صلى الله عليه وآله ولده صلى الله عليه وآله، إلا أنه أخوه الأصغر.

وإن حديث الوزارة والمنزلة من هذه الأخوة الرائعة لمن أثبت الآثار، تناقله الفريقان عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومنهمم الخلفاء الثلاثة والأئمة الأربعة ونفر كبير من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله!



١. أخرجه، من إخواننا، نفر كبير واليكم البعض، منهم: أخرج الكراچكي صاحب كنز الفوائد علي أبي كريب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن سعيد بن المسيب عنه، وأحمد بن مردويه بإسناده عن أنس عنه صلى الله عليه وآله، والحافظ أبو نعيم الإصفهاني عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله، والحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي عن صخر بن حرب عنه صلى الله عليه وآله، وعدة الطالب عن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله، وباسانيد أخر عن عدة عنه صلى الله عليه وآله، وأخرجه البغوي في صحيحه، ج ٣، ص ٥٤؛ عن مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وآله، ومسلم أيضاً عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن المغازلي عن عامر بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وآله.

والحاكم أبو نصر العربي في كتاب «التحقيق لما احتج به أمير المؤمنين يوم الشورى»، وهو من عيان المذاهب الأربعة، ذكر عن نفر كبير حديث المنزلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وروي عن أبي العباس بن عقدة الحافظ أنه رواه عن أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبدالله بن عوف، سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي صلى الله عليه وآله وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وابن المنذر، وأبي بن كعب، وأبي اليقظان، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، ومالك بن حويرث، وزيد بن أرقم والبراء بن عازب، وانس بن مالك، وجابر بن سمرة، وحيش بن جنادة، ومعاوية بن أبي سفيان، وبريدة الأسلمي، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت حمزة، وأسماء بنت عميس، أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، ويروي ابن الأثير في جامع الأصول من صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي عن سعد بن أبي وقاص، ورواه البغوي في المصايح وشرح السنة، والبيضاوي في المشكاة عن الصحيحين ومسنند أحمد وغير هؤلاء من أصحاب الأصول والمحدثين والمفسرين من إخواننا، وأما من طريق اصحابنا فلا تحصى كثرة وفيما نقلناه كفاية لمن هداه الله.



## القاعدة الثالثة لعرش الخلافة: الوزارة

### علي وزير الرسول ونصيره الأوحد

هذه هي القاعدة الثالثة لعرش الخلافة الكبرى الإسلامية السليمة للإمام عليه السلام، بعد قاعدتي الولادة والأخوة، يؤسسها ويركزها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على صعيد من الصفا والإيمان والرحمة والحنان، فمن أحاط علماً بسيرة النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وفي تأسيس دولة الإسلام وتنظيم شؤونها عن الله عزوجلّ، يجد عليّاً وزيره في أمره وظهيره على عدوه، وعيية علمه، ووارث حكمته ووليّ عهده وصاحب الأمر من بعده. ومن وقف علي أقواله وأفعاله في حِلّه وترحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متواليّة من مبدأ أمره إلى منتهى عمره، وكما يخاطبه قائلاً:

«يا علي! أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي (لا نبوة) بعدي».

وهذا من رسول الله صلى الله عليه وآله إعلان في الأمة الإسلامية جمعاء، أن منزلة الإمام منه صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى إلا في النبوة؛ حيث ختمت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فنتساءل عن كيان هذه المنزلة وحدودها ومسؤول صدق لا يكذب ولا يغدر، وهو مقبول الأمة أجمعين على شتات مذاهبهم وإليه يرجع الأمر كله: وها هو كتاب الله بين أيدينا يرشدنا بالوحي دون ريب أو ستار، ويفسر لنا هذه المنزلة الرفيعة في قوله تعالى عن موسى صلى الله عليه وآله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً \* قَالَ قَدْ أُوتِيَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه، ٢٥ - ٣٦]

هذه الآيات ترشدنا أن وزارة هارون لموسى أخيه، كانت في أمرين:

١- شدّ أزره، ومواساته في الدعوة وتبليغ الرسالة، وفي بأس الأعداء.

٢- مشاركته في أمر الرسالة: أن ينتجبه الله رسولاً يوازره في الرسالة الإلهية. واعتباراً بأية المنزلة، فحديث المنزلة تقرر للإمام هاتين المنزلتين؛ - إلا الوحي والنبوة - حيث ختمت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإلا لصار الإمام عليه السلام نبياً، كهارون من موسى عليه السلام؛ فليكن للإمام المشاركة مع الرسول صلى الله عليه وآله في شتى فضائله الخاصة به اطلاقاً إلا النبوة فحسب، من العصمة العليا في العلم، والتقوى، والطهارة، والإيمان، وما إليها من فضائله القدسية اللائقة بالرسالة الختمية، فهو قرينه صلى الله عليه وآله ومثله في هاتيك الكمالات والعقريات التي اختص بها دون العالمين، يحذو حذوه وينحو نحوه ويمثله كما يحق.

وليكن من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد، قضية للأخوة والوزارة، وليحمل عنه أثقال الدعوة وأوزار الرسالة ويواسيه في شتى المعارك الهائلة في سبيل الدعوة.

ولقد وفى الله للإمام عهد الوزارة؛ فطهره، كما طهر رسول، وأذهب عنه الرجس، كما أذهب عنه، وعصمه وتداركه برحمة منه، كما تداركه، وآتاه ما آتاه إلا النبوة، كما تفيد آية التطهير<sup>١</sup>.

والإمام يفى بعهد الولاية والوزارة، ويضحّي لتكريز هذه الرسالة والدعوة المقدسة ونشرها، ولتخطيم أسس الكفر والضلال، يضحّي بنفسه ونفيسه؛ حتى نزلت في شأنه آية التضحية:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة، ٢٠٧]

وذلك حينما بات على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وخطر المشركين هاجم على فراشه؛ حيث يواخي الله بين جبرئيل وميكائيل قائلاً: «إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر؛ فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟» فاختار كلاهما الحياة؛ فأوحى الله إليهما: «ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله؛ فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة. اهبطا إلى الأرض؛ فاحفظاه من عدوه. فنزلا فكان

١. راجع تفصيل البحث حول الآية في الفرقان ويأتي هنا اختصاراً عنه.

جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب؟! يباهى الله بك الملائكة؛ فأنزل الله في ذلك هذه الآية<sup>١</sup>.

ولقد منّ الله على رسوله أن شدّ أزره وشرح صدره ورفع ذكره ووضع عنه وزره، الذي أنقض ظهره، بأخيه ووزيره علي عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ \* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ \* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ \* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ [الشرح، ١ - ٤] فإن الوزر الذي وضعه الله عن عاتق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ليس وزر العصيان، كيف، وقد أذهب عنه الرجس وطهره تطهيراً؟! ولا وزر الرسالة واستقامة الدعوة فيها، كما أمره: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ...﴾؛ [هود، ١١٢] إذ يستلزم عزله صلى الله عليه وآله عن الرسالة قبل استكمال مدته وبلوغ أجله. وحاشاه أن يهان بعد كرامة الرسالة، أم كيف يهان بلسان الامتنان؟ وحاش الله أن يعزل رسوله دون خطيئة يقترفها، أو تقصير في تبليغ الرسالة، ودون جهل به إذ ابتعثه! ومهما يكن من أمر كهذه - ولن يكون - فكيف يوحي إليه بهذه الآيات وحي النبوة بعد عزله عنها؟!

كلّاً! لا هذا ولا ذلك... وإنما يقول: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح، ٢] تعبيراً عن تخفيف أُنْقَالِ الرسالة وأعبائها عن عاتقه الشريف بوضع الوزر؛ إذ لا وزر على الرسول أثقل من رسالته. ومما لا يريبه شكُّ، أنّ وضع الوزر وتخفيفه عن الملك، ليس إلّا بوزير يوازره ويواسيه ويناصحه؛ فهو يشرح صدر الملك ويرفع ذكره ويُعلي أمره، بالتضاحي بنفسه ونفيسه لتركيز قواعد عرشه وتحقيق أهدافه.

والوزارة - كما نعلم - ليست في صميم معناها إلّا ولاية العهد والنيابة الأولى من وليّ الأمر، ليس فوقها كيان إلّا كيان السلطان؛ فليكن الوزير هو الممثل الأول للقائد الأعظم في شتى شؤون الملك، ولا تنحصر في حين، يقضي القائد نخبه. لا، بل ولا يعنيه - فقط - كيان الوزارة، وإنما تخص أيام حياة القائد وقيادته، وإن كانت أخرى به بعد موته.

١. أخرجه اصحاب السنن في مسانيدهم وذكره الإمام الرازي في تفسير هذه الآية في ج ٢، ص ١٨٩.

لذلك إنَّ هارون كان وزيراً لموسى عليه السلام وقد مات قبله؛ فليست الوزارة في معنى الخلافة بعد الموت فحسب، بل هي الخلافة حين الحياة وبالأحرى بعد الموت. فنحن لا نكتفي من كيان الإمام عليه السلام بأنه وصيُّ الرسول ﷺ وخليفته بعد وفاته، بل نخصه بولاية العهد والوزارة طيلة حياة الرسول الأعظم ﷺ دون الأمة، كما نخصه بالخلافة بعده.

وطبيعة الحال قاضية بتخصيص الوزير وولي العهد بالخلافة، وإن فُقد النص على انتصابه؛ حيث إن خيرة الرسول ﷺ في حياته أولي أن تكون خيرته بعد مماته بلا ترتيب. يقول الإمام في مكانته هذه، من الرسول ﷺ: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ: أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدةً أكرمني الله بها، ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لعلّى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي؛ فأمررتها على وجهي. ولقد وُيِّت غسله ﷺ، والملائكة أعواني؛ فضجَّت الدار والأفنية. ملأ يهبط وملأ يعرج. وما فارقت سمعي هينمةً منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه؛ فمن ذا أحق به مني حيا وميتاً...؟ فوالله الذي لا إله إلا هو، إنني لعلّى جادة الحق، وإنهم لعلّى مزلة الباطل...!»<sup>١</sup>

### ذكريات وزارة الإمام طوال حياة الرسول الأعظم ﷺ

١ - النبي ﷺ يخرج إلى غزوة تبوك ويخلف علياً على أهليهما وأهل المدينة قائلاً: «إن المدينة لا تصلح إلا بي وبك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>٢</sup>.

١. نهج البلاغة، ١ - ١٩٧، محمد عبده، ص ١٧١ - ١٧٢.

٢. البحار: ج ٣٧، ص ٢٥٦، ح ٢٦٦ و ٢٦٧، ح ٣٩، الطبعة الحديثة، الأخير عن سعد بن أبي وقاص والاول كنز الكراكي بأسانيد عن سعيد بن المسيب عنه ﷺ.

أجل، إن المدينة لا تصلح خاليةً عن القائد الأعظم وعن وزيره؛ لأنهما المسؤولين عن الشعب، ولا يُغني بعد القائد إلا وزيره وممثله الوحيد في تدبير أمور الملك دون سائر الناس.

٢ - يقول النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: «ألا ترضى أن تكون مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي؟ ولو كان، لَكُنْتَهُ!»<sup>١</sup>

أجل، إنه لا يختلف الوزير عن القائد إلا في المقام الأول والمكانة الأولى من الشعب، فلا يَقْصُرُ عليّ عليه السلام عن الرسول الأعظم ﷺ إلا في النبوة، ولو لم تختم به ﷺ، لكان الإمام عليه السلام نبيا بعده؛ فهو شريكه في شتى فضائله التي تخصه.

٣ - إن هذه المنزلة للإمام عليه السلام من الرسول الأعظم ﷺ، كمثّل منازل خلفاء الأنبياء منهم، كما يخاطب النبي ﷺ عليّاً بذلك قائلاً: «يا علي، أنت منّي بمنزلة هبة الله من آدم عليه السلام، وبمنزلة سام من نوح عليه السلام، وبمنزلة إسحاق من إبراهيم عليه السلام، وبمنزلة هارون من موسى عليه السلام، وبمنزلة شمعون من عيسى عليه السلام، إلا أنه لا نبي بعدي...»<sup>٢</sup>

٤ - الرسول الأعظم يسدّ أبواب الصحابة عن مسجده إلا باب عليّ، إشارةً منه بهذا الرمز إلى اختصاصه بالرسول ﷺ دونهم، وأنه بابهم إليه، دون من سواه، قصداً منه بذلك وزارته عنه، دونهم.

### عليّ عليه السلام باب مدينة علم الرسول ﷺ

إنّ الرسول الأعظم ﷺ بعد ما يرفع عليّاً عليه السلام إلى منزلته الكريمة، يبادر إلى سدّ أبواب مسجده على الصحابة، دونه عليه السلام:

١. البحار: ٣٧، ص ٢٥٥، ح ٨، الطبعة الحديثة عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

٢. البحار الطبعة الحديثة، ج ٢٧، ص ٢٠٤؛ بالاسناد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال رسول الله ﷺ.

## سد الأبواب

فحديث سدّ الأبواب من المتواتر الذي لا يريبه شك؛ فلقد كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد. قال صلى الله عليه وآله يوماً: «سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليٍّ»؛ فتكلم في ذلك الناس؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أمّا بعد: فإنّي أمرت لسدّ هذه الأبواب، غير باب عليٍّ؛ فقال فيه قائلكم، وإنّي ما سدّدت شيئاً ولا فتحتّه، ولكنّي أمرت بشيء؛ فاتّبعته»<sup>١</sup>.

وبعد ما يسدّ أبواب المسجد عليهم دونه صلى الله عليه وآله، يصرّح بما يعنيه قائلاً: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

يُروى عن ١٤٣ مصدراً من أعلام الحديث، وكلهم من إخواننا السنة، ولقد صحّحه جمع من الحُقّاط وأعلام الحديث، مضافةً إلى صحته عقلياً لتواتره.<sup>٢</sup>

١. أخرجه وما في معناه عن زيد بن أرقم وعبدالله بن عمر بن الخطاب والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وأبي سعيد الخدري وأبي حازم الأشجعي وجابر بن عبدالله وجابر بن سمرة وسعد بن أبي وقاص وأنس بن مالك وبريدة الأسلمي وأمير المؤمنين عليٍّ - كلهم - عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أخرجه عنهم عنه صلى الله عليه وآله: النسائي في السنن الكبرى والخصائص ١٣ والحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ١٢٥؛ وصححه، والضياء المقدسي في المختارة والكلابادي في معاني الأخبار وسعيد بن منصور في سننه ومحب الدين الطبري في الرياض، ج ٢، ص ١٩٢؛ والخطيب البغدادي في تاريخه والكنجي في الكفاية ٨٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٤ وابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٥١؛ وابن كثير، ج ٧، ص ٣٤٢؛ وابن حجر في القول المسدد، ص ١٧ وفتح الباري، ج ٧، ص ١٢؛ والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز، ج ٦، صص ١٥٢-١٥٧؛ والهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٤؛ والعيني في عمدة القاري، ج ٧، ص ٥٩٢؛ والبخشي في نزل الأبرار وابن أبي شيبه وأبو نعيم والحموي في الفرائد ٢١ وأبو يعلى في الكبير وابن السمان في موافقه والجزري في أسنى المطالب والخوارزمي في المناقب وأبو نعيم في الحلية والحافظ البزاز... قال ابن حجر في فتح الباري والقسطلاني في ارشاد الساري، ج ٦، ص ٨١؛ إن كل طريق من هذا الحديث صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها. (الغدير ٣: ٢٠٢-٢٠٩).

٢. صححه الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى ٢٢٣ وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠ في تهذيب الآثار وأبو عبدالله الحاكم النيسابوري ٤٠٥ في المستدرک والحافظ الخطيب البغدادي ٤٦٣ والحافظ أبو محمد الحسن السمرقندي ٤٩١ في بحر الاسانيد، ومجد الدين الفيروز آبادي ٨١٦ في النقد الصحيح والحافظ جلال الدين السيوطي ٩١١ في جمع الجوامع والسيد محمد البخاري في تذكرة الأبرار والامير محمد اليماني الصنعاني ١١٨٢ في الروضة الندية، والمولى حسن الزمان عدّه من المشهور المستحسن، وأبوسالم محمد بن طلحة القرشي ٦٥٢ وأبوالمظفر سيف بن قزواغلي ٦٥٤ والحافظ صلاح الدين العلائي ٧٦١ وشمس الدين محمد الجزري ٨٣٣ وشمس الدين محمد السنجاوي ٩٢ وفضل الله بن روزبهان الشيرازي، والمتقي الهندي علي بن حسام الدين ٩٧٥ وميرزا محمد البخشاني، وميرزا محمد صدر العالم، وثناء الله باني بتي الهندي.

## وقد يروى الفاظ أخرى كالتالي:

«أنا دار الحكمة وعليُّ بابها»<sup>١</sup>

«أنا دار العلم وعليُّ بابها»<sup>٢</sup>

«أنا ميزان العلم وعليُّ كفتاه»<sup>٣</sup>

«أنا ميزان الحكمة وعليُّ لسانه»<sup>٤</sup>

«أنا المدينة وأنت الباب، ولا يوتى المدينة إلا من بابها»<sup>٥</sup>.

ولم يخرج الحفاظ عن الرسول ﷺ أن يقول: أنا مدينة العلم وابوبكر أو عمر أو عثمان، أو أحمد، مالك، أبوحنيفة أو الشافعي بابها! ولا «عال» بابها، كما قد يدعى!<sup>٦</sup>

فإنما عينَ باباً واحداً إلى مدينة علمه، رمزاً إلى أن الوصول إلى الرسول والدخول إلى مدينة علمه من غير باب عليٍّ ﷺ غير مسموح للأمة الإسلامية.

ذلك لأنه ﷺ والنبى ﷺ من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى، كما عن الحرث وعاصم عن عليٍّ ﷺ، مرفوعاً عن الرسول الأعظم ﷺ قوله:

١. أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، ج٢، ص٢١٤؛ وأبونعيم في حلية الأولياء، ج١، ص٦٤؛ والبغوي في مصابيح السنة، ج٢، ص٢٧٥؛ وجمع آخر، تربوا عدتُّهم على ستين من الحفاظ وأئمة الحديث. (الغدِير)

٢. أخرجه البغوي في مصابيح السنة، كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى ص٧٧ وآخرون.

٣. أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، ج٢، ص٢١٤؛ وأبونعيم في حلية الأولياء، ج١، ص٦٤؛ والبغوي عنه كالعجلوني في كشف الخفاء، ج١، ص٢٠٤؛ وغيره.

٤. ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عنه المبيدي في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين ﷺ.

٥. أخرجه العاصمي أبو محمد في كتابه «زين الفتى في شرح سورة هل أتى».

٦. في حوار بيني وبين نفر من إخواننا السنة في مسجد النبي ﷺ حول حديث الباب قال أحد من علمائهم: «ليس الحديث (عليُّ بابها) وإنما (عال بابها)» قلت: «أجل، إنَّ علياً عالٌ» ولكن حديث الرسول المتواتر عن ١٤٣ مصدراً ليس إلا «علي بابها»!

«إن الله خلقني وعلياً من شجرة: أنا أصلها وعليّ فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعه ورقها؛ فهل يخرج من الطيب إلا الطيب؟ وأنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا تؤتّى البيوت إلا من أبوابها»<sup>١</sup>.

ومما لا يريبه شك، أنّ إتيان البيوت من غير أبوابها آية الخيانة والسرقة؛ فليس للأمة الإسلامية عرفان الرسول وما أرسل به ولا إتيان مدينة علمه وحكمته ولا دخول الجنة، ولا... إلا من بابه، ولا تنفتح معضلات الأمور المعقدة بأفعالها إلا بمفتاحه.

فـ ﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة، ١٨٩]

أجل، إن الإمام عليه السلام هو السبيل الوحيد إلى الرسول الأعظم عليه السلام، ومن اتخذ من غيره سبيلاً إليه، فقد ظلم نفسه، وأخطأ طوره، وخلف الويلات، ودخل في المهلكات والمزلات. والله تعالى يقول فيهم مقالة تدهش العقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً \* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان، ٢٧ - ٢٩]

أجل، إنّ من انقطع سبيله عن الرسول، تفرّق به السبل عن المحجة، ولم تبق له حجة، تبلغ به إلى ما آتاه الله الرسول عليه السلام؛ وقد عين الرسول عليه السلام لمدينة علمه وحكمته باباً، هو السبيل إليه، دون سائر الأبواب، وهو عليّ عليه السلام؛ فالتخلف عن بابه إلى متفرق الأبواب يخلف الويل في الأولى والآخرة.

٦ - يصرّح الرسول عليه السلام في بعض تصريحاته لمكانة الإمام عليه السلام من نفسه، ووجه اختصاصه بوزارته علمياً وعملياً، أنه: «الأذن الواعية» و«المخصوص بكرامة النجوى»

١. حديث المدينة من المتواتر، وممن رواه: أحمد عن ثمانية طرق، وإبراهيم الثقفي من سبعة، وابن بطة من ستة، والقاضي الجعافي من خمسة، وابن شاهين من أربعة، والخطيب في تاريخه من ثلاثة، ويحيى بن معين من اثنين، ورواه السمعاني والقاضي الماوردي وأبو منصور السكري وأبو الصلت الهروي وعبدالرزاق وشريك، عن ابن عباس ومجاهد وجابر، عن رسول الله عليه السلام وما ذكرناه في المتن من مختلف العبارات الجامعة لكون الإمام باب الرسول، مذكور في البحار، ج ٤، ص ٢٠٠ و ٢٠١، الطبعة الحديثة.



أجل، إنه الأذن الواعية. وعى ما وعاه الرسول وحيًا. قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ [الحاقة، ١٢] ويدلنا النقل المتواتر عن الفريقين أنها نزلت في علي عليه السلام. يقول الإمام عليه السلام: «ضمني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أمرني ربي أن أذنيك ولا أقصيك وأن تسمع وتعي».<sup>١</sup> ويقول حفيده الصديق، الإمام الصادق عليه السلام تفسيراً لهذه الآية: «وعت أذن أمير المؤمنين عليه السلام ما كان وما يكون!»<sup>٢</sup> ويروى عن جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قوله: «هي أذنك يا علي!»<sup>٣</sup> فحق للوزير أن يكون أذناً للقائد الأعظم؛ حتى يكون بأبه وممثله في تدبير أمور الأمة.

### علي هو المخصوص بكرامة النجوى:

يقول الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* أَسْأَلْتُمُ أَن تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة، ١٢ - ١٣]

وذلك حينما أكثر الأغنياء مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وغلبوا الفقراء على المجالس عنده؛ حتى كره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة

١. رواه أبو نعيم في الحلية والواحد في أسباب النزول عن بريدة، وأبو القاسم بن حبيب في تفسيره عن زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. البحار الطبعة الحديثة، ج ٣٥، ص ٣٢٦.

٣. نفس المصدر السابق، ج ٥ ويروي حديث الأذن نفر كبير منهم: الراغب في المحاضرات وفي كتاب الياقوت عن ابن عمر وغلّام ثعلب والكشف والبيان عن الثعلبي وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس: قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله، ما زلت أسأل الله تعالى منذ انزلت أن تكون في أذنك يا علي»، وفي تفسير القشيري وغيره الهروي: «لما نزلت هذه الآية قال النبي لعلي بن أبي طالب عليه السلام: إني دعوت الله أن يجعل هذه أذنك»، ومحمد بن العباس يروي حديث الأذن في كنزه عن ثلاثين مصدراً.

مناجاتهم؛ فأنزل الله تعالى الآية الأولى، أَمْرَةً بِالصَّدَقَةِ أَمَامَ الْمَنَاجَاةِ. أما أهل العُسرة، فلم يجدوا، ولكن الأغنياء بخلوا. وخف ذلك على الرسول صلى الله عليه وآله وخف الزحام، فاستأثروا على حبه والرغبة في مناجاته حبّ الحطام، واشتد ذلك على أصحابه، فنزلت الآية بعدها، راشقةً بسهام الملام، ناسخةً بحكمها؛ حيث أحجم من كان دأبه الإقدام؛ فلم يعمل بهذه الآية إلا الإمام علي عليه السلام دون سائر المسلمين؛ حيث استقرض ديناراً وناجى به الرسول صلى الله عليه وآله عشرَ نجوات حتى نسخت الآية. وهذا الحديث مما تناقله الفريقان متواتراً عن النبي صلى الله عليه وآله.

فقبحاً لِقَوْمٍ قَدَّمُوا غَيْرَهُ عَلَيْهِ، مع تقصيرهم فيما كان يتأتى بدرهم! فكم فرق بين من يبخل بدرهم في مناجاة الرسول والاستضاءة من أضوائه القدسية خشية الإنفاق، وبين من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله واستبقاء للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله!

٧ - ويتناصر الكتاب والسنة دلالةً على أن الإمام عليه السلام هو الشهيد الوحيد للرسول صلى الله عليه وآله، يشهد له بالرسالة، ويمثله بما فيه فضائله، كما يقول تعالى:

﴿أَقَمَنُ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود، ١٧]

١. أورده الثعلبي والواحدي وغيرهما من المفسرين والمحدثين، فمن ذلك ما يقوله الشيخ شرف الدين بعد نقل كثير من أخبار النجوى «إعلم: أن محمد بن العباس ذكر في تفسيره سبعين حديثاً من طريق الفريقين يتضمن أن المناجى للرسول صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين عليه السلام دون الناس أجمعين» وأخرجه ابن بطريق في العمدة باسناد كثيرة عن الثعلبي وابن المغازلي ورزين وغيرهم، وفي المستدرک عن أبي نعيم بإسناده عن أبي صالح عن أبي عباس، وإسناده عن مجاهد وعلي بن علقمة عن علي عليه السلام وابن مردويه في المناقب بأربع طرق أحدها يرفعه إلى سالم بن أبي الجعد على مثله، وفي الجمع بين الصحاح الستة قال أبو عبد الله البخاري وروى مثله وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، والحافظ أبو نعيم في كتاب ما نزل من القرآن في علي بسنده عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاک عن ابن عباس إلى غير ذلك من الأسانيد...

فالإمام هو الشاهد للرسول ﷺ وهو منه، كما نأتي على بحثه في المقال الآتي، ويشهد له متظافر النقل<sup>١</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد، ٤٣]

فمستفيض النقل يدلنا على نزول الآية في الإمام<sup>٢</sup>.

هذه نماذج من ذكريات وزارة الإمام ﷺ للرسول الأعظم ﷺ، وهي - كما أسلفناه - القاعدة الثالثة من قواعد عرش الخلافة الإسلامية الكبرى للإمام ﷺ.

وبعد هذه القواعد الثلاث، ولادة وأخوة ووزارة، يتم للإمام استقرار عرش الخلافة بالقاعدة الرابعة، وهي أهمها فضلاً وأتمها في تركيز مكانته العليا في الأمة الإسلامية محتدًا.

فالإمام عليُّ أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام، وليد الرسول الأعظم ﷺ؛ فأخوه، فوزيره، ثم نفسه المقدسة وعينه ومثيله.

لا يزال الإمام يرقى مدارج الكمال في ظلّ رعاية الرسول الأعظم ﷺ حتى يوصله هو ﷺ إلى حيث هو، فيخاطبه خطاباً لنفسه، ويعتبره عينه، فيكل أمر الأمة إليه إيكاله إلى نفسه، دونما تفاوت واختلاف.

فحينما تخسر الأمة شخص الرسول ﷺ، لا تخسر شخصيته ﷺ، لأنها متمثلة في الإمام ﷺ فلا ينقطع عنهم بانقطاعه ﷺ إلا استمرار الوحي بالرسالة. ذلك لأن الإمام - في صميم الحق - إنما هو استمرار للرسول الأعظم ﷺ وإدمان لشخصيته.

وطبيعة الحال قاضية أن قائد الأمة لا يبقى حياً - بعد موته - فيهم، إلا إذا خلف من اصطنعه ممثلاً له؛ لئلا يزهد في أمته بعده بموته، ولا يفقدهم إلا شخصه.

١. رواه ابن المغازلي يرفعه إلى علي بن عباس، وغيره.

٢. رواه الثعلبي بإسناده متصلاً عن محمد بن الحنفية، وفي المستدرک عن أبي نعيم الحافظ بإسناده عنه مثله، وابن المغازلي يرفعه إلى علي بن عباس، والسيوطي في الإتيان والبغوي في معالم التنزيل وغيرهم.

كذلك الرسول الأعظم ﷺ يخلف بعد ارتحاله شخصيته المتمثلة في الإمام أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام.

ومما يشهد لهذه القواعد الثلاث آية الشهادة بالتفاصيل التالية:

### علي عليه السلام شاهد من الرسول ﷺ

﴿أَقَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود، ١٧]

﴿مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ هنا هو الرسول ﷺ؛ فإنه هو الذي حُشِرَ بيناتٍ وشهوداً في مثلت الزمان، دون أهل الكتاب؛ فإن البينة الأولى لهم هو كتاب موسى، وليس هو من قبله، بل هو معه، ثم ﴿أُولَٰئِكَ﴾ جمعاً لا تناسب ﴿مَنْ كَانَ﴾ المفرد، ثم لا مرجع لضمير الغائب في ﴿بِهِ﴾، لا هنا ولا التي قبلها.

إذاً فهو النبي ﷺ حشيراً وعشيراً لبيناتٍ وشهاداتٍ تدلُّ على مَحْتَدِهِ الرسالي السامي. و﴿كَانَ﴾ تضرب إلى أعماق الماضي، قبل ولاده بينات البشارات الواردة بحقه في كتابات الوحي، وبأصل ولادِهِ ﷺ؛ حيث ظهرت عنده عجائب قاصدة، وطيلة الأربعين قبل رسالته وهي الحالة التحضيرية لرسالته، بارقة مشرقة خارقة للعادات؛ إذ لم ير في حياته تلك، نقطة سوداء، مما يبرهن - وهو في جو الإشراف وكافة الرذالات - على بالغ حاله واستقباله.

ومنذ ابتعائه ﷺ، إذ كان يحمل من بينات الرسالة الربانية كافة للامحاح والدلالات، فحين نرى رسل المسيح يستدلون بأنفسهم على رسالاتهم أمام الناكرين: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس، ١٦]؛ فهذا النبي أحرى أن يكون بنفسه برهاناً ساطعاً على رسالته، وبقراءته وهو رأس الزاوية من ﴿بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ منقطعة النظير عن

كل بشير ونذير؛ آيات بينات خمس تلو بعضها البعض، أو مع بعضها البعض، تحشره بنفسها. ثم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ من الله، أو من نفسه، أم من الله ثم منه بإذن الله، فتراه نفسه؟<sup>١</sup> وهو لا يتلو نفسه مهما كان شاهدا من ربه على رسالته بنفسه، وشاهدا نفسه بما اجتهد وسعى ووقفه الله!

أم هو جبريل عليه السلام؟<sup>٢</sup> وكيف يتلوه، وهو معه نازلاً بتفصيل الكتاب على قلبه؟! وليس هو شاهدا منه ﷺ، ولا شاهدا من ربه له؛ إذ تكفيه شهادة الوحي من ربه، وأنه هو الذي عرفه جبريل وسيطا لوحيه، دون أن يشهد على شيء.

ولا هو شاهد من ربه للآخرين؛ إذ لم يروه؛ فلا دور له في حقل الرسالة ولا الوحي شهادةً. إنما هو وسيط في تفصيل الوحي، لا لحاجة منه إليه، بل ليعرف الناس أنه ﷺ ليس إلهاً يقول من نفسه، تثبتاً لإيمانهم أنه بشر رسول: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل، ١٠٢]

أم هو لسانه الصدق<sup>٣</sup> القرآن العظيم، بينة له في زمنه، ثم يتلوه - على مدار الزمن حتى القيامة الكبرى - شاهد من ربه على رسالته الأخيرة؟ وهذا هو الحق؛ فإن الله يشهد بالقرآن على وحيه وعلى رسالة من جاء به على طول الخط.

ثم ويتلوه شاهد من الله كأصل، وهو شاهد منه ﷺ بما أذن الله، وهو الإمام علي عليه السلام، كما تواترت به الروايات.<sup>٤</sup>

١. المصدر عن الحسين بن علي عليه السلام في الآية قال: «محمد هو الشاهد من الله»، ومثله ما عن أبي العالية وإبراهيم.

٢. المصدر عن ابن عباس أنه جبرئيل ووافقته سعيد بن جبير وعطاء وابن عباس.

٣. الدر المنثور ٣: ٣٢٤ عن محمد بن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي: «إن الناس يزعمون في قول الله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أنك أنت التالي؟» قال عليه السلام: «وددت أني أنا هو ولكنه لسان محمد ﷺ».

٤. المصدر أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبونعيم في المعرفة، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن! فقال له رجل: «ما نزل فيك؟»، قال: «أما تقرأ سورة هود: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ رسول الله على بينة من ربه وأنا شاهد منه.» وأخرجه عنه عليه السلام ابن عساكر، وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ علي».

أقول: وفي تعليقات إحقاق الحق، ج٣، ص ٣٥٢ - ٣٥٨؛ أورد هذه الرواية عن النبي ﷺ كثير من الحفاظ منهم الثعلبي في تفسيره، والبعوي في تفسيره معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن، ج٣، ص ١٨٣؛ والرازي، ج ١٧، ص ٢٠١؛

من تفسيره حيث أوردته عن بعض، والطبري في تفسيره، ج ١٢، ص ١٠؛ والقرطبي في تفسيره، ج ٩، ص ١٦؛ والكنجي في كفاية الطالب ص ١١٠ والنيسابوري في تفسيره، ج ١٢، ص ١٦؛ والخازن في تفسيره، ج ١٢، ص ١٦ و ج ٣، ص ١٨٣؛ وصاحب فتح البيان على ما في فلك النجاة، ص ٤٦١؛ وأبوحيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، ج ٥، ص ٢١١؛ والآلوسي في روح المعاني، ج ١٢، ص ٢٥؛ والقندوزي في ينابيع المودة، ص ٩٩.

وفي أمالي الشيخ الطوسي باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه إذا كان يوم الجمعة يخطب على المنبر، فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما من رجل من قریش جرت عليه الموائيق إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل أعرفها، كما أعرفه!»؛ فقام إليه رجل، فقال: «يا أمير المؤمنين، ما آيتك التي نزلت فيك؟» فقال: «إذا سألت فافهم ولا عليك ألا تسأل عنها غيري! أقرأت سورة (هود)؟» قال: «نعم، يا أمير المؤمنين!»، قال عليه السلام: «أفسمعت الله عز وجل يقول: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ؟﴾» قال: «نعم» قال: «فألذي على بينة من ربه، محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يتلوه شاهد منه وهو الشاهد وهو منه وأنا علي بن أبي طالب وأنا الشاهد وأنا منه».

وفيه عن الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه لبعض الزنادقة، وقد قال: «وأجده يخبر أنه يتلوا نبيه شاهد منه وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره وأما قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فذلك حجة الله، أقامها على خلقه وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي صلى الله عليه وسلم إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته؛ لثلاث يتسع لمن مسه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم، ولبضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه؛ إذ كان الله قد حظر على من مسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين؛ لأنه سمي الشرك ظلما بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان، ١٣]، فلما علم إبراهيم عليه السلام أن عهد الله - تبارك وتعالى اسمه - بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم، ٣٥]، واعلم أن من أثر المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار فقد افتري على الله إثما عظيما؛ إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحقق والمبطل والظاهر والنجس والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلوا النبي صلى الله عليه وسلم عند فقده إلا من حل محله صدقا وعدلا وطهارة وفضلا».

وفي ملحقات إحقاق الحق، ج ١٢، ص ٣٠٩ - ٣٢١؛ المستدركات التالية حول نزول الآية في الإمام علي عليه السلام، منها: ما رواه عباد بن عبد الله عن علي عليه السلام، رواه جماعة، منهم: ابن المغازلي في مناقبه والحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٧٥؛ والتعليبي في الكشف والبيان (مخطوط) والسهيلى في التكملة، ص ١١٧؛ والقندوزي في ينابيع المودة، ص ٩٩؛ والأمر تسري في أرجح المطالب، ص ٦٢.

وما رواه زاذان عن علي عليه السلام، رواه جماعة، منهم: الحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والنيسابوري في تفسيره الكشف والبيان (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة، ص ٧٤؛ والجري في تنزيل الآيات، ص ١٣؛ والحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٧٨.

وما رواه الحارث عن علي عليه السلام، رواه جماعة، منهم: الحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٧٧؛ وابن أبي الحديد في شرح النهج، ج ١، ص ٢٠٨.

وما رواه جابر عنه عليه السلام روى عنه ابن حسويه في درر بحر المناقب (٨٥ مخطوط) والخازن في تفسيره، ج ٣، ص ١٨٣؛ والحموي في فرائد المسطين (مخطوط) والحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٧٩؛ والترمذي في المناقب المرتضوية، ص ١٢٠.

وما رواه ابن عباس عنه عليه السلام، روى عنه جماعة، منهم: التعليبي في الكشف والبيان (مخطوط) والحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٧٩؛ والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والجري في تنزيل الآيات (ص ٤) (مخطوط)، والأمر تسري في أرجح المطالب، ص ١٠٢.

وما رواه أبوذر عنه عليه السلام، وممن رواه عنه شهاب الدين الهمداني في مودة القربى، ص ٨٣. وما رواه أبو الطفيل عن علي عليه السلام، روى عنه الحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٧٧.

فالشاهد الأصيل الدائم القائم، طول الزمن الرسالي، ما طلعت الشمس وغربت، هو القرآن؛ فإنه الثقل الأكبر والأطول والأتم والأعظم والأكمل بمتواتر السنة، ثم على ضوئه الإمام عليٌّ عليه السلام، كرأس الزواية من الأئمة الشهود حتى القائم المهدي عليه السلام؛ فإنه يشهد له بما صنعه مثله وصنوه.

ولأن شاهد القرآن متفقٌ عليه، فلم ترد به رواية إلا لمحّة، ثم شاهد الإمام المختلف فيه، تواترت به الرواية، الحاقاً له بما هو متفق عليه.

فهو عليه السلام شاهد صدق على هذه الرسالة السامية، يتلو الرسول صلى الله عليه وآله نسخة ثانية طبق الأصل، صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله كمثلته بأمر ربه، ولقد حقَّ القولُ من جموع من غير المسلمين: «لو لم يكن لرسالة محمد صلى الله عليه وآله برهان إلا عليٌّ عليه السلام، كفى برهاناً ساطعاً قاطعاً على رسالته!»!

ومن الفارق بين الشاهدين، أن «يَتْلُوهُ» في شاهد القرآن، من التلو: للحق؛ حيث يلحقه - كما عاشه - استمراراً لرسالته الصادقة المعصومة، لكن «ويَتْلُوهُ» في شاهد الإمام تعني التلاوة: المتابعة، إضافةً إلى التلو؛ حيث الإمام المتابع إياه، الآتي تلوه في حَمَل هذه الرسالة دون وحي، إنما هو نسخة ثانية رسولية بخط يد الرسول بما أذن الله.

وإذا كان عليٌّ عليه السلام - وهو صنيعه صلى الله عليه وآله - شاهداً منه علي رسالته، فشهادته صلى الله عليه وآله نفسه على رسالته هي الأولى والأولى.

فقد كان محمد صلى الله عليه وآله آية بينة من ربه، وهو «عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ»، «ويَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً»؛ فهذه بينات أربع.

أم «عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» هي البينة الرسالية، بينة من نفسه ومن القرآن، وهما صنوان اثنان متحدان لا يختلفان، كما لا يتخلفان عن كونهما بينة رسالية موحدة.

وما رواه أنس عنه صلى الله عليه وآله، رواه عنه الحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٨٠.

وما رواه أبو جعفر عليه السلام، رواه عنه ابن المغازي في مناقبه (مخطوط).

فالقرآن هو إثنان، هما: محمّد والقرآن؛ فمحمّد هو القرآن والقرآن هو محمّد عليه السلام، كما ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس، ٦٩]

ف﴿هو﴾، هو الرسول ﴿ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾، يبين القرآن: الكتاب، بكتاب حياته الرسالية المستفادة من القرآن والسنة: «أنا القرآن والسبع المثاني، وروح الروح بل روح المعاني».

وإذا كان سائر المرسلين هم شهود بأنفسهم على رسالاتهم وكما جاء في رسل المسيح عليه السلام: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس، ١٦] فبأحرى لرسول الهدى عليه السلام أن يكون بنفسه شهيدا على رسالته نفسه، كيف لا، وربيّه شاهد منه على رسالته؟! وإذا كان الرسول عليه السلام شاهداً لربه برسالته، لمكان تربيته القيمة الرسولية، فحري بعلي عليه السلام أن يكون شاهداً له عليه السلام لمكان تربيته القيمة الرسالية.

هنا ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ متأيّد في تفسيره بما تواتر عنه عليه السلام من قوله: «علي مني وأنا من علي»<sup>١</sup> وقد قرّرتّه آية المباهلة قراره نفسه: ﴿... وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾! [آل عمران، ٦١]

وبيانا لهذه الولادة الروحية العلوية من محمّد عليه السلام، ما يروى عن علي عليه السلام نفسه من قوله: «وقد علمتم موضعي من رسول الله عليه السلام بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا وليد؛ يضمّني إلى صدره، ويكنّني في فراشه، ويؤمّني جسده، ويؤمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمّني، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً، أعظم ملك يسلك به

١. حديث صحيح رجاله كلهم ثقات وممن أخرجه عنه عليه السلام الإمام أحمد في مسنده، ج ٤، ص ١٦٤ و١٦٥؛ بأسانيد أربعة، والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه، ج ١، ص ٥٧؛ والترمذي في الجامع الصحيح، ج ١٢، ص ١٦٩ و ج ٢، ص ٤٦٠؛ وفي صحيحه، ج ٢، ص ٢١٣؛ والنسائي في الخصائص ص ٢٦-٢٧؛ وابن المغازلي في المناقب بأسانيد عدة، والبغوي في المصابيح، ج ٢، ص ٢٧٥؛ والخطيب العمري في المناقب بأسانيد عدة والبغوي في المصابيح، ج ٢، ص ٢٧٥؛ والخطيب العمري في المشكاة، ص ٥٥٦؛ والكنجي في الكفاية، ص ٥٥٧؛ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج ٣، ص ٧٤؛ عن الحافظ السلفي، وسيط ابن الجوزي في التذكرة، ص ٢٣؛ والذهبي في تذكرة الحفاظ، وابن كثير في تاريخه، والسخاوي في المقاصد الحسنة، والمناوي في كنوز الدقائق، ص ٩٢؛ والحموي في فرائد السمطين ب ٧؛ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع، وابن حجر في الصواعق، ص ٧٣؛ والمتقي الهندي في كنز العمال عن ١١ حافظاً، والبديخشاني في نزل الأبرار، ص ٩؛ والفقيه شيخ بن العيدروس في العقد النبوي، والشبلنجي في نور الأبصار، ص ٧٨؛ والصبان في الإسعاف هامش نور الأبصار، ص ١٥٥؛ كلهم أخرجوه ورووه عن حبشي بن جنادة وعمران وأبي ذر الغفاري عن رسول الله عليه السلام.



طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري؛ ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يا رسول الله ﷺ، ما هذه الرنة؟ قال: هذا الشيطان، قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي؛ ولكنك وزير وإنك لعلّى خير»<sup>١</sup>.

وهكذا: «لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق، وصلته رحم، وعائدة كرم».

ولقد تلا علي ﷺ رسول الله في الإيمان زمنا ومحتدًا، وكما قال ﷺ: «أولكم واردًا - وردا - عليّ الحوض، أولكم إسلاما، عليّ بن أبي طالب»<sup>٢</sup>، «ولقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين؛ لأننا كنا نصلي، وليس معنا أحد يصلي، غيرنا»<sup>٣</sup>.

أجل، وإنه «أول من أسلم وصلى»، كما تواتر في زهاء مائة حديث.

فهو الأول إسلاما وصلاةً معه ﷺ؛ دون أبي بكر المدعى إيمانه به ﷺ قبل أن يولد علي ﷺ، وذلك قبل الرسالة بإثنتي عشرة سنة!<sup>٤</sup>

ويا لـ ﴿شَاهِدٍ مِنْهُ﴾ مِنْ شَاهِدٍ، ملتويًا بين من يريه ومن يلعنه، سبًا له على المنابر!

١. نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، الخطبة: ١٩٢ (المعروف بالقاصة)، ج ٢، ص ١٥٨.

٢. كما أخرجه الحاكم في المستدرک، ج ٣، ص ١٣٦؛ وصححه، والخطيب البغدادي في تاريخه، ج ٢، ص ٨١؛ وفي الاستيعاب، ج ٢، ص ٤٥٧؛ وشرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٥٣؛ والسيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٨٥؛ وسيرة زيني دحلان، ج ١، ص ١٨٨؛ ومناقب الفقيه ابن المغازلي ومناقب الخوارزمي.

٣. مناقب الفقيه ابن المغازلي بإسنادين وأسد الغابة، ج ٤، ص ١٨؛ ومناقب الخوارزمي وكتاب الفردوس للدليمي وشرح ابن أبي الحديد عن رسالة الإسكافي، ج ٣، ص ٢٨٥؛ وفرائد السمطين ب ٤٧.

٤. كما رواه شيابة عن فرات بن سائب قال: «قلت لميمون بن مهران: أبوبكر الصديق أول إيماننا بالنبي ﷺ أم علي بن أبي طالب ﷺ؟» قال: «لقد آمن أبوبكر بالنبي ﷺ زمن بحير الراهب واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب!»

٥. في ملحقات إحقاق الحق، ج ٣، ص ٤٠٧؛ فممن ذكر سبه ﷺ على المنابر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ج ٧، ص ٥٧؛ بقوله: «ثم اشتد الخطب فتنقصوه، واتخذوا لعنه على المنابر سنة، ووافقهم الخوارج على بغضه». وكذا في ج ٧، ص ٦٠ من قوله: «ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص عند مسلم والترمذي قال: «قال معاوية

ولقد تناست الأمة شاهداً منه عليه السلام وتحولوا إلى غير شاهد منه مما ابتليت به الأمة ساقطة في هوات، وماقتة بما هوات، وما يتأوه الإمام الشاهد على ما حصل، قائلاً في شقشقيته:

«أما والله لقد تَمَّصَّها ابن أبي قحافة! وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنى السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كَشْحًا، وطفقتُ أرتئي بين أن أصولَ بيدٍ جداء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه؛ فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده؛ فإعجابنا هو يستقلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها! فصيرها في حوزة خشنا، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها؛ فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم. فمَنِي الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض؛ فصبرت

لسعد: ما منعك أن تسب أباتراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلن أسبه، فذكر الحديث (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)»، وابن الجوزي في تذكرة الخواص (١١٤) والحاكم النيسابوري في المستدرک، ج ٣، ص ١٢١؛ أورد فيه حديثين عن أم سلمة حيث قال ما هذا لفظه بعد ذكر السنن: «دخلت على أم سلمة فقال لي أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم؟ فقلت: معاذ الله، أوسبحان الله! فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سب علياً سبني». قال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، والحافظ الذهبي في ذيل المستدرک، ج ٣، ص ١٢١؛ والسيد علوي الحداد في القول الفصل، ج ٢، ص ٣٨٤؛ والهيثمى في الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٣٥٣؛ قال: «ثم لما اشتد الخطب واشتعلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج - لعنهم الله - بل قالوا بكفره...»، والنيسابوري في صحيحه على ما في «التاج الجامع للأصول»، ج ٣، ص ٣٢٩؛ قال عن سعد: «أمرني معاوية أن أسب أباتراب»، والترمذي في صحيحه على ما في التاج، ج ٣، ص ٣٢٩؛ وابن الأثير الجزري الموصلي في أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٥؛ وابن عبد البر في الاستيعاب، ج ٢، ص ٤٥؛ والطبري في الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٨٨؛ وابن جرير الطبري في تاريخه الشهير، ج ٢، ص ١٢٤؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ١، ص ٣٥١.

أو هكذا يؤدّي «شاهد منه» والله يقول: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ أَنْ يَكْتَسِبُوا فَقَدْ اِحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا» [الأحزاب، ٥٨]. وقد تظافت الرواية في نزول الآية فيه عليه السلام، كما في ملحقات إحقاق الحق، ج ٣، ص ٤١٧؛ وممن أوردتها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٢٤٠؛ والبيضاوي في تفسيره، ج ٤، ص ٤١٧؛ وممن أوردته، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٢٤٠؛ والبيضاوي في تفسيره، ج ٤، ص ٤٧؛ ذكرنا نزولها في المنافقين الذين يؤذون علياً عليه السلام وابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة، ص ٩٥؛ والترمذي في مناقب مرتضوي، ص ٦٠؛ والخازن في تفسيره، ج ٥، ص ٢٢٧؛ والبعوي في معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن، والواحدي في أسباب النزول، ص ٢٧٣.

على طول المدة، وشدة المحنة؛ حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم! فيا لك وللشورى! متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟! لكنني أسففت إذا أسفُّو، وطرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هَنٍ وهَنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الريح، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته؛ فما راعني إلا والناس كُعرف الضبُع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشقَّ عطفائي، مجتمعين حولي كرياضة النغم. فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾! بلى! والله، لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها! أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يغاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولأفيتها دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز...! <sup>١</sup> «وإنما كنت جارا جاوركم بدني أياما، وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حراك، وصامتة بعد نطوق؛ ليعظكم هُدُوِّي وخُفوت أطراقي وسكون أطرافي؛ فإنه أو عظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع. وداعي لكم وداعٍ إمريٍّ مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي، ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلو مكاني، وقيام غيري مقامي...» <sup>٢</sup> ويعني من «غيره»: من يغيره في مقامه، كمعاوية.

١. نهج البلاغة، فيض الاسلام، خطبة شقشقية، ص ٣٧. «قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضوع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر إليه، فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو إطردت خطبتك من حيث أفضيت! فقال: هيهات يا ابن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرت! قال ابن عباس: فوالله، ما أسفت على كلام قط، كأسفي على هذا الكلام، أن لا يكون أمير المؤمنين ﷺ بلغ منه حيث أراد.»

أجل، فهم أولاء المعصومون عليهم السلام من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله «موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكّمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه. بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه»<sup>١</sup>

فـ «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار، وقِر سمعُ لم يفقه الواعية، وكيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة! ربط جنان لم يفارقه الخفقان، ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسّمكم بحلية المغترين، سترني عنكم جلباب الدين، وبصرّنيكم صدق النية، أقمت لكم على سنن الحق في جوادّ المضلة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون! اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، غرّب رأيٍ امرئٍ تخلف عني، ما شككت في الحق مُذ أريته. لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهال، ودوّل الضلال، اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل، من وثق بماء لم يظماً»<sup>٢</sup>.

ذلك، ولم يصف رسول الله صلى الله عليه وآله بأوصاف منقطعة النظير إلا لهذا البشير النذير، وهي حسب ما حصلنا عليه زهاء ثلاثمائة وصفٍ منضدٍ، كالتالية حسب ترتيب حروف الهجاء - وقد خلفت أوصافه إياها كلها - رواها مئات من الرواة، وأخرجها جماهير وفيرة من مؤلفي إخواننا، في قرابة ألفين من مؤلفاتهم أم تزيد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.<sup>٣</sup>

### الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يواصف عليّاً عليه السلام في ثلاثمائه كلمة

**ألف)** إمام المتقين - أمير المؤمنين - أول من يرى رسول الله صلى الله عليه وآله - أول من يصافح النبي يوم القيامة - أول من صدق رسول الله - أول من وحد الله مع رسوله - الإمام علي

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٤

٣. ننقل من إحقاق الحق، وملحقات إحقاق الحق وفهرسه البالغ إلى أربع وثلاثين مجلدا ضخما، للمرجع الديني الكبير العلم الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله. عن إحقاق الحق ج ٤ و ٥ في (٤٤) صحيفة ذكر المؤلفين بمؤلفاتهم، وفي (٥٠٣) سرد الأحاديث المعنية بذلك، فتم مجلد واحد - ولله الحمد - اختصاصا بالروايات التي تحمل هذه المواصفات.

من أمة رسول الله - إمام خلق الله - إمام البرية - أبو ذرية رسول الله - أمين رسول الله - على وحيه - أبو هذه الأمة - أفضل الوصيين - إمام الأتقياء - أبو الأئمة الطاهرين - أقدم الناس سلماً - أحب الأوصياء إلى الله - أعظم «أشرف» الناس حسباً - أكثر الناس منصباً - أرحم الناس بالرعية - أعدل الناس بالسوية - إمام كل مؤمن ومؤمنة - الآخذ بسنة رسول الله ﷺ - أولى الناس بعد رسول الله - أول الناس «المؤمنين» إيماناً - أوفى الناس «المؤمنين» بعهد الله - أقوم الناس بعهد الله - أقسم الناس «المؤمنين» بالسوية - أرفأ الناس «المؤمنين» بالرعية - أعدل الناس في الرعية - أمين الله على سره - أعظم الناس عند الله مزية - أول المسلمين «الأصحاب» إسلاماً - أقدم الأمة سلماً «إيماناً» - أكثر الأمة علماً - أعظم الأمة «أفضل الأمة» - أوفر الأمة حلماً «أحلم الناس» - أحسن الناس خلقاً - أعلم الأمة بالله - أول الناس ورداً علي الحوض - آخر الناس عهداً برسول الله - أول الناس لقياً برسول الله - أشجع الناس قلباً - أسخى «أسمح» الناس كفاً - أصح الناس ديناً - أفضل الناس يقيناً - أكمل الناس حلماً - إمام أولياء الله - إمام من أطاع الله - أمين رسول الله في القيامة - أمين الله على أرضه - أعلم المؤمنين بأيام الله - أعظم المؤمنين رزية - أقوم الناس بأمر الله - الأواه - أفضل الناس منزلة - أقرب الناس قرابة - أعظم الناس غنى - إمام المسلمين - أفضل الناس «هذه الأمة» - أعلم الناس - الأمين في أهل الأرض - الأمين في أهل السماء - أكمل الأمة يقيناً - أبو السبطين - أبو الريحانتين - أسد الله في أرضه - أول من يدخل الجنة - أول من يقرع باب الجنة - أمير البررة - «الأخيشن»، «الأخشن»، «المخشوشن» الأخشى في ذات الله - ألب الأمة - أمير آيات القرآن - إمام البررة - أحب الخلق إلى الله ورسوله - أحب الرجال إلى النبي - أقرب الناس من رسول الله - أجود الناس منزلة - أعظم الناس عند الله عناءً - أعظم الناس على الله - أمين رسول الله - أقرب الناس إلى الحجة - أبو اليتامى والمساكين - أول من صدق رسول الله - أول من وحد الله - أبو العترة الطاهرة الهادية - أحكم الناس حكماً - ذلك وقد يفديه ﷺ بأبيه وأمه في مجالات عدة

قائلاً له: «يا علي بأبي أنت - قم يفدي بك أبي وأمي، فالتزمه وقال بأبي وأمي - بأبي أبيكما وبأمي أمكما - بأبي أنتما وبأبي أبو كما وبأبي أمكما»<sup>١</sup>

وأنه «أخو النبي صلى الله عليه وآله» بمختلف التعابير ومتواترة المجالات،<sup>٢</sup> وأنه «إمام أوليائي - إمام من أطاعني - إمام القوم - إمام كل مسلم - وأمير كل مؤمن - إمام الأولين والآخرين»، كما في متواترات أخرى.<sup>٣</sup>

ب) باب رسول الله الذي يؤتى منه - باب الله - باب الحطة - باب الجنة - باب علم رسول الله - باب مدينة العلم - باب العلم - باب الحكمة - باب الفقه - باب علمي

ت) التواب الأواب - على رأسه تاج من نور

ر) راية الهدى - ركن الإيمان - رباني هذه الأمة - رفيق رسول الله في الجنة

ث) ثقة رسول الله

ج) جنب الله

ح) حبيب الله - حبيب رسول الله - حبيب قلب رسول الله - حجة الله على بريته -

حجة الله في أرضه بعد النبي الحليم - حجة رسول الله - حجة النبي على أمته يوم القيامة - حامل راية رسول الله - حجة الله على الناس بعد رسول الله - حبل الله المتين

خ) خاتم الوصيين - خليفة رسول الله «في أمته من بعده» - خير من تركه

رسول الله - خير من أخلفه رسول الله - خليفة الله في أرضه - خليفة الله على عباده -

خاتم الأوصياء - خير الأوصياء - خير البشر - خير الناس - خير الرجال - خير هذه الأمة

١. تجده على الترتيب في ملحقات إحقاق الحق، ج٤، ص٤٠؛ ج٧، ص٣٧٤؛ ج٧، ص٣٩؛ ج١٨، ص٥٢٤؛ ج١١، ص٤١؛ ج٩، ص٢٠١ و٢٦٩ و٢٦٧.

٢. نفس المصدر، ج٤، صص١٨، ٥٦، ٦٢، ٧٨، ٧٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٠١، ١٣١، ١٧١، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٦، ٦؛ ١٥١، ٤٦١، ٤٨٦؛ ج٧، صص٣٧١ - ٣٧٦؛ ج١٥، صص٤٥٠ - ٥١٧؛ ج٢٠، صص٢٢١ - ٢٥٥.

٣. تجدها على الترتيب في نفس المصدر، ج٤، صص١٦٦ - ١٧٠ و٣٦٢؛ ج١٥، صص٨٠ - ٨٢؛ ج٢٠، صص٢٧٢؛ ج٤، ص١٦٧؛ ج٤، ص٢٨٤؛ ج٥، ص٥؛ ج٤، ص٣٦٢.

بعد نبيها - خير البرية - خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعد النبي - خليل الله -  
خليل رسول الله - خدن رسول الله

(د) دافن رسول الله - الدال - ديان العرب - ديان هذه الأمة

(ذ) الذائد عن حوض رسول الله - الذاب عن ملة رسول الله - ذو قرني الجنة

(ر) راية الهدى - ركن الإيمان - رباني هذه الأمة - رفيق رسول الله في الجنة

(ز) زوج الأرامل

(س) سيد وُلد آدم - سيد العرب - سيد في الدنيا والآخرة - سيد المؤمنين  
- سيد الأوصياء «الوصيين» سيف الله - سيف رسول الله - سيف الله على  
أعدائه - سيد الأولين والآخرين ما خلا النبيين - سيد الصديقين - سيد  
المسلمين - سيد الأولياء

(ش) شيخ المهاجرين - الشاهد

(ص) الصديق الأكبر - صاحب رسول الله - صاحب لواء رسول الله في  
المحشر - صاحب حوض رسول الله - صفي رسول الله - صاحب راية  
رسول الله يوم القيامة - الصراط المستقيم - صالح المؤمنين - صاحب راية  
الله في المقام المحمود - صاحب سر رسول الله - صاحب لواء الحمد - صهر  
رسول الله - صاحب رسول الله في الجنة - الصديق

(ض) ضامن المستضعفين

(ط) الطريق الواضح - الطريق إلى الله

(ظ) ظهر رسول الله وأزره

(ع) عيبة علم رسول الله - عضد «عاضد» رسول الله - عمود الإسلام -  
العلم المرفوع لأهل الدنيا - عالم الناس - العابد - عقبري أصحاب رسول الله  
- العروة الوثقى - عين الله - علي مني مثل رأسي من بدني - علي من

النبى والنبي من علي<sup>١</sup> - عليُّ سيد العابدين<sup>٢</sup> - أنا وعلي أبو هذه الأمة - علي باب الدين... ومن خرج منه كان كافراً.<sup>٣</sup>

(غ) غاسل رسول الله

(ف) فاروق هذه الأمة - الفاروق بين الحق والباطل - الفتى

(ق) قائد الغر المحجلين - قاضي دين رسول الله - القائم بأمر الله - قاضي عداة رسول الله - قاصم عداة رسول الله - قاتل الناكثين - قبله العارفين - قسيم الجنة والنار - قائد المسلمين إلى الجنة - قائد الأمة إلى الجنة - قائد المؤمنين إلى الجنة - قاتل الفجرة - قاتل الكفرة

(ك) كبير الناس - الكلمة التي ألزمها الله المتقين - كلمة التقوى

(ل) لحم رسول الله - لسان الله الصادق

(م) منجز وعد الله - موضع سر رسول الله - مولى البرية - مولى من كان رسول الله مولاه - المؤدي عن رسول الله - منار الإيمان - مفاتيح خزائن رحمة الله - مستودع موارد الأنبياء - مصباح الدجى - منار الهدى - المتقدم إلى كل شديدة وكريهة - المثل الأعلى - المهدي - المهتدي - المجتبي للإمامة - الملك في الآخرة - محيي سنة رسول الله - ممسوس في ذات الله - مقيم الحجة - مفرج الكرب عن وجه رسول الله - المخشوش في ذات الله - المبلغ من الله ورسوله - منزلة علي من النبي منزلة هارون من موسى - المبلغ من الله ورسوله - وفيه ثلاث وعشرون حديثاً - مختار الله مع النبي - ملجأ كل ضعيف - مأمّن كل خائف

١. يرويه حبشي بن جنادة، والرواة عنه تسعة وثلاثون من محدثي إخواننا، وأبوذر، وأبو رافع عنه عشرة وجابر وبريدة عنه خمسة عشر وعمران عنه إحدى وأربعون. وزيد عنه ستة وهيبة عنه ثمانية وحسن بن علي عنه ثلاثة وعمر بن الخطاب عنه ثلاثة والبراء بن عازب عنه تسعة وعشرون وأم سلمة وابن عباس. ملحقات إحقاق الحق، ج٥، صص ٢٧٤ - ٣١٧.

٢. نفس المصدر، ج١٢، صص ٨٤-٨٦.

٣. نفس المصدر، ج٧، ص١٤٥؛ ج٢٠، ص٣٧٠.



(ن) نور جميع من أطاع الله - نور أولياء الله - النبا العظيم - الناس من شجر شتى  
والنبي وعلي من شجرة واحدة

(و) ولي المتقين - وزير رسول الله - وصي رسول الله - وارث علم رسول الله - ولي  
المؤمنين «كل مؤمن» بعد رسول الله - وارث النبي - وارث علم النبيين - وزير  
رسول الله «في السماء والأرض» - ولي الله - ولي رسول الله في الدنيا والآخرة - ولي  
المؤمنين بعد رسول الله - ولي كل مؤمن ومؤمنة «كل مسلم ومسلمة»

### (ه) الهادي

(ي) يعسوب الدين - يعسوب المؤمنين - يعسوب المسلمين - يعسوب قريش - يد  
الله المبسوطة على عباده بالمغفرة والرحمة

هذا، وحق لذلك الشاهد منه، الجامع لمجاميع الصفات الحسنى الإنسانية  
المعصومة، أن يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني» كلمة تخصه بعد الرسول ﷺ كما  
يرويه عنه الشيخ التسعة عشر من محدثي إخواننا<sup>١</sup> وقد يعترف بذلك مثل عمر ومعاوية  
من قوله لامرأته: «ويلك ما تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه؟!»<sup>٢</sup>

١. كما في تعليقات إحقاق الحق، ج ٥، صص ٦١٠-٦١٤؛ رواه جماعة من أعلام القوم في كتبهم، ومنهم: ابن عبد البر في  
الإستيعاب (ج ١) قال: «أجمع الناس كلهم على أنه لم يقله أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء»، وابن أبي الحديد في  
شرح النهج (ج ٢، ص ١٧٥) و(ج ٣، ص ٢١٧) نقل كلام ابن عبد البر وقال: «روى شيخنا أبو جعفر الإسكافي في كتاب نقض  
العثمانية عن علي بن الجعد عن ابن شبرمة الزرندي في نظم درر السمطين (٩٦). قال: ليس لأحد من الناس أن يقول  
على المنبر: (سلوني) إلا علي بن أبي طالب» روى قوله وزاد في رواية: «لا يقوله إلا كذاب أو مجنون».

وابن عبد البر الأندلسي في جامع بيان العلم وفضله (٥٨) وابن سعد في الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٨؛ والخطيب  
الخوارزمي في المناقب (ص ٥٤) والجزري في أسد الغابة (ج ٤، ص ٢٢) والطبري في الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٨؛  
وابن الجوزي في التذكرة وفي ذخائر العقبى (ص ٨٣) وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة (ص ٧٦) ومحمد  
خواجة البخاري في فصل الخطاب على ما في ينابيع المودة (ص ٣٧٢) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٦٦)  
والمناوي في شرح الجامع الصغير (ص ٢٤٧) والبدخشي في مفتاح النجا (ص ٥٦) ومحمد بن طولون في الشذرات  
الذهبية (ص ٥٠) والقندوزي في ينابيع المودة (ص ٢٨٦) والأمر تسري في أرجح المطالب (ص ١٠٧) والمغربي في  
فتح العلى (ص ٤٠).

٢. كما رواه عنه في المناقب ٢٧٢: «لما جاء معاوية خبر وفاة علي عليه السلام، وهو قائل مع امرأته بنت قرظة في يوم  
صائف، قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ماذا فقدوا من العلم والفضل والخير! قالت له امرأته: تسترجع عليه اليوم؟  
قال: ويلك ويلك لا تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه!»

وفي كلام آخر لمعاوية: «كان النبي ﷺ يغر علياً بالعلم» أي: يلقمه إياه؛ فقد كان حقاً على الخليفة عمر أن يقول له يوم الغدير: «أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»، وكما يرويه عن ستة وعشرين من محدثي إخواننا.<sup>٢</sup>

أجل، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ لأن «منزلته ﷺ منه ﷺ هي منزلته ﷺ من الله عز وجل»، كما يرويه الخليفة ابوبكر عن رسول الله ﷺ.<sup>٣</sup>

وهكذا يصبح علامة النفاق بغض علي ﷺ، كما يروي عنه في ثلاثة وأربعين مصدراً، ستة وعشرون عن أبي سعيد الخدري، واثنا عشر يروون عن جابر، وخمسة عن أبي ذر: «إنا كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً ﷺ».

وهكذا يجدر بالخليفة عمر أن يقول فيه ﷺ: «لولا علي لهلك عمر!»، «نعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن»، «عجزت النساء أن يلدن

١. رواه جماعة، منهم: ابن الأثير الجزري في النهاية، ج ٣، ص ١٧٦؛ والمؤيد الهروي في الغريبين (ص ٥٩٠) والمحدث الصديقي الفتني في مجمع بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٦؛ والأمر تسري في أرجح المطالب (ص ١٠٧)

٢. كما في ملحقات إحقاق الحق، ج ٦، صص ٣٦١-٣٦٨؛ ممن رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٩٠؛ من قول عمر يوم الغدير لعلي ﷺ: «يخّ يخّ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مسلم...» وابن المغازلي في المناقب والنيسابوري في فضائل الصحابة والتعليبي في تفسيره على ما في مناقب عبدالله الشافعي (ص ١٠٤) (مخطوط)، والسمعاني النيسابوري في فضائل الصحابة (مخطوط) والبيهقي كما في كتاب محمد بن يوسف الشافعي (مخطوط) والخطيب الخوارزمي في المناقب (ص ٩٣) والبيهقي في الإعتقاد (ص ١٨٢) والطبري في ذخائر العقبى (٦٧) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (١٠٩) والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (ص ٥٦٥) والمقرئ في الخطط والآثار المقرئية (ص ٢٣٠) وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (ص ٢٣) والسيوطي في الحاوي للفتاوي والكرخي في نفحات المالكي في الفصول المهمة (ص ٢٣) والسيوطي في الحاوي للفتاوي، والكرخي في نفحات اللاهوت (٢٧) والصديقي في مجمع بحار الأنوار، ج ٣، ص ٤٦٥؛ والسهمودي في وفاء الوفاء، ج ٢، ص ١٧٣؛ والبدرشي في مفتاح النجا (ص ٥٧) والدمشقي في ذخائر الموارث، ج ١، ص ٥٧؛ والقندوزي في ينابيع المودة (ص ٢٠٦) والدهلوي في تجهيز الجيش (ص ١٣٥) والساعاتي في بدائع المنن، ج ٢، ص ٥٠٣؛ وبهجت أفندي في تاريخ آل محمد (ص ٨٥).

٣. نفس المصدر، صص ٢١٧-٢١٨، كما في ذخائر العقبى (ص ٦٤) روي عن ابن عباس قال: «جاء أبوبكر وعمر يزوران قبر النبي ﷺ - إلى أن قال - قال أبوبكر: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مني بمنزلة من ربي»، أخرج السمان في كتاب الموافقة، وقلندر الهندي في روض الأزهر، ص ٩٧؛ مثله، والأمر تسري في أرجح المطالب (ص ٤٦٨) مثله.

٤. نفس المصدر، ج ٧، ص ٢٣٧-٢٤٠.

٥. في ملحقات إحقاق الحق ٨: ١٨٢-٢١٣ يذكره ابن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث (٢٠٢) وابن مردويه في تظلم الزهراء (مخطوط) والبلخي على ما في التلخيص (١٧) والكرخي في نفحات اللاهوت (٦٤)

بمثل علي»، «لو لا علي لافتضحنا»،<sup>١</sup> «يابن أبي طالب! ما زلت كاشفَ كل شبهة وموضح كل حكم!»،<sup>٢</sup> «أللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبوالحسن إلى جنبي!»،<sup>٣</sup> «أعود بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبالحسن!»،<sup>٤</sup> «أللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب!»،<sup>٥</sup> و«لا أبقاني الله بعدك يا علي!»،<sup>٦</sup>

يقولها جلاله الخليفة، عند المعضلات، التي كان يحلها له علي عليه السلام!

ذلك علي عليه السلام شاهد منه عليه السلام، ثم فاطمته الزهراء شاهدة منه؛ كما تدل على مَحَدِّها آية التطهير والمباهلة وما أشبهه، وبالتالي المتواتر عن الرسول عليه السلام في مواصفاتها العالية الغالية، ما جعلها قرينة صالحة لعلِّي عليه السلام.

والسعدى الآبي في شرح أرجوته (٢٩٤) مخطوط والقندوزي في ينابيع المودة (٧٠) والمغربي في فتح الملك العلي (٣٥) وبهجة أفندي في تاريخ آل محمّد (١٣٥) وابن أبي الحديد في شرح النهج (٦) والقوشجي في شرح التجريد، وأحمد العجلي في ذخيرة المأل، والفرغاني في شرح القصيدة التائية لابن فارض، والتفتازاني في المطول على شرح تلخيص المفتاح (١٣٦) والعجلي في ذخيرة المأل، والشامي الشافعي في مطالب السؤول، والخوارزمي في المناقب (٤٨) وسلطان المشايخ في الملفوظات والأمال العرفانية.

١. المصدر رواه جماعة، منهم: الزمخشري في ربيع الأبرار ٥٤٨ والأمر تسري في أرجح المطالب (١٢٢).

٢. المصدر رواه جماعة، منهم: المتقي الهندي في كنز العمال ٥: ٤٩٧.

٣. المصدر رواه جماعة، منهم: الطبري في ذخائر العقبى ٨٢ والحموي في فرائد السمطين، والزرندي في نظم درر السمطين.

٤. المصدر رواه جماعة، منهم: الحاكم النيسابوري في المستدرک، ج ١، ٤٥٧؛ والطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والذهبي في تلخيص المستدرک المطبوع يذيله، ج ١، ص ٤٥٧؛ والمتقي الهندي في كنز العمال (٥: ٩٣) والإسحاق في أخبار الأول (٣١).

٥. المصدر رواه جماعة، منهم: الخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين (٤٥) وفي المناقب (٥٨) والبلخي في التلخيص (١٦) والگنجي في كفاية الطالب (٧٢) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (١٣٢) وابن الصباغ في الفصول المهمة (١٧) والمتقي الهندي في كنز العمال (١٥٧) وابن الجوزي في تذكرة الخواص (١٥٧) والشبلنجي في نور الأبصار (٧٢) والقندوزي في ينابيع المودة (٧٥).

٦. المصدر رواه جماعة، منهم: الخطيب الخوارزمي في المناقب (٦٠) والطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والآبي في شرح الأرجوزة، والمناوي في شرح الجامع الصغير (٢٤٨) وسبط ابن الجوزي في التذكرة (١٥٧) والمتقي الهندي في كنز العمال، ج ١، ص ١٥٧؛ والأمر تسري في أرجح المطالب (١٢٢) والسمهودي في جواهر العقدين في فضل الشرفين. والقسطلاني في توضيح الدلائل على ما في فلك النجاة (٤٠٩).

**أقول:** وهذه تصريحاته وعشرات أمثالها قالها في مختلف المآزق؛ وللتفصيل راجع المصدر وأشبابه، كـ«الغدير» و«العباقت» وقد يأتي شذر منها.

منها: قوله عليه السلام: «فاطمة سيده نساء العالمين»<sup>١</sup>، «فاطمة أفضل النساء من الأولين والآخرين»، «فاطمة سيده نساء أهل الجنة»، «فاطمة سيده نساء هذه الأمة» «إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»<sup>٢</sup>، «نزل جبرئيل لإبلاغ سلام الله إلى فاطمة»، «إشراق الجنان من نور ضحك فاطمة وعلي عليه السلام»، «أول من يدخل الجنة فاطمة»، «تبعث فاطمة يوم القيامة أمام رسول الله عليه السلام»، «تحشر فاطمة متعلقة بقائمة العرش وتطلب بثأر ولدها»، «فاطمة أحب الناس إلى النبي عليه السلام»، «فاطمة أحب وعلي أعز»<sup>٣</sup>،

١. في ملحقات إحقاق الحق رواه جماعة من الأعلام، منهم: الطيالسي في المسند (١٩٦) عن عائشة قالت: «كنا عند رسول الله عليه السلام في مرضه الذي مات فيه، ما يغادر منا واحدة، إذ جاءت فاطمة، تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله عليه السلام شيئاً! فلما رأها قال: مرحبا بابنتي! فأقعدها عن يمينه أو عن يساره ثم سارها بشيء فبكت؛ فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله عليه السلام من بيننا بالسرار، وأنت تبكين؟! ثم سارها بشيء؛ فضحكت! قالت: فقلت لها عليه السلام: «أقسمت عليك بحقي أو بمالي عليك من الحق لما أخبرتني؟» قالت عليه السلام: «ما كنت لأقشي على رسول الله عليه السلام سره!» قالت: «فلما توفي النبي عليه السلام سألتها فقالت عليه السلام: أما الآن، نعم، أما بكائي فإن رسول الله عليه السلام قال لي إن جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كل عام مرة فعرضه عليّ العام مرتين، ولا أرى إلا أجلي قد إقترب؛ فبكيت، فقال لي: اتقي الله واصبري؛ فإني أنا لك نعم السلف. ثم قال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيده نساء العالمين أو سيده نساء هذه الأمة؛ فضحكت» نقل مثلها عنها ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج٨، ٢٦؛ والنسائي في الخصائص (٣٤) والحاكم النيسابوري في المستدرک، ج٣، ص١٥٦؛ والبيهقي البيروتي في جواهر البحار، ج١، ص٣٦٠؛ وابن عبد البر الأندلسي في الاستيعاب، ج٢، ص٧٥٠؛ وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج٢، ٣٩؛ والموفق بن أحمد في مقتل الحسين، والبغوي في مصابيح السنة، والجزي في أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٢؛ والذهبي في تاريخ الإسلام، ج٢، ٩٤؛ والعسقلاني في الإصابة، ج٤، ص٣٧٦؛ والسيوطي في الخصائص، ج٢، ص٢٦٥؛ والتمتقي الهندي في كنز العمال، ج١٣، ص٩٥؛ وفي منتخب كنز العمال، ج٥، ص٩٧؛ والنقشبندی الخالدي في صلح الإخوان (١١٦) ومسلم في صحيحه والهندي الحنفي في الروض الأزهري (١٠٣) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين، والقندوزي في ينابيع المودة ٣٦٠ والبخشي في مفتاح النجا (١٢).

ورواه عن عمران بن الحصين وجابر بن سمرة وابن عباس وأبي بريدة الأسلمي وأبي هريرة وأنس، ونرى هكذا الحديث الثاني والثالث والرابع.

٢. المصدر رواه جماعة من الأعلام، منهم: الحاكم النيسابوري في المستدرک، ج٣، ص١٥٣؛ عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله عليه السلام لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» والطبراني في المعجم الكبير (١٤) والخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين (٥١) واليافعي في التدوين، ج٣، ص٤٢؛ وابن الأثير في أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٢؛ والطبري في ذخائر العقبى (٣٩) وابن الجوزي في التذكرة (٣٢٠) والكنجي في كفاية الطالب (٢١٩) والذهبي في ميزان الاعتدال، ج٢، ص٧٢؛ والسهمودي في نظم درر السمطين (١٧٧) والعسقلاني في الإصابة (١٧٧) والسيوطي في الخصائص، ج٢، ص٢٦٥؛ وفي الثغور الباسمة (١٥) والدمشقي في أخبار الدول (٨٧) والتمتقي الهندي في كنز العمال (١٣) والدشتكي في روضة الأحباب (٦٦٥) والمناوي في كنوز الحقائق (٣٢) والشافعي في المناقب (٢٠٧) والعسقلاني في تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٤٤١؛ والنقشبندی في صلح الإخوان (١٣٤) والقندوزي في ينابيع المودة (١٧٣) والبخشي في مفتاح النجا (١٠١) والصبان في «أسعاف الراغبين» المطبوع بهامش «نور الأبصار» (١٩) والحضرمي في رشفة الصادي (٦١) والبيهقي في الشرف المؤبد (٥٣).

وهكذا نجد الأحاديث (٢-٣٦) متواترة بشأنها وللإطلاع المفصل فليراجع المصدر.

«هي روعي التي بين جنبي»، «منوط لحمها بدمي ولحمي»، «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها وينصبني ما ينصبها» «فاطمة بضعة مني، يرييني ما أربها»، «فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها» «فاطمة بضعة مني، يسرني ما يسرها»، «فاطمة بضعة مني، من أغضبها فقد أغضبني»، «فاطمة بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي»، «من أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخطها فقد أسخطني»، «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها»، «فاطمة بضعة مني، يسوؤني ما ساءها»، «فاطمة بضعة مني، يسعفني ما يسعفها»، «إنها كانت أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ»، و«كانت مشية فاطمة مشية رسول الله».

هذه شطرات من ميزات الصديقة الطاهرة عليها السلام، أنها - ككل - خير نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأخيراً هي «أعظم نساء المسلمين رزية»!

ذلك، ولقد نجد ذكر علي عليه السلام على لسان النبي ﷺ، مروياً في زهاء ألفين من مؤلفات إخواننا، قرابة ثلاثمائة مرة، توازي الثلاثمائة السالفة من مواصفاته، وإليكم سرداً منها إختصاراً، بحذف عناوينها المسرودة في ملحقات إحقاق الحق:

«أنا وعلي أبوا هذه الأمة - علي أبو تراب - علي أمير المؤمنين - علي إمام الأولياء - علي أول من آمن - علي أول من أسلم - علي أول شافع - علي أول من صدق رسول الله ﷺ - علي أول من صلى - علي أول من يصفحني - علي أول من يرد علي الحوض - علي أول من يلقاني - علي أول من وحده الله - علي أول من يقرع باب الجنة - علي أول من تنشق عنه الأرض بعد رسول الله ﷺ - نعم الأخ أخوك علي - علي أخي في الدنيا والآخرة - علي أسد الله - علي أصلي وجعفر فرعي - علي إمام الغر المحجلين - علي إمام البررة - علي إمام المتقين - علي إمام البررة - علي إمام الخلق - علي أميني على مفاتيح... علي باب الله الذي لا يؤتى إلا منه - علي أبصرهم

١. رواه جماعة من الأعلام، كالعسقلاني في فتح الباري، ج ٨، ص ١١١؛ عن عائشة أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «إن جبرئيل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك؛ فلا تكوني أدنى امرأة منهم صبرا» ورواه مثله النبهاني في الأنوار المحمدية (٥٨٢) والقندوزي في ينابيع المودة (١٩٨) والهيشمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٣.

بالقضية - علي حجة الله - علي مقيم الحجة - علي أعظمهم حلما - علي أوفرهم حلما - علي أحلم الناس حلما - علي باب علمي - علي باب الدين... من خرج منه كان كافرا - أنا مدينة الجنة وعلي بابها - أنا مدينة الحكمة وعلي بابها - أنا دار الحكمة وعلي بابها - أنا مدينة العلم وعلي بابها - أنا دار العلم وعلي بابها - أنا مدينة الفقه وعلي بابها - علي باب حطة من دخله كان مؤمنا ومن خرج عنه كان كافرا - إن الله عز وجل يباهي بعلي - ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين - لمبارزة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي - لعلي من الثواب، ما لو قُسم على أهل الأرض لوسعهم - حب علي حب الله - علي أحب الخلق - أحب الأعمال حب علي - ما ثبت حب علي في قلب مؤمن إلا ثبت الله قدمه - أول ثلثة في الإسلام مخالفة علي - حب علي عبادة - من أحب عليا أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة - قل لمن أحب عليا أن يتهيأ لدخول الجنة - أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لعلي - إنه يترحم على محبي علي كما يترحم على الأنبياء - من أحب علياً أحبني - من أبغض عليا أبغضني - يا محمد، إن الله يأمرك أن تحب علياً وتحب من يحب عليا - حب علي إيمان - حب علي براءة من النفاق - حب علي يأكل الذنوب - لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار - أمر رسول الله ﷺ أن يمتحنوا أولادهم بحب علي - أحبوا عليا بحبي وأكرموا بكرامتي - إن الله يحب عليا ما لا يحب الملائكة ولا النبيين ولا المرسلين - عنوان صحيفة المؤمن حب علي - حب علي حسنة، لا تضر معها السيئة - لن يقبل الله فرضا إلا بحب علي - جناح هذه الأمة علي - علي خاتم الأوصياء - علي حبيب الله - حب علي جواز على الصراط وبراءة من النار - السعيد كل السعيد من أحب عليا - إن عليا وحزبه هم المفلحون - علي حبل الله - إن حافظي علي ليفخران على سائر الملائكة - حق علي كحق الوالد - اللهم بحق علي، اغفر للخاطئين من أمتي - يا رب بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين... - إن لعلي حقا لا يعلمه إلا الله وأنا - قسمت الحكمة عشرة أجزاء... وتسعة لعلي - من خرج على علي فهو كافر - علي خير أمتي - علي خير أهلي - علي خير إخوتي - علي خير البشر - علي خير البرية - علي خير الأمة - علي خير الخلف - علي خير الخلق

- علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي - علي خير الرجال - علي خير الناس - علي خير الأوصياء - شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة - علي ديان هذه الأمة - علي وذريته يختمون الأوصياء إلى يوم الدين - علي إمام أمّتي - علي حجتي على أمّتي - علي إمام أوليائي - علي أعلم الناس بالله - علي عبقرى أصحاب رسول الله ﷺ - عادى الله من عادى علياً - علي عمود الإسلام - علي عيبة علمي - علي مفرج كربتي - علي أسخاهم كفا - سُمّي علياً لأنه لم يسمَّ أحدٌ قبله باسمه - علي سيد الصادقين - علي سيد العابدين - علي سيد الصديقين - علي سيد المؤمنين - علي رباني هذه الأمة - علي راية الهدى - علي رفيقي - علي ركن الإيمان - علي سيد الأولين والآخرين - علي سيد ولد آدم - لا فتى إلا علي - علي أشجع الناس قلباً - علي صاحب سرّي - علي عوني على مفاتيح الجنة - أنا وعلي من شجرة واحدة - علي مصباح الدجى - علي الصديق الأكبر - علي صفوة الله - علي أعلم الأمة بعدي - علي أعظم الناس منزلة - علي أعظم الناس عند الله مزية - علي أعظم الناس عند الله غناءً - علي أقوم الناس بأمر الله - علي أقسم الناس بالسوية - علي أكرم الناس أماً - علي أكرم الناس درجة - علي أكرم الناس نفساً - علي أكرم الناس يقيناً - علي نظيري - علي منار الإيمان - علي نفسي - علي مستودع مواريث الأنبياء - علي وارثي - علي وزيرني - علي وصيي - علي ولي الله - علي ولي كل مؤمن - تمام دين الله ولاية علي بعدي - علي مدينة هدى فمن دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك - علي الهدى - علي يعسوب الدين»<sup>١</sup>.

ذلك، وما أحسنه قول الرسول ﷺ في حقه: «لولا أني خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوة»،<sup>٢</sup> وقوله ﷺ: «عليٌّ منّي وأنا منه»،<sup>٣</sup> و«علي مني

١. ننقل من كتاب إحقاق الحق في سبعة مجلدات وملحقات إحقاق الحق في ستة وعشرين مجلداً وفهرسه في مجلد واحد، والمجموع بالغ إلى أربعة وثلاثين مجلداً، كلها تعني بيان منزلة الإمام علي ﷺ في لسان الرسول ﷺ المذكورة في قرابة ألفين من مؤلفات إخواننا السنة، وهذا شطر يسير من الكثير الغزير.

٢. ملحقات إحقاق الحق، ج٧، ص٣٧٧ و ج١٥، ص٥٨ - ١٩١ - ١٢٨؛ و ج٢٠، ص٤٤٧؛ و ج٤، ص١١٨.

٣. المصدر، ج٤، ص٣٧ - ٢١٠ و ج٥، ص٢٧٤ - ٣١٧؛ و ج٦، ص٤١٦ - ٤٤٧ - ٥٨٦ - ٤٤٨؛ ج١٦، ص١٣٦ - ١٦٧؛ و ج١٥، ص٩٤ - ٩٨، ١٠٣ - ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٥؛ و ج٢٠، ص٤١١ و ج٢١، ص١٢٢ - ١٤٩.

بمنزلي من ربي»،<sup>١</sup> و«علي وارثي»،<sup>٢</sup> و«علي وزيري»،<sup>٣</sup> «يا أبابكر! هذا الذي تراه وزيري في السماء، ووزيري في الأرض»،<sup>٤</sup> و«علي وصيي»،<sup>٥</sup> و«خاتم الوصيين - خاتم الأوصياء - وصي الله - خير الأوصياء - سيد الوصيين - سيد الأوصياء - أفضل الأوصياء...»<sup>٦</sup>.

وقد جاءت «بينة» في القرآن لمصاديق عدّة، أصدقها القرآن:

﴿وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي السَّحَابِ الْأُولَىٰ﴾ [طه، ١٣٣]،  
 ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ...﴾ [الأنعام، ٥٧]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام، ١٥٥]، ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً...﴾ [الأنعام، ١٥٧]،  
 ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَصِرَ لَهُمْ﴾  
 ﴿أَقَمَنَ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد، ١٣ و١٤]

فقد «... بعث الله محمداً عليه السلام بالحق؛ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته؛ بقرآنٍ قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليُقرؤا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنقمة...»<sup>٧</sup>.

١. نفس المصدر، ج ٧، ص ٢١٧ - ٢١٨؛ و ج ١٧، ص ١٩٤ - ١٩٥.

٢. نفس المصدر، ج ٤، صص ٦٩، ٧١ - ٧٥، ٧٩، ٩٩، ١٠٠، ١٦٠، ١٧٢، ١٧٨، ٢٢٨، ٢٧٧، ٣٥٧؛ و ج ٥، صص ٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٠، ٥٠، ٢٧٧، ٣٥٧؛ و ج ١٥، ص ١٩١ - ١٩٥؛ و ج ٧، ص ٤١٤، ٢٢٠، ٤٤٥ - ٤٤٦.

٣. نفس المصدر، ج ٤، صص ٢٧، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦٩، ٧٩، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٧٨، ٢٨٥، ٣٢٦، ٣٣٧؛ و ج ٥، صص ٣٥، ٣٧، ٤١ - ٤٢، ٢٩٧؛ و ج ٧، ص ٣٧٦؛ و ج ١٥، صص ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥٤؛ و ج ٢٠، ص ٢٦٢، ٥٤٠ - ٥٤١.

٤. المصدر، ج ٤، ص ٢٧٨.

٥. ملحقات إحقاق الحق، ج ٤، صص ١٩، ٦١-٦٢، ٧١، ٨٢، ٨٥، ٩٩، ١٠٤، ١١٢، ١٦٠، ١٧٠، ١٩٢، ٢٢٧، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٢٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٥؛ و ج ١٥، صص ١٢٩ - ١٧٣، ٢٠٨؛ و ج ٢٠، صص ٢٣٠، ٣٨٣-٣٨٤، ٤١١، ٤٤٥ - ٤٤٦.

٦. وكلّ من هذه الصيغ وارد عنه عليه السلام بصورة متواترة، راجع فهرس ملحقات إحقاق الحق ٥٧٨ - ٥٨٢.

٧. الخطبة ١٤٧.



وقد عبر عن آيات القرآن بالبينات في عشرات من الآيات، مما يقرر أن القرآن هو أفضل البينات الربانية وأبينها، وهنا ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ دون «الله» أو «رب العالمين» لمحّة لامعة أن القرآن يحمل كافة البينات الربانية، التي بالإمكان أن تنزل على الخلق. ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ وتراه إماماً على القرآن ورحمةً على رسول القرآن؟ ومحمد ﷺ هو إمام الأئمة الرسولية والرسالية على مدار الزمن، وقرآنه هو المهيم على الكتابات الرسالية على مدار الزمن.

فحين يقال فلان إمام، يعني: على أمته، فكتاب موسى إمام على أمة موسى ﷺ ورحمة لهم، ومن رحمته ما فيه من بشارات بحق محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ لَمْ يَهْدِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْقِوْنَهُ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ \* وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف ١٠ - ١٢]

﴿... أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [هود، ١٧]، ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ ثم ﴿... أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [هود، ١٧] يعم المشركين إلى الكتابيين، بل والأصل هنا هم الكتابيون لمكان فـ ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ ليس شديد التنديد هنا إلا بهم، فهل التوراة بعد إمام القرآن؟ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ وليس الكفر بالمأموم الفرع، بعد الإيمان بالإمام الأصل، مما تستحق به النار!

فالأحزاب الدينية بمختلف مبادئها، والأحزاب الإلحادية والشركية على اختلافها، ﴿مَنْ يَكْفُرْ﴾ منهم ﴿بِهِ﴾ وهو عشير بينات ثلاث وحشيرها - ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾؛ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ القرآن ورسالتك به، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ كـ ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ مهما كان سائر الوحي أيضا حقا، ولكن أين حق يُنسخ حيث يتلوه حق آخر، ثم ويحرف، وهو شطر من الحق، أين هو من ﴿الْحَقِّ﴾ الذي لا يُنسخ ولا يحرف وهو خالد إلى يوم الدين،

جامعا حق الوحي السالف كله وفيه مزيد. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ذلك الحقّ المتين المبين مقصرين أو قاصرين.

ولا يعني نهيه عليه السلام عن ريبة منه أنه ارتاب، كيف وهو ﴿عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وإنما هو تسلية له عليه السلام وتسرية عما قد يخالغ نفسه المقدسة من أعباء الرسالة أمام المكذبين، ثم وهو من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة».

ذلك، فلا مجال لتخيلات «حدّاد» الواهية وتقولاته الساهية، أن هذه الآية تقرّر إمامة التوراة للقرآن<sup>١</sup> وأنه نسخة عربية للتوراة، رغم أن هذه الآية ونظيرتها:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيمٌ \* وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف، ١١ - ١٢] - رغم أنهما - تنديدان اثنان بالذين يكفرون بالقرآن ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ لهم ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ يدل في بشارات على صدق هذا القرآن ونبيه.

ثم الضمير في ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ لا يرجع إلّا إلى المذكور قبله فيهما، وهو الرسول عليه السلام، فقد كان على بينة من ربه إذ جاء ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل أن يأتي ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ بينة سابقة على صدقه ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للذين هم به يؤمنون؛ ففضية الإيمان بالتوراة، الذي هو لهم إمام، الائتمام بها في تصديق هذا الرسول عليه السلام بقرانه المبين وتبينه المتين.

فهو محفوف في هندسة هذه الرسالة الأخيرة بمثلث من البيئات حاليًا وماضيا ومستقبلاً؛ فهل هم بعد هذه البيئات ممن ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؟ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود، ١٧]، كمثل الحداد في دعاياته المتكررة في كتاباته أن: «التوراة إمام القرآن... وهو تفصيل وتعريب للكتاب المقدس...!»

ذلك، وبالرغم من آيات بينات تقرّر الرسول إماما على كافة النبيين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

١. يقوله الحداد في كتابه «القرآن والكتاب» عشرات المرات.

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي  
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران، ٨١]

وأنه شهيد الشهداء يوم يقوم الأشهاد: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا  
عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ  
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل، ٨٩]

وأن دينه ظاهر على الدين كله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ  
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا \* مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ  
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ  
لِيغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ [الفتح، ٢٨ و٢٩]

ثم القرآن يعرف نفسه بالهيمنة الطليقة على سائر كتابات الوحي: ﴿وَلِيَحْكُمُ  
أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ \* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ  
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ  
لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ  
فِي مَا آتَاكُمْ...﴾ [المائدة، ٤٧ - ٤٨]؛

وبأنه مبشّر به في زبر الأولين: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ  
\* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلسانٍ عربيٍّ مبينٍ \* وَإِنَّهُ لَفِي زَبْرِ الْأَوَّلِينَ \*  
أُولَٰئِكَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء، ١٩٢ - ١٩٧].

هذه وعشرات أمثالها صريحة في استقلال وحي القرآن، دونما استغلال سائر  
الوحي فيه، وإنه برسول يفوق كل وحي وموحى إليه.

ذلك، والقرآن يشهد بنفسه أنه أرقى بكثير من سائر كتابات السماء الأصلية، فضلاً عن التحريفات والتناقضات الكثيرة التي تسربت إليها بأيدي التحريف والتجديف، لِحَدِّ وصلوها إلى مليون غلط<sup>١</sup>.

ذلك، فقد ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ منذ كان فطيماً حتى ابتعث، وإلى أن ارتحل إلى جوار رحمة ربه، بمثلث من البيئات، رأس زواياها القرآن، والأخرى انفساه قبل الرسالة وبعدها.

ثم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ في زاويتين: صغراها الإمام علي عليه السلام ما عاش زمنه وبعده، وكبراهها القرآن حيث ظل شاهداً من الله لرسالته الخالدة.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾، كأصل، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ وكفرع كتاب عيسى وسائر كتابات الوحي.

إذاً، فضمير الغائب في ﴿مِنْهُ﴾ قد يرجع إلى الله فقط وهو في شاهد القرآن؛ فإنه ليس إلا من الله، أم إلى الله كأصل وإليه كفرع، وهو في شاهد الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده المعصومين؛ فطالما الثقل الأكبر مستمر بنفسه، فالأصغر هو مستمر بصنيعه الذي هو كنفسه.

فقد انحصر ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ في القرآن وَعَلِيٍّ، وانحسر عن جبرئيل ومن أشبهه. والشاهدان هما المعنيان من ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ حيث يُعنى منه جنس الشاهد، وقد يلمح الأفراد إلى أصل ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ وهو القرآن، وآيات شهادة الله في قرآنه تشهد لعناية شاهد القرآن من ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ فليس تفسير ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ بالإمام علي عليه السلام إلا تبييناً لمصدق ثانٍ، هو تجسيد للشاهد الأول؛ كما وأن الرسول بينة من ربه كما القرآن؛ لأنه هو القرآن!

١. يقول «ياركز» في ج ٥ من تفسيره، إن في التوراة والإنجيل ثلاثين ألف غلط، والقسيس ميل أوصلها إلى نيف ومائة ألف غلط، وكما يقول كريسباغ، ويقول «شولز» إنها لا تحصى، وفي دائرة المعارف البريطانية والفرنسية أنها زهاء مليون غلط، وقد اعترف بهذه الأغلط والاختلافات علماء، مثل: اكهارن، كيسر، هيس، ديون – ويز، فرش. راجع كتابنا: «المقارنات بين الكتب السماوية» تجد فيه قولاً فضلاً بهذا الصدد.

وإنما تأتي متواتر الروايات شاهدة على أن علياً عليه السلام هو ﴿شاهدٌ منه﴾ دون القرآن، حيث الشهادة القرآنية ثابتة متفق عليها؛ فهنا تعني الروايات إلحاق مصداق مختلف فيه، بمصداق متفق عليه.



## القاعدة الرابعة لعرش الخلافة: عليُّ نفسُ الرسولِ الأعظم صلى الله عليه وآله

يرشدنا إلى هذه المنزلة الرفيعة منه صلى الله عليه وآله شهادة ربّه في الذكر الحكيم وما تواتر عن الرسول الكريم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران، ٦١].

فلقد أجمع مفسروا الفريقين ومحدثوهم، أن ذلك كان في مباهلة رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران،<sup>١</sup> بعدما كتب إليهم، يدعوهم إلى الإسلام، قائلاً: «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. من محمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أسقف نجران وأهل نجران. إن أسلمتم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد، فإني أدعوكم إلى

١. فممن أخرج من إخواننا، مسلم في صحيحه من طرق، منها: ج ٤، باب فضائل أمير المؤمنين في تفسير هذه الآية، ورواه الحميري في الجمع بين الصحيحين في مسند سعد بن أبي وقاص والثعلبي في تفسير هذه الآية عن مقاتل والكلبي وأخرجه في الدر المنثور نقلاً عن الحاكم وابن مردويه وأبونعيم في الدلائل عن جابر عنه صلى الله عليه وآله والبيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبيدشوع عن أبيه عن جده عنه صلى الله عليه وآله، أقول هذا ما ذكرناه في المتن بعينه، ورواه أبونعيم في الدلائل من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وابن أبي شيبه وسعيد بن منصور، وعبيد بن حميد وابن جرير وأبونعيم عن الشعبي والترمذي عن سعد عنه صلى الله عليه وآله ومحمد بن جرير عن علباء بن أحمر اليشكري، وروى ابن بطريق في العمدة، ص ٩٥ و٩٦؛ نزول هذه الآية فيهم بأسانيد من صحيح مسلم وتفسير الثعلبي ومناقب ابن المغازلي وابن الأثير في جامع الأصول من صحيح مسلم عن سعد وغير هؤلاء من المفسرين والمحدثين وللزمخشري في هذه الآية ونزولها في الحسنين وفاطمة وعلي عليهم السلام كلام مفصل.

عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد؛ فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد أودنتم بحرب. والسلام».

فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعرا شديدا؛ فبعث به إلى رجل من أهل نجران، يقال له شرحبيل بن وداعة، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه، فقال له الأسقف: «ما رأيك؟» فقال: «قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون ذلك الرجل ليس لي في النبوة رأي».

فبعث الأسقف إلى واحد واحد من أهل نجران يستفتيهم في ذلك، ولا يرجع الجواب إلا ذلك، فاجتمع رأيهم أن يبعثوا وفدا من شرفائهم إلى رسول الله ﷺ، فتساءلوا بينهم وبينه ﷺ؛ فنزلت آية المباهلة؛ حيث امتنعوا عن الإسلام مع وضوح الأمر لهم.

فتلاها عليهم، ثم غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول لهم: «إذا أنا دعوت فأمنوا»؛ فقال أسقف نجران: «يا معشر النصارى، إنني لأرى وجوهاً، لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه، لأزاله بها؛ فلا تباهلوا فتهلكوا؛ فلم يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة»!

لذلك جاؤوا رسول الله ﷺ فصالحوه على الجزية ليبقيهم على ما هم عليه؛ فصالحهم ﷺ قائلاً: «إن الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولولا عنوا لمُسَخُوا قردة وخنزير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا»!

ولم يكن دعاؤه ﷺ إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب والصادق، وإنما ضم الأبناء والنساء والأنفس لتأكيد الدلالة، ثقة بحاله واستيفاءً على خصمه بصدقه، حيث يستجره على تعريض أعزّ أعزته وأفلاذ كبده.

وإنما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب ولربما فداهم الرجل بنفسه ونفيسه.

لذلك كانوا في الحرب يسوقون مع أنفسهم الطعائن، لتمنعهم من الهَرَب، ويسمون الذادة عنها حماة الحقائق.

ثم خص أخص خواصه الذي عبر عنه بِـ﴿أَنْفُسَنَا﴾ رمزاً إلى أنه استمرار لنفسه المقدسة، ففديته مع نفسه تضحية لنفسه مرتين، كما أن فدية النساء والأولاد تمثل تفدية أخرى ثالثة.

فآية المباهلة من أكبر الآيات وأدلها على أن الإمام عليه السلام هو نفس الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله دون من سواه؛ حيث أجمع المفسرون والمحدثون أنه لم يصاحبه بعد إبنه الحسين وبنته فاطمة، إلا علي عليه السلام.

فلم يعن من أبنائه إلا سبطيه، ولا من نسائه إلا فاطمته، ولا من نفسه إلا عليّ: وليده وأخاه ووزيره ونفسه المقدسة؛ حيث لا يدعو الإنسان نفسه كما لا يأمرها، إلا من هو كنفسه، ولم يكن معه آنذاك في المباهلة إلا من ذكرناهم من الأولاد والنساء، ولا من الرجال إلا علي عليه السلام، كما أجمع عليه الفريقان من مفسريهم ومحدثيهم دون خلاف.

ثم وحدة المصداق لجمع الأنفس للرسول صلى الله عليه وآله، آية أن الإمام بوحدته جامع لجمعية ميزاته وفضائله صلى الله عليه وآله، لا يشاركه عليه السلام أحد في هذا التمثيل المبارك.

فلو كان للرسول أنفس - رجال يمثلونه - لم يكونوا إلا عليا عليه السلام.

وكذلك النساء؛ حيث لو كانت فيهن - على كثرتهن - من أهله صلى الله عليه وآله من يحق لها هذا الاختصاص مع فاطمة، لضمّت إليها، فهي جامعة جمعية فضائل البيت من نسائه لا تشاركها واحدة منهن.

ذكريات مماثلة الإمام عليه السلام للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يصرح في شتى المناسبات والمجالات:

## ١. «علي مني وأنا منه، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي»<sup>١</sup>.

ويقول الإمام عليه السلام: «أهدى إلي النبي صلى الله عليه وآله فَنَوَّ موز فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي؛ فقال له قائل: إنك تحب علياً؟ قال صلى الله عليه وآله: أو ما علمت أن علياً مني وأنا منه»<sup>٢</sup>.  
ويقول الرسول صلى الله عليه وآله: «علي مني مثل رأسى من بدنى»<sup>٣</sup>.

أجل، إن علياً منه صلى الله عليه وآله؛ حيث ولده واصطنعه لنفسه وعلى شاكلته، وهو من علي؛ لأنه صلى الله عليه وآله استمرار لشخصيته صلى الله عليه وآله دون تخلف عنه واختلاف قيد شعرة، إلا النبوة؛ فلا يؤدي عنه إلا شخصه أو شخصيته، وليس هو منه إلا كالرأس من الجسد!  
هذا، وكما يقول: «منزلة علي مني منزلي من الله تعالى»<sup>٤</sup>. ذلك حينما يراه ابن مسعود، وكفه صلى الله عليه وآله في كف علي وهو يقبلها فيسأله: «ما منزلة علي منك؟»؛ فيجيبه صلى الله عليه وآله: «منزلة علي مني منزلي من الله!»

١. حديث صحيح رجاله كلهم ثقات: أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ٤، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ بأسانيد أربعة والحافظ بن ماجة القزويني في سننه، ج ١، ص ٥٧ ط ٢؛ مصر، والحافظ أبو عيسى الترمذي في الجامع الصحيح، ج ١٣، ص ١٦٩؛ و ج ٢، ص ٤٦٠، ط هند؛ وفي صحيحة، ج ٢، ص ٢١٣؛ الصاوي مصر، والنسائي في الخصائص، ص ٢٦، ط النجفي الأشرف وكذا ص ٢٧؛ وابن المغازلي الشافعي في المناقب بأسانيد متوفرة، والبعوي في المصابيح، ج ٢، ص ٢٧٥؛ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكافية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات والمحب الطبري في الرياض، ج ٣، ص ٧٤؛ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسخاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحموي في فرائد السمطين ب ٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي في كنز العمال عن ١١ حافظاً، والبدخشاني في نزل الأبرار، ص ٩؛ والفقير شيخ بن العيدروس في العقد النبوي والشبلنجي في نور الأبصار، ص ٧٨؛ والصبان في الإسعاف هامش نور الإبصار ١٥٥؛ كلهم أخرجه ورووه عن حبشي بن جناده وعمران وأبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. البحار الطبعة الحديثة، ج ٣٨، ص ٢٩٨؛ أبو العلاء العطار بإسناده إلى عبد خير عن علي عليه السلام، ورواه البخاري في ج ٤، من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحاح ج ٢ من عدة طرق، ومنها: ما عن ابن جناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «علي مني... الخ» نقلناه في المتن تحت العدد «٤٠» ورواه ابن المغازلي من عدة طرق بأسانيد.

**أقول:** هؤلاء بعض من أخرج الحديث من إخواننا، وأما من طرق أصحابنا فأكثر وأكثر.

٣. رواه الإمام أحمد في مسنده وابن المغازلي بالإسناد عنه صلى الله عليه وآله وابن الأثير في جامع الأصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وآله البحار؛ الطبعة الحديثة، ج ٣٨، ص ٣٢٧.

٤. أمالي الطوسي عن ابن مسعود، البحار، الطبعة الحديثة، ج ٣٨، ص ٢٩٧؛ وأخرجه الحافظ ابن المغازلي كما في العمدة لابن بطريق ص ٥٣ بإسناده عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وآله، والسيرة الحلبيّة، ج ٣، ص ٣٩١.



فكما كانت منزلة الرسول ﷺ ومكانته من الله تعالى أقرب المنازل، لا يدانيه أحد من الملائكة الكروبيين والأنبياء والمرسلين، فكذلك منزلة الإمام منه ﷺ على سواء.

## ٢. حديث البراءة

يبعث رسول الله ﷺ بالعشر الأولى من آي البراءة مع أبي بكر ابن أبي قحافة، أذناً من الله تعالى ومنه ﷺ إليهم بما فيها من الأحكام المحددة والمهددة لهم: ألا يقرب المسجد الحرام مشرك، بعد عامهم هذا، لأن الله بريءٌ منهم ورسوله.

حينئذ يؤمّر الرسول ﷺ بأب بكر على الحج، يحج بمن ضمه الموسم ويقراً عليهم الآيات. فلما غادر ابوبكر المدينة إلى مكة، جاء جبرائيل الأمين إلى الرسول الأعظم ﷺ قائلاً: «إن العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك: يا محمد، لا يؤدي عنه إلا أنت أو رجل منك؛ فابعث علياً، ليتناول الآيات فيكون هو الذي يقرأ الآيات، يا محمد، ما أمرك ربك بدفعها إلى علي ونزعها من أبي بكر سهواً ولا شكاً ولا استدراكاً على نفسه غلطاً؛ ولكن أراد أن يبين لضعفاء المسلمين: أن المقام الذي يقومه أخوك علي، لن يقومه غيره سواك! يا محمد، وإن جلت في عيون هؤلاء الضعفاء مرتبته من أمتك...»<sup>١</sup>

ف عزل رسول الله ﷺ بأب بكر عن هذه السفارة وولّى علياً، وذلك إجماع المفسرين ونقله الأخبار؛ حيث رووه عن رسول الله ﷺ أنه قال حينذاك لعلي عليه السلام: «اركب ناقتي الغضباء والحق بأب بكر وخذ براءة من يده».

فلما رجع أبوبكر إلى النبي ﷺ جزع (وفي لفظ آخر فرجع يبكي) وقال: «يا رسول الله ﷺ، إنك أهلتني<sup>٣</sup> لأمر طالت الأعناق فيه، فلما توجهت رددتني عنه؟!»

١. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام والبحار، الطبعة الحديثة، ج ٣٥، ص ٢٩٧، ح ٢١؛ ولقد أخرج حديث تبليغ البراءة ٧٣ من الحفاظ وأئمة الحديث، ذكرنا بعضهم في طيات مختلف ألفاظ الحديث، ذكرهم في الغدير، ج ٦، صص ٣٢٨-٣٤١.

٢. أخرجه ابن عساكر بإسناده عن الحرث بن مالك.

٣. أي رأيتني لذلك أهلاً دون الأمة؛ فأرسلتني، فلماذا تعزلني بعد ذلك؟

فقال عليه السلام: «الأمين هبط إليّ عن الله عزّ وجلّ أنه: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعلي مني ولا يؤدي عني إلا علي»<sup>١</sup>.

أجل، إنّ الرسول عليه السلام يقول حينما يسأل عن علة عزله ابن أبي قحافة: «إنه: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك»،<sup>٢</sup> «إنه: لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني»،<sup>٣</sup> «إنه: لا ينبغي أن يبلغ عني إلا رجل من أهلي»،<sup>٤</sup> «إنه: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي»،<sup>٥</sup> «إنه: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»،<sup>٦</sup> «إنه: لا يؤدي عني إلا أنا أو علي»<sup>٧</sup>.

عبارتنا شتى وحسنك واحد، وكلُّ إلى ذاك الجمال يشير.

إن هذه التعابير العبيرة تصريحات وإشارات من الرسول الأعظم عليه السلام، أنّ علياً منه كنفسه؛ فلا يؤدي عنه إلا هو أو هو، عليهما أفضل التحية والسلام.

١. رواه الطبري والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدي والثعلبي والواحدي والقرظي والقشيري والسمعاني وأحمد بن حنبل وابن بطة ومحمد بن اسحاق وأبويعلي الموصلي والأعمش وسماك بن حرب في كتبهم عن: عروة بن الزبير وأبي هريرة وأنس وأبي رافع وزيد بن نقيع وابن عمر وابن عباس.

٢. عبدالله بن أحمد في زوائد المسند والحافظ أبو الشيخ وابن مردويه والسيوطي في الدر المنثور، ج ٣، ص ٢٠٩؛ وكنز العمال، ج ٢، ص ٢٤٧؛ والشوكاني في تفسيره، ج ٢، ص ٣١٩؛ والرياض النضرة، ج ٢، ص ١٤٧؛ وذخائر العقبى: ٦٩، وتاريخ ابن كثير، ج ٥، ص ٣٨؛ ومناقب الخوارزمي، ص ٩٩ وفرائد السمطين للحموي ومجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٩؛ وشرح صحيح البخاري لعيني، ج ٨، ص ٦٣٧؛ ووسيلة المال لابن كثير، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني، ج ٣، ص ٩١؛ وتفسير المنار، ج ١٠، ص ١٥٧؛ أخرجه عن علي أمير المؤمنين عن طريق زيد بن يثيع رض.

٣. مسند أحمد، ج ٢، ص ١٣٥؛ وابن خزيمة وابن عوانة والدارقطني في الأفراد كما في كنز العمال، ج ١، ص ٢٤٦؛ والكنجي في الكفاية، ص ١٢٥؛ نقلاً عن أحمد وأبي نعيم وابن عساكر، وابن كثير في تاريخه، ج ٧، ص ٣٥٧.

٤. الترمذي في الجامع الصحيح، ج ٢، ص ١٣٥؛ البيهقي في سننه، ج ٩، ص ٢٢٤؛ الخوارزمي في المناقب، ص ٩٩؛ ابن طلحة في مطالب السؤل، ص ١٧؛ الشوكاني في تفسيره، ج ٢، ص ٣١٩؛ ابن حاتم والحكم وابن مردويه والبيهقي، ابن حجر في فتح الباري، ج ٨، ص ٢٥٦.

٥. رواه أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري بسند متصل عن أنس عنه عليه السلام وأحمد بن حنبل من طرق جماعة، منها: عن أنس عنه عليه السلام، وأبو الشيخ وابن مردويه عن علي عليه السلام وجماعة آخرين.

٦. رواه محمد بن جرير الطبري بسند متصل إلى حارث بن مالك أنه لقي سعد بن مالك فذكر له الحديث وابو الصباح الكتاني عن أبي عبدالله عليه السلام البحار، ج ٣٥، ص ٢٩١ و٧؛ والحارث بن مغيرة النصرى عنه عليه السلام، ج ٨، ص ٢٩٢؛ وحريز عنه عليه السلام، ج ١٥، ص ٢٩٥؛ وأحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً إلى أبي بكر عن النبي عليه السلام والثعلبي في تفسيره وابن مردويه عن أبي رافع عنه عليه السلام وابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد عن علي بن الحسين عليه السلام وابن مردويه وابن حبان عن أبي سعيد الخدري عنه عليه السلام.

٧. ولقد تواتر النقل فيما يؤدي هذا المعنى، أخرجه ارباب الصحاح والسنن، راجع «محمد وعلي وبنوه الاوصياء» لنجم الدين الشريف العسكري دامت أفضاله.

يرجع ابن أبي قحافة عن رسالته معزولاً غضبان أسفاً، وهو يتساءل رسول الله ﷺ عن ذلك ويحاج كما يلي: «يا رسول الله، ﷺ ما كنت ترى أني مؤدٍ عنك هذه الرسالة؟»

-: أبا الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب...

-: كيف ذلك يا رسول الله وكيف...؟!

-: كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار!

أجل، إن هذه التضحية في سبيل رسالة الرسول بين المشركين، إنما تصلح ممن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، فينام على فراش الرسول ﷺ حينما هاجم على فراشه المشركون، لا من دخل معه الغار خوفاً من بأسهم، ولم يؤمن على نفسه، وهو مع الرسول الأمين؛ إذ هما في الغار، فحزن حزناً شديداً، واضطرب اضطراباً عنيفاً حتى نهاه الرسول ﷺ عن ذلك قائلاً: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾! [التوبة، ٤٠] فكيف يؤدي هذه الرسالة الهامة الخطيرة المدهشة، وهو صاحب الغار؟!

إنما يؤديها رجل منه، ذلك الضرغام المغوار الذي يرعش من صولته الأبطال، وهو صاحب فراش الرسول ﷺ، ذوداً عن نفسه المقدسة.

ومما لا يريه شك، أنّ نصب رسول الله ﷺ أبابكر هنا في هذه الرسالة الجزئية وعزله، لم يكن إلاّ بأمر ربه، رمزاً منه إلى الأمة الإسلامية أن: من لا يصلح ولا يؤهل لرسالة جزئية في مهمة من مهام المسلمين، كيف يُستصلح للقيادة العامة الإسلامية بعد ارتحال الرسول الأعظم ﷺ؟!

١. رواه حسن بن أسناس في كتابه بسند متصل عن جعفر بن محمد ﷺ عن أبيه ﷺ، البحار، ج ٣٥، ص ٢٨٧. ويدل عليه من الروايات المتواترة ما ورد في حديث البراءة من قول الرسول ﷺ: «أنت صاحبي في الغار»، رواه أكثر من روى حديث البراءة، فراجع.

## صاحب الغار

قد يعتبر إخواننا صحبة الخليفة أبي بكر مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الغار – يعتبرونها – من فضائله، ولا ريب أنها لا تحسب من الرذائل؛ إذ لم يكن مع المشركين الذين هاجموا على داره لكي يقتلوه، ولكن علينا أن ندرس مدى فضيلته في هذه الصحبة المباركة: قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة، ٤٠] قد يقول إخواننا – سنادا إلى هذه الآية – إن الخليفة أبابكر هو صاحب الرسول الوحيد؛ إذ يخصه الله بصحبة الرسول صلى الله عليه وآله دون أن يشرك معه سواه؛ رغم أن أصحابه كانوا كثارا؛ فلا يعني هذا الإختصاص إلا منزلته العليا في هذه الصحبة المباركة.

ونحن نقول: أولاً، إن هذه الصحبة لم تكن إلا في الغار؛ كما ويدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وآله، إذ عزله عن تبليغ البراءة، إذ سأله: «أفما أهلنتي؟» قال صلى الله عليه وآله: «كيف تؤدي عني، وأنت صاحبي في الغار؟!» ولا ريب أنه لم يكن مع الرسول صلى الله عليه وآله في الغار إلا الخليفة أبوبكر رضي الله عنه ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ من صحبتي في الغار، وبذلك استحق اختصاصه بالصحبة لا اطلاقاً، وإنما في الغار.

ثانياً، أن مجرد صحبة إنسان غيره لا تدل على مشاركتهما في الإيمان ومراتبه، ولا أن الصاحب يشارك صاحبه في أي شيء إلا صحبة في المكان، لا في المكانة والمنزلة، كما ويعبر القرآن عن المشرك أنه صاحب الموحّد لمجرد المصاحبة في الجوار والحوار قائلاً: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ \* ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً \* وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً \* قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ [الكهف، ٣٤-٣٧]

فهذه الآيات تعتبر كلاً من المشرك والموحد صاحباً للآخر، فمجرد المصاحبة في مكان، لا تدل على المشاركة في المكانة والإيمان؛ كما وتعتبر آيات أخرى حضرته ﷺ من أصحاب المشركين؛ إذ كان يصاحبهم، نحو: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف، ١٨٤]؛ وقد يعتبر الإنسان صاحباً للحيوان كالعكس ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ...﴾ [القلم، ٤٨].

فلو لم يكلم النبي ﷺ صاحبه في الغار، ما عرفنا أنه إنسان فضلاً عن كونه من أصحابه المؤمنين أو أفضلهم!

ثم نرى النبي ﷺ ينهى صاحبه في الغار، وهو لا ينهى إلا عن المنكر: ﴿...لَا تَحْزَنْ...﴾ كأن صاحبه اقترف منكراً أو كاد، نكراً، يُطلع المشركين على مكان النبي وكما يشير إليه قوله: ﴿...إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾، يحفظنا من بأس الأعداء؛ فلا يصل كيدهم إلينا.

ثم نرى السكينة النازلة هنا تخص نبي الله دون صاحبه: ﴿...فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ...﴾ فهل يزعم أحد أن السكينة هناك نزلت على أبي بكر دون النبي؟ كلا! إنها نزلت على النبي واختصت به حينذاك دون صاحبه، مع أن السكينة تعم المؤمنين أيضاً.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [التوبة، ٢٦]، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا...﴾ [الفتح، ٤]، ﴿...فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ...﴾ [الفتح، ٢٦]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح، ١٨]

نرى هنا وهنالك تنزل السكينة على المؤمنين مع الرسول ﷺ، ثم لا تنزل على الخليفة أبي بكر مع الرسول ﷺ إذ هما في الغار، وما أحوجه لنزول السكينة عليه؛ لكي لا يفزع، وليحافظ على النبي؛ فكيف لم تنزل عليه؟!

أللهم إلا أن يقال ما كان الخليفة بحاجة إلى نزول السكينة لأن السكينة كانت معه دوماً دون انفصال، ولكنه يعارضه أن النبي أحرى بذلك، وأن قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾

برهان لا مرد له أن الخليفة كان فزعا شديدا. وإعتبارا أن السكينة إنما هي لازياد الإيمان والاطمئنان؛ فعدم نزولها على الخليفة - في حين تنزل على المؤمنين - ليس إلا لعدم صلاحيته لازياد الإيمان والاطمئنان! أليس كذلك؟

وقد نرى النبي صلى الله عليه وآله يسند في عزله أبابكر عن بلاغ البراءة بأنه كان صاحبه في الغار: «كيف تؤذي عني وأنت صاحبي في الغار؟!»<sup>١</sup> «لا، أنت صاحبي في الغار!»<sup>٢</sup> فلو كانت الصحبة في الغار هذه، منزلةً كريمةً للخليفة، لكانت تثبت الجدارة لبلاغ البراءة، وإذا لا، فأحرى إذاً ألا يحقَّ للخلافة.

### حول آية التطهير:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب، ٣٣].<sup>٣</sup>

ولقد تواترت روايات الفريقين، من غير نكير، عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، نزولها في الخمسة الطاهرة: محمد صلى الله عليه وآله وعليه وفاطمته وحسنه، صلوات الله عليهم أجمعين.

تروي عائشة ونفر كبير من أصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عنه صلى الله عليه وآله قوله صلى الله عليه وآله: «نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>٤</sup>

١. رواه حسن بن أشناس في كتابه بسند متصل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام: البحار، ج ٣٥٥، ص ٢٨٧.

٢. أخرجه الطبري في تفسيره ١٠: ٤٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه ابن حيان وابن مردويه كما في الدر المنثور ٣: ٢٠٩ روح المعاني للألوسي، ٣: ٦٨، ٢؛ وفي طبع المنيرية، ١٠: ٤٠؛ وأوعز إليه ابن حجر في فتح الباري، ٨: ٢٥٦؛ من طريق عمرو بن عطية عن أبيه عن أبي سعيد والحافظ محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ٢: ١٧٣.

٣. وضعنا رسالة فذة حول آية التطهير ودلالاتها ذاتيا ومن حيث السنة المفسرة لها على نزولها في الخمسة الطاهرة، وكذلك فصلنا القول في دلالتها في موسوعتنا تفسير الفرقان، وإنما نذكر هنا نماذج يسيرة، والتفصيل إلى المفصلات، وفي تفسير الفرقان بحث مفصل كتابا وسنة فيها.

والعلامة الأميني يذكر في الغدير مائة وعشرين سندا من إخواننا في تخصيص الآية بالخمسة الطاهرة.

٤. ممن روى حديث نزول الآية في الخمسة، محمد بن جرير الطبري عن شهر بن حوشب عن أم سلمة وبالاسناد عن أبي سعيد الخدري عنها وعن أبي هريرة وعبدالله بن وهب بن زمة وعمر بن أبي سلمة عنها ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه والبخاري وكذا سائر اصحاب الصحاح عنها وابو إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره بتسعة طرق وابو عبدالله بن أبي نصر الحميدي وموفق بن أحمد صدر الأئمة وأخطب الخطباء عند أخواننا

وتختص عايشة في حديثها بما يلي: «... يقول مجمع دخلت مع أمي على عايشة فسألتهما أمي: أرايت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنه كان قدرا من الله، فسألتهما عن علي عليه السلام فقالت: تسأليني عن أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! لقد رأيت عليا وفاطمة والحسن والحسين وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله بثوب عليهم، ثم قال: ألهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قلت: وأنا من أهل بيتك؟ قال تنحّي، أنتِ على مكانك، إنما أراد الله تعالى بهذه الآية أنا وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»<sup>١</sup>.

والنقطة الرئيسية في هذه الآية المباركة أن الله تعالى يذكر تطهير الخمسة الطاهرة بأداة الحصر «إنما» على سواءٍ بالنسبة لأهل بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله، أنهم هم المخصوصون بهذه الطهارة السامية بين المعصومين المطهرين من النبيين والصالحين، وأولى العزم منهم أيضا: من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؛ والرسول نفسه هو رأس الزاوية في ذلك البيت الرسالي.

فليس البيت هنا بيت حجر ومدر حتى يدخل في هذه الطهارة المنحصرة أهلوه أجمعون، فعايشة وأم سلمة ومن إليهم من أزواج النبي صلى الله عليه وآله متنجّيات عن هذا البيت الرسالي وأهله.<sup>٢</sup>

ولا أن المراد بيت النبي صلى الله عليه وآله الروحي حتى يشمل - فقط - الأربعة الطاهرة عليهم السلام دونه صلى الله عليه وآله. إنما ذلك، بيت النبوة الختمية والولاية الكلية المحمدية صلى الله عليه وآله، بيت فيه ويستريح أهل هذه المدرجة العظمى وهم خمسة نزولاً، وأربعة عشر تأويلاً.<sup>٣</sup>

وأبو الحسن رزين معاوية الأندلس، جامع الصحاح ٣٢ مكرر، كل أولاء عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أقول ولقد أجمع المفسرون والمحدثون من الفريقين على اختصاص نزول آية التطهير في الخمسة لا يدانهم أحد من الأمة ولا نساء الرسول صلى الله عليه وآله وفيما نقلناه كفايةً، والله الهادي.

١. رواه الثعلبي في تفسيره بالإسناد متصلًا إلى مجمع الحارثي، والبخاري ومسلم من مسند عايشة وأخرجه ابن أبي شيبه وأحمد وابن جرير وابن حاتم والحاكم عن عايشة كما في الدر المنثور.

٢. كما فيما رواه عايشة وأم سلمة: تنحّي أنك على مكانك...

٣. ورد في أحاديثنا أن تأويلها هو التسعة الباقية عليهم السلام.

هذه الطهارة لا يشاركون فيها أي بيت من بيوتات النبوة من نوحه وإبراهيمه وموساه وعيساه فضلاً عن سواهم؛ ولا الملائكة الكروبيون المعصومون: من جبريله وميكاله وروحه.

فالحصر مطلق بينهم في ملاء العالمين، لا يدانيهم فيه من سواهم، وإن كانوا معصومين، وإرادة التطهير هنا ليست تشريعية فحسب، وإنما هي توفيق وتأييد لهم بروح منه، منقطع النظير بين كل بشير ونذير، فتلاءم فيهم هذه الإرادة التشريعية وتكوينية.

وكذلك إذهاب الرجس عنهم، فليس المعنى منه رفعه عنهم بعد أن كان فيهم - وحاشاهم - حيث إن منهم الرسول صلى الله عليه وآله وقد كان رسولاً معصوماً قبل ذلك ومعصوماً عملياً قبل النبوة، وإنما هو دفعه عنهم، وتبعيده عن ساحتهم. أجل، إنه تأييد وتسديد لهم بروح القدس.

والرجس المدفوع عنهم لا يخص بعضاً دون بعض، ولا مرتبة دون أخرى؛ ففضية الاستغراق المستفاد من تحلية الجنس باللام، أن الرجس مدفوع عنهم بكل ما له من معان ومصاديق: من رجس الشك والكفر، والجهل بالله وبأحكامه، ومن الرجس العملي والعقائدي؛ فعقائدهم وعلومهم وأعمالهم لا يخالطها أي نقص وارتباب، فقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قدر الإمكان.

فلقد استبدل الله فيهم من كل رجاسة طهارةً ومن كل نقص كمالاً.

... وهذه الآية ترشدنا إلى تماثل طهارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وطهارة الثلاثة عشر من عترته عليهم السلام، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكررها عند وقت كل فريضة على بيت علي وفاطمة عليهما السلام في ممره إلى المسجد على ملاء العابرين،

١. لأن الطهارة التشريعية لا تخص طائفة دون أخرى فإن الكل مأمورون أن يتطهروا.



من أربعين يوماً إلى سنة<sup>١</sup>، وأقلها يطلع مائتي مرة وأكثرها ألف وسبعمائة وخمس وسبعين.

كان يكررها كذلك، تركيزاً في أسمع وأبصار الأمة نزولها في الخمسة وتأويلها في التسعة الباقية دون من سواهم، وعياناً بمرأى الأمة تفسيرا لبيانه، ولكي يهتموا بما يهيمه ويعنوا ما عناه من تكريمهم، وقد فعلوا!<sup>٢</sup>



## ذكرى عتيقة من الخمسة الطاهرة في كتاب إدريس النبي على نبينا وآله وعليه السلام

ويقول أدريس النبي في كتابه<sup>٣</sup> مخاطباً أصحابه: «اختلفت بنو أبيكم آدم يوماً بمحضر منه، في أفضل الخلائق، من هو؟ فقال بعض: إنه أبونا آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته تكريماً له، وانتصبه معلماً لهم، وجعله خليفة الأرض وأوجب طاعته على خلقه.

وقالت طائفة أخرى: لا، وإنما الأفضل هم الملائكة الذين لم يعصوا، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وقد عصى آدم ربه؛ فأخرجه الله وزوجته من جنته، وإن تاب عليه وهده ووعده وولده المؤمنين الجنة.

وقالت ثالثة: هو جبرئيل الأمين لرب العالمين. قالوا وقالوا وأكثروا الخلاف في ذلك، حتى آتاهم آدم عليه السلام بقول فصل، قائلاً: يا بني! ليس الأمر كما تظنون، لا ذا

١. على اختلاف ما ورد فيه من الأحاديث؛ فأبوسعيد الخدري يروي الأربعين يوماً وانس ستة أشهر وابو الحمراء سبعة وابن عباس ثمانية أو تسعة، وقد يروي سنة، الأخير ذكره الغدير.

٢. للتفصيل راجع تفسير «الفرقان».

٣. المطبوع في سنة ١٨٩٥م في لندن باللغة السريانية، في صص ٥١٤ و٥١٥، ونحن ننقل في المتن هذه البشارة باللغة العربية إلا نصوص منها في أسماء الخمسة نقلها باللغة السريانية، كما في الأصل.

ولا ذاك؛ فإنه لما خلقني ربي بيده، ونفخ فيَّ من روحه، جلستُ ناظراً إلى عرش ربي، فإذا بأنوار خمسة في غاية العز والجمال والبهاء والكمال، وقد أغرقتني وأولهتني بوارق أنوارهم! فقلت: يا رب! من هؤلاء؟ قال: هم أشرف خلائقي وأبواب رحمتي والوسائط بيني وبين خلقي. إني لهَوِيَّوهُ أنا لبرين وأراخ لا السَّماي ولا ال أرعا ولا البرِدِسُ ولا الكيهن ولا الشمس ولا السر - (سرياني)، أي: لولاهم لما خلقتك ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس والقمر. قلت: ربي! ما أسماءهم؟ قال: انظر إلى العرش حيث الأنوار القادسة. فنظرت فإذا بهذه الأسماء الطيبة: پارقليطا، إيليا، طيطه، شبر، شبير. هليلوه لِتِ إِلَه شوقُ مني محمَّد ﷺ إنوي دِآله (سرياني): محمَّد ﷺ، علي ﷺ، فاطمة، حسن، حسين ﷺ - هللوني وسبحوني يا خلائقي - فلا إله إلا أنا ومحمَّد ﷺ رسولي».

أقول: ولقد فصلنا القول في هذه البشارة وسائر البشارات الواردة في الكتب السماوية السالفة، على نبينا محمَّد ﷺ، في كتابنا: «رسول الإسلام في الكتب السماوية»<sup>١</sup>.

### سفينة نوح والبشارة المحمّدية والعلوية على أنقاضها:

في تموز ١٩٥١ عثر على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبالية، اكتشفها جماعة من العلماء السوفييت المختصين بالآثار القديمة، إذ كانوا ينقبون في منطقة بوادي قاف، مما دعاهم إلى تنقيب أكثر وأعمق، فوقفوا على أخشاب أخرى متحجرة وكثيرة كانت بعيدة في أعماق الأرض. ومن بينها عثروا على خشبة مستطيلة الشكل طولها ١٤ سنتيمترا وعرضها ١٠، سببت دهشتهم واستغرابهم، إذ بقيت سليمة غير متناثرة بين الأخشاب الأخرى!

١. يضم هذا الكتاب ستين بشارة بحق الرسول الأعظم ﷺ والامام علي ﷺ والامام الحسين ﷺ والامام المهدي ﷺ.

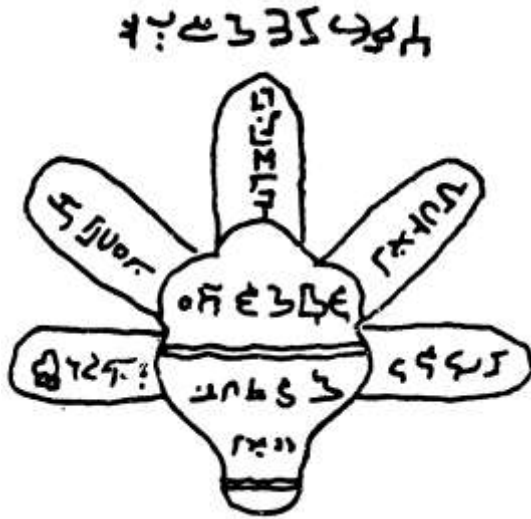
وفي أواخر ١٩٥٢ أكمل التحقيق حول هذه الآثار الغريبة، فتبين أن اللوحة وسائر الأخشاب هي أبقاض سفينة نوح ﷺ التي إستوت على الجودي حسب القرآن، وقد ظلت عليها حتى القرن الحاضر.

وقد شوهد على هذه اللوحة بعض الحروف التي تعود إلى أقدم اللغات، وللكشف عنها ألفت الحكومة السوفيتية لجنة قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة،<sup>١</sup> وبعد ثمانية أشهر من الدراسة لهذه اللوحة والكتابة المنقوشة عليها، أجمعوا على أنها من نفس الخشب الذي صنعت منه سفينة نوح ﷺ وأنه وضعها في السفينة للتبرك والاستحفاظ بعد أن تحققوا أن تلك الحروف كانت باللغة السامانية أو السامية: لغة نوح ﷺ، وترجمها العلماء الروس المعنيون باللغات القديمة إلى اللغة الروسية، ثم العالم البريطاني (اين ايف ماكس) أستاذ الألسن القديمة في جامعة (مانشستر) ترجمها إلى الإنجليزية،<sup>٢</sup> وهي بالعربية: «يا إلهي، ويا معيني، خذ برحمتك يديّ، ولأجل هذه النفوس المقدسة: محمد، إيليا، شبر، شبير، فاطمة؛ الذين جميعهم عظماء ومكرمون، العالم قائم لأجلهم. أعني بحق أسمائهم، أنت تستطيع أن تهديني إلى الصراط المستقيم».

١. وهم: سولي نوف أستاذ الألسن القديمة في جامعة موسكو، و(إفاهان خنيو) عالم الألسن القديمة في كلية لولوهان بالصين، و(ميشان لوفارنك) مدير الآثار القديمة، و(تاتمول غورف) أستاذ اللغات في كلية كيفزو، و(دي راكن) أستاذ الآثار القديمة في معهد لينين، و(ايم احمد كولا) مدير التنقيب والاكتشافات العام، و(ميجر كوتوف) رئيس كلية استالين «نقلتهم مجله «البذرة» النجفية في العددين: الثاني والثالث - شوال وذو القعدة، سنة ١٣٨٥ هجرية قمرية في الصفحة ٧٨ إلى ٨١.

٢. ترجمتها من اللغة الانجليزية كالتالي:

O my God my helper يا الهى ويا معينى  
 Keep my hands with mercy خذ برحمتك يدى  
 And with your holybodies ولأجل هذه النفوس المقدسة  
 محمد Mohamed, إيليا Alia, شبر Shabbar, شبير Shabbir, فاطمة Fatma  
 هم جميعهم عظماء ومكرمون They are all biggest and honourables  
 العالم قائم لاجلهم The world established for them  
 أعنى بحق أسمائهم Help me by their names  
 انت تستطيع ان تهديني إلى الصراط المستقيم you can reform to right



١٥  
١٤  
١٣  
١٢  
١١  
١٠  
٩  
٨  
٧  
٦  
٥  
٤  
٣  
٢  
١

ولقد بقي هؤلاء العلماء في دهشة عظيمة أمام هذه اللوحة بأسمائها؛ حيث توسل بها نوح، وبقيت حتى الآن! وقع التصديق للقرآن: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت، ١٥]. هذه اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو، وفي خبر أن المسلمين رأوها من ذي قبل<sup>١</sup>.

ولما اكتشف هذه البشارة المحمدية نشرتها المجالات والجرائد المهمة العالمية: الروسية، والبريطانية، والقاهرة<sup>٢</sup>.

وإليكم صوره اللوحة الفوتوغرافية باللغة الآرامية، كما نشرت في الجرائد والمجلات وبعض الكتب، ككتاب إيليا، وأصل اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو:

وقد ترجمت كما سبق كالتالي:

١. الدر المنثور، ج٦، ص ٢٦٠؛ عن قتادة في الآية قال: «عبرة وآية أبقاها الله حتى نظرت إليها هذه الأمة، وكَم من سفينة غير سفينة نوح صارت ربما».

٢. منها؛ ١ - مجلة روسية شهرية (اتقاد نيزوب) صدر في موسكو تشرين الثاني ١٩٥٣، ٢ - مجلة (ويكلي ميرر) الاسبوعية اللندنية العدد الصادر ٢٨ كانون الاول (دسامبر) ١٩٥٣، ٣ - مجلة (استار) اللندنية، كانون الثاني ١٩٥٤، ٤ - جريدة (سن لايت) الصادرة في مانشستر ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٤، ٥ - جريدة (ويكلي ميرر) اللندنية في ١ شباط ١٩٥٤، ٦ - جريدة (الهدى) القاهرية في ٣٠ مارس ١٩٥٣ والمصادر الأربعة الأخيرة نقلت ترجمة العالم البريطاني (اين ايف ماكس) استاذ اللسان القديمة في جامعة مانشستر. ٧ - ومن المصادر كتاب ايليا من منشورات دار المعارف الإسلامية بالاهور باكستان برقم ٤٢ اللغة الاردية سنة ١٣٨١ هجرية قمرية في صحيفة ٤٥.

«يا إلهي ويا معيني، خذ برحمتك يدي، ولأجل هذه النفوس المقدسة: محمد، إيليا، شبر، شبير، فاطمة، الذين جميعهم عظماء ومكرمون، العالم قائم لأجلهم، أعني بحق أسمائهم، أنت فقط تستطيع أن تهديني إلى الصراط المستقيم.

ولقد سبق نوحا إدريس النبي ﷺ في ذكر أسمائهم باللغة السريانية: «پارقليطا - إيليا - طيطه - شپير - شپير». <sup>١</sup> ﴿لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَتَعِيَهَا أَذُنٌ وَاِعْيَةٌ﴾ [الحاقة، ١٢] الأذن التي تعي الحقائق الناصعة، إنها تعني آية سفينة نوح، بما على لوحها من آيات، وأوعى الآذان آذان النبيين، وأوعاها بينهم جميعا أذن الرسول الأقدس محمد ﷺ؛ فحياته وعيُّ للحقائق دون نسيان، ويخلفه في وعيه الشامل أذن علي ﷺ.

وعلى حد قوله ﷺ لما نزلت آية الأذن، «سألت ربي أن يجعلها أذن علي!» قال مكحول: «فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا فنسيته!» <sup>٢</sup> وعن علي ﷺ: «ضمني رسول الله ﷺ وقال: أمرني ربي أن أذنيك ولا أقصيك وأن تسمع وتعي». <sup>٣</sup> ... ثم، بعد تركيز هذه القواعد الأربع لعرش الخلافة الكبرى الإسلامية، حينذاك نأتي على تصريحات الرسول الأعظم ﷺ حول صاحب العرش.



١. التفصيل في كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية).

٢. الدر المنثور، ج٦، ص٢٦٠؛ وقد أخرج في غاية المرام ستة عشر حديثا مثله عن طريق الفريقين.

٣. رواه أبو نعيم في الحلية والواحد في أسباب النزول عن بريدة وأبوالقاسم بن حبيب في تفسيره عن زر بن حبيش عن علي ﷺ ورواه في تفسير روح البيان، ج١٠، ص١٣٦.

## تصريحات الرسول الأعظم ﷺ حول صاحب العرش:

ألا وهو؛ وليده وأخوه ووزيره ومثيله: الإمام أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام. وإليكم نماذج من ذكريات الخلافة كما يتناسب وكراسنا المتواضع:

### ولاية الامر بعد رسول الله ﷺ

١ - يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة، ٥٥ - ٥٦].

أطبّق المفسرون والمحدثون من الفريقين دون شك وارتياب، أنها نزلت في علي عليه السلام، حينما أعطى خاتمه الشريف السائل، وهو في ركوع الصلوة، وذلك كان في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة قبل تزوجه بفاطمة عليها السلام<sup>١</sup>.

فهذه الآية تخص ولاية الامر بين المؤمنين، بالله تعالى ذاتياً، فهو ﴿... وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ [البقرة، ٢٥٧]، ثم يردفه ويثنيه بالرسول ﷺ والمؤمنين ﴿... الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾؛ فلهما الولاية على المؤمنين، تمثيلاً لولايته سبحانه وتعالى، دونما أي استقلال واستبداد.

١. وقد روى نزول آية الولاية «إنما وليكم الله» في علي أمير المؤمنين عليه السلام فيمن رواه: ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص ١٢٣؛ وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل، ص ٣١؛ ووسط ابن الجوزي في التذكرة، ص ٩؛ والكنجي الشافعي في الكفاية، ص ١٠٦؛ والخوارزمي وابن عساكر عن أبي نعيم، والقاضي أبي المعالي الخوارزمي في مناقبه، ص ١٧٨؛ والحموي في فرائده في الباب ١٤ من طريق الواحدي، والقاضي عبد الإيجي في المواقف، ص ٢٧٦ ومحّب الدين الطبري في الرياض، ج ٢، ص ٢٢٧؛ وابن كثير الشامي في تفسيره، ج ٢، ص ٧١؛ وابن كثير في البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٥٧؛ وابن حجر في الصواعق، ص ٢٥؛ والشبلنجي في نور الأبصار، ص ٧٧؛ والألوسي في روح المعاني، ج ٣، ص ٣٢٩.

والوالي هنا هو الأولى بالأمر إطلاقاً قضيةً للحصر، ولو كانت الولاية هنا هي المحبة فحسب، لم تخص من بين المؤمنين من هذه صفته: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ حال أن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [التوبة، ٧١] قضيةً لإيمانهم بالله، سواءً أعطوا زكاتهم في ركوع الصلاة أم في سائر الحالات.

فالولاية بمعنى المحبة لمن يحب الله ورسوله، من الفروع الرئيسية الدينية كما أن التبري من أعداء الله قرينها دون نكير.

فليكن الإمام عليه السلام هو الولي على الأمة الإسلامية جمعاء بعد الله ورسوله، دون سائر المؤمنين، فهو الأولى بهم في أموالهم ومن أنفسهم، والأولى بهم في دينهم وديارهم، كما أن النبي صلى الله عليه وآله كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾ [الأحزاب، ٦].

وعنوان إيتاء الزكاة حالة الركوع المخصوص إنطباقه حينذاك على الإمام عليه السلام، ليس إلا عنواناً مشيراً، لا أنه السبب لانتصابه بولاية الأمر بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فلو أعطى رجل الآلاف الأضعاف مما آتاه الإمام عليه السلام في صلاته، في ركوعه وسجوده، لما استوجب ذلك المقام.

وقد قال الخليفة عمر بن الخطاب: «أخرجت من مال صدقة، يتصدق بها عني، وأنا راکع، أربعاً وعشرين مرة، على أن ينزل فيَّ ما نزل في علي عليه السلام؛ فما نزل!»<sup>١</sup>

أجل، ما نزل ولن ينزل إلا فيمن نزله الله منزلة رسوله وجعله كنفسه! ومهما يكن من شيء، فنزول هذه الآية في شأن الإمام عليه السلام مما لا يريبه شك. كيف، وقد رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله متواتراً!<sup>٢</sup>

١. البحار الطبعة الحديثة، ج ٣٥، ص ٢٠٣؛ نقلاً عن سعد السعود لابن طاوس، صص ٩٦ و ٩٧؛ عن الحسن بن محمد العلوي عن جده يحيى عن أحمد بن يزيد عن عبدالوهاب عن نحلة عن المبارك عن الحسن قال: «قال عمر بن الخطاب...»

٢. السيوطي في الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٤؛ قال: «أخرجه ابن مردويه والطبراني وابو نعيم بأسانيدهم عن أبي رافع عنه صلى الله عليه وآله، وابو الشيخ وابن عامر وابن مردويه عن علي بن أبي طالب، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وابن عامر عن سلمة بن كهيل، وابن جرير عن مجاهد والسدي وعقبة بن حكيم».

ومن ذلك ما رواه الثعلبي في تفسيره يرفعه بسنده، قال: «بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ...، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله ﷺ، إلا قال الرجل: قال رسول الله ﷺ...، فقال ابن عباس: سألتك بالله، من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، أنا جندب بن جنادة البدري، أبوذر الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فصمتا! ورأيت بهاتين وإلا فعميتا! يقول: عليُّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصورٌ من نصره، مخذولٌ من خذله. أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: أَللّهُم اشْهَدْ أَنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُعْطَنِي أَحَدٌ شَيْئاً، وَكَانَ عَلِيٌّ فِي الصَّلَاةِ رَاكِعاً، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخَنْصَرِهِ الْيَنْمَى وَكَانَ مَتَخْتِماً فِيهَا، فَأَقْبَلَ السَّائِلَ فَأَخَذَ الْخَاتِمَ مِنْ خَنْصَرِهِ، وَذَلِكَ بِمَرَأَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي؛ فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ صَلَاتِهِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، فَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ قُرْآنًا نَاطِقًا: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا...﴾ [القصص، ٣٥] أَللّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدُ نَبِيِّكَ وَصَفِيكَ! اللَّهُمَّ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي: علياً، اشدد به ازري!» قال أبوذر: «فما استتم رسول الله ﷺ كلامه حتى نزل جبرئيل

وفي معرفة أصول الحديث عن عبدالله بن علي بن أبي طالب والواحدي، في أسباب النزول عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والسمعاني في فضائل الصحابة عن حميد الطويل عن أنس عنه ﷺ، وسلمان بن أحمد في معجمه الأوسط عن عمار، وأبوبكر البيهقي في المقتطف ومحمد القتال في التنوير، وفي الروضة عن عبدالله بن سلام، وأبي صالح والشعبي والمجاهد والنطنزي في الخصائص عن ابن عباس، والابانة عن الفلكي عن جابر الأنصاري، وناصر التميمي والكلبي، وفي الجمع بين الصحاح من صحيح النسائي عن ابن سلام، والشافعي وابن المغازلي من خمس طرق، وابن بطريق في المستدرک عن الحافظ أبي نعيم بالإسناد إلى عمار بن ياسر والضحاك وابن عباس.

ولا خلاف أيضاً بين المفسرين في ذلك، منهم: الثعلبي والماوردي والقشيري والقزويني والرازي والنيسابوري والفلكي والطبري عن السدي والمجاهد والحسن والأعمش وعقبة بن أبي حكيم وغالب بن عبدالله وقيس بن الربيع وعباية الربيعي وعبدالله بن عباس وأبيذر الغفاري، ورواه من أصحابنا من لا يحصى كثرة، والتفصيل موكول إلى المفصلات.



من عند الله عزّ وجل فقال: يا محمد، اقرأ؛ فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

ويقول ابن عباس: «فسمعت مناديا ينادي يا أحمد! قد أوتيت سؤالك!»! أخرجته وما في معناه عشرون من الحفاظ والمفسرين عن عشرة من أصحاب الرسول ﷺ عنه ﷺ.

## أولياء الامور

### بعد الرسول الأعظم ﷺ

٢ - بعد حصر الولاية على المؤمنين في أمير المؤمنين ﷺ كما دللتنا عليه الآيات والروايات السالفة، نأتي على حصر الطاعة فيه بعد الله ورسوله، كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

[النساء، ٥٩]

والقول الفصل في المعنى من «أُولِي الْأَمْرِ» في هذه الآية، أنهم من يحذون حذو الرسول وينحون منحاه من المعصومين ﷺ؛ فقرن الله لذلك طاعتهم بطاعة رسوله ﷺ إطلافاً - على سواء - دون قيد وشرط؛ حيث إنها أفردت الله تعالى في طاعته ذاتياً، ثم تناه بالرسول وأولي الأمر بطاعة ثانية تمثل الأولى، رسالة عنه، ودعوة إليه، دون أي استبداد

١. إن نزول هذه الآية في علي ﷺ من المتواتر أخرجها جمع كثير من أئمة التفسير والحديث، منهم: الطبري في تفسيره، ج٦، ص١٦٥؛ والواحدي في اسباب النزول، ص١٤٨؛ والرازي في تفسيره، ج٣، ص٤٣١؛ والخازن في تفسيره، ج١، ص٤٩٦؛ وأبو البركات في تفسيره، ج١، ص٤٩٦؛ والنيسابوري في تفسيره، ج٣، ص٤٦١؛ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص١٢٣؛ وابن طلحة الشافعي في المطالب السئول، ص٣١؛ وسبط ابن الجوزي في التذكرة، ص٩؛ والكنجي الشافعي في الكفاية، ص١٠٦؛ والخوارزمي في مناقبه، ص١٧٨؛ والقاضي عضد الإيجي في المواقف، ج٣، ص٢٧٦؛ ومحب الدين الطبري في الرياض، ج٢، ص٢٢٧؛ وفي الذخائر، ص١٠٢؛ وابن كثير في تفسيره، ج٢، ص٧١؛ والحافظ السيوطي في جمع الجوامع، وابن حجر في الصواعق، ص٢٥؛ والشبلنجي في نور الأبصار، ص٧٧؛ والآلوسي في روح المعاني، ج٢، ص٣٢٩.

أخرج هؤلاء الأعلام نزول آية الولاية في علي ﷺ بأسانيد عن ابن عباس وعلي أمير المؤمنين ﷺ وعتبة بن حكيم ومجاهد وعبدالله بن سلام وأبي ذر وأنس وعمار بن ياسر وسلمة بن كهيل وسفيان الثوري عن النبي ﷺ.

في جنب الله، إلا تبليغ رسالته وبيان دعوته؛ فكما أن طاعة الرسول فرض إطلاقاً لعصمته، كذلك كل من تولى أمر الأمة بأمر الله ورسوله، تجب طاعته على الأمة إطلاقاً، ولا يناسب إطلاق الطاعة إلا العصمة المطلقة.

فهل تحسب أن الله تعالى يسمح أو يفرض طاعة كل من تولى أمر الأمة باستبداد أو رأي أكثرى، بما فيهم من العصاة الطغاة، الذين لعنهم الله ورسوله، كمثل معاوية الطاغية ويزيد وأضرابهما، ممن سعي في صعيد الحياة للأمة الإسلامية أن يفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، ويقضي على الدين وأهله، وعلى الأموال والنفاس والنفوس والأعراض؟!

أم هل تظن أن الله تعالى يقرن أمثال هؤلاء الشياطين بنفسه ورسوله؟! كلاً! ثم كلاً! إن في ذلك تناقضاً من القول، ونقضاً للهدف الرئيسي الديني؛ بل هذا من المستحيل عقلياً لمكان التضاد بين ما يأمر به الله ورسوله، وبين ما ينهى عنه طاغية من طواغيت الأمة.

ولئن قلت: أجل، إلا أن فرض طاعة أولي الأمر مشروط بما يوافق الكتاب والسنة، دون اختلاف عنه وظلم، قلنا: إن هذا مزيف لأمر:

١ - إنه لولا العصمة العلمية والعملية لولي الأمر، لم يؤمن من الجهالة في الأمر والاشتباه في العمل وإن كان عدلاً مؤمناً وعالماً ربانياً! فكيف يحذو حذو الرسول في الطاعة، وكيف تميز الأمة إصابته في رأيه عن خطأه؟!

٢ - لو كانت طاعتهم مشروطة، لم تقرن بطاعة الله والرسول، التي لا شرط فيها إطلاقاً، وليّن الشرط هنا، كما بين في طاعة الوالدين: ﴿... وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت، ٨]

فما باله؟! يذكر الشرط هناك في ولاية جزئية حدها البيت في البيئة العائلية، ثم يهمله في الولاية العامة والقيادة الكبرى للأمة الإسلامية جمعاء، التي إليها تنتهي عامة أعراق السعادة الإنسانية! بينما القرينة البيئية

في الآية تؤكد إطلاق الطاعة في أولي الأمر؛ حيث قرنت بطاعة الله ورسوله.

٣- لو كان هناك قيد في الطاعة، وهو الموافقة للكتاب والسنة، لم تخص الطاعة حين ذلك بأولي الأمر: (من يلي أمور الأمة)؛ بل تجب طاعة كل من يأمر وينهى، كما يوافق الكتاب والسنة القاطعة، دون تقيّد بولاية الأمر والقادة، وعندئذ، تكون الآية في مجرى إيجاب طاعة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر دون اختصاص.

واحتمال أن المعني من أولي الأمر هنا هم الآمرون بالمعروف ساقط، لوجوه: منها عدم اختصاص ذلك بهم؛ فإن الناهين عن المنكر أيضا تجب طاعتهم كالأمرين، ولا تجد آية من الذكر الحكيم تذكر أحدهما دون الآخر، لتلاصقهما في تهذيب الأمة؛ بل إن النهي عن المنكر أولى من الأمر بالمعروف، تقدّم نفي الرذيلة على التحلية بالفضيلة؛ فأولوا الأمر هنا إنما هم من تولى أمر الأمة من الله ورسوله؛ ف﴿مِنْكُمْ﴾ في الآية، لا تعلق لها إلا بمقدر، «كائن» أو مثله، لا بـ ﴿الأمر﴾؛ لما يلي:

١- الظرف والمجرور لا يتعلقان إلا بالمضاف دون المضاف إليه، لا سيما على الحالية، كما يقول ابن مالك:

«ولا تُجزّ حالاً عن المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله»

إضافة إلى أن المضاف هو أصل الجملة؛ فليتعلق به الظرف، وإن لم يقتض عمله.

٢- على احتمال تعلق المجرور بالأمر، تنحصر الطاعة بعد الله ورسوله فيمن تولى أمر الأمة بخيرة الأمة ليس إلا، وهذا ينفي وجوب أو جواز طاعة من يتولى الأمر من الله ورسوله، فاقض ما أنت قاض!

٣- يزيّف هذا الاحتمال بما سلف من لزوم العصمة العلمية والعملية في ولاية الأمر، ولا يمكن ويتيسر للأمة العمياء، بل ولا الخواص منهم، أن يختاروا، من عند أنفسهم، من هذه صفته. كيف وقد صادفت خيرة موسى الرسول ﷺ من سأل الرؤية

من السبعين رجلاً من قومه، فأخذتهم الصاعقة والرجفة؛ فهل إن خيرة الأمة أفضل من خيرة الرسول؟!

والقول الفصل في الخلافة الدينية على الأمة بعد الرسول، أنها بمثابة الرسالة على سواء؛ فكما أن ليس الرساله بالشورى والرأي العام أو الأكثرى، كذلك خلافتها التي تمثلها فيما عليها وإليها من شؤون قيادة الأمة في دينهم ودنياهم.

\*\*\*

ومن لطيف الدلالة في هذه الآية أنها تقرن طاعة أولي الأمر بطاعة الرسول وتوحد بينهما مرتين:

١ - في ردف طاعتهم بطاعة الرسول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾

٢ - في ذكر الرسول ﷺ، دون أولي الأمر، ثانياً: ﴿... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ [النساء، ٥٩]، كأنهم هم الرسول دون انفصال. ثم تفرد الآية فرض الطاعة لله ﴿... إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ...﴾ [النساء، ٥٩]؛ اعتباراً أنّ ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ [النساء، ٨٠].

ثم إن طاعة ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ داخلة في ﴿شَيْءٍ﴾؛ حيث لم يُذكروا ثانية في ﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، مما يدل على أنه ثابت قرآنياً وفي السنة.

ومهما يكن من أمر، فهذه الطاعات الثلاث ليست إلا طاعة واحدة، هي طاعة الله؛ فهل تظن أن طاعة كل من تولى أمر الأمة دون انتصاب إلهي - أن طاعته - طاعة الله؟!

فهذه الآية في إيجاب طاعة ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ بمثابة قول السلطان في شعبه: «أطيعوا السلطان ورئيس الوزراء وأولي الأمر منكم!»؛ فهل يحسب أو يحتمل أحد أن السلطان يريد بـ «أولي الأمر» كل من تولى أمر بلد من بلاده أو قرية من قرأه، باستبداد منه، أو الرأي الأكثرى من أهل بلده، دون انتصاب من عند السلطان نفسه؟!

ف﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم من تولى أمر الأمة الإسلامية بأمر من الله كتاباً، وأمر من الرسول رسالةً من الله، هي مستفادة من دلالات الكتاب ورموزه.



## هامة الخلافة الإسلامية وتبليغها

آية التبليغ وحديث الغدير:

٣- يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، ٦٧]

من أهم الضرورات لآية أمة من الأمم لا سيما الأمم الدينية، ولآية أمورهم التي تجمع شتات أفكارهم وأعمالهم في حكم نافذ صالح، لشتى مجالاتهم في الحياة. وكلما زادت الأمة كثرة وخلوداً، زادت الحاجة إلى القيادة الصالحة، وهذه هي السيرة السائرة الخالدة في جميع المجتمعات البشرية دون شذوذ.

ومما لا يريبه شك، أن الدين الإسلامي الحنيف السامي يقرر للبشرية جمعاء جميع ما يتعلق بالمعارف الأصلية والأصول الخلقية، والأحكام الفرعية العامة، لجميع حركاتهم وسكناتهم، فرادى ومجتمعين، مع الأبد.

وهذه الأنظمة تحتاج في بقائها وتطبيقها إلى حافظ يحفظها حق الحفظ، وهو الرسول ﷺ طيلة حياته السعيدة؛ فهو يتولى أمور الأمة حينذاك أولاً وبالذات.

ولقد كان ﷺ إذا يخرج في غزوة أو غيرها، يخلف مكانه رجلاً، يدير رحي المجتمع، كما خلف علياً قائلاً: «إِنَّ الْمَدِينَةَ لَا تَصْلِحُ إِلَّا بِأَبِي أَوْ بِكَ».

ولقد كان من سيرته الاجتماعية أنه ينصب الولاية للحكام فيما بأيدي المسلمين من البلاد، كمكة والطائف واليمن وغيرها، ويؤمّر رجلاً على السرايا والجيوش التي يبعثها إلى شتى الأرجاء، وهو موجود فيهم، فضلاً عما بعد ارتحاله!

فمن كان هذا دينه وهاتيك قوانينه وسيرته في حياته، فما تظن به لما بعد مماته؟ فهل تظنه يهمل الأمة حيارى بعد ارتحاله، يعصف بهم عواصف الضلال والخلاف، دون ممثل يمثله في قيادتهم؟! مع أن الضرورة إلى ذلك بعد ارتحاله أشد والحاجة إليه أكد!

أم كيف يهمل الرسول الأعظم ﷺ هذه الأمة المرحومة بعد وفاته إلى يوم القيامة، ولم يكن ليهملمهم يوماً واحداً؟!

أو كيف يهمل هذه الأمة بأجمعهم، ولم يكن ليهملم أهل بلد أو قرية من دون قائد يقودهم؟! إن هذا إلا بهتان عظيم على الرسول الكريم ﷺ!

أجل، إن طبيعة الحال تقضي أن يخلف الرسول ﷺ خليفة، يخلفه بعد مماته، ولو لم يوح إليه شيء في ذلك. كيف وقد أكد له الوحي الالهي في الذكر الحكيم بتبليغ ما أنزل إليه في ذلك، يهدده قائلاً: ﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾ [المائدة، ٦٧]

ولقد تواتر النقل بين الفريقين دون نكير أن هذه الآية نزلت على الرسول ﷺ، وهو راجع عن حجة الوداع، السنة الأخيرة من عمره الشريف، بوادٍ يسمى بغدير خم – نزلت – تأمره أن يبلغ ما أنزل إليه في علي بن أبي طالب من الولاية<sup>١</sup>. ومهما يكن من شيء فلا

١. الدر المنثور، أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ الآية على رسول الله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب ﷺ.

**أقول:** أخرج العلامة الأميني في «الغدير» نزول آية التبليغ في علي ﷺ عن ٣٠ مصدراً من إخواننا وأن رواة الغدير من الصحابة ١٢٠ صحابياً ومن التابعين ٨٤ تابعياً وأن طبقات رواة حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه والاساتذة ٣٦٠ نسمة – وأن المؤلفين في حديث الغدير من الفريقين ٢٦. وممن أخرج حديث الغدير:

محمد بن إسحاق، وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجاج، وأبو النعيم الإصفيهاني، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو بكر بن مردويه، وابن شاهين، وأبو بكر الباقلاني، وأبو المعاني الجويني، وأبو إسحاق الثعلبي، وأبو سعيد الخركوشي، وأبو المظفر السمعاني، وأبو بكر بن شيبه، وعلي بن الجعد، وشعبة، والأعمش، وابن عباس، وابن عبد ربه، وأبو يعلى والزهرى، والأقلبيشي، وابن البيع، وابن عبد ربه، والالكاني، وأبو يعلى الموصلي من عدة طرق وأحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً في كتاب الولاية، وأبو العباس بن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً.

وعن صاحب كتاب الكافي أنه قال: روى لنا قصة الغدير القاضي أبو بكر الجمالي عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، والحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر، وعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن عباس، وأبي ذر، وسلمان، وعبد الرحمن، وأبي قتادة، وزيد بن أرقم، وجرير بن حميد، وعدي بن حاتم، وعبد الله بن أنيس،

ريب أن المائدة آخِر ما نزلت على الرسول الأعظم ﷺ، وأن نزول هذه الآية في شأنه ﷺ كذلك، كان من الوضوح إلى حديث يقول ابن مسعود: «كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، ٦٧]»<sup>١</sup>.

وليس المعنى من ذلك أن اسم علي ﷺ كان في الآية ثم حُرِّف عنها؛ بل المراد أن الشأن في وضوح نزولها في علي ﷺ كالشأن في أصل نزولها إلى حيث، كنا نذكر علياً، عند تلاوة الآية.

ويستأنس من وعده سبحانه بعصمته من بأس الناس، أنه كان يخاف شرهم إن بلغ هاتيك الرسالة على رؤوس الأشهاد، وأن خوفه كان في محله، والآ استبدل سبحانه وعده بالعصمة، بمنعه عن أن يخاف في تبليغ رسالته لومة لائم، أو تضحيته في الله؛ ولقد كان الرسول الأعظم ﷺ يسمع ويذوق ألوان الأذى من بادئ بدءٍ دونما خوف وتقية، ولم يمنعه من الدعوة إلى الله رميه بالحجارة، وإدماء جبهته الشريفة، والتظاهر على قتله ليلة المبيت؛ حتى اضطر إلى الهجرة عن موطنه مكة المكرمة إلى المدينة المشرفة.

ولم يمنعه عن ذلك أن نسبه المشركون إلى السحر والجنون وأمثالهما من الخناء الوقح.

والبراء بن عازب، وأبي أيوب، وأبي بردة السلمي، وسهل بن حنيف، وسمرة بن جندب، وأبي الهيثم، وعبدالله بن ثابت الأنصاري، وسلمة بن الأكوع، والخدري، وعقبة بن عامر، وأبي رافع، وكعب بن بكرة، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن رافع، وأبي سعيد البردي، وحذيفة بن أسيد، وزيد بن ثابت، وسعد بن عباد، وخزيمة بن ثابت، وحباب بن عتبة، وجندب بن سفيان، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن سعد، وعباد بن الصامت، وأبي زينب، وأبي ليلى، وعبدالله بن ربيعة، وأسامة بن زيد، وسعد بن جنادة، وحباب بن سمرة، ويعلى بن مرة، وابن قدامة الأنصاري، وناجية ابن عميرة، وأبي كاهل، وخالد ابن الوليد، وحسان بن ثابت، والنعمان بن عجلان، وأبي رفاع، وعمرو بن الحمق، وعبدالله بن يعمر، ومالك بن حوريث، وأبي الحمراء، وحمزة ابن الحديد، ووحشي بن حرب، وعروة بن أبي الجعد، وعامر بن النيمري، وبشير بن عبد المنذر، ورفاعة بن عبد المنذر، وثابت بن وديعة، وعمر بن حريث، وقيس بن عاصم، وعبدالأعلى بن عدي، وعثمان بن حنيف، وأبي بن كعب. ومن النساء: فاطمة الزهراء ﷺ، وعائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وفاطمة بنت حمزة.

١. الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود.

وذلك حينما كان الخطر هاجماً عليه من الأحزاب الكافرة الثائرة عليه، رغم دعوته خلاف ما يدعون؛ فكيف يخاف، وهو في المدينة في السنة الأخيرة من سني عمره الشريف، وقد بلغ من عظمته ومكانته في أرجاء العالم أن كان يرعش من هيئته السلاطين وعروش العظماء، حينما مَنَّ الله له دينه وآمنه من بأس أعداء الدين!

عندئذ، لماذا يخاف، ومن ذا يخافه خوفاً يمنعه عن تبليغ رسالته المؤكدة، الرسالة التي لو لم يبلغها، فكأنما لم يبلغ رسالته؟

حينذاك، يبرق لنا من الآية بارقة: أنه كان يخاف – إن بلغ هذه الرسالة – أن تنفصم عرى دعوته ودعايته بمن آمن به، بأن يكذبه نفر كبير ممن آمن به في ذياك الرسالة؛ فيكفرون، بينا الرسول يغادرهم إلى جوار رحمة ربه، ويثورون عليه فيقلبون عليه الأمور في العالم الإسلامي السامي؛ فيصبح المسلمون مضطربين ويختلج فيهم الريب في رسالته.

لذلك إن الرسول الأعظم ﷺ كان يرى أن يبطل عن تبليغ هذه الرسالة؛ نظراً لأمر آخر يتبعه؛ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، ويبدله من بعد عسره يسراً؛ حتى نزلت الآية مرة ثالثة بهذا التأكيد القيم والتهديدات الهامة، ولم تكن قبل ذلك كمثلهما حينذاك.<sup>١</sup>

١. ابن القتال في روضة الواعظين عن الباقر ﷺ في حديث مفصل، قال الله لرسوله: «فأقم يا محمد، علياً علماً وخذ عليهم البيعة، وخذ عهدي وميثاقي لهم، الذي واثقتهم عليه؛ فإني قابضك علي»؛ فخشى رسول الله ﷺ من قومه وأهل النفاق والشقاق، أن يتفوقوا ويرجعوا إلى الجاهلية، لما عرف من عدواتهم، ولما ينطوي عليه أنفسهم لعلي ﷺ من العداوة والبغضاء، وسأل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس، وانتظر أن يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس من الله عز وجل، فأخبر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرائيل وأمره أن يعهد عهده، ويقيم حجه علياً للناس، ولم يأت به بالعصمة من الله عز وجل الذي أراد، حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة، فأتاه جبرائيل، وأمره بالذي أمر به من قبل ولم يأت به بالعصمة! فقال: «يا جبرائيل! إنني لأخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي!»؛ فرحل، فلما بلغ غدير خم، قبل الجحفة بثلاث أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهار والعصمة من الناس، فقال: «يا محمد، إن الله عز وجل يقرنك السلام، ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، ٦٧]؛ فأمر رسول الله ﷺ عندما جاءت العصمة... وذكر قصة البلاغ يوم الغدير على تفصيله، إلى أن قال: «قال ﷺ في خطبة الغدير: معاش الناس، ما قصرت عن تبليغ ما أنزله الله تعالى إلي، وأنا مبين لكم! سبب نزول هذه الآية: أن جبرائيل هبط إلي مراراً ثلاثاً، يأمرني عن السلام ربي، وهو السلام، أن أقوم في هذا المشهد؛ فأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي، وهو الإمام من بعدي، الذي محله مني محل



فلما بلغ إلى السنة الأخيرة من عمره الشريف، وهو راجع عن حجة الوداع، ومعه نفر كبير من المسلمين، وهم الوجهاء الأولون في الأقطار الإسلامية دينا ودنيا، عند ذلك يؤكد الله سبحانه عليه للمرة الأخيرة أن يبلغ رسالته الهامة على هؤلاء الملائكة الكبار من المسلمين. ولم يكن ليحضر عنده هذه الكثرة الهامة في أي وقت من الأوقات، وأية مجال من المجالات طيلة حياته الرسولية.

حينذاك أمره بذلك مؤكداً عليه، يعده أن يعصمه من الناس...

فماذا كانت هذه الرسالة؟

ولماذا كان يخاف أن يبلغها؟

وكيف بلغها؟

وماذا أثر هذا البلاغ؟

هذه أسئلة تحول حول هذه الآية المباركة، يسهل الجواب عنها بعد ما تقدم بما يلي:

### ١ - ما كانت الرسالة الأخيرة للرسول الأعظم يوم الغدير؟

... إنها لم تكن جميع ما أرسل إليه من ربه؛ حيث ينافي:

(١) أن المائدة آخر ما نزلت.

(٢) وأن الآية نازلة في السنة الأخيرة من عمره الشريف، ولم يبق شيء من شرائع الدين إلا بلغها، إلا تفاصيل أحكام الحج وقد فصلها في حجة الوداع.

(٣) وأن الآية تصبح آنذاك هكذا: (بلغ وإلا فما بلغت)؛ وهذا توضيح للواضح البين، لا يلائم فصاحة البيان وجزالة القرآن، ومثل ذلك بعيد عن كلام الله المعجز في فصاحته وبلاغته، بل وعن كلمات السوقيين والجهال التافهين.

---

هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. هو وليكم بعد الله ورسوله...» إلى آخر الخطبة الطويلة، وقد طالت في الرمضاء، زهاء ساعتين في ذلك الملائمة العام من المسلمين!

وكذلك ليس بعضاً من أحكام الدين، أصلية أو فرعية، ألهمهم إلا الخلافة؛ حيث:

١ - لم يبق حينذاك حكم سواها إلا وقد بلغه كما يحق.

٢ - وليس شيء من أحكام الدين بمثابة: لو لم يبلغها الرسول ﷺ فكأنما لم يبلغ شيئاً إطلاقاً، حتى الصلاة التي هي عمود الدين، فمن يصوم ولا يصلي، صح صومه وعليه وزر ترك الصلاة...

أجل، إنما ذلك ما ينفصم بإهماله عرى الدين، ويقضى عليه من أصله؛ فلا يبقى منه شيء؛ فليست إلا الخلافة بعد الرسول الأعظم ﷺ!

فكما أن الرسول لو لم يبعث لم يكن هناك تشريع إسلامي، كذلك لو لم يخلف بعده من يمثله، لم تستمر مكانته الرسالية، وقضى على رسالته بعد موته؛ فعليُّ ﷺ استمرار لرسالته وما أرسل به.

حيث لو أهملت الأمة بعد الرسول ﷺ بلا راعٍ يرعاها حق رعايتها، ولا ممثل منه ﷺ، يمثله فيهم كما يجب؛ فيكون استدامة لشخصيته فيهم حينذاك، قضي على الإسلام والمسلمين، وارتجعت نعرات الجاهلية الأولى التي كانت تنتظر بالرسول الدوائر.

فكل أمر هام يقصد بقاؤه في المجتمع الانساني، يحتاج إلى علتين: علة موجدة، وعلة مبقية. ولتكن الثانية كالأولى لكي يستمر المعلول كما بدأ؛ فلو فقدت العلة المبقية فكأنما لم يوجد المعلول منذ البدء.

وبناية الإسلام هي من أتقن البناءات وأبقاها، وقد أسسها الله سبحانه على أساس، لا ينهدم، ما طلعت الشمس وما غربت.

١. القمي بالإسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ قال: «آخر فريضة، أنزلها الله، الولاية، ثم لم ينزل بعدها فريضة».

والعلة الموجدة لهذه البناية الرفيعة إنما هو الرسول الأعظم ﷺ، الذي أسسها وبذل في تحكيمها بجهوده وجهاده، بنفسه ونفيسه، حتى شيدها طوال سني رسالته في أمته.

ومما لا يريبه شك أن هذا الأساس لا يبقى بعد افتقاد العلة الأولى، مع توفر الدواعي على هدمه، وتظاهر الأعداء على محوه وإغفاء أثره، إلا ببقاء هذه العلة بشخصها أو بشخصيتها.

وقد قضى الرسول ﷺ نحبه، فليخلف من يمثله لإبقاء الدين على الأسس التي أسسها منذ البدء، وإلا، إن لم يبلغ رسالته في انتصاب الخليفة بعده، فكأنما لم يبلغ من رسالته شيئاً؛ حيث لا يقوم ما قومه على ساق، فسواءً على الرسول: إن لم يبلغ من رسالاته شيئاً، أو بلغ ولا يبلغ ما هو استمرار لها وعلة لبقائها.

أجل، ﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ...﴾ [المائدة، ٦٧] كاملةً، وقد ضيعت على الأمة والإسلام بقاءهما بعد ارتحالك عنهم!..!

## ٢ - لماذا كان الرسول ﷺ يخاف من تبليغها؟

... إن طبيعة الحال تقضي أن الخلافة مما تمد إليها الأعناق، وتتوفر في ابتغائها الدواعي والأعراق، والرسول الأعظم ﷺ يعرف المسلمين بمن فيهم منافقون، أنهم لا يكادون يقبلون خلافة من:

١. هو أحدث سناً من بينهم.

٢. وقد قتل من آبائهم وإخوانهم مقتلة عظيمة في الحروب، التي قضت على الكفار مع الرسول ﷺ.

٣. هو من يعرفون من انصهاره في الله، واستقامته على الحق والعدل، كيفما بلغ به الأمر؛ فهو شديد على الظالمين، لا تأخذه في الله لومة لائم...

لذلك وذياك، كان ﷺ يخاف منهم أن يكذبوه في رسالته هذه، ويتهموه؛ فيرجعوا بعد إسلامهم كافرين، ويقلبوا عليه الأمور، وهو في قيد الحياة، فيكون في تبليغه هذه الرسالة، قاضياً على حياته الرسالية في حياته دُنياً وعقبى، ثم ماذا كان ينتظر من الكفار بعد ارتداد وجوه من المسلمين، وتكذيبهم رسولهم؟ فحق له أن يحار حينذاك نَظَرَةً أن يفرّج الله عنه.

فلقد كان يخاف في الله وتبقيّة لدين الله، وهو ينتظر في هذه الرسالة وعد الله بنصرته حتى يأمن من تكذيبهم وبأسهم، ويشهد لذلك ما أخرجه إخواننا كما يلي:

١. أخرج ابوالشيخ في العظمة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «بعثني ربي برسالة، فضيقتُ بها ذرعا وعرفتُ أن الناس مكذبيّ؛ فوعدني لأبلغن أو ليعذبنني! فأنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾»<sup>١</sup>

٢. وأخرج عن مجاهد قال: لما نزلت هذه الآية قال ﷺ: «يا رب! إنما أنا واحد، كيف أصنع؟ يجتمع علي الناس! فنزلت: ﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾»<sup>٢</sup>

٣. ومن كتاب الخالص بالاسناد عن حذيفة بن اليمان في حديث الغدير، «... فخرجنا إلى مكة مع النبي ﷺ في حجة الوداع، فنزل جبرئيل، فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام ويقول: إنصب علينا علماً للناس؛ فبكى النبي ﷺ حتى اخضلت لحيته! وقال: يا جبرئيل! إن قومي حديثو عهدٍ بالجاهلية، ضربتهم على الدين طوعاً وكرهاً حتى انقادوا لي، فكيف إذا حملت على رقابهم غيري؟!»<sup>٣</sup>

أقول: ثم ذكر نزول جبرئيل مرة ثانية ثم الثالثة يعده فيها، بوحى من ربه، النصرّة، فبلغ كما أمر...

١. الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨.

٢. الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨؛ أخرجه عبدالله بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبوالشيخ.

٣. البحار الطبعة الحديثة، ج ٣٧، ص ١٢٧؛ رواه مصنف كتاب «الخالص» المسمى بـ «النشر والطي»، عن إخواننا.

٤. ومن تفسير الثعلبي: «أن الناس تنحوا (حينذاك) عن النبي ﷺ وأمر علياً، فجمعهم، فلما اجتمعوا قام، وهو متوسّد على يد علي بن أبي طالب ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنه قد كرهت تخلفكم عني؛ حتى خيل إلي أنه ليس شجرة أبغض اليكم من شجرة تليني! ثم قال: لكن علي بن أبي طالب ﷺ أنزله الله مني بمنزلي منه، فرضي الله عنه كما أنا راض عنه، فإنه لا يختار على قربي ومحبتي شيئاً. ثم رفع يديه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه! قال: فابتدر الناس إلى رسول الله ﷺ ليكون ويتضرعون ويقولون: يا رسول الله! ما تنحينا عنك الا كراهية أن نثقل عليك! فنعوذ بالله من سخط رسوله! فرضي رسول الله عنهم عند ذلك».

### ٣ - كيف بلغ رسالته الهامة؟

يقول حفيده باقر العلوم عليه آلاف التحية والسلام في كيفية البلاغ: «... ولما وعده ربّه عصمته من الناس في بلاغ هذه الرسالة، كان في غدير خم قبل الجحفة بثلاث أميال، وقد مضى من النهار خمس ساعات، فأمر أن يُرد من تقدم من الحجاج ويُحبس من تأخر منهم في ذلك المكان؛ ليقيم علياً للناس، ويبلغهم ما أنزل الله عزّ وجلّ في علي ﷺ؛ فأمر منادياً ينادي، فنادى في الناس بالصلاة جامعة ونحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير، أمره بذلك جبرئيل عن الله تعالى، وفي الموضع سلّمات، فأمر رسول الله ﷺ أن يقام ما تحتهن، وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس، فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون، وقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار، وقال - ويذكر الإمام هنا حمده ﷺ وثناءه قبل بلاغ رسالته تفصيلاً -:

١. البحار الطبعة الحديثة ج ٣٧ ص ١٣٤.

٢. نلخص الخطبة المفصلة هنا بنماذج منها.

«أقر له (لله) على نفسي بالعبودية، وأشهد له بالربوبية، وأؤدي ما أوحى إلي؛ خوفاً وحذراً من أن تحل بي قارعة، لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته؛ لأنه لا إله إلا هو، لأنه قد أعلمني إن لم أبلغ ما أنزل إليّ فما بلغت رسالته، وقد ضمن لي العصمة، وهو الله الكافي الكريم. وأوحى إلي: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ (في علي) مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾ [المائدة، ٦٧]. سألت جبرئيل أن يستعفي لي من تبليغ ذلك اليكم! أيها الناس! لعلمي بقلّة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الأثمين، وختل المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه، بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويحسبوننا هيناً وهو عند الله عظيم،<sup>١</sup> لكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سموني أذناً، وزعموا أنني كذلك، لكثرة ملازمتي آياه وإقبالي عليه؛ حتى انزل الله في ذلك: ﴿... الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ...﴾ فقال: ﴿قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ [التوبة، ٦١]؛ فاعلموا معاشر الناس! وافهموه واعلموا أن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، مفترضة طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر والأعجمي والعربي، والحر والمملوك، والصغير والكبير، على الأبيض والأسود وعلى كل موحد! ماضٍ حكمه، جائرٌ قوله، نافذٌ أمره، ملعونٌ من خلفه، مرحومٌ من تبعه، مؤمنٌ من صدقه، قد غفر الله لمن سمع منه وأطاع له.

معاشر الناس! إنه آخر مقام أقوم في هذا المشهد! فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم؛ فإن الله عزّ وجلّ هو مولاكم وإلهكم، ثم من دونه رسوله محمد ﷺ وليكم، القائم المخاطب لكم، ثم من بعدي عليٌّ وليكم وإمامكم بأمر من الله ربكم، ثم الإمامة في ذريتي من صلبه إلى يوم يلقون الله ورسوله، لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله، عرفني الحلال والحرام، وأنا أفضيت بما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه.

١. «في علي» هنا كما تقدم ليس من الآية وإنما يذكر لوضوح أمره كالأية.

٢. إشارة إلى الآية ١٥ من سورة النور. (م)

معاشر الناس! ما من علمٍ إلا وقد أحصاه الله فيّ، وكلُّ علمٍ علمت فقد أحصيت في إمام المتقين، إمام مبین<sup>١</sup>، ما من علمٍ إلا علّمته علياً وهو الإمام المبین.

معاشر الناس! لا تضلوا عنه! ولا تنفروا منه! ولا تستنكروا من ولايته! فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم...».

ثم قال: «إنه أول من آمن بالله ورسوله.<sup>٢</sup> والذي فدى رسول الله بنفسه،<sup>٣</sup> والذي كان مع رسول الله ﷺ، ولا أحد يعبد الله مع رسول الله من الرجال غيره...»

معاشر الناس! تدبروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته، ولا تتبعوا متشابهه، فوالله، لن يبين لكم زواجه ولا يوضح لكم تفسيره،<sup>٤</sup> إلا الذي أنا آخذ بيده ومُصعد إليّ وشائل بعضه ومعلمكم أن: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه...»

معاشر الناس! إنه ﴿جَنَّبَ اللَّهُ﴾ نزل في كتابه: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴿... يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ...﴾ [الزمر، ٥٦].

معاشر الناس! إن علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الاصغر والقرآن هو الثقل الأكبر،<sup>٦</sup> كل واحد منهما منبئٌ عن صاحبه، موافق له، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، أمناء الله في خلقه، وحكماؤه في أرضه.

ألا وإن الله عزّ وجل قال، وأنا قلته عن الله عزّ وجل!

ألا وقد أديت!

١. ناظر إلى قوله تعالى: ﴿... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس، ١٢].

٢. قد مضت الإشارة إلى ان قصة «أنه أول من آمن» متواترٌ، رواه اخواننا من مائة طريق، أخرجه العلامة الأميني في الغدير.

٣. إشارة إلى تضحيته ليلة المبيت.

٤. يعني تفسير بطون القرآن، ومنها الحروف المقطعة الرمزية، كما منها تأويل من القرآن.

٥. هذه الجملة بخصوصها، متواترٌ نقلها بين المسلمين، أكثر من كل خبر.

٦. وكما ان الثقل الاكبر اعظم من الثقل الاصغر، كذلك الجامع بينهما اعظم من كل واحد منهما وحده. إذًا، فعترة الرسول المعصومون اعظم من الثقل الاصغر ومن الاكبر وحده أيضاً؛ لأنهم يجمعونهما معا في ذواتهم المقدسة؛ فهم عترة وهذا اصغر وهم قرآن بتمامه في عقلياتهم وعلومهم وعقائدهم وأعمالهم وكافة تصرفاتهم، كما هو عقيدة المذهب؛ فهم أكبر. فتأمل!

ألا وقد بلغت!

ألا وقد أسمعت!

ألا وإن الله عز وجل قال وأنا قلته، وقد أوضحت!

ألا وإنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا، ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره! ثم ضرب بيده على عضد علي، وفرعه؛ فكان أمير المؤمنين عليه السلام منذ، أول ما صعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد رفع عليا حتى صارت رجلاه مع ركبة رسول الله صلى الله عليه وآله! ثم قال: «معاشر الناس! إنما أكمل الله عز وجل دينكم بإمامته، فمن لم يأتهم به وبمن كان من ولدي، من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله تعالى، فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون...»

معاشر الناس! قد أشهدت الله وبلغتكم الرسالة ﴿... وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت، ١٨].

معاشر الناس! ﴿... اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران، ١٠٢]

معاشر الناس! النور من الله عز وجل في، ثم مسلوك في علي، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي، الذي يأخذ بحق كل مؤمن، وبكل حق هو لنا؛ لأن الله عز وجل جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس! إنني أنذركم أني رسول الله إليكم، قد خلت من قبلي الرسل، ﴿... أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران، ١٤٤] الصابرين! ألا إن عليا الموصوف بالصبر والشكر، ثم من بعده ولدي من صلبه!

معاشر الناس! سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.

معاشر الناس! إن الله وأنا بريتان منهم...



معاشر الناس! ألا وإني منذر وعليّ الهادي.<sup>١</sup>  
 معاشر الناس! إني نبي وعليّ وصيي!  
 ألا إنّ خاتم الأئمة منا القائم المهدي!  
 ألا إنه الظاهر على الدين!<sup>٢</sup>  
 ألا إنه المنتقم من الظالمين!  
 ألا إنه فاتح الحصون وهادمها!  
 ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك!  
 ألا إنه المدرك بكل ثار لأولياء الله عزّ وجلّ!  
 ألا إنه الغرّاف من بحر عميق!  
 ألا إنه يسمي كل ذي فضل بفضله، وكل ذي جهل بجهله!  
 ألا إنه خيرة الله ومختاره!  
 ألا إنه وارث كل علم بكل فهم والمحيط به!  
 ألا إنه المخبر عن ربه عزّ وجلّ، والمنبه لأمر إيمانه!  
 ألا إنه الرشيد السديد!  
 ألا إنه المفوض إليه!  
 ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه!<sup>٣</sup>

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، [الرعد، ٧] اعتباراً أن الهداة هم خلفاء المنذرين.

٢. يشير إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾، [التوبة، ٣٣] و[الفتح، ٢٨ والصف، ٩] اعتباراً بأن الهدف الرئيسي، من إرساله بالهدى ودين الحق، إنما هو اظهاره وتغليبه على الدين كله، يعني على طاعة الله كلها؛ فيجمع البشرية على طاعة الله كلها، ولم يتفق ذلك في أي عصر؛ فهو في زمن ممثله الأخير خاتم الأئمة عليهم السلام.

٣. قد أخرجنا بشارات عديدة باسم الامام المهدي عليه السلام وألقابه ورسمه وأعماله في كتابنا «بشارات العهدين» المطبوعة سنة ١٣٣٧ هجرية شمسية باللغة الفارسية، ونقلناها بمزيدات ومحاورات أكثر وأغرّ إلى العربية في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» وقد اخرجنا فيها نحواً من ستين بشارة على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وعليّ

ألا إنه الباقي حجة، ولا حجة بعده، ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده!  
ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه!

ألا إنه ولي الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلايته!  
معاشر الناس! قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا عليٌّ، يفهمكم بعدي!

ألا وعند انقضاء خطبتي، أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته والإقرار به، ثم  
مصافقته من بعدي.

ألا إني قد بايعت الله وعليٌّ قد بايعني، وإني آخذكم بالبيعة له عند الله عز وجل؛  
﴿... فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ...﴾ [الفتح، ١٠].

خاتم الوصيين المهدي القائم عليه السلام وإليكم نماذج من هذه البشارات للمهدي القائم عليه السلام: تبشر بوحدة الأمم، واتفاقها  
على دين واحد وسنة واحدة في دولة القائم الزبور ٣٧: ٩-٣٨، كتاب حجي النبي، ج ٢، ص ٧؛ وصفيناه النبي، ج ٣،  
ص ٦-٧، واشعيا النبي ٤٥: ٢٢.

ويصرح باسمه ولقبه ونسبه في جاماسب نامج المؤلف قبل خمسين قرناً، وفي كتاب زند للزراشت، وإنجيل متى  
٢٥: ٣١-٣٤ يذكره باسم «ابن الانسان» الذي يجمع حوله القبائل بكل جبروت وقدرة، وفي الزبور ٧٢: ١-٢٠ يذكره  
باسم ابن الملك، ثم يصفه بأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وفي اشعيا ١١: ٩-١٠ يصفه: بأنه من شجرة يسي بن داود النبي عليه السلام، والمهدي منسوب من جانب الأم إليه كما في  
أخبارنا، ويصفه بكمال العدل وسعته في شتى أرجاء العالم، وأن من عدله تصطح في ملكه السباع، كما في أخبارنا  
المستفيضة، وكذلك اشعيا ٦٥: ١٦-٢٥ مضافاً إلى قوله: ستجدد السماوات والأرض في دولته المباركة - فلا تأتيان  
إلا بخير - وستطول الأعمار إلى أن يرى الوالد ولده على مائة سنة.

وفي مكاشفات يوحنا اللاهوتي، ج ٢، ص ٢٦-٢٨؛ يشير إلى قيامه بالسيف، وفي ١٢: ١-١٧ منها يشير إلى غيبته  
الطويلة خوفاً من الأعداء وإلى خفاء ولادته عليه السلام، وأنه يحكم عند ظهوره على الناس بعضاً من حديد.

وفي دانيال ١٢: ١-١٣ يذكر له لقب القائم وأنه أكبر الزعماء الروحيين الذي يطبق أهداف جميع الأنبياء  
والمرسلين في بسيط الأرض، وأنه يحيى في دولته نفر عظيم من الأموات، وهذه هي الرجعة التي تدل عليها آيات،  
والروايات المتواترة. وفي أناجيل متى ٢٤: ٢٣-٤٢، ومرقس ١٣: ٣٣-٣٧، ولوقا، ج ١٢، ص ٣٥-٣٦؛ يصرح بلقبه  
المشهور - صاحب الدار - وأنه لا يظهر إلا بغتة، وليس لظهوره وقت معين، وأنه يأتي عياناً لا يخفى على أحد،  
كالشمس التي تطلع على عيون الناظرين، وأنه يجمع خواصه من أرجاء الأرض في طرفة عين، وأن السماوات  
والأرض تزولان ولكن هذه البشارة لا تزول، كناية عن تحتم ظهور المهدي عليه السلام صاحب الدار، ومن أراد التفصيل  
فليراجع إلى كتاب "بشارات العهدين" و"رسول الإسلام في الكتب السماوية".

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا  
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾، [الإسراء، ٣٣] المفسر في الحديث بالمهدي عليه السلام؛ فإنه ولي دماء الطاهرين من  
أجداده المظلومين، وهو منصور على من ظلم وبغى ولا منصور عليه.

معاشر الناس! إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة، وأمرني الله عزّ وجلّ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعليّ ﷺ بإمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه، على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم:

إنا سامعون، مطيعون، راضون، منقادون، لما بلغت من أمر ربنا وربك، في أمر علي أمير المؤمنين ﷺ وأمر ولده من صلبه من الأئمة عليهم السلام.

نبايعك على ذلك بقلوبنا، وأنفسنا، وألسنتنا، وأيدينا، على ذلك نحيا ونموت ونُبعث، لا نغير ولا نبدل، ولا نشك ولا نرتاب، ولا نرجع عن عهد ولا ميثاق، ولا ننقض الميثاق؛ ونعطي الله ونطعك وعلينا أمير المؤمنين وولده الأئمة عليهم السلام الذين ذكرتهم من ذريته من صلبه بعد الحسن والحسين عليهما السلام الذين قد عرفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربي عزّ وجلّ...

معاشر الناس! قولوا ما يرضي الله عنكم من القول، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فلن يضر الله شيئا.

أللهم ارحم للمؤمنين! واغضب للكافرين! والحمد لله رب العالمين».

فناداه القوم: «نعم! سمعنا وأطعنا على ما أمر الله ورسوله، بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا»، وتداكوا على رسول الله ﷺ وعلى عليّ ﷺ، وصافقوا بأيديهم؛ فكان أول من صافق رسول الله ﷺ، الأول والثاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس على قدر منازلهم، إلى أن صليت العشاء والعتمّة في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافحة ثلاثا؛ ورسول الله ﷺ يقول كلما بايع قوم: «الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين»<sup>١</sup>.



## هامة الغدير

قد وفى الله تعالى وعده بنصرته في ذيك الرسالة، فلم يكذبه أحد من هذه الجماعة في ظاهر الأمر؛ بل صدقوه وإن غدروا به بعد أن قضى نجه!

ولقد هنأ الإمام من رؤوس المسلمين عدد غير يسير، منهم: الشيخان.

إن قصة الغدير، أثبتتها الآثار التي تناقلتها الرواة ونقله الآثار من الفريقين دون اختلاف ولا نكير إلا في المعنى من ولاية علي عليه السلام، وسنأتي على بحثه.

فنزول آية التبليغ في علي عليه السلام ينقله إخواننا عن ثلاثين مصدراً.<sup>١</sup>

ونزول آية تكميل الدين بعد ما عرفه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بولي الأمر، نقلوه عن ستة عشر مصدراً من مصادرهم.<sup>٢</sup>

ولقد كان عدد الحاضرين في هذه الهامة الكبرى زهاء مائة وعشرين ألفاً.<sup>٣</sup>

### ٤- ماذا اثر هذا البلاغ؟

لقد كانت قصة الغدير حجة على الحاضر والغائب؛ لئلا يكون للناس حجة، بعد هذه الحجة البالغة.

### تهنئة الشيخين علياً عليه السلام بإمرة المؤمنين:

يذكر إخواننا قصة التهنئة عن ستين مصدراً<sup>١</sup> من مصادرهم، أنهما قالوا للإمام عليه السلام: «بخ بخ لك يا علي! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!!!»

١. الغدير ج ١ ص ٢١٤-٢٢٣.

٢. الغدير ج ١ ص ٢٣٠-٢٣٢.

٣. يذكر سبط بن الجوزي شيخ السنة أنه اتفق علماء السير أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع في الثامن من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً، وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

ومن ذلك ما رواه ابن المغازلي الشافعي في المناقب يرفعه إلى أبي هريرة قال: «من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة، كتب الله له صيامه ستين شهرا، وهو يوم غدیر خم، بها أخذ النبي ﷺ بيعة علي بن أبي طالب، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره؛ فقال له عمر بن

١. قد روى حديث التهنئة فيمن رواه: الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة بإسناده عن البراء بن عازب، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده، ج٤، ص٢١٨؛ عنه، والحافظ أبو العباس الشيباني بالإسناد عنه، والحافظ أبو يعلى الموصلي عنه، والحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره، ج٣، ص٤٢٨؛ بالإسناد عن ابن عباس، والبراء بن عازب ومحمد بن علي، والحافظ أحمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالإسناد عن سعد بن أبي وقاص والحافظ أبو عبدالله المرزباني البغدادي عن أبي سعيد الخدري، والحافظ علي بن عمر الدارقطني البغدادي أخرج بإسناده، والحافظ أبو عبدالله بن بطة الحنبلي عن البراء بن عازب، والقاضي أبو بكر الباقلائي البغدادي في كتابه: التمهيد في أصول الدين، ص١٧١؛ والحافظ أبو سعيد الخركوشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه، والحافظ أحمد بن مرويه الإصبهاني في تفسيره عن أبي سعيد الخدري، وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والحافظ ابن السمان الرازي عن ابن عازب، والحافظ أبو بكر البيهقي عنه، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، بسنتين صحيحين عن أبي هريرة، صص ٢٣٢-٢٣٣؛ والفقهاء أبو الحسن بن المغازلي في المناقب، وأبو محمد أحمد العاصمي في زين الفتى، والحافظ أبو سعد السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي في سر العالمين ص٩، وأبو الفتح الأشعري الشهرستاني في الملل والنحل وأخطب الخطباء الخوارزمي الحنفي في مناقبه ص٩٤، وأبو الفرج بن الجوزي الحنبلي عن ابن عازب، وفخر الدين الرازي الشافعي في تفسيره الكبير، ج٣، ص٦٣٦؛ وأبو السعادات مجد الدين بن الأثير الشيباني في النهاية، ج٤، ص٢٤٦؛ وأبو الفتح محمد بن علي النطنزي في الخصائص العلوية عن أبي هريرة، وعز الدين أبو الحسن بن الأثير الشيباني عن ابن عازب، والحافظ أبو عبدالله الكتجي الشافعي في كفاية الطالب، ص١٦؛ وشمس الدين أبو المظفر سط بن الجوزي الحنفي، وعمر بن محمد الملاء في وسيلة المتعبدين عن ابن عازب، والحافظ أبو جعفر محب الدين الطبري في الرياض النضرة عنه، وشيخ الإسلام الحموي في فرائد السمطين عن أبي هريرة، ونظام الدين القمي النيسابوري، وولي الدين الخطيب في مشكاة المصابيح ص٥٥٧، عنه، وأبو الفداء بن كثير الشافعي في البداية والنهاية، ج٥، ص٢٠٩ - ٢١٠؛ عنه، وتقي الدين المقرئ المصري في الخطط، ج٢، ص٢٢٣؛ عنه، ونور الدين بن الصباغ المالكي المكي في الفصول المهمة عنه، والقاضي نجم الدين الأذرع الشافعي في بديع المعاني، ص٧٥؛ وكمال الدين المييدي في شرح الديوان، وجمال الدين السيوطي في جمع الجوامع عن ابن أبي شيبة، ونور الدين السهمودي المدني الشافعي في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٧٣؛ عن البراء، وزيد وأبو العباس شهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنية، ج٢، ص١٣؛ في معنى المولى، والسيد عبدالوهاب الحسيني البخاري، وابن حجر العسقلاني الهيثمي في الصواعق المحرقة، ص٢٦؛ والسيد علي بن شهاب الدين الهمداني في مودة القريبى بلفظ البراء، والسيد محمود الشبخاني القادري المدني في الصراط السوي في مناقب آل النبي عن ابن عازب، وشمس الدين المناوي الشافعي في فيض القدير، ج٥، ص٢١٨؛ والشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي في وسيلة المال في عد مناقب الآل عن ابن عازب، وأبو عبدالله الزرقاني المالكي في شرح المواهب، ج٧، ص١٣؛ عن سعد، وحسام الدين بن محمد بايزيد السهارةوري في مرافض الروافض، وميرزا محمد البدخشاني في كتابيه مفتاح النجا في مناقب آل العبا ونزل الإبرار بما صح في أهل البيت الأطهار عن البراء، والشيخ محمد صدر العالم في معارج العلى في مناقب المرتضى عنه، وأبو الولي الله أحمد العمري الدهلوي والسيد محمد الصنعاني في الروضة الندية شرح التحفة العلوية عنه، والمولوي محمد مبین الكهنوي في مرآة المؤمنین في مناقب أهل بیت سید المرسلین، ومحمد محبوب العالم في تفسير شاهي عن أبي سعد الخدري، والسيد أحمد زيني دحلان المكي الشافعي في الفتوحات الإسلامية، ج٣، ص٣٠٦؛ والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدني المالكي في حياة علي بن أبي طالب، ص٢٨؛ عن ابن عازب.

الخطاب: **بخ بخ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!**  
فأنزل الله تعالى: ﴿... أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ  
الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة، ٣].

### ذكرى تكميل الدين :

قد فصلنا القول في أن ما أمر الرسول ﷺ بتليغه يوم الغدير، هو هامة الخلافة، التي  
لولاها فكان الرسول ﷺ ما بلغ شيئاً!

أجل، إنه من كمال الدين وتمامه؛ ولذلك لما يتم أمر البلاغ يوم الغدير، يتبعه  
الوحي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾

وأخيراً لنسأل إخواننا، هل إن هامة الغدير كذلك، تدور مدار حب الإمام فحسب؟!  
وهل الحب يخصه دون المؤمنين، رغم أن ولاية المؤمنين وحبهم فرضٌ دونما  
انحصار فيه ﷺ وانحصار عن سواه من المؤمنين؟!

وهل إن تفريع ولاية الإمام ﷺ على اوليائه ﷺ بمعنى المحبة فحسب؟ على أن  
ولاية الرسول الأعظم ﷺ، بمعنى الأولوية على الأنفس، في قوله ﷺ: «ألست أولى  
بكم من أنفسكم؟»

هذا تفريع ترصاه فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى. أنصف واحكم!  
ولقد روى وفسر الولاية هناك بولاية الأمر في الأمة، نفرٌ من إخواننا من  
المحدثين وغيرهم؛ وإليكم عدداً يسيراً منهم:

١ - عن تفسير الثعالبي بالاسناد عن الكلبي: نزل ان يبلغ فيه (في عليٍّ)؛ فأخذ  
رسول الله ﷺ بيد عليٍّ، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه...» فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ  
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ [المائدة، ٦٧]، فيه خمسة  
أشياء: كرامة، وأمر، وحكاية، وعزل، وعصمة.

أمر الله نبيه أن ينصب علياً إماماً؛ فتوقف فيه لكرهيته تكذيب القوم؛ فنزلت ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف، ٦]؛ فأمرهم رسول الله أن يسلموا لعلي بالإمرة، ثم نزل بعد أيام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ [المائدة، ٦٧].<sup>١</sup>

٢ - الشيخان في تهنئة الأمير بالإمرة يقولان: «أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة...»؛ ولئن كانت الولاية هذه، بمعنى المحبة فحسب، لم يصح نسبتها منهما إلى الأمير فحسب دون المؤمنين؛ حيث إن المحبة عامة لهم أجمع؛ فلقد فهما من الولاية هناك ما فهمناه.

ومن ذلك ما رواه السمعي في فضائل الصحابة بإسناده عن سالم بن أبي الجعد قال: «قيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي ﷺ؟! قال انه مولاي!»<sup>٢</sup>

٣ - أجل، فهم ذلك ابن الخطاب وزملاؤه الذين نقضوا عهده، بل ومن كفر بعد هذه القصة، كالحارث بن النعمان الفهري:

«إنه لما شاع قصة الغدير في البلاد، أتى ابن الفهري رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة؛ فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضيع ابن عمك، ففضلتنا علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شيء منك أم من الله؟! فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله! فولى الحارث يريد راحته وهو يقول: ألهم إن كان ما يقول محمد ﷺ حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته وخرج من

١. بحار الانوار، ج ٣٧، ص ١٥٣.

٢. نفس المصدر، ج ٣٧ - ١٥٩.

دبره؛ فقتله! وأنزل الله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج، ١] وفي شرح الأخبار ﴿أَفِيعًا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>١</sup> [الشعراء، ٢٠٤ والصافات، ١٧٦]

ليت شعري، إذا فهم مثل هذا المنافق المعدب بنفاقه وكفره - فهمم - من الولاية ولاية الأمر، فما بال إخواننا يرتابون في ذلك!؛

كلاً! و﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾، وإنَّ:

١ - إبطاءه ﷺ عن تبليغ هذه الرسالة،

٢ - وخوفه من تكذيب المنافقين،

٣ - وتبليغها في هذا المجتمع الكبير،

٤ - وتهنئة الأمير بولاية الأمر وإمرة المؤمنين،

٥ - وتفريع ولايته على أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

و... هذه وما إليها، شهود صدق على أن هامة الغدير انما هي: خلافة الأمة الإسلامية بعد الرسول الأعظم ﷺ، للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل التحية والسلام، ﴿... وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور، ٤٦]

ومهما يكن من ريب في دلالة حديث الغدير على خلافة الأمير، - ولا ريب فيه - فما يقول إخواننا في حديث الثقلين المتواتر كذلك بين الفريقين<sup>٢</sup>، الذي يصرح فيه الرسول

١. ذكره أبو عبيد الثعلبي والنقاش وسفيان بن عيينه والرازي والقزويني والنيسابوري من إخواننا والطبرسي والطوسي من أصحابنا، جميعاً في تفاسيرهم.

٢. جامع أحاديث الشيعة لاستاذنا الأعظم البروجردي قدس الله روحه، نقلاً عن العيقات أنه روى حديث الثقلين نفر كبير من الصحابة، ثم ذكر أسماء كل واحد منهم من المائة الأولى إلى الثالثة عشر، في كل مائة نحو عشرين إلى ثلاثين رجلاً من كبار أخبار الحديث، نذكر هنا نماذج من أسمائهم:

منهم: علي بن أبي طالب ﷺ أخرجه عنه خمسة من الأعاظم مثل الطبري والسيوطي وغيرهما؛ ومنهم: الحسن بن علي ﷺ، وسلمان، وأبوذر، رواه عنهم ثمانية، ومنهم ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، رواه عنهما تسعة وأربعون رجلاً، ومنهم: جابر بن عبد الله الأنصاري رواه عنه ثلاثون رجلاً، ومنهم: أبو الهيثم بن التيهان، رواه عنه خمسة رجال، وأبورافع مولى رسول الله ﷺ، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن أسيد، أخرجه عنه وأحد وعشرون رجلاً، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين رواه عنه خمسة رجال، وزيد بن ثابت روى عنه ستة وعشرون رجلاً، وأبو هريرة روى عنه ستة، وعبدالله بن حنطب، ثلاثة، وجبير بن مطعم، ثلاثة، وبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبيد الله التيمي، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد الأنصاري، خمسة، وعدي



الأعظم ﷺ: «إنه خلف بعده على الأمة خليفتين اثنتين: كتاب الله وعترته أهل بيته»؛ حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي. ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً. وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض...» يقول عمر بن الخطاب: «قلت يا رسول الله ﷺ من عترتك؟» قال ﷺ: «عترتي أهل بيتي»<sup>١</sup>.

فعترة الرسول ﷺ - وهم الأئمة الإثنا عشر - هم قرناء الكتاب في الخلافة بين الأمة الإسلامية، لا يفارقونه ولا يفارقهم؛ فمن زعم أنه متمسك بأحدهما دون الآخر، لم يكن متمسكاً بالخلافة التامة.

وهذا الحديث يجعل الخلافة في العترة إلى يوم القيامة مقرونة بالكتاب، فكما أن كتاب الله لا انفصام لعروته ولا انقلاع لحلقته ولا ختام لحكومته، كذلك العترة، لهم الأمر والحكم مع الأبد.

### تذكرة:

قد يروي إخواننا «وسنتي» بدل «وعترتي» في حديث الثقلين، ونحن لا نرفضها، والجمع بين الثقلين أن العترة إنما هم حملة السنة - المعصومون - بين نقلتها غير المعصومين، ولا نرى أن الأئمة من عترة الرسول يستقلون بجانب الرسول ﷺ أو يجتهدون كمن سواهم من المجتهدين الذين يجوز عليهم الخطأ. إنما نعتقد فيهم أنهم رواة سنة الرسول ﷺ، دون زيادة ولا نقصان، ودون أن تخفى عليهم خافية، أنهم أبواب علم الرسول كما في أحاديث الباب.



بن حاتم، وعقبة بن عامر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبوشريح الخزاعي، وأبو قدامة الأنصاري، وأبوليلي الأنصاري، وضميرة الأسلمي، روى حديثهم الأجلة والأخبار والأكابر من علماء أهل السنة، وعامر بن ليلي بن حمزة روى عنه تسعة، ومنهم عدة من الصحابييات مثل فاطمة الصديقة بنت الرسول ﷺ، وأم سلمة رواه عنها ستة، وأم هاني أخت الأمير ﷺ رواه عنها أربعة.

١. الذيل مروى عن عمر، رواه عنه محمد بن علي بن بابويه القمي في كتاب "النصوص على الأئمة الإثني عشرية".

## رزية يوم الخميس!

إن الرسول الأعظم ﷺ لم يكتف من تصاريح الخلافة بهذه الذكريات في علي أمير المؤمنين عليه السلام، التي ملأت صرختها أسماع العالمين، مع أن حديث الولادة والأخوة والوزارة والولاية، إنه لذكرى كافية ﴿... لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق، ٣٧]

لكنه قضيةً لعظيم اهتمامه بهذا البلاغ الهام، يختم حياته الشريفة بذكره وكتابته؛ ليكون حجة مكتوبة، مضافةً إلى تصريحاته الجليلة في ذلك، مع أنه لم يكتب طوال حياته ورسالته في شيء من مهام الدين، كما نعلمه منه ﷺ إلا شذراً؛ فقصده للكتابة حينذاك، تعبيراً عن اهتمام هام له بذلك الأمر، كما شهد له من قبل قصة الغدير. أخرج اصحاب الصحاح وسائر أهل السنن وأهل السير والأخبار كافةً رزية الخميس كما يلي: «لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْوَفَاةَ، وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ، فِيهِمْ عَمْرِبُ الْخَطَّابِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلُمُّوا لَكُمْ كِتَابًا، لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ؛ فَقَالَ عَمْرِبُ: إِنَّ النَّبِيَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ! فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا! مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عَمْرِبُ. فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَوْمُوا!»<sup>٢</sup>

١. كما يروى من كتابه إلى الأمراء والسلاطين يدعوهم فيها إلى الإسلام، ولا تنافيه الآية: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذْ لَأْرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾، [العنكبوت، ٤٨]؛ لأنها تختص عدم التلاوة والكتابة بما قبل الرسالة، ولا تنفيهما عنه ﷺ إطلاقاً.

٢. أخرجه البخاري في باب قول المريض: «قوموا عني...»، كتاب المرضى، ج ٤، ص ٥؛ وفي كتاب العلم، ج ١، ص ٢٢؛ وبعض الاجزاء الأخر من صحيحه، وأخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه، ورواه أحمد من حديث بن عباس في مسنده، وكذا سائر أصحاب السنن، وسند البخاري هكذا: «إلى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس».

هذا! ولكن تقول ابن الخطاب وجرأته على الرسول ﷺ حينذاك، لم يكن كما هنا: «أن النبي قد غلب عليه الوجع»؛ وإنما فسّره أرباب الحديث بالمعنى حفظاً لكرامته، وإنما لفظه الثابت: «دعوه فانه ليهجر»!!!

ويشهد له قول ابن عباس: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم؛ حيث قال عمر كلمة، معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ»!

ولقد نُقل التصريح بنسبة الهجر إلى الرسول ﷺ من دون ذكر قائله أيضاً. عن ابن عباس أنه قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم بكى حتى خضب دمه الخصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: اتئوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع! فقالوا: هجر رسول الله ﷺ. قال ﷺ: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه».

### لماذا لم يكتب الرسول ما أراد؟

إن الرسول الأعظم ﷺ حينما يجترى عليه بهذه الكلمة القارصة الفاتكة، وهو في قبضة الموت، يمسك عن أن يكتب ما كان يهيمه حينذاك، مخافة أن يكذبوه سناداً إلى قولة عمر، كما وكان يبطئ عن تبليغ الرسالة الهامة يوم الغدير مخافة التكذيب! إلا أن المنافقين لم يظهروا هناك شيئاً، رجاء تأويله بعد ارتحال الرسول إلى جوار رحمة ربه، ولكنهم ماذا يصنعون بنص خطه ﷺ إذا كتب ما بلغه؟!

١. أخرجه أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة، كما في (ج٢، ص١٠؛ من شرح النهج للعلامة المعتزلي) بالإسناد إلى ابن عباس.

٢. رواه البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه، ج٢، ص٧؛ قال: «حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس».

لذلك نرى الخليفة عمر، الذي يهنئ الأمير بولاية الامر يوم الغدير قائلاً: «بخ بخ لك يا علي! فقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» – نراه – لا يرضى أن يكتب الرسول ﷺ حين ارتحاله شيئاً في ذلك، فيجرؤ عليه بلفظة فحش، ما أفحشه!

أجل، إنه يجرؤ على الرسول ﷺ بخناء، أدمى قلوب المسلمين، وجرح عيونهم، وقتت أكبادهم! فهل إن الرسول ﷺ ليهجر، وقد صدقه الله تعالى في جميع أقواله في مثل قوله تعالى وتقدس: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾! [النجم، ٣ - ٤]

وهل إن نسبة الهجر إلى الرسول ﷺ حينذاك إلا نسبته إلى الله تعالى في وحيه؟ وهل توجد فرصة هامة للوصية أهم من حين الموت، لا سيّما للرسول الأعظم ﷺ؟ أفهل يجدر لعمر أن ينسب من لا ينطق عن الهوى، إلى الهجر؟!

هنالك يحق لكل مسلم ان يبكي دماً، ويقول: إن رزية الخميس الخميص، رزيتان اثنتان: أهمهما وأفجعهما ذلك الخناء والجرأة على الرسول ﷺ، كارتحال أول، إماتة لرسالته! ثم ارتحاله موتا في ذلك اليوم؛ إذ إن الرزية الأولى إماتة لشخصية الرسول الأعظم ﷺ، وليست الثانية إلا فقدان شخصه الكريم! ﴿... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء، ٢٢٧].



## الدين والسياسة

... لقد ابتليت الحركة الإسلامية منذ بدئها باليهود؛ إذ بدؤوا نشاطهم المضاد بالتشويه لسمعة الإسلام، والوقية فيه، والافتراء عليه؛ ورأى زملاؤهم المبشرون والمستشرقون أن أكبر ما يمنعهم عن نيل مآربهم هو الإسلام؛ فتعاونوا من أجل تحريف حقائق الإسلام.

فرغَمَ أن الإسلام دين المجاهدين الأحرار، الصامدين في خط النار، حاول هذا الاستعمار الثنائي الغادر الكافر ليجعل من المسلمين أجسادا بلا أرواح، وحاول إخماد جذوة الإسلام وتضييع طابعه الحيوي الثوري الحركي؛ لكيلا يفكر المسلمون في السعي لتحرير أنفسهم، وتنفيذ أحكام دينهم عن طريق تأسيس حكومة، تضمن لهم سعادتهم وسيادتهم في الحياتين.

بدؤوا - على هذه الفكرة الغادرة - في تفكيك الدين عن السياسة، والخلافة الدينية عن الخلافة السياسية الإسلامية؛ حتى آل أمر المسلمين إلى ألا يفكروا في السياسة والحكم، إلا أن يتهموا بالفسق والخروج عن الروح الدينية والقداسة الإسلامية! في بادئ الأمر، كانت السياسة الإسلامية تستعين بالدين! وأخيراً، استقلّت السياسة عن الدين، وظلت القيادة بكافة جذورها بأيدي الساسة الذين لا دين لهم!

هؤلاء الذين أصبحوا عملاء الإستعمار، وقد يحاربون الدين، ورجال الدين؛ لكي يسكتونهم عما يصطدم وسياساتهم الجهنمية... وإلى أن أصبح المرجع الديني المجاهد الثوري الحركي يُنفى عن وطنه؛ لأنه لم يحصر الدين في أحكام الحيض والنفاس والطهارة والنجاسة والبيع والإجارة؛ بل تعادها إلى الجهاد المقدس ضد الظلم مهما كانت أعوانه أقوياء، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إلى تأسيس حكومة إسلامية سامية...!

أصبحت الدول الإسلامية لا ترضى بوجود علماء ربانيين مجاهدين، اللهم إلا عملاء للدولة، أو سكوتاً لا ينطقون ولا ينظرون في شؤون المسلمين الجماعية، وإنما أئمة الجماعات وقراء التعازي ووعاظ السلاطين أجساداً فحسب، لا حراك لهم إلا بما تنفع الحكومة أو لا تضرها!

كلا يا عملاء الإستعمار! ليس كما تزعمون! فإن الإسلام دين ثوري حركي نضالي وجاه كافة المحاولات الظالمة الفاسقة، والعلماء الربانيون حركيون مناضلون؛ فمن لا حراك له نتهمه إما بالجهل بالمبادئ الإسلامية، أو بالعمالة، ولعل حراكه خفيّ ضد الدين.

إنّ المسلمين، في هذا الزمن الشرير والجو المرير، بحاجة ماسّة إلى مراجع أقوياء، يستوحون القوة والبطولة من أئمة الدين الأولين، من علي أمير المؤمنين عليه السلام...؛ ولكي يقوموا على سوقهم ولا يُخدعوا ولا يُخذلوا، ولتجري بينهم القيادة الصالحة والسيادة الإسلامية؛ فإنما الدين والسياسة في صميم الحق تعبيران عن الحكومة العادلة؛ فلا يحق لسائس أن يسوس الرعية إلا على الأنظمة العادلة الدينية، ولا لديّن أن يتقاعد ويتقاعد عن السياسة، اعتذار أن السياسة وقيادة الشعوب ليست على عاتق الدين والديّنين، وإنما لكلّ أهلٌ وكلّ إنسان يعمل على شاكلته!

### المؤامرة الأولى على الإسلام:

وليس زوراً من القول، أنّ تفكيك السياسة عن الدين، إنما هو تفكيك للدين عن نفسه، وأنّ وسوسة التفكيك لمن المؤامرات الهدامة على الإسلام، التي انتشأت من السقيفة، وبقيت حتى الآن للمسلمين، ومذلةٌ لهم، تؤخرهم عن حقوقهم الفردية والجماعية، في الدين والدنيا.

إنه لم يكن بد أن تقترن السياسة بالدين والسلطنة بالخلافة الدينية، ويكون السائس في أمور الشعب هو القائد الديني أو ممثله؛ كي تنضبط الأمور، وتحمّد أطماع

الزعماء، الذين كانوا يتربصون بالإسلام الدوائر، ويتحينون الفرص لإسترجاع وجاهاتهم المحطمة، وأهوائهم الجهنمية، التي قُضِيَّ عليها تحت الأنظمة الدينية.

لذلك، إن الرسول الأعظم ﷺ كما كان هو القائد الديني الأوّل للمسلمين جمعاء، كذلك كان هو السائس الأوّل على سواءٍ؛ فلا سلطانَ مع سلطانه، ولا نظامَ دولياً مع أنظمتها العادلة الخالدة؛ ولذلك كان يدعو السلاطين والامراء إلى دينه ونظامه؛ فأسلم نفر، وكفر آخرون.

ولقد بقيَ هذا التقارن والجمع بين هذين التوأمين: السياسة، والديانة، حتى آخر عهد الرسول الأعظم محمد ﷺ. فلما قبض أخذت التامرات على تفكيكهما في السقيفة التي اختلقت الخلافة، خلافاً لما نص عليه الرسول الأعظم ﷺ؛ فتأمّر على المسلمين واحد بعد واحد؛ حتى آل الأمر في دولة الثالث منهم إلى التأمّر على أصل الإسلام شيئاً فشيئاً، ثم عليه جهاراً في حكومة معاوية ويزيد وأضرابهما؛ حيث انفصلت السياسة عن الحكومة الدينية انفصلاً عنيفاً شاسعاً إلى حيث، عُدَّت السياسة خارجة عن شؤون الديانة، وإلى حد التناقض!

الخليفتان الأوّلان جلسا على عرش الحكم، دون نص، أو صلاحية وسبق ديني، اتكالا على رأي الشوري، التي أخذت على المسلمين بؤسها، ولقد كانت تتكئ الشوري في انتصاب ابن أبي قحافة على أن الرسول ﷺ لم يعيّن خليفةً، ولا بد للمسلمين من زعيم؛ فثم إذا ما إفتعلت هذه الفعلة، انقسمت الزعامة قسمين: دينية، وسياسية.

فالأئمة الأربعة - الذين اختلقتهم أيدي السياسة العباسية - جلسوا على عرش الإفتاء، وتلكم السياسة الخلفاء جلسوا على عرش الحكم، وقد جعلوا مراجع الدين وفق ما يريدون، كما يلائم تأمّره واستبدادهم واستغلالهم!

ومن المؤسف جداً، أن واقع العالم الإسلامي الحاضر لا يزال يتبع خطأ غابرههم؛ فيحسبون السياسة حقاً لغير القادة الروحانيين؛ فكلما قام منهم قائم، ثائراً على

الحكومات الظالمة غير الدينية، قام نفر من المسلمين وجهاً لهذه الوجوه المنيرة قائلين: أنتم مكانكم ومكانتكم من الدين والصلاة والصيام والحج والذكر والدعاء! فما لكم والسياسة الملعونة؟! ذروا السياسة للشياطين الملحدين، والديانة والقداسة لأنفسكم أيها القادة الروحانيين!

والقول الفصل، في هذا الضلال البعيد والانحراف الجارف، أن ذلك ركيذة أفكارهم من التامرات الأولى على الإسلام في تفكيك السياسة عن الديانة.

ثم المستعمرون الغربيون وغيرهم يزخرفون هذه الفكرة الخاطئة بألوان الغدر والمكيدة حتى أصبحت هذه الفكرة فكرةً قادمةً دينيةً، وارتجع المسلمون بعد عزّهم إلى الذل، رغم أن «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»!

ألا، فانتبهوا أيها المسلمون عن نومتكم! وخذوا حذرکم وأمرکم بأيديکم؛ حتى يكون الحاكم عليكم هو الإسلام والقرآن العظيم. ليس إلا، وحينذاك تخلص لكم الحكومة والسيادة المستقلة، ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [المنافقون، ٨]، وليس الذل والهوان إلا نتيجة عدم الإيمان كما يجب. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، ١٣٩].





## مؤامرات على الإسلام في حياة الرسول الأعظم ﷺ

كان الأمويون والهاشميون في الجاهلية يشغلون مناصب الرئاسة على سواءٍ، غير أن الهاشميين كان تصيبيهم رئاسة الدين على الأسلوب الجاهلي، حينما كان الأمويون زعماء السياسة وأصحاب تجارة ورئاسة ومدنية، إلا أن الهاشميين كانوا في إيمانهم صادقين أياً كان، دون خديعة، أو مؤاربة - بإجماع المؤرخين العرب والأجانب - وطبيعة الحال تقضي أن الزعامة الدينية، التي توارثها الهاشميون في الجاهلية، كانت مما تلاءم وطبائعهم وأخلاقهم المثالية...

لقد كانوا على هذا الكيان، حتى بُعث الرسول الأعظم ﷺ؛ فكان تعبيراً طبيعياً عن البيت الهاشمي، كما كان من بعده الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام؛ فهو لاء هم بنوهاشم. وأما بنوأمية، فقد كانوا على النقيض منهم، حيث اختاروا السياسة والرئاسة والتجارة وما إليها من الشؤون المادية، منهمكين فيها؛ لأنها كانت تلاءم وطبائعهم المطبوعة على اللذات والشهوات.

هذا وذاك... إلى أن كانت وتمكنت دعوة النبي الهاشمي ﷺ؛ فكان أبوسفیان بن حرب الأموي رأس أعدائه، وقائد قريش، ورئيس المؤامرات، وبطل أساليب التنكيل بأنصار الدعوة الجديدة.

ذلك، لما كان يرى قواعد عروش الرئاسة والحكم مهددةً بالزوال، على يدي صاحب الدعوة الجديدة.

ذاك المؤامرات والعداءات الطائفة منه على الرسول الأعظم محمد ﷺ، التي يستحي من ذكرياتها التاريخ الإنساني، حتى أسلم أبوسفیان بعد فتح مكة وقد ملئ

قلبه نفاقاً وعداءً، لما يرى من تقارن السياسة والديانة في قرن واحد من البيت الهاشمي؛ فهو إنما ينتظر بالإسلام ونبيه الدوائر، وقد كان يظهر من صفحات وجهه وفلتات لسانه ما كان يضمرة:

«ينظر مرة إلى النبي ﷺ - وهو بالمسجد - نظرة الحائر، فيخاطب نفسه قائلاً: ليت شعري بأي شيء غلبني؟! فأقبل عليه النبي ﷺ، وضرب يده بين كتفيه قائلاً في جوابه: بالله غلبتك يا أباسفيان!»

ولقد آل أمر أبي سفيان في عداته للنبي - حتى بعد إسلامه! - إلى أن ظلّ المسلمون يأبون أن ينظروا إليه أو يجالسوه، مع أن النبي ﷺ ما كان ليُهينه تدليلاً على روح الحنان والتسامح والتعاطف في نفسه، وأنه رحمة للعالمين!

فلما قبض الرسول الأعظم ﷺ واختلف الأصحاب في ولاية الأمر بعده، طاب هذا الخلاف لأبي سفيان، يحسب أن له ممرّاً في ذلك، ينفذ منه إلى استعادة سلطانه وبناء أمجاد أموية جديدة على حساب الإسلام!

تأمّر السقيفة على الإسلام قنطرةً لتحقيق التآمر الأموي من وجه آخر: إن اختلاق السقيفة القيادة السياسية، منفصلةً عن الزعامة الدينية، كان يولّد ويخلف بؤساً، فيه تمام البأس والتعس للأمة الإسلامية الغراء، هو أنه: قنطرةً لتأسيس وتركيز الحكومة الأموية القاضية على الإسلام والمسلمين بدينهم وديانهم وذلك:

أن الامويين الذين أسلموا على نفاقهم، ما كانوا يُؤتمنون على أمر من أمور المسلمين لسوء سوابقهم على الإسلام؛ فكانوا قوماً عزلاً، ليس بأيديهم شيء من الأمر والحكم؛ فشكوا ذلك إلى الخليفة ابن أبي قحافة، قائلين: «نحن مسلمون، وبنوهاشم مثلنا مسلمون على سواء، فلماذا يفرّق بيننا في المناصب والقيم، لماذا؟!»

١. إشارة إلى الآية: ١٠٧ من سورة الانبياء والآية: ١٥٩ من سورة آل عمران.

أجابهم قائلاً: «هم يشاركون في جهاد الأعداء والدفاع عن حوزة الإسلام وبيضته؛ فكونوا كما هم، حتى تشاركوهم فيما هم».

فاشتركوا في فتح الروم، وفيهم يزيد بن أبي سفيان قائداً لهم، فوفى لهم ابن أبي الخطاب بما وعدهم أبوبكر، فولّي يزيد بن أبي سفيان الشام وما والاها، ولما تُوفّي، أقام مقامه أخاه معاوية الطاغية.

ثم استحكم ثالث الخلفاء عرشَ ولاية معاوية؛ لأنه نفسه، كان ثمرةً ضئيلة من هذه الشجرة الملعونة الأموية؛ فاستحكم بذلك ما ضعف منه!

ومن هنا وهناك، يبدو العداء الجلي والمؤامرات الظاهرة على الإسلام، من الطغمة الحاكمة الأموية، التي كانت تتربص بالإسلام الدوائر وفعلت ما افتعلت!

فخلفاء السقيفة وحلفاؤها، هم شركاء في هذه الشكيمة والضغينة، التي خلّفت على الإسلام والمسلمين أشد الويلات والنكال والبأس والبؤس، حتى اليوم!

أجل، إن الخلفاء الثلاثة شركاء في التآمر على الإسلام من سوء تديبرهم وسياستهم في انتصاب الفروع الخبيثة الأموية، وهم من يخبر عنهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قائلاً:

**حكم بني أمية في نظر الإمام عليه السلام:**

«والله، لا يزالون حتى لا يدعون لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلّوه، وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان بيكيان: باك يبكي لدينه، وبك يبكي لديناه؛ وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه...!»<sup>١</sup>



١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٩٨، ج ١ ص ١٩٠.

## ما هي الحكومة العادلة في ألوان الحكومات

هل هي الملكية، أو الجمهورية – المتعودتين – أو المشروطية، أو الاستبدادية، أو الشيوعية وما أشبه، كالحكومة الدينية التي تستوحي حكم الله تعالى في خلقه وتطبيقه في أرضه؟

أقول كلمة واحدة: إنها في صميم الحق، لا ذا ولا ذاك ولا ذيك، وإنما هي الأخيرة؛ فإنما المُلْك والحُكْم لله يُؤْتيه من يشاء من عباده؛ فإنه هو المَلِكُ الحق المتعال. فإنما المُلْك هو لله تعالى بالذات، ولمن يختاره لتطبيق أحكامه في خلقه بأمره، كما أن الهداية من شؤون الألوهية الخاصة، يصطفى لها من خلقه من يشاء وهو اللطيف الخبير.

إننا لسنا بحاجة إلى البرهنة على الأخير، وإنما غيره هو الجدير بالبحث؛ حيث اختلط الأمر على الشعوب المحطّمة تحت نير الذل والهوان! وإليكم آي الذكر الحكيم، تنادي بأفصح بيان: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...﴾ [آل عمران، ٢٦]، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران، ١٨٩]، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ...﴾ [المؤمنون، ١١٦]، ﴿... لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ...﴾ [الإسراء، ١١١] و [الفرقان، ٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ...﴾ [الحشر، ٢٣].

أجل، انه المَلِكُ؛ لأنه القدوس، قُدِّسَتْ أُمَّةٌ يَرْضونه ملكاً!

وهو السلام، يبسط السلام على خلقه وأرجاء ملكه.

وهو المؤمن، يؤمن الخائفين المظلومين وينتصر لهم من الظالمين.

وهو المهيمن، يصون الخلق عما يحق أن يصاب عنه.

وهو العزيز الغالب القاهر لا يشركه أحد في ملكه، ولا ينازعه أحد في تدييره وسلطانه، وهو الجبار يجبر كل انكسار ويعمر كل خراب.

وهو المتكبر، الكبير المتعال، له الكبرياء والعظمة والجبروت بحق وفضيلة.

وهو يُؤتي ملكه من يشاء؛ ولا يشاء إلا من عدل في خلقه.

هنا ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ تشريعي، لا تكويني يستلزم أن الله يؤتي ملكه بإرادة منه ومشية للظالمين؛ فينتج أن سلاطين الجور، كالعدل، منصوبون من جانب الله تعالى على سواء! وحاشاه!

يسأل داود بن فرقد أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية قائلًا: «فقد أتى الله بني أمية المُلْك؟!» فقال عليه السلام: «ليس حيث يذهب الناس إليه، إن الله تعالى آتاني الملك وأخذه بنو أمية، بمنزلة الرجل يكون له الثوب ويأخذه الآخر؛ فليس هو للذي أخذه».

فمن هنا وهناك نستوحي أنّ المُلْك في نظر الدين، لا يحقّ إلا للأئمة الدين والزعماء الروحانيين، فمن جلس مجلسهم عنفًا فهو غاصب، إلا من يرتضيه الدين والزعماء الربانيون زعيمًا، وهو من ليس في سلطانه وملكه إلا تطبيق أحكام الدين والعدل في الرعية، كما يرتضيه الله سبحانه؛ فمثل هذا وكيل عن الزعماء الروحانيين في الملك والسلطان.

ومهما يكن من شيء، فلا يحق المُلْك إلا لأعلم الناس، وأعدلهم، وأقواهم، وأنقاهم، وأبصرهم في تدبير أمور الشعوب، وقد نأتي على تفصيله.

ثم إن الله تعالى، هو الذي يحق له أن يصطفي لهما أو لأحدهما من يشاء من عباده؛ فالأنبياء يمثلونه في الهداية على ضوء الوحي، والسلاطين الحق يمثلونه في سلطانه، وتطبيق احكامه؛ وقد تجتمعان في واحد، وقد تخلتفان، وإن كان اجتماعهما فيهم هو الأصل التشريعي، وإنما الاختلاف في التكون الخارجي.

فممن ابتعته الله مَلِكًا رسولاً: ذو القرنين،<sup>١</sup> الذي ملك ما بين الشرق والغرب؛ وكذا: يوسف وداود وسليمان عليهم السلام.

فكما أن نبوتهم كانت من الله وبوحي منه، كذلك مُلكهم؛ فقد كانوا يتلقون أحكامه تعالى وحيا، ثم يطبقونها بقوة المُلك والسلطان - بأمر من عند الله - على خلقه. ومن الأنبياء من لم يُرسلوا ملوكًا، وكذلك من الملوك من لم يُبعثوا أنبياء، كمثّل طالوت، الذي اصطفاه الله على الملاء من بني إسرائيل، ﴿... وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾ [البقرة، ٢٤٧].

ذلك، حينما سألت مَلَأً من بني إسرائيل، نبياً لهم من بعد موسى، أن يبعث لهم مَلِكًا، يقاتلون به في سبيل الله كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، ٢٤٦ - ٢٤٧].

فكما أن الله تعالى يبعث من عباده أنبياء، كذلك يبعث ملوكا ليطبّقوا أحكامه في خلقه، وليس ذلك تفكيكا للدين عن السياسة؛ بل إن هذا من أكبر الآيات على أنهما توأمان، فلا يحق المُلك إلاّ للأنبياء أو من يتبعهم في تطبيق الدين. وهذه الآيات ترشدنا إلى أن:

١. لا بد للملك أن يكون اصطفاه على ضوء الدين والأنظمة الدينية، إما بنص خاص أو عام، لا أن يستبد في ذلك ويستعين بالنفوس والنفائس - بالسيف والنار - للجلوس على عرش الحكم، ثم يرگز الملك ويستمر به

١. على احتمال في تفسير الآيات من سورة الكهف، التي تعنيه.

في نسله كيفما كان! ولا أن تصطفيه أكثرية الآراء من الشعوب. كالأ! وإنما يمضي الملك لمن أمضاه الدين ملكاً.

٢. إنما يحق الملك للمصطفين عن الرذائل الخلقية والعملية، وعن كدر الظلم والانحراف في الدين، وعن الزلات والضلالات في الحكم على الشعوب.

٣. ومن يرجح كفة ميزان علمه وقوته في الجسم: ﴿... وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ...﴾ [البقرة، ٢٤٧] والنقطة الأساسية منه العلم بتدبير أمور الرعايا وصيانتهم عن السقوط في المهلوي والمهالك، وأن يعلم أحكام الله تعالى وحيا أو تعلماً من بيت الوحي حتى يطبقها على الشعوب.

وكذلك قوة الجسم - إن أمكن - ليهابه الأعداء والظالمون، وليقدر على دفعهم، والقضاء عليهم نظرة ومقدرة، وليكون هو القدوة وفي الصف القدامي عند النضال.

فالحكم الإسلامي السامي، لا تعبّر عنه آيةٌ صيغة، صاغتها الحكومات البشرية لأنفسها من: شيوعية، وديمقراطية، واستبدادية، وجمهورية، وملكية.

وقد يمدح بعضُ الجهالِ الحكمَ الإسلامي، بأنه ديمقراطي، زعم أنه حكم الشعب على الشعب، وهو عدل، وليس الإسلام إلا حكم الله تعالى على عباده.

وإن شئت تعبيراً جديداً جديراً، فقل «الإسلامي الديمقراطي»؛ إذ لا بُدَّ أن تكون الحكومة على ضوء الإسلام، وتقبّل المسلمين بصورة صالحة، مصلحةً للأمرء والشعوب.



## المرجعية الدينية والسياسية

كما إن شأن الهداية في الهداة ينقسم إلى خاصة، يختصهم الله ويحببهم بالوحي والرسالة والنبوة أو الامامة، أو النبي والإمام يصطفيان للإمرة والقضاء في من يرضونه لذلك، وإلى عامة، كمرجعية الفيتا والقضاء وما إليهما من الشؤون العامة الدينية زمن الغيبة الكبرى؛ فذلك الملك والسلطان، فمن خاصة بنص الوحي، كمن ذكرناهم من الأنبياء وغيرهم، وعامة لها شروط مفروضة مبينة كمثال الهداية العامة.

فكما إن النصوص الدينية تقرر وتبين للأمة الإسلامية شروط المرجعية للفتيا والقضاء، والإمامة، وما إليهما في مثل ما يلي: «فأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لامر مولاه، فللعوام أن يُقلدوه»<sup>١</sup> فلا تجوز المرجعية الدينية إلا لمن فيه شروط الفقاها بصميم معناها عن بصيرة واجتهاد؛ ومن كان حافظاً لدينه، بنفسه ونفيسه، يضحّي في سبيل تحقيقه وتركيزه فيه وفي الأمة، ويطيع أمر ربّه، مهما بلغ به المقام وأينما ذهب به الأيام؛ فلا يحق الحكم والفتوى، إلا لمن يمثل رسول رب العالمين، وأئمة الدين في جناحي العلم والتقى؛ فهم كما يقول الحجة القائم المهدي عليه آلاف التحية والسلام: «... فإنهم حجتي عليكم كما أنا حجة الله» ويقال فيهم: «الرادّ عليهم كالراد على الله»؛ لكنه يجب ان يكون الأعلم الأتقى على ضوء القرآن، كشخص خاص أو شورى من الرعيل الأعلى، كما تنص على ذلك آية الزمر:

﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر، ١٧ - ١٨]

١. من الناحية المقدسة.



كما فصلنا البحث عنها في محالها<sup>١</sup>.

ومهما يكن من أمر، فهم يمثلون الرسول ﷺ في هدايته، كما أنه ممثل الرب فيها... كذلك، هنالك النصوص متوفرة على شروط الملك والسلطان في نظر الدين والنقطة الأساسية فيها، تمثيل سلطان الله في خلقه سياسة وتدييرا، وعدلاً في الشعوب بصميم معناها؛ ومن ذلك قولهم ﷺ: «السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم».

أجل، إنّه ظل مُلك الحق وسلطانه، كما أن القادة الروحيين هم أظلال هدايته إلى دينه، ومما لا يريبه شك، أن هذا الكلام ليس إخبارا عن كل سلطان وإن كان يمثل الشيطان في بغيه وجوره، كمثل فرعون، ونمرود، ومعاوية، ويزيد، وأضرابهم من الملوك الظالمين، مردة الشياطين؛ فهل إن هؤلاء أظلة الحق، يأوي إليهم كل مظلوم؟! كلا! وإنما هم أدلة على الحق، يأوي إليهم كل ظالم!

وإنما ذلك إنشاء وحكم على الملوك؛ لكي يكونوا عدولاً في الناس، يمثلون الرب سبحانه وتعالى في العدل والنصفة، ويستظل في ظل عنايتهم الرعية، ولا يريدون من الملك إلا القضاء على الظالمين، ونصرة المظلومين، وتطبيق أحكام الدين، وإنما يمثل ذلك العدالة في الملك بصميم معناها مثل الإمام أمير المؤمنين ﷺ بعد الرسول الأعظم ﷺ.

فقد كانت حياته سلسلة معارك في سبيل إنجاء المظلومين والمستضعفين، وانتصارا دائما للشعب، دون من يريدونه من السادة الطغاة، ورثة الأمجاد الجاهلية، وثورة هدامة على الظالمين المستبدين، مردة الشياطين.

إنّ علياً شرف الملك، والسلطان، الذي لولاه لكان جديرا بالملوك والقادة ألا يرفعوا رؤوسهم حياءً من افتعالاتهم الغاشمة! إن صوت الإمام ﷺ في معركة العدالة الاجتماعية الحققة مدوي مع الأبد، شديد، لا

١. في كتب تبصرة الفقهاء وتفسير «الفرقان» ورسالتنا العملية.

هوادة فيه ولا لين. إن تلك الحقبة في تأريخ البشر، التي كان الإمام فيها القائد الأعظم، لم يُرَ ولم يُسمع ولن يسمع بمثلها في القرون والأجيال الخالية والتالية، إلا في دولة المهدي القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً - في الآتي - والدولة المحمدية سابقاً.

فإذا قيل للإمام: نحن أعزة قوم... يجيبهم قائلاً: «الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ذليل حتى أخذ الحق منه»!!

أجل، انه المَلِكُ الحق العدل، الذي يأوي إليه كل مظلوم ذليل، وهو يقضي على الهوسات الجهنمية للحاكمين المتأمرين، للمرتشين في الحكم، فيلقي نظرتة العادلة العامة بثورة الحياة عليهم، وعلى لحاهم الطويلة التي تحرك في أطرافها ذنب الشيطان، ويرميهم بقسيّ الصواعق القاضية، ترعب الغاصبين في قسماً وجهه، وتصرعهم إلى الأرض صرعا عنيفاً.

فما أقدس سوط الإمام، يرفعه على الظلم وأهله! ثم ما أعطف أيادي رحمته يضعه على رؤوس المظلومين بكل حنان ورفقة!  
فالظلم بشتى ألوانه في مذهب عليّ كُفِرَ، وهو لا يرى قيمة للحكم إلا أن يقيم به حقاً أو يبطل باطلاً.

أجل، ليست الولاية في نظر الإمام باباً يلججه الوالي إلى خيراته شخصياً، ينال منها ما يهواه، ويتأمر فيها بأهوائه الجهنمية الغاشمة؛ ولا يكون فرض طاعته على الشعب، لأنه الوالي.

كلا! وإنما الولاية باب يلججه الوالي إلى إنصاف الناس، وإقامة الحق، مهما كانت أعوانه ضعفاء، ولل قضاء على الباطل مهما كانت أنصاره أقوياء.

وليس فرض طاعة الوالي في نظر الإمام إلا لغرض طاعة الحق، وإلا، فالمفروض على الشعب، الثورة الهدامة على عرش الحكم، إذا كان باطلاً وعلى خلاف الحق.

أجل، ليست الولاية لا بالصحابة، ولا بالقرابة، ولا بالمال، ولا بالقدرة، وليست حسبا، تشيّد عليه الأمجاد، ولا شرفا قديما، تُبني لها العروش، ويتوسل بها إلى استعباد الناس، ولا قهرا، تخضع لها الجماعات للسيف والنار والترهيب والترغيب، ولا إرثا، يتوارثها كل خلف عن سلفه كالأموال، ولا بعدا عن الناس وانصرافا عن الشعب، وملاءً من الكبرياء والزور، واحتجابا عن النظر في الأحوال العامة وحاجات الأفراد والجماعات، وبالأخير طاغوتا، يُعبد وهو في مكانه وعلى مكانته!!

وإنما هي تمثيل الحق والعدل بصميم معناهما في الشعوب ليس إلّا، وقد ينحصر اصطفاؤها بالانتصاب الخاص، كمن ذكرناهم من الأنبياء والسلطين، أو العام كمن ينطبق عليهم النصوص العامة الدينيه في شرائط الولاية كما يلي:

١ - «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم».

٢ - «الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك».

٣ - «مجاري الأمور بيد العلماء بالله»<sup>١</sup>.

فلا حكم ولا سلطان إلّا للعلم والعدل، دونما انحراف عن الحق قيد شعرة.

### السلطات الباطلة الغاصبة :

فالسلطات الباطلة، كيفما كانت أسباب تكوّنها، من وراثة، واستبداد، واستغلال، وثورة، ومن جمهورية، تنتخبها أكثرية الآراء، كل ذلك: من مشروطة واستبدادية، إذا لم يكن فيها تمثيل الحق والعدل، فهي بأجمعها ظلم وزور وباطل، لا يمضيها الدين وزعماءه الروحيون.

فلا يريد الدين حكماً، إلّا لمن حكّمه بالنص الخاص قائدا دينيا، أو ملكا كمثل داود وطالوت، وكمثل الرسول الأعظم ﷺ وممثله الوحيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أو

١. كما يروي عن المعصومين عليه السلام.

من تنطبق عليه النصوص العامة أصالة، كالعلماء الربانيين الأقوياء، ذوي البصائر في تدبير الشعوب، أو وكالة عنهم تمثيلاً لأنظارهم القادسة الدينية، كالملوك العدول، أتباع العلماء، كما يقول الإمام عليه السلام: «والعلماء حكام على الملوك»!

وأما الظلمة الغاشمون المستبدون المسيطرون على الشعوب، بقوة المكر والخديعة، والسيف، والمال، والترهيب والترغيب، الذين لا يستهدفون من الملك إلا استعباد الشعوب في سبيل هوساتهم الجهنمية، فيأكلون أموالهم، ويستبيحون نفوسهم ونفائسهم وأعراضهم، ولا يدينون دين الحق، بل يستعبدونهم استعبادا للحق عنهم ما استطاعوا إلى سبيلاً، فأولئك الفسقة اللئام، أظلة الشياطين، الذين لا يريدون من التأمر على الشعوب إلا تدمرهم، ولا يأوي إليهم إلا كل غادر وشيطان مريد، وإلا، كل ظالم مكار جبار عنيد، أو مداهن مهين، يقنطرونهم لتركيز قواعد عروشهم على سيول دماء الأبرياء العزل المظلومين. الذين لا يغمهم ويهزهم تحطم البلاد بمن عليها، وتدمر الرعية بما لها، إذا أمنوا على عرش الحكم دون زلزال واضطراب؛ فما أولئك من ولد آدم! فكيف يحق لهم الملك وتمثيل الرب المتعال في تدبير أمر الشعوب؟!

فلا ملوكية، ولا جمهورية، ولا أي من ذلك: مشروطة، ولا استبدادية، ولا... ولا... إلا ملك، أو رئيس جمهورية أو أي قائد يمثل الزعماء الروحانيين الربانيين في ملكه ويطبق احكام الدين، ويكون ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم، وبأحرى أن يكون القائد السياسي الزمني هو القائد الديني.



## ويلات شورى السقيفة

### شرائط القيادة والحكومة:

حينذاك نرجع إلى التآمر الصادر عن شورى السقيفة، حيث فصلت بين الديانة والسياسة، وغصبت الخلافة من وليد الرسول وأخيه ووزيره ونفسه المقدسة وخليفته.

والإمام عليه السلام لا يسكت عن بيان الحق حينما يُغصب حقه؛ فقد بيّن شرائط الخلافة ويصرح بأنه أحق الناس به نسا وصلاحيّة. فمما يذكر من شرائطها قوله عليه السلام: «أيها الناس! إن أحق الناس بهذا الأمر، أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه». وهذا اقتباس له عليه السلام من قوله تعالى: ﴿... وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾ [البقرة، ٢٤٧]

ثم يستنتج من هذين الشرطين قوله عليه السلام: «فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبي قوتل».

يعني بذلك: إن هيّج الفساد في الشعب شاغب، ألجأه على الرضا بالحق وإلّا قتله، كل ذلك بالقوة والعلم.

ثم يفنّد الآراء، مهما كانت كثيرة أو إجماعاً، في تعيين القيادة العظمي والحكم قائلاً: «ولعمري، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثمّ ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار»<sup>١</sup>.

هذه برهنته عليه السلام البيّنة على تزييف ولاية الأمر بالشورى كيفما كانت حيث:

١- ليس للآراء - وإن لم يشذ عنها واحد - سبيل في اختلاق الخلافة الدينية والحكم؛ لأنه حق الله ليس إلّا.

١. نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٤؛ محمد عبده.

٢- ولأنه لا يحضرها عامة الناس الذين لهم حق الشورى في مقدراتهم الجماعية، ولا يمكن حضورهم إطلاقاً.

٣- ولو حضرها كل من قدر من أرجاء الملك، فما إلى قبول آرائهم من سبيل؛ حيث إن أهلها يحكمون على من غاب عنها من الغائبين، وممن لم يولد أو ليس له رأي، لصغر أو خفة عقل ودراية، ثم ليس لمن شهد الشورى أن يرجع عما رآه حينها، مهما بلغ أمر الحكم من البغي والفساد لمن أمرته الشورى، وليس لمن غاب أن يرى رأيه بعد ذلك.

فالشورى بهذه الضغينة والاستبداد، كيف يحق لها الحكم، إلا جوراً وبغياً؟

... أجل، إن صميم نظرية الإمام الصائبة الثابتة في الشورى، أنها لا تأتي بالحق كيفما كانت، حيث إن الملك والسلطان كمثل النبوة والإمامة من المناصب الخاصة بالمصادر الدينية، لا خيرة فيه للشعوب، كما لا خيرة لهم في انتصاب النبي والإمام.

كيف وقد صادفت خيرة موسى الرسول المعصوم ﷺ، لحضور ميقات الرب، من سألوا الرؤية، من السبعين الذين أخذتهم الرجفة والصاعقة؛ فما بعد خيرة الأمة، إذا كانت خيرة موسى الرسول كهذه،<sup>١</sup> ثم ما بعدها إذا انحصرت في شذاذ من الأمة، كمن حضر الشورى!

أجل، ليس للشعوب في شيء من القيادتين الدينية والسياسية خيرة، إلا ما يختاره الله، فكيف بخلافة الرسول ﷺ التي تمثل كلتا القيادتين، كما كان الرسول ﷺ طيلة حياته المنيرة، حيث كان هو القائد السياسي في حين أنه الرسول الإلهي والقائد الأول الديني.



١. وهي كانت خيرة موسوية منفصلة عن وحي رباني، امتحانا له دون امتهان، ولكي يعرف أن من دون عصمة الوحي خاطئ مهما كان قاصراً. فضلاً عن شورى كشورى السقيفة!

## من هو الوالي؟

ليس الوالي طاغوتا يعبد؛

فله الحكم والتأمر كيفما كان! وعلى الرعية السمع والطاعة إطلاقاً؛

فلا فخر ولا استبداد ولا كبرياء ولا رعونة ولا منة ولا عنفة ولا أنفة...!

وإنما الولاية: حنان ورحمة للحق والعدل وتمثيل للحق...!

ومن مقالات الإمام عليه السلام في تسويته بين الوالي والمولى عليه في الحق دون تفاوت - ما يلي: «قد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم، (أن أمرني وولاني عليكم) ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم» ثم يعلل تلك المماثلة العادلة بقوله: «فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه، لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه؛ لقدرته على عباده، ولعدله في كلما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب، تفضلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله».

يخص الإمام عليه السلام الاستبداد بالحق، بالله سبحانه وتعالى، معللاً ذلك أنه عدل لا يجور ولا يخطئ في قضائه، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؛ فهو المطاع إطلاقاً، لا يطيع أحداً من خلقه، وليس لأحد من عباده عليه حق، إلا ما جعله جزاءً لما عملوا من الطاعات، فضلاً منه وحناناً ورحمةً، ولو لم يفعل لم يكن عليه سؤال، لحقّ الربوبية التي ليس معها حق لعباده عليه.

فيؤسأً وبعداً للملوك الطواغيت المستبدين بأرائهم الخاطئة الجائرة؛ حيث لا يرون لأحد عليهم حقاً ولا سؤالاً، ولا يرون لطاعة الشعوب لديهم جزاءً ولا شكوراً، وإنما

يرون الحق لأنفسهم إطلاقاً، وليشكرهم من يأتهم بأوامرهم، أنهم رأوه لذلك أهلاً،  
دونما جزاء.

إن الإمام عليه السلام يكسر هذه الطواغيت ويركز أساس الحكم على أصل العبودية والعدل،  
ويبرهن: أن الحكم ليس غاية في نفسه، وإنما هو ذريعة له قيمته، ما دامت غايته نبيلة؛  
فإذا أتخذت غاية، فقد تدنى إلى درك الجريمة، وطلبه في عداد المجرمين.

### الحقوق المتبادلة بين الولاة والشعوب:

يذكر الإمام عليه السلام بعد تلحم القاعده الكلية في تساوي الحقوق، طرفاً من الحقوق المتبادلة  
قائلاً: «وأعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية، وحق  
الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل؛ فجعلها نظاماً لألفتهم  
وعزاً لدينهم؛ فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة  
الرعية؛ فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم،  
وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذيالها السنن؛ فصلح بذلك  
الزمان، وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت  
معالم الجور وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت  
الأحكام».

ثم الإمام بعد بيان ما يصلح به الرعية والرعاة تحت ظل رعاية الحقوق المتبادلة، وما  
يفسدهما جميعاً على ذل التخلف من الحقوق، يختم كلامه على ما بدأ من كسر  
الطواغيت قائلاً: «وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس، أن يُظن بهم حب  
الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جالٍ في ظنكم أنني أحب الإطراء  
واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك. ولو كنت أحب أن يقال ذلك، لتركته انحطاطاً  
لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلَى الناس الثناء



بعد البلاء، فلا تنوا علي بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى الله وإيكم من النقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إضاهاها؛ فلا تكلموني بما تكلم به الجابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه؛ فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل؛ فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني. فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب، لارب غيره، يملك منا ما نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا له، فأبدلنا الله بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى».

إن الإمام عليه السلام في تلك الكلمات المنيرة يخلص الملك والحكم الحق عن شتات ألوان الزور والغرور، فيخلع لباس الكبرياء والخيلاء وحب الفخر والإطراء واستماع الثناء، عن الولاية، تخصيصاً للكبرياء بمن هي رداؤه دون غيره، وهو الله تعالى شأنه وعز سلطانه، وتجويزاً للقصور عن أداء الحقوق المفروضة على الملوك حتى جاوزه إلى نفسه المقدسة قائلاً:

«فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي»!

يقول ذلك تخضُّعاً وتذلاً لربه تعالى وتقدس، كمن تقدمه من المعصومين عليهم السلام كقول يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف، ٥٣]

ثم يستدرك ذلك بتدارك نعمة وسداد من ربه، يخلصه عن الخطأ ويعصمه قائلاً: «إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني»، كما استدرك يوسف الصديق غلبة النفس بقوله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ وبعد أن يضع الإمام عليه السلام نفسه موضع العبودية بصميمها، لا يكتفي بذلك، ليظن أنه يراني ويماري به السذج البسطاء، بل يؤكد ناهياً أن يخاطبوه خطابهم للجبابرة المتكبرين، أو يخالطوه بالمصانعة حيث لا

يلتمس لنفسه إعظاماً. ومن ذلك يعلم أن السلطان والمَلِك الحق إنما يحق للمخلصين من عباد الله الصالحين من الأنبياء وخلفائهم ومن الصديقين والعلماء الربانيين، دونما انفكاك بين القيادة الدينية والسياسية، إلا أن يجهل القائد الديني مداخل السياسة ومخارجها، ولا يقوى على تدبير أمور الشعوب كما يحق، فيكل أمر سياسة المُلِك إلى من فيه الصلاحية التامة، على شريطة اتباع الدين دون تخلف عنه قيد شعرة.

فلكل من القيادتين شروط على شاكتهما، وهي مجتمعة في الأنبياء وخلفائهم المعصومين المنصوصين، ولكنها قلّما تجتمع كما يحق في القيادة الروحيين والسياسيين.

فعلى قادة الدين أن ينتخبوا من بينهم من يصلح للملك جامعاً لشرائط القيادتين جمعاء، كما يفعلون في مرجعية الفتيا، أو يجعلوا أمرهم شورى بينهم؛ فيكلوا السياسة إلى من يصلح لها من غيرهم، تطبيقاً للأنظمة الدينية على الشعوب بقوة السلطان والتدبير، عملاً بهذه المقالة الدينية: «العلماء حكام على الملوك والملوك حكام على الناس».

وقد تخلتف هذه الشورى في انتخاب الملوك، عن الشورى العامة بين الشعوب، لاختلاف الأساس فيهما؛ حيث النقطة الرئيسية في الشورى الروحية والحاكم عليها إنما هو الدين وممثلوه دون غيرها.

وقد يأتي القول الفصل في نظام الحكم والملك في نظر الإسلام عند البحث عن الدولة العلوية وأنظمتها التي نظمها الإمام عليه السلام إنشاء الله تعالى.

### الشورى وحدودها في نظر الإسلام:

آيتان في القرآن تمدح إحداهما المؤمنين أن ﴿أمرهم شورى بينهم﴾ وتأمّر ثانيتهما الرسول أن يشاور أمته في الأمر، يتمسك بهما إخواننا في تبرير موقف شورى السقيفة. فلندرسهما لكي نرى مدى دلالتهما في الشورى الإسلامية.

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهْمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران، ١٥٩]، ﴿... وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى، ٣٦ - ٣٨].

وليست ﴿شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في الأمور الرسالية؛ إذ كانت كلها بالوحي. إنما هي للرسول ﷺ حرمةً للمسلمين.

### الشورى لغويًا:

قال في المفردات: الشورى: الأمر الذي يُتَشَاوَرُ فيه، والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شُرت العسل، إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه.

وموارد الشورى لا تخلوا عن الاحتمالات الآتية:

١- الأمور الضرورية التي يعرفها كل الناس.

٢- الأحكام الشرعية.

٣- كيفية تطبيق الأحكام الشرعية.

فالأولى ليست بحاجة إلى الشورى، والثانية تختص بالله تعالى، لا يشاركه فيه أحدٌ ولا أنبياءه؛ فإنهم ليسوا إلا سفراءه تعالى ليلغوهم الأحكام. تبقى كيفية التطبيق، سواء من حيث الموارد الجزئية أم العامة، والثانية إنما هي على عاتق الحكومة الإسلامية - والأولى على فقهاء الأمة؛ فإنهم يشاورون في كيفية تطبيق الأحكام، كما يتشاورون في استنباطها عن أدلتها الشرعية.

ولقد أمر الله تعالى المؤمنين بأمر، منها: أن ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، ولا ريب أنها هي الأمور المجهولة لديهم، لا الواضحة، ولا الأحكام الإلهية البينة؛ فإنما هي أحكام عُرفية، وطرق تطبيقها ما لم تذكر في كتاب ولا سنة، تختلف حسب اختلاف الزمن والظروف والملابسات، أللهم إلا في أحكام تخلف فيها نظرات غير المعصومين في الفتيا. وكما أن الرسالة ليست منصبا انتصايا بشريا بشور أم سواه، كذلك شؤون الرسالة من الخلافة الإسلامية والأحكام والقوانين الإلهية؛ فإن الخلافة الإسلامية – ولا سيما منذ ارتحال الرسول الأعظم ﷺ – إنما هي استمرارية للرسالة دون تفاوت إلا في الوحي وليست منصبا حكوميا فحسب. إنما خلافة رسالية لها ما للرسالة من المنصب الروحي والحكومي، أللهم إلا الوحي الرسالي في شريعة الإسلام؛ لأنها خاتمة الشرائع. والخلافة فيمن قبل الرسالة الإسلامية تعني كل ما للرسول وحتى الوحي، مهما اختلفت مراتبة من حيث الأصالة والفرعية، ومن حيث مدارجه وما يحويه.

كل ذلك يثبت أن الخلافة الإسلامية ليست بالتالي تنتصبها الشوروات الإسلامية – إضافة إلى نصوص جلية من الكتاب والسنة القاطعة – توضح لنا: أن الرسول أمر بتعيين الخليفة بعده، وعينه وسماه في مواقف هامة على رؤوس الاشهاد. فمن الآيات: آية الولاية<sup>١</sup>، والتبليغ<sup>٢</sup>، والنصب<sup>٣</sup>، والهداية<sup>٤</sup>، والوزارة<sup>٥</sup>، وآية الوراثة<sup>٦</sup>، وأمثالها.

١. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة، ٥٥].
٢. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، ٦٧].
٣. ﴿فَإِذَا قَرَعْتَ قَائِمًا فَانصَبْ \* وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْعَبْ﴾ [الشرح، ٧ - ٨].
٤. ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس، ٣٥].
٥. آية الوزارة وروايتها تنتجان اختصاص الوزارة المحمدية بعلي ﷺ فأيتها: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي﴾ [طه، ٢٥ - ٣٠].
٦. وروايتها: «يا علي! أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» وقد فصلنا القول فيها في طيات الكتاب.
٦. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر، ٣٢].

ومن الأحاديث متواترات بين الفريقين: كحديث الغدير، والثقلين، والباب، والوزارة. ونظراً إلى هذه التصريحات، لو كانت الخلافة الإسلامية مما يجوز الشورى فيها، كانت الشورى خاطئة؛ لأنها تناقض الأدلة القاطعة. فكيف والخلافة لا تثبت بالشورى وكما قال عليٌّ عليه السلام: «ولعمري، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك من سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا لغائب أن يختار»<sup>١</sup>.

ثم الشورى للخلافة الإسلامية - بعد دور المعصومين منهم - هذه الشورى من أهم ما يحق للمؤمنين أن يتصدوا لها، حفاظاً على ما توفرت في الخلفاء المعصومين، في غير المعصومين - ما أمكن - ولا تحقق هكذا شورى إلا للرعيل الأعلى من فقهاء الأمة وساستهم، العارفين بالكتاب والسنة، وبالسياسات والمتطلبات والمصالح الجماعية الوقتية الإسلامية؛ ولكي تكون دولة الإسلام عادلة صالحة، تطبق فيها الأحكام الإسلامية تماماً. ... هذا أملنا؛ فعلينا العمل. ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ \* وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿ [النجم، ٣٩-٤٠].

فسوف نرى على ضوء الحكم الإسلامي عزنا وسيادتنا العالمية. فالإسلامي موحد، يقضي على مختلف الأحكام المتضادة بين الدول الإسلامية.

### ضرورة الوحدة الإسلامية

إن الاستعمار - منذ البدء - قد جزأ وطننا الإسلامي الكبير، وحوّل المسلمين إلى شعوب متفرقة، وعند انبثاق الوحدة في الدولة العثمانية كدوله موحدة، سعى المستعمرون في تفتيتها، فلقد تحالف الانگلترا والسوفيات وحلفاؤهما، وحاربوا العثمانيين، ثم تقاسموا

١. ر: نفس المصدر السابق.

الغنائم، ورغم أن الدولة العثمانية كانت تنقصها الكفاءة والجدارة مذهبياً وشكلياً، لكنها كانت خطوة بدائية للوحدة الإسلامية، ولئلا يتسلم الحكم بعض ذوي الصلاح والحنكة من المسلمين، لذلك خاف المستعمرون هذه الخليفة الخطرة عندهم، فما لبثت الحرب العالمية الأولى أن انتهت، حتى قسموا البلاد إلى دويلات صغيرة، وجعلوا على كل دويلة عميلاً لهم. ومع ذلك، فقد خرج قسم من هذه الدويلات عن قبضة الإستعمار.

نحن لا نملك آية وسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية وإسقاط الحكومات العميلة إلا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية، وتحطيم رؤوس الخيانة، وتدمير الأوثان والطواغيت البشرية، آلهة الأرض التي تعيث الفساد في الأرض، وتهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.

## مقالات الإمام:

### حول الشورى وافتعالاتها ورجالاتها،

### وحول كيان خلفائها الثلاثة ومواقفهم من الكتاب والسنة.

### في خطبته المسماة بالشقشقية،<sup>١</sup> «إنها شقشقة هدرت ثم قرت»:

١. يروى هذه الخطبة ثمان وعشرون من الأعلام والحفاظ، وهم حسب ما جمعهم العلامة الحجة المغفور له الاميني في الغدير، ج ٧، ص ٧٢ - ٨٥؛ كمن يلي: الحافظ يحيى بن عبد الحميد المتوفى ٢٢٨ - أبو جعفر دعبل الخزامي ٢٤٦ أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي ٢٧٤ - أبو علي الجبائي ٣٠٣ - أبو الحسن علي بن الفرات ٣١٢ - أبو القاسم البلخي ٣١٧ - أبو أحمد عبدالعزيز الجلودي البصري ٣٣٢ - أبو جعفر بن قبة - الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠ - أبو جعفر بابويه القمي - أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري ٣٨٢ - عبدالله المفيد ٤١٢ القاضي عبد الجبار المعتزلي - الحافظ أبو بكر بن مردويه ٤١٦ - الوزير أبو سعيد الآبي ٤٢٢ - الشريف المرتضى ٤٣٦ - الشيخ الطوسي ٤٦٠ - أبو الفضل الميداني ٥١٨ - أبو محمد عبدالله بن أحمد البغدادي ٥٦٧ - أبو الحسن قطب الدين الراوندي ٥٧٣ - أبو منصور الطبرسي ٥٨٨ - أبو الخير مصدق بن شبيب الصلحي النحوي ٦٠٥ - مجد الدين أبو السعادات ٦٠٦ - أبو المظفر سبط ابن الجوزي ٦٥٤ - عز الدين بن أبي الحديد ٦٥٥ - كمال الدين بن ميثم البحراني ٦٧٩ - أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي ٧١١ - مجد الدين الفيروز آبادي ٨١٦.

وإنما سميت بالشقشقية؛ حيث قام إليه رجل ضمن خطبته، إذ وصل إلى قوله: «ولأفئتم دنياكم أزهدي من عطفة عز!» فناولها كتاباً فأقبل ﷺ ينظر فيه. قال له ابن عباس رضي الله عنه: «يا أمير المؤمنين! لو إطردت خطبتك من حيث أفضيت!» فقال: «هيهات يا بن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرت».

«أما والله، لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها، محلُّ القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير؛ فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقتُ أرتأي بين أن أصول بيد جداء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن، حتى يلقي ربه؛ فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى؛ فصبرت، وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا؛ حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده (ثم تمثل بقول الأعشى: شتان ما يومي على كورها - ويوم حيان أخي جابر) فيا عجباً بينا هو يستقلها في حياته؛ إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها...!»

### حول الشقشقية

«أما والله، لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي...»

أجل، إن رحي دوّار الأمة الإسلامية، لا يدور دورا صالحا مفلحا، إلا على قطب يركزه الوحي فيهم، وهو من خلفه الرسول الأعظم ﷺ بوحى من ربه.

فخريج السقيفة إنما هو خليفة السقيفة، لا خليفة الرسول ﷺ، حيث لم يخلفه، كما أجمع عليه إخواننا،<sup>١</sup> ومن ذكرياته ما كتبه أبو قحافة إلى ابنه أبي بكر جوابا عن كتابه إليه.

حيث إن خليفة السقيفة بعدها تقمص قميص الخلافة، أخذ يكتب إلى أرجاء العالم الإسلامي، يدعو المسلمين إلى بيعته! وكتب - فيما كتب - إلى أبيه - وقد كان بالطائف حينذاك - ما يلي:

١. حيث أطبقوا على ان الرسول لم يخلف لا أبابكر ولا عمر!

«من خليفة رسول الله، إلى أبيه أبي قحافة: أما بعد فإن الناس تراضوا بي؛  
فإني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أحسن بك».

فلما قرأ أبو قحافة الكتاب، قال للرسول: «ما منعكم من علي عليه السلام؟» قال  
الرسول: «هو حدث السن، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبوبكر أسن  
منه!» قال أبو قحافة: «إن كان الأمر في ذلك بالسن، فأنا أحق من أبي بكر!  
لقد ظلموا علياً حقه، وقد بايع له النبي صلى الله عليه وآله، وأمرنا ببيعته». ثم كتب إليه:  
«من أبي قحافة إلى أبي بكر، أما بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق  
ينقض بعضه بعضاً، مرة تقول: خليفة رسول الله! ومرة تقول: خليفة الله!  
تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس فلا تدخلن في أمر يصعب عليك  
الخروج منه غداً، ويكون عقابك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوامة  
لدى الحساب يوم القيامة؛ فإن للأمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو  
أولى بها منك؛ فراقب الله كأنك تراه، ولا تدعن صاحبها، فإن تركها اليوم  
أخف عليك وأسلم لك»<sup>١</sup>.

أجل، إنه كما لا حراك للرحى دون قطب، تدور عليه، كذلك لا حراك مستقيماً  
نحو الفلاح، لأمة تخلف رهاها عن القطب كما قال عليه السلام في خطبة أخرى: «وإنما أنا  
قطب الرحى، تدور علي وأنا بمكاني؛ فإذا فارقت استحار واضطرب ثقلها»<sup>٢</sup>.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى وجهه، يُقدمه على غيره في إدارة رهاها، بقوله: «ينحدر  
عني السيل، ولا يرقى إلي الطير». ينحدر عني سيل العلم والحكمة والتدبير، إلى  
غدران الأمة الإسلامية وحياضها، بما علمني رسول الله وجعلني باب علمه وحكمته،  
ولا يرقى إلي ولا يصل من على رأسي، أي طائر من طائرات الفضيلة، وأنا الطائر  
القدسي إلى سماوات العلم والفضائل جمعاء.

١. شرح النهج للخوئي، ج ٢، ص ٣٩؛ نقلاً عن احتجاج الطبرسي.

٢. نهج البلاغة، ٢-١٨.



ويا عجباً! بينا ابن أبي قحافة يعلم محل الإمام من الأمة ومكانته من الرسول الأعظم ﷺ، كيف تقمصها، بالرغم مما يعلم؟! أفعلى عمد يغصب الحق عن أهله ويقوم مقاماً ليس له؟!

### خليفة السقيفة يصف الإمام ﷺ

قال نفر من المنافقين بعد رزية الشورى، كأنهم يستهزئون ويوبخون الإمام ﷺ: «أنَّ أبابكر تقدم علياً وهو يقول: أنا أولى بالمكان منه!» عند ذلك يقوم أبوبكر خطيباً، كما يُروى،<sup>١</sup> قائلاً: «صبرا على من ليس يؤول إلى دين، ولا يحتجب برعاية، ولا يرعوى لولاية، أظهر الإيمان ذلة وأسر النفاق غلة، هؤلاء عصابة الشيطان وجمع الطغيان، يزعمون أنني أقول: أنني أفضل من علي، وكيف أقول ذلك؟! وما لي سابقته، ولا قرابته، ولا خصوصيته، وحدَّ الله وأنا ملحدته، وعبدالله قبل أن أعبدته، ووالى الرسول ﷺ وأنا عدوه، وسابقني بساعات لم الحق شأوه،<sup>٢</sup> ولم أقطع غباره. إنَّ ابن أبي طالب فاز والله، من الله بمحبة، ومن الرسول بقربة، ومن الإيمان برتبة، لو جهد الاولون والآخرون - إلا النبيون - لم يبلغوا درجته، ولم يسلكوا منهجه» - إلى ان قال بعد بيان قسم من فضائله -: «فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً، لا يدخر منها مثقال ذرة إلا انفقه في بابه. فمن ذا يأمل أن ينال درجته، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً وللنبي ﷺ وصياً، وللخلافة راعياً، وبالإمامة قائماً، أفيغتر الجاهل بمقام قمته، إذا أقامني، وأطعته إذا أمرني؟»

ثم ارسل الكلام إلى بيان مكانته الخاصة من الرسول ﷺ إلى أن قال: «ود الممتنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب، أليس هو صاحب لواء الحمد، والساقي يوم الورود، وجامع كل كريم، وعالم كل علم، والوسيلة إلى الله ورسوله؟!»

١. شرح النهج للخوئي ٣-٤١ نقلاً عن احتجاج الطبرسي عن عامر الشعبي عن عروة ابن الزبير عن الزبير بن العوام.

٢. أي: غايته وأمدّه.

أجل، إن أبابكر يعلم مكانة الإمام وعلمه وفضله وسبقه، لا هو فحسب، بل والمسلمون يعلمون ذلك دونما نكير.

... ثم الإمام لما يرى حقه مغضوباً، يصبر على ذلك وفي عينيه قذاه وفي حلقه شجاء، استبقاءً للوحدة بين الأمة، وحفظاً للعقيدة الحديثة بينهم من الإسلام، وخوفاً أن يرجعوا إلى الجاهلية الأولى، وتثبيتاً منه عدم تهالكه في الجلوس على عرش الحكم،<sup>١</sup> قائلاً: «فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيدٍ جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه؛ فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى؛ فصبرت، وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا!»!

يقول عليه السلام: فأرخيت ثوب الخلافة دون غضبها، وأرسلتها حيث أرسلت، وأعرضت عنها مهاجراً، وأخذت أتخذ الرأي الأصلاح في هذه الهامة، مفكراً في ذلك: هل أصول وأقوم لارتجاع حقي بيد قصيرة مكسورة، لا تمد إلى ما يراد؛ حيث الأيادي حولي قعدت وشلت عن تناصري، وتقاعدت عن الأخذ بحقي، أو أن أصبر على غيم مظلم، حجب الشمس عن إضاءة جو الإسلام وأمته، وظلمة عمياء، تعمي المذاهب ولا يهتدي فيها الدليل؟ تلك الطخية العمياء التي يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير! فرأيت أن الصبر على هذه أحجى وأوفق عقلاً وصلاً حينذاك؛ فصبرت بالرغم مني وفي العين قذى وفي الحلق شجى؛ ترجيحاً لأهم المصلحتين للأمة الإسلامية، حينما أرى تراثي تنهبه السقيفة، وتذهب بها الشورى المشؤومة!

أجل، إن الإمام يزهد عن أخذ حقه، ابتغاءً لمرضاة الله، ويصبر، ما لم يكن جور إلا عليه خاصة، وما لم ينهدم أساس الدين في المسلمين، كما

١. يأتي القول الفصل في البحث عن علل قعوده عليه السلام في محله إنشاء الله تعالى.

يقول، في كلام آخر له لما عزموا على بيعة عثمان: «لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري، ووالله، لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جور إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»<sup>١</sup>.

ثم بعد اعتراضه على رأي الشورى، يعترض على رأي الأول، بينما يخطئ الشورى بجمعها في انتصابه، إذا هو يدلي بالخلافة إلى ابن الخطاب بعده، دونما نص أو شورى ثانية، قائلاً: «حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده» ثم تمثل بقول الاعشى:

«ستان ما يومي على كورها      ويوم حيان أخي جابر!»

«فيا عجباً! بينا هو يستقلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها؛ فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها؛ فصاحبها كراكب الصعبة، أن أشنق لها خرم وأن أسلس لها تقحّم. فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض؛ فصبرت على طول المدة وشدة المحنة».

يقول عليه السلام: «وصبرت على قذى العين وشجى الحلق، حتى مضى الأول لسبيله، فإذا يدلي بها إلى الثاني، يصيرها في حوزة خشناء. فما أخطأ استبداده بانتصاب الخليفة بعده، وما أشنع الحوزة التي اختلقها بهواه، لذلك فيها. عجباً! بينا هو يستقلها في حياته، كيف يعقدها لغيره بعد مماته، ولقد كان يقول: أقيلوني أقيلوني؛ فلست بخيركم، وعليّ فيكم»<sup>٢</sup>!

١. نهج البلاغة، محمد عبده، ٢-١٢٠.

٢. رواه اخواننا، دونما نكير حتى الفخر الرازي - الذي ينكر أمثال هذه حيثما يقدر - يصدّقه. وممن أخرجها منهم: الطبري في تاريخه، والبلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني في الفضائل، وأبو عبيدة في بعض مصنفاته.

## الخليفة أبو بكر ابن أبي قحافة بين الكتاب والسنة: مدى علم الخليفة بكتاب الله:

سُئِلَ الخليفة عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس، ٣١] فقال: «آية سماءٍ تظلني أو آية أرضٍ تظلني، أم أين أذهب أم كيف أصنع، إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم؟ أمّا الفاكهة، فأعرفها، وأمّا الأبّ، فالله أعلم». فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فقال: «إنّ الأبّ هو الكلاً والمرعى». <sup>١</sup> فأحسّن به خليفةً للمسلمين! ما أحوطه على كتاب الله إلا يفسره على جهل! بالرغم من أن «الأبّ»، وهو هنا للأنعام، <sup>٢</sup> تفسّره الأنعام، فضلاً عن الخليفة الخليفة!

### غائلة فدك

وقد يبقى هنا أن نتساءل الخليفة: أن كيف حرّم فاطمة الصديقة عليها السلام فدكها؟ «نحلتها أو إرثها» سناداً إلى ما يرويه هو منفرداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله «إن الانبياء لا يورثون» وهو يناقض آيات الأثر في كتاب الله! كيف لم تأخذه الحائطة على دين الله وكتابه هنا، دونما هناك في «الأبّ»؟ وقد تعذّره فتواه هذه، أنها فتوى سياسية، صدرت حفاظاً على الخلافة الإسلامية!

تضمّ بلغة الزهراء وأولادها - المادية - إلى بلغتهم الروحية، يستأثر بهما خليفة المسلمين، ولكي يجمده عن كل حراك ضد الحكم الإسلامي!

١. ذكره الزمخشري في الكشاف، ج ٣، ص ٢٥٣؛ والقرطبي في تفسيره، ج ١، ص ٢٩؛ وابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ٣٠ وابن كثير في تفسيره، ج ١، ص ٥؛ وصححه في ص ٦؛ وابن القيم، صص ١٥٨ - ١٥٩؛ الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، ص ٤٣٠؛ في حليته الأولياء، ج ٢، ص ٤٠؛ والبيهقي في أعلام الموقعين، ص ٢٩؛ وصححه والخازن في تفسيره، ج ٤، ص ٣٧٤؛ والنسفي في تفسيره هامش الرازي، ج ٨، ص ٣٨٩؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج ٦، ص ٣١٧؛ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن حجر في فتح الباري، ج ١٣، ص ٣٣٠؛ وأوعز إليه ابن جزى الكلبي في تفسيره، ج ٤، ص ١٨؛ ر: الغدير، ج ٧، ص ١٠٤.

٢. إذ قال تعالى في الآية التالية: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس، ٣٢].

ثم نرى الصديقة الزهراء عليها السلام تحتجّ على الخليفة أمام المسلمين: «...لا رغبةً في مال الدنيا، وإنما لكي يعرف المسلمون مدى رعاية الخليفة للحقوق الإلهية؛ فلا يستثقلوا أن الخليفة اغتصبها عن أهلها، إذ من لا يغض النظر عن المال، كيف يغضه عن الخلافة، والملك عقيم؟!»

### فتوي الخليفة في ميراث الأنبياء

ينفرد الخليفة في فتوى، تخالف كتاب الله وسنة رسوله وتغيض فاطمة الصديقة، التي صدقها رسول الله صلى الله عليه وآله ورفعها إلى درجته في العصمة والطهارة، ثم يسند هذه الفتوى إلى الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا نورث ما تركناه صدقةً»، وهذه الرواية على فرض صدقها، لا تدلّ على ما يعنيه الخليفة منها؛ إذ المعنى الظاهر أنّ «ما تركناه»، مفعول «لا نورث»، و«صدقة» تمييز؛ أي: إنّ متروكاتنا ليست صدقةً، تُباح لجميع المسلمين؛ بل إرث لورثتنا كسائر الناس، ولو كان المعنى ما يعنيه الخليفة، لقال: «وما تركنا»، لا «ما تركناه»، ولكن الكاذب العجول ناس!

### فاطمة الزهراء عليها السلام في لسان الرسول صلى الله عليه وآله

يعارض الخليفة فاطمة الصديقة عليها السلام وهو يعرف أنها من هي؟

هي التي قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنها:

«فاطمة بضعة مني؛ فمن أغضبها أغضبني».

«فاطمة بضعة مني؛ يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها».

«فاطمة بضعة مني؛ يؤذيني ما آذاها وينصبني ما ينصبها».

«فاطمة بضعة مني؛ يرييني ما رابها ويؤذيني ما آذاها».

«فاطمة بضعة مني؛ يسعفني ما يسعفها».

«فاطمة شحنة مني؛ يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها».

«فاطمة بضعة مني؛ فمن آذاها فقد آذاني».

«فاطمة مضغة مني؛ يسرني ما يسرها». وكما فصلنا من ذي قبل.

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمة الصحاح الستة وطائفة أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم<sup>١</sup>.

فهذه فاطمة عليها السلام على لسان الرسول ﷺ، وقد ماتت أو استشهدت، وهي وجداء على الخليفة أبي بكر، كما تواتر به النقل أيضا:

١. وإليك جملة ممن رواها: ابن أبي ملكية المتوفى ١١٧ - أبو عمر بن دينار الملكي، م ١٢٥ - الليث بن سعد المصري، م ١٧٥ - أبو محمد بن عيينة الكوفي، م ١٩٨ - أبو النضر هاشم البغدادي، م ٢٠٥ - أحمد بن يونس البربوعي، م ٢٢٧ - الحافظ أبو الوليد الطيالسي، م ٢٢٧ - أبو المعمر الهذلي، م ٣٣٦ - قتيبة بن سعيد الثقفي، م ٢٤٠ - عيسى بن حماد المصري، م ٢٤٨ - أحمد الحنبل، م ٢٤١ في مسنده، ج ٤، صص ٣٢٢، ٣٢٨ - الحافظ البخاري، م ٢٥٦ في صحيحه، ج ٥، ص ٢٧٤ - الحافظ مسلم القشيري، م ٢٦١ في صحيحه، ج ٢، ص ٢٦١ - ابن ماجه، م ٢٧٢ في سننه، ج ١، ص ٢١٦ - الحافظ أبو داود السجستاني، م ٢٧٥ في سننه، ج ١، ص ٣٢٤: الترمذي، م ٢٧٥ في جامعه ج ٢، ص ٣١٩ - النسائي، م ٣٠٣ في خصائص، ص ٣٥ - أبو الفرج الإصهاني، م ٣٠٢ في الاغانى، ج ٨، ص ١٥٦ - الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، م ٤٠٥ في المستدرک ج ٣، صص ١٥٤، ١٥٨ - ١٥٩، الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، م ٤٣٠ في حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٠، البيهقي، م ٤٥٨ في السنن الكبرى، ج ٧، ص ٣٠٧ - أبو بكر الخياط التبريزي، م ٥٠٢ في مشكاة المصابيح، ص ٥٦٠ - الحافظ أبو القاسم البغوي، م ٥١٠ في مصابيح السنة، ج ٢، ص ٢٧٨ - القاضي أبو الفضل عياض، م ٥٤٤ في الشفاء، ج ٢، ص ١٩ - اخطب الخطباء الخوارزمي، م ٥٦٨ في مقتلة ج ١، ص ٥٣ - الحافظ أبو القاسم بن عساكر، م ٥٧١ في تاريخه، ج ١، ص ٢٩٨ - أبو القاسم السهيلي، م ٥٨١ في الروض الأنف، ج ٢، ص ١٩٦ - ابن أبي الحديد، م ٥٨٦ في شرح النهج، ج ٢، ص ٤٥٨ - أبو الفرج بن الجوزي، م ٥٩٧ في الصفوة، ج ٢، ص ٥ - الحافظ أبو الحسن بن الأثير الجزري، م ٦٣٠ في أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢١ - أبو سالم بن طلحة الشافعي، م ٦٥٢ في مطالب السؤل، ج ٦، ص ٧ - سبط بن الجوزي الحنفي، م ٦٥٤ في التذكرة، ص ١٧٥ - الحافظ الكنجي الشافعي، م ٦٥٨ في الكفاية، ص ٢٢٠ - الحافظ محب الدين الطبري، م ٦٩٤ في ذخائر العقبى، ص ٣٧ - الحافظ أبي محمد الأزدي الأندلسي، م ٦٩٩ في شرح المختصر صحيح البخاري، ج ٣، ص ٩١ - الحافظ الذهبي الشافعي، م ٧٤٧ في تلخيص المستدرک - القاضي الايجي ٧٥٦ في المواقف - جمال الدين محمد الزرندي الحنفي، م ٧٥٠ في درر السمطين - أبو السعادات اليافعي، م ٧٦٨ في مرآة الجنان ج ١، ص ٦١ - الحافظ زين الدين العراقي، م ٨٠٦ في طرح التثريب ج ١، ص ١٥٠ - الحافظ نور الدين الهيثمي، م ٨٠٧ في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٣ - الحافظ بن حجر العسقلاني، م ٨٥٢ في تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٤٤١ - الحافظ جلال الدين السيوطي، م ٩١١ في الجامع الصغير والكبير - الحافظ أبو العباس القسطلاني، م ٩٢٣ في المواهب اللدنية، ج ١، ص ٢٥٧ - القاضي الديار بكري المالكي، م ٩٦٦ في الخميس ١: ٤٦٤ - ابن حجر الهيثمي، م ٩٧٤ في الصواعق المحرقة، صص ١١٢، ١١٤ - صفى الدين الخرزجي في الخلاصة، ص ٤٣٥ - زين الدين المناوي، ص ١٠٣١ في كنوز الدقائق، ص ٩٦ وعشرات أمثالهم ذكرهم في الغدير، ج ٧، صص ٢٣١ - ٢٣٥.

أخرج في الغزوات باب غزوة خيبر، ج ٦، ص ١٩٦؛ عن عائشة قالت: «إن فاطمة ...» - إلى أن قالت: «فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة من فدىك شيئاً! فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك؛ فهجرته؛ فلم تكلمه، حتى توفيت! وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر. فلما توفيت، دفنها زوجها علي ﷺ ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها»<sup>١</sup>.

وقد بلغت من جدتها أنها أوصت بأن تُدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحدٌ، ولا يصلي عليها أبوبكر؛ فدفنت ليلاً، ولم يشعر بها أبوبكر، وصلى عليها عليٌّ، وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس<sup>٢</sup>.

ومن جرّاء تلك الموجدات، منعت أن تدخلها عائشة، كريمة أبي بكر، فضلاً عن أبيها؛ فجاءت تدخل فمنعها أسماء فقالت: «لا تدخلني»، فشكت إلى أبي بكر وقالت: «هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ»، فوقف أبوبكر على الباب وقال: «يا أسماء! ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وقد صنعت لها هودج العروس؟» قالت: «هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأمرتني أن أصنع لها ذلك»<sup>٣</sup>.

ونرى الخليفة يضطر إلى الاعتذار عنها، كما فيما رواه ابن قتيبة والجاحظ، أن عمر قال لأبي بكر: «إنطلق بنا إلى فاطمة؛ فإننا قد أغضبناها»؛ فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما؛ فأتيا علياً ﷺ؛ فكلماه؛ فأدخلهما عليها؛ فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى

١. صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٢؛ مسند أحمد، ج ١، ص ٦ - ٩؛ تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٢؛ مشكل الآثار للطحاوي، ج ١، ص ٤٨؛ سنن البيهقي، ج ٦، ص ٣٠٠ - ٣٠١؛ كفاية الطالب، ص ٢٢٦؛ تاريخ ابن كثير، ج ٥، ص ٢٨٥؛ وقال في ج ٦، ص ٣٣٣؛ «لم تنزل فاطمة تبغضه مدة حياتها!» وذكره بلفظ الصحيحين الديار بكرى في تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٩٣.

٢. طبقات ابن سعد - رسائل الجاحظ، ص ٣٠٠؛ حلية الأولياء ج ٢، ص ٤٣؛ مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٦٣؛ طرح التثريب، ج ١، ص ١٥٠؛ أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٥٤؛ الإستيعاب، ج ٢، ص ٧٥١؛ مقتل الخوارزمي، ج ١، ص ٨٣؛ إرشاد الساري للقسطلاني، ج ٦، ص ٣٦٢؛ الإصابة، ج ٤، ص ٣٧٨ - ٣٨٠؛ تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣١٣.

٣. الإستيعاب، ج ٢، ص ٧٧٢؛ ذخائر العقبى، ص ٥٣؛ أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢٤؛ تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣١٣؛ كنز العمال، ج ٧، ص ١١٤؛ شرح صحيح مسلم للسنوسي، ج ٦، ص ٢٨١؛ شرح الآبي لمسلم، ج ٦، ص ٢٨٢؛ أعلام النساء، ج ٣، ص ١٢٢١.

الحائط، فسَلِّمًا عليها؛ فلم تردّ عليهما؛ فتكلم ابوبكر، فقال: «يا حبيبة رسول الله! والله، إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتي وإتاك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده! أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركناه فهو صدقة»؛<sup>١</sup> فقالت: «أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟» فقالا: «نعم!» قالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي؛ فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالوا: «نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ» قالت: «فإني أشهد الله وملائكته، أنكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكوكما إليه!» فقال ابوبكر: «أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة!» ثم انتحب ابوبكر يبكي حتى كادت نفسه تزهق. ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: «بيت كل رجل معانقاً حليلته بأهله وتركتموني وما أنا فيه! لا حاجة لي في بيتكم أقيلوني بيعتي!»<sup>٢</sup>

فلنتساءل الخليفة: لو كانت هذه الرواية، التي ترويه عن رسول الله ﷺ، حقاً، فلماذا تبكي من سخط فاطمة أن طبقت كلام النبي ﷺ عليها؟ ليس الجواب إلا أنها فتوى سياسية للخليفة برّرها بما أسند إلى الرسول زورا!<sup>٣</sup>

١. إنما لم تعارض الصديقة أبا بكر في دلالة الحديث؛ لأنها لم تصدقه في أصله؛ فأخذت في اجتهات الأصل بما احتجت بكتاب الله وروت عن رسول الله ﷺ ما يصدقها ويكذبه.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٤؛ أعلام النساء، ج ٣، ص ١٢٤.

٣. كما يقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ...﴾، [النمل، ١٦] والنبوة لا تورث، بل إنما هو المال، وكما يقول حكاية عن زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾، [مريم، ٥ - ٦] وتزيد هذه الآية دلالة على إرث المال، أنه لو كان هنا إرث النبوة فحسب، لم يقل: ﴿... وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾؛ لأن من ورث النبوة رضي لا محالة؛ إذ يرضاه الله تعالى ويصطفيه ثم يبتعثه نبيا دون العكس.



وكيف نصدق ما انفرد الخليفة بنقله مما يختص بالصديقة وهي تنكره، وهو يعارض كتاب لله؟ ولو روى معه كافة المسلمين لما كنا نصدقه! ولقد احتجت الصديقة الزهراء بكتاب الله وأفحمت الخليفة، حتى أخذت منه سند فذك، ثم الخليفة عمر مزقها في طريقها إلى بيتها؛<sup>١</sup> رعايةً للسياسة الإسلامية! فما أحوطه على الإسلام!

ثم إنه يردُّ فدكاً إلى ورثة رسول الله ﷺ في خلافته،<sup>٢</sup> ولكن بعد اللتيا والتي، ثم تداولتها أيدي الخلفاء الأمويين والعباسيين، بين من يقطعها لمن يشاء ومن يردها إلى بني الزهراء ﷺ.

### حرق بيت الصديقة الطاهرة ﷺ:

قال أبو بكر في مرض موته «أما إني لا آسي على شيء في الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلن! فاما الثلاث التي فعلتها، فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب»<sup>٣</sup> وفي اليعقوبي: «وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأدخله الرجال، ولو كان أغلق على حرب!»<sup>٤</sup>

وذلك حينما بلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد غضبوا في بيعته،<sup>٥</sup> واجتمعوا مع علي بن أبي طالب ﷺ في منزل فاطمة، بنت رسول الله ﷺ؛

١. سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣٩١.

٢. صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب فرض الخمس، ج ٥، ص ٣-١٠؛ صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب حكم الدفن - الأموال لأبي عبيد، ص ١١؛ سنن البيهقي، ج ٦، ص ٤٩٩؛ معجم البلدان، ج ٦، ص ٣٤٣؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣٣٥؛ تاريخ ابن كثير، ج ٥، ص ٢٨٨؛ تاج العروس، ج ٧، ص ١٦٦.

٣. الطبري ج ٢، ص ٦١٩؛ مروج الذهب، ج ١، ص ٤١٤؛ ابن عبد ربه، ج ٣، ص ٦٩؛ الكنز، ج ٢، ص ١٧١؛ الإمامة والسياسة، ص ١٨١؛ الكامل للمبرد - أبو عبيدة في الأموال؛ ص ١٣١؛ أبو بكر الجوهري في لسان الميزان، ج ٤، ص ١٨٩؛ تاريخ الذهبي، ج ١، ص ٣٨٨.

٤. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٥.

٥. وهم حسب ما ذكره المؤرخون: العباس بن عبدالمطلب، عتبة بن أبي لهب، سلمان الفارسي، ابوذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن الأسود، البراء بن عازب، أبي بن كعب، سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله.

فبعث إليهم ابوبكر عمر بن الخطاب، ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: «إن أبوا فقاتلهم»، فأقبل عمر في جماعة بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار؛ فلقيتهم فاطمة عليها السلام فقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟» قال: «نعم! أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة!» وفي رواية قيل له: «يا أباحفص، إن فيها فاطمة!» قال: «وإن...!!!» وقد تواترت القصة بمختلف الألفاظ مع اشتراكها في أصل الرزية.<sup>١</sup>

... ولم يبايع علي عليه السلام أبابكر إلا بعد أن توفيت فاطمة الزهراء؛ إذ لم يجد أنصارا صامدين، فيهم الكفاءة، فقد اجتمع جماعة إليه عليه السلام يدعونه إلى البيعة فقال لهم: «أعدوا علي محلقين الرؤوس»، فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر؛<sup>٢</sup> فلم يجد بداً من البيعة كرهاً، وحفاظاً على الوحدة الإسلامية، كما قال: «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى» وقال: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي؛ فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، (مخرج النفس) وعلى أمر من العلقم».<sup>٣</sup>

وعلى حد تعبير عمر «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة؛ فتمت وأنها قد كانت كذلك، إلا أن الله قد وقى شرها»<sup>٤</sup> وفي نقل اليعقوبي: «فمن عاد لمثلها فاقتلوه!»

رغم هذا نرى الخليفة عمر، يقلب الأرض ظهر بطن، ليأخذ بيعة أبي بكر من علي، ولكنها لم تكن إلا قنطرة لخلافته نفسه، كما رواه البلاذري في أنساب الأشراف: «بعث ابوبكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام، حين قعد عن بيعته، وقال: ائتني به بأعنف العنف! فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال عليه السلام: احلب حلباً لك شطره والله، ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً».

١. ابن عبد ربه، ج ٣، ص ٦٤؛ أبو الفداء، ج ١، ص ١٥٦؛ كنز العمال، ج ٣، ص ١٤٠؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢؛ أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٨٦؛ الرياض النضرة، ج ١، ص ١٦٧؛ الخميس، ج ١، ص ١٧٨؛ هامش الكامل، ص ١١٢؛ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٥.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٥؛ شرح النهج، ج ٢، ص ٤.

٣. نهج البلاغة، محمد عبده، ج ١، ص ٦٧.

٤. سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٣٣٦ - ٣٣٨؛ صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١٩؛ كنز العمال، ج ٣، ص ١٣٩.

### نبوغ الخليفة في علم التفسير:

لقد عرفنا طرفاً من نبوغه في تفسير «الأب»، وفي منعه فاطمة إرثها، خلافاً لكتاب الله، وسوف نعرف رأيه في «الكلالة»... ولم يعهد عنه في التفسير إلا عشرة آثار<sup>١</sup> وهو خبط فيها وأخطأ.

### نبوغ الخليفة في السنة:

جمع ابن كثير بعد جهود جبارة أحاديث قليلة للخليفة زهاء ٧٢ حديثاً وسمّى مجموعته: «مسند الصديق»،<sup>٢</sup> ومنها ما يرويه عن الرسول ﷺ بمفرده، حفاظاً على السياسة الإسلامية كالحديث: «نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

ومنها ما اختلقه، تبريراً لاستخلاف خليفته عمر: «لو لم أبعث لبعث عمر»، والخليفة عمر من سوف نعرفه في ثقافته وعدالته! وفي ذلك مسٌّ من كرامة الرسول ﷺ كأنه كان شاكاً في ابتعائه! أو أنه ما كان يعرف باب مدينة علمه علياً!

ومنها: «ما طلعت الشمس على رجلٍ خير من عمر»، تفضيلاً له على النبيين أجمعين!

### رأي الخليفة في إرث الجدة:

عن قبيضة بن ذويب قال: «جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق ﷺ، تسألته عن ميراثها؛ فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً؛ فارجعي حتى أسأل الناس؛ فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما

١. جلال الدين السيوطي في الإتقان، ج ٣، ص ٣٢٨.

٢. طبقات الحفاظ للذهبي، ج ٢، ص ١٧؛ ترجمة أحمد في آخر الجزء الأول من مسنده.

السدس؛ فقال أبوبكر: هل معك غيرك؟؛ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبوبكر رضي الله عنه.<sup>١</sup>

### احتراق قلب الخليفة من خوف الله:

يقال: إن عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته، فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت؟ فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها، ثم قالت: «ألا إنه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ ويصلي ثم يجلس، مستقبلاً القبلة، رأسه على ركبتيه، فإذا كان وقت السحر رفع رأسه، وتنفس الصعداء؛ فيشم في البيت روائح كبد مشوي!» فبكا عمر وقال: «أنى لابن الخطاب بكبد مشوي»<sup>٢</sup> وفي نقل آخر ويقول: «أخ... فيطلع الدخان من فيه!»<sup>٣</sup>

فأكرم بخوف من الله يحرق الكبد حتى يشم منه رائحة الشوي، ويصعد من فمه دخان، ما لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه أول العابدين!

### الله يستحي من أبي بكر ويفضله على رسوله!

عن أنس بن مالك قال: «جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله، رأيت في المنام، كأن النخلة التي في داري وقعت، وزوجي في السفر؛ فقال صلى الله عليه وسلم: يجب عليك الصبر فلن تجتمعي به أبدا، فخرجت المرأة باكية؛ فرأت أبابكر، فأخبرته بمنامها، ولم تذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة؛ فدخلت إلى منزلها، وهي متفكرة في قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر، فلما كان الليل، وإذا بزوجه قد أتى! فذهبت إلى النبي وأخبرته بزوجه؛ فنظر إليها نظراً طويلاً؛ فجاءه جبرائيل وقال: يا

١. موطأ مالك، ج ١، ص ٣٣٥؛ سنن الدارمي، ج ٢، ص ٣٥١؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ١٧؛ سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٦٣؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٢٤؛ سنن البيهقي، ج ٦، ص ٢٣٤؛ بداية المجتهد، ج ٢، ص ٢٤٤؛ مصابيح السنة، ج ٢، ص ٢٢.

٢. محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج ١، ص ١٣٣؛ امرأة الجنان، ج ١، ص ٦٨.

٣. عمدة التحقيق للعبدي المالكي، ص ١٣٥.

محمّد، الذي قُلِّتَهُ هو الحق ولكن لما قال الصديق: إنك تجتمعين به في هذه الليلة، استحي الله منه أن يُجري على لسانه الكذب؛ لأنه صديق؛ فأحياه كرامة له».

فيا عجباً من مختلقي هذا الحديث كيف أرادوا كسح معرّة الكذب عن ساحة الصديق؛ فجرّوها إلى ساحة النبي الأقدس! فكأن الله لا يستحي من رسوله أن يكذبه، وانما يستحي من الصديق! فهل كانت كرامة أبي بكر أعظم على الله من كرامة رسوله عليه؟!!

ثم أعجب من تعليل الرواية العليل: «أن الله صدق ابابكر وحقق تأويله لأنه صديق!» فهل إن الرسول كان كذاباً حتى يكذبه؟!!

هذه! وإلى غيرها من أحاديث مختلفة، تعني تكريم أبي بكر - بعدما سمعنا من مهاتته في دينه وفي علمه - ترفعه إلى مقام أرفع من النبي الأقدس!

وكما يروى: أن جبريل سجد مهابة من أبي بكر (نقله الشيخ يوسف الفيشي المالكي) وذكر الياضي في روض الرياحين أن جبرائيل نزل على النبي ﷺ، وقال: «يا محمّد، السلام يقربك السلام ويقول لك: وعزته، وجلاله، لو أقسم علي كل أعمى بحرمة شيبة أبي بكر الصديق، لرددت عليه بصره، وما تركت على وجه الأرض أعمى!»!

وفي نزهة المجالس أن «اسم أبي بكر نقش على خاتم النبي بخط الله تعالى!»!

وعن انس بن مالك: «كان ابوبكر شيخاً يعرف والنبي شاب لا يعرف!»!

وليت شعري متى كان أبوبكر شيخاً والنبي شاباً وهو ﷺ كان أكبر منه بسنتين؟! ومتى كان يُعرف هو، والنبي لا يعرف؟! وقد عُرف أبوبكر والصحابة بالنبي الأقدس قبل النبوة، وعُرف ﷺ قبلها بالأمانة، وعرف صاحبه بعبادة الأوثان!

١. نزهة المجالس للصفوري، ج ٢، ص ١٨٥؛ مصباح الظلام للجرداني، ص ٢٥.

٢. صحيح البخاري، ج ٦، ص ٥٣ - سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٠٩؛ طبقات ابن سعد، ج ١، ص ٢٢٢؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٨٧؛ معارف ابن قتيبة، ص ٧٥؛ الرياض النضرة، ج ١، ص ٧٨؛ المواهب اللدنية، ج ١، ص ٨٦؛ السيرة الحلبية، ج ٢، صص ٤٦ - ٦١.

## ثواب أبي بكر أكثر من النبي!

عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر: «يا أبا بكر، إن الله أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق آدم إلى أن بعثني، وإن الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة»<sup>١</sup>.

فيا عجباً كيف يربو ثواب أبي بكر على ثواب النبي الأقدس وكيف؟! وإلى أمثال ذلك من المختلقات الزور، التي تشهد بأنفسها أنها مدسوسة.

هذا هو أول خلفاء الشورى، رغم أنه أعدلهم وألينهم وأحوطهم على الإسلام! ثم تعال معي لندرس مؤامرات أخرى، هي أخطر على الإسلام!



## المؤامرة الثالثة ضد الحكومة الإسلامية الغراء

بينما الإسلام لا يرضي الجمهورية والشورى في انتخاب القائد الأعظم بعد الرسول ﷺ، حيث النصوص الجليلة ترشد الأمة إلى قائدها الذي يمثل الرسول الأعظم ﷺ. وكذلك لا يرضاها بعد ذلك إلا بجمهرة الطبقة الأولى من القادة الروحيين.

بين ذا وذيك، نرى خليفة السقيفة يستبد برأيه لانتصاب الخليفة بعده دون شور واستيحاءٍ من المسلمين، كما كان يزعمه في الشورى الأولى.

فبينما كان بادئ بدءٍ - في ظاهر الأمر - قائداً جمهورياً ينتخبه جمهور الأمة، فإذا هو يختتم حكومته الجمهورية بالاستبداد بكل شجاعة وجرأة! فإذا هو الحجر الأساس

١. أخرجه الخلي والملا، كما في الرياض النضرة، ج١، ص١٢٩؛ والخطيب البغدادي، ج٥، ص٥٣.

للحكم الاستبدادي بين المسلمين الذي عم بلاؤه وشؤمه وبؤسه حتى زمن بعيد في أكثرية ساحقة بين المسلمين.

لشدّ ما تشظرا ضرعي الخلافه، فلم يُبقيا لها رمقا إلا أخذاه، ولا لبنا إلا شرباه! أجل، إن ابن أبي قحافة، يجعل الخلافة بعده في ابن الخطاب. وهناك يصف الإمام ابن الخطاب بقوله: «في حوزة خشناء» ناحية وطبيعة خشناء، ليس في الأمة أخشن وأغلظ منه، يغلظ على الأمة كلمها وجرحها ويخشن مسها!

يشير، في هذين الوصفين، إلى فضاظة الخليفة عمر وغلظته وجفافته وقبح لقائه وكرهه منظره ورغبة الناس عن مواجهته ومؤانسته.

يقول الشارح المعتزلي: «روى كثير من الناس أن أبا بكر لما نزل سكرات الموت به، دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر، فقال: إنه أفضل من رأيت، إلا إن فيه غلظة، فقال أبوبكر: ذاك لأنه يراني رقيقاً، ولو قد أفضي إليه الأمر لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته إذا أنا غضبت على رجل، أراني الرضى عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر! فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله، فقال لهما: لا تذكر ما قلت لكما شيئاً، ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان، والخيرة لك أن لا تلي من امورهم شيئاً ولوددت أني كنت من أموركم خلوا وكنتم فيمن مضى من سلفكم».

أجل، إن الخليفة يريد استخلاف من هو على شاكلته، ويزيد عليه غلظةً وقساوةً، ولا يذكر ذلك إلا لمن هو على شاكلته من مثل عثمان الأموي، ولا يرضى من ابن عوف قوله: «إن فيه غلظة»، إلا أن يوجهه كما يجب.

أما إذا اعترض عليه في ذلك فإنه يصول صولة كما فعل بطلحة بن عبيدالله حينما يدخل عليه قائلاً: «إنه بلغني أنك، يا خليفة رسول الله، استخلفت على الناس عمرًا!! وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم وأنت غدا لاق ربك فسألك عن رعيتك؟!»

فقال ابوبكر وهو في قبضة الموت: «أجلسوني» ثم قال: «أبالله تخوفني! إذا لقيت ربي، فسألني قلت: استخلفت عليهم خير أهلك!»

فقال طلحة: «أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله؟!»

حينذاك يصل الخليفة صولة السلاطين ويغضب غضب الجبارين، لما يرى من الإشارة عليه من صلاح الأمة، حيث لا يلائم هواه واستبداده، قائلاً: «إي والله، هو خيرهم وأنت شرهم، أم والله، لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها، أتيتني وقد دلكت عينيك، تريد أن تفتني عن ديني! وتزيلي عن رأيي؟!»

**هنالك يرى الخليفة رأيه دينه ودينه رأيه، فما هذا الدين الذي لم يؤثر في كتاب ولا سنة؟! كتاب**

ثم قال: «قم، لا أقام الله رجلك، أما والله، لو عشت فراق ناقة وبلغني أنك غمضته فيها أو ذكرته بسوءٍ، لألحقنك بخمصات قنة<sup>١</sup> حيث كنتم تسقون ولا تروون، وترعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك متبجحون راضون، فقام طلحة وخرج<sup>٢</sup>.

ينتصب الخليفة زميله: عمر، وهو يعرفه من هو في لياقته ولباقته! في علمه وإيمانه! يرسل الرسول الأقدس ﷺ قبيل وفاته بعثا على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب، ويؤمر عليهم أسامة بن زيد؛ فلا يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ﷺ، فنرى عمر بعدما يتخلف عن جيش أسامة يكلم أبا بكر خليفة الشورى أن يبدل اسامة بغيره. حينذاك وثب أبوبكر – وكان جالسا – فأخذ بلحية عمر وقال: «ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله وتأمرنى أن أنزعه!»

١. الجرعات المهلكات مبعدا عن العمران.

٢. أخرجه الشارح المعتزلي كسابقه.



## وصية الخلافة يكتبها ثانيهم!

... حينذاك يحضر عثمان الأموي، والخليفة يجود بنفسه، يأمره أن يكتب عهده قائلاً: «اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبدالله أبوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد»، ثم أغمي عليه، وكتب عثمان: «قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب»، وأفاق أبوبكر فقال: «اقرأ»، فقرأه فكبر أبوبكر وسُرَّ وقال: «أراك خفت أن تختلف الناس إن مت في غشيتي؟» قال: «نعم»، قال: «جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله» ثم أتم العهد وأمر أن يقرأ على الناس فقرأ عليهم، ثم أوصى عمر بوصايا!!!

## محاكمة عادلة:

حينذاك نتساءل ابن أبي قحافة، إذا كان ما فعله ابن عفان من كتابته عهد الخلافة في غشية الخليفة خيراً للمسلمين، مخافة أن تختلف الناس إن مات في غشيته، فما باله لا يرضى بهذا الخير من الرسول الأعظم ﷺ؛ فيتقلد رأي الشورى موهماً أن الرسول ﷺ لم يخلف، حيث لو كان يخلف لم يبق للشورى محل.

فهل ان عثمان الأموي أحوط على الإسلام والمسلمين من الرسول الأعظم ﷺ؟! فليجزه الله عن الإسلام خيراً في زعمك دون الرسول ﷺ!

ثم نتساءل ابن أبي الخطاب كيف قبل هذه الكتابة حينما كتب! وجلالة الخليفة مغشى عليه، ولا يقول آنذاك مقالته يوم ارتحال الرسول ﷺ حينما طلب كتاباً؛ ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا من بعده أبداً! حيث انبثق هناك قائلاً بكل جرأة:

«دعوه فإن الرجل ليهجر! حسبنا كتاب الله!»

يا ابن الخطاب! كيف يهجر الرسول ﷺ حين الوصية بالوحي وحسب الأمة كتاب الله، دون وصيته، ولا يهجر ابن أبي قحافة حينما يريد أن يخلفك على الأمة، مغشياً عليه؟!

ثم إن الإمام عليه السلام يصف الثاني ثانية بقوله: «يغلظ كلمها ويخشن مسها» إشارةً إلى شدة غلظته وفظاظته، فقد تصبَح الأمة الإسلامية يقودهم فظًّا غليظ القلب، ينفذ الناس من حوله، مخافةً غلظته في كلامه وعشرته، وخشونة مسه في عشرته، وذلك بعدما كان يقودهم نبي الرحمة الذي يصفه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم، ٤] ومن ذكريات غلظة الثاني أن ابن عباس يظهر ويعلن بطلان العول في الفرائض بعد موت عمر، فيقال له: «من أول من أعال الفرائض»؟ فيقول: «عمر بن الخطاب»، قيل له: «هلا اشرت عليه؟!»، قال: «هَيْتُهُ!»

أجل، إنه كان يهاب من بيان الحق، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وممثله الوحيد يهابان من افتعال الباطل، فعجبا من هيبة تسد عن الحق، وأحسن وأجمل بما يفتحه ويغلق أبواب الباطل!

ومن ذلك ما رواه الشارح المعتزلي، ابن أبي الحديد، عند شرحه هذه الصفة للخليفة: «إن عمر هو الذي غلظ على جبلة بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة بلاد الإسلام كلها، حتى عاد مرتداً وتنصّر، كل ذلك لأجل لطمة، لطمها عمر أياها!»

ولقد كان جبلة بن الأيهم الخساني من ملوك آل جفنة، كتب إلى الخليفة، يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له، فخرج إليه في خمسمائة من أهليه من عك وغسان، فأسلم وأسلموا. فلقد اعقبت لطمة عمر هذه على وجه جبلة، لطمة عظيمة على وجه الإسلام والمسلمين، حيث ارتد هذا الملك بمن معه بعد إسلامهم، لفظاظته الخليفة في قصة سيرة في منازعة بينه وبين رجل من بني فزارة، وما أبعث تدييره في رعيته عن تديير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث كان يقرب ويجلب الكفار والمشركين بحنانه ورافته ولينه إلى الدين، وكان يكرم أعظم الأقسام وإن كانوا كفارا، تأليفاً لقلوبهم إلى الإسلام، ومن أحسن الدعوة وأتمها، دعوة الزعماء والسلاطين كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وآله؛ فإن الناس على دين ملوكهم.

الخليفة عمر بن الخطاب بين الكتاب والسنة:

«ويكثر العثار فيها والاعتذار منها»

يشير الإمام عليه السلام هنا إلى زلات الخليفة عمر واعتذاراته منها، فقد كان يعتذر من زلاته وقد لا يعتذر، وإليكم البعض مما قاله عند أخطائه:

«لولا علي لهلك عمر»، قالها مرات.

«أللهم لا تُبقني لمعضلة، ليس لها ابن أبي طالب».

«لا أبقاني الله بأرض لستَ فيها، يا أباالحسن» .

«أللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبوالحسن إلى جنبي».

«كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب».

«أعوذ بالله من معضلة لا علي لها».

«عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب».

«لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب».

«يا أباالحسن أنت لكل معضلة تُدعى».

«هل طفحت حرة بمثله وأبرعته؟»

«هيهات، هناك شجنة من بني هاشم وشجنة من الرسول وأثره من علم يوئى ولا

يأتي، في بيته يوئى الحكم».

«أباالحسن! لا أبقاني الله لشدة لست لها، ولا في بلد لست فيه. كاشف كل شبهة

وموضح كل حكم».

«لولاك لافتضحنا».

«اعوذ بالله من معضلة ليس لها أبوالحسن... لا علي لها».

«هذا أعلم بنينا وكتاب نينا».

«لا عشت في معضلة لست لها يا أباالحسن».

«شعرة من آل أبي طالب أفقه من عدي».

«ويدُّ لك مع أياد لم أجرك بها».

«اين أبوالحسن مفرج الكرب؟»

«فرج الله عنك يا أباالحسن كما فرجت عنا».

«كما أنت حتى يجيء علي بن أبي طالب».

... لا فحسب! أنه يرى علياً عليه السلام أفقه منه، يفرج عنه كربيه، بل كما ويقول في

قضايا أخرى مع آخرين:

«كل أحد أفقه من عمر!»

«كل الناس أفقه منك يا عمر،... حتى ربات الحجال والمخدرات في البيوت!»

«كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر!»

«كل أحد أفقه مني!»<sup>١</sup>

### الخليفة يمنع عن دراسة القرآن ورواية السنة!

عن السائب بن يزيد قال: «أتي عمر بن الخطاب فقبل يا أمير المؤمنين! إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن فقال عمر: اللهم مكني منه! فبينما عمر ذات يوم جالسا يغدي الناس، فإذا الرجل جاء وعليه ثياب وعمامة صفدي حتى إذا فرغ، قال: يا أمير المؤمنين! ﴿وَالدَّارِيَاتِ ذُرْوًا﴾ \* فَالْحَامِلَاتِ وُقْرَاءً ﴿ فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلدته حتى سقطت عمامته! فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك! ألبسوه ثيابا، واحملوه على قتب، وأخرجوه حتى

١. قد مضى مسانيد هذه الكلمات في بداية الكتاب.

تقدموا به بلاده، ثم ليقيم خطيب ثم يقول: إن صبيغا ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل  
وضيعا في قومه حتى هلك، وقد كان سيد قومه!»<sup>١</sup>

هنا نتساءل الخليفة: إن كان يعرف معنى الآية فلماذا لم يجب السائل عنها؟ أو  
كان يجهل فلماذا يضربه حتى يضطرب الدماء في ظهره؟

لا أجد دفاعا إلا أن الخليفة كان يجهل وأراد ألا يخجل! كيف يجهل خليفة  
المسلمين! حفاظاً على الخلافة الإسلامية، إذ إن الغاية تبرر الوسيلة!

### الخليفة لا يعرف معنى «الأب»:

لذلك نراه لا يرضى أن يجاب السائل عن معنى «الأب» في: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس، ٣١]  
فعن عبدالرحمن بن يزيد أن رجلاً سأل عمر عن ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، فلما رآهم يقولون،  
أقبل عليهم بالدرّة.<sup>٢</sup>

أجل، إن حضرة الخليفة يجد الجواب الحاسم عما يجهله في منطق الدرّة فأجملُ  
به جواباً وألطف!

وليت شعري هل إن «الأب» أيضاً من مشكلات القرآن، لكي يجهله وينهى عن  
تفسيره ويضرب بالدرّة من يفسره؟!... ولكننا الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان حريصاً في  
أن يفقه تلاميذه قائلاً: «لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا!»  
فكلُّ حسب ثقافته، وكل إناء بما فيه ينبع!

وإذا كان هكذا جهلٍ عيباً، يجب الإختفاء عنه، فلماذا يجاهر به من على منبر  
الرسول ﷺ؟

١. سنن الدرّامي، ج١، صص ٥٤ - ٥٥؛ تاريخ ابن عسّاك، ج٦، ص ٣٨٤؛ سيرة عمر لابن الجوزي، ص ١٠٩؛ تفسير  
ابن كثير، ج٤، ص ٢٣٢؛ اتقان السيوطي، ج٢، ص ٥؛ كنز العمال، ج١، ص ٢٢٨؛ نقلاً عن الدرّامي ونصر المقدسي  
والإصهاني وابن الانباري واللاكثي وابن عسّاك - الدر المنثور، ج٦، ص ١١١؛ فتح الباري، ج٨، ص ١٧؛ المفتوحات  
الإسلامية، ج٢، ص ٤٤٥.

٢. مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، ج٥، ص ٨.

فعن أنس بن مالك قال: «إن عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعَبَبًا \* وَقَصَبًا \* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا \* وَحَدَاتِقَ غُلْبًا \* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس، ٢٧ - ٣١] قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟

ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف! فما عليك أن تدري ما (الأب)! اتبعوا ما بين لكم، هدايه من الكتاب؛ فاعملوا به وما لم تعرفوه فكَلِّمُوهُ إِلَى رَبِّهِ!

أقول: لقد كان يكفي الخليفة أن يقتسم الفاكهة والأب بين ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس، ٣٢] كما قال الله، فالفاكهة لكم؛ للإنسان، والأب للأنعام، وهل تأكل الأنعام إلا من العشب والكلأ؟! ولكن أشغال الخلافة الهامة منعتة أن يفكر في ساذج اللغة العربية!

### الخليفة يدرس سورة البقرة طوال ١٢ سنة!

وقد يعذر الخليفة عمر أنه لم يدرس من القرآن سوى سورة البقرة، فلا يعرف إلا إياها - اللهم إلا الكثير مما نسي منها أو أخطأ فيها - ولذلك كان يفتي خلاف كتاب الله! فيخطئه عليٌّ عليه السلام وكان أحيانا لا يقبل التخطئة، لعلها لمصالح سياسية أو حفاظا على كرامة الخلافة الإسلامية! - فله ما له وعليه ما عليه! - ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم، ٣٩] أخرج الخطيب في رواة مالك والبيهقي في شعب الإيمان والقرطبي

١. أخرجه وما يضاويه من أحاديث القصة: سعيد بن منصور في سننه - أبونعيم في المستخرج - ابن سعد وعبد بن حميد وابن حميد وابن الانباري وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان - ابن جرير في تفسيره، ج ٣، ص ٣٨؛ الحاكم في المستدرک، ج ٢، ص ٥١٤؛ وصححه هو وأقره الذهبي في تلخيصه - الخطيب في تاريخه، ج ١١، ص ٤٦٨؛ الزمخشري في الكشاف، ج ٣، ص ٢٥٣؛ محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج ٢، ص ٤٩؛ نقل عن البخاري والبخاري والمخلص الذهبي - الشاطبي في الموافقات، ج ١، ص ٢١ - ٢٥؛ ابن الجوزي في تفسيره، ج ٤، ص ٣٧٤؛ نقلاً عن سعيد بن منصور وابن أبي شيبة - أبي عبيد في فضائله - ابن سعد في طبقاته - عبد بن حميد وابن المنذر الأنصاري في المصاحف - الحاكم - البيهقي في شعب الإيمان - ابن مردويه - أبو السعود في تفسيره - القسطلاني في إرشاد الساري، ج ١٠، ص ٢٩٨؛ نقلاً عن أبي نعيم - العيني في عمدة القاري، ص ١١، ص ٤٦٨؛ ابن حجر في فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٣٠.

في تفسيره بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر قال: «تعلّم عمر سورة البقرة في اثنتي عشرة سنةً، فلما ختمها نحر جزورا!»<sup>١</sup>

**أقول:** ليس درسه لها إلا بعد النبي ﷺ عند بعض المقرئين من أصحابه ﷺ؛ لأن البقرة نزلت بالمدينة عند كافة المفسرين، ولقد ألف النبي ﷺ القرآن أواخر عهده، وهذه المدة (١٢ سنة) لدراسة البقرة تشمل طوال عهده «١٠ سنين» وعهد زميله الأول «سنتين» ولو أراد أن يدرس القرآن كله بهذا المنوال لطال ١٣٠ عاماً!

ويؤيد ذلك في درسه القرآن ما في «عمدة القاري»<sup>٢</sup> نقلاً عن «النهاية»: أن عمر كان أعلم وأفقه من عثمان ولكن كان يعسر عليه حفظ القرآن. هذا نبوغ الخليفة في الحفظ، وإيكم ذكرى نبوغه في الذكر:

### حضور قلب الخليفة في الصلوة

عن عبدالرحمن حنظلة بن الراهب: «أن عمر بن الخطاب صلّى المغرب فلم يقرأ في الركعة الأولى، فلما كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرتين، فلما فرغ وسلّم، سجد سجدي السهو<sup>٣</sup> ولمرة أخرى نسي هكذا ولم يقض في الثانية فسلّ، فقال: كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً. قال: فلا بأس إذًا، ولمرة ثالثة اعتذر عن نسيانه القراءة

١. تفسير القرطبي، ج١، ص٣٤؛ سيرة عمر لابن الجوزي، ص١٦٥؛ شرح ابن أبي الحديد، ج٣، ص١١١؛ الدر المنثور، ج١، ص٢١.

٢. ج٢، ص٧٣٣.

٣. ذكر ابن حجر في فتح الباري، ج٣، ص٦٩؛ وقال: رجاله ثقات وكأنه مذهب لعمر وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج٢، ص٣٨٢؛ وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمال، ج٤، ص٢١٣؛ نقلاً عن جمع من الحفاظ.

٤. عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أخرجه عنه البيهقي في السنن، ج٢، ص٣٨١-٣٤٧؛ وحكاها السيوطي عن مالك وعبدالرزاق، والنسائي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج٤، ص٢١٣.

بقوله: إني جهّزت عيرا إلى الشام فجعلت أنزلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام فبعتها وأقتابها وأحلاسها وأحمالها؛ فأعاد عمر وأعادوا!»<sup>١</sup>

فأكرم بحضرة الخليفة! كيف يتلون في فتاواه في مسألة واحدة، ويعتذر أخيرا: أنني في الركعة الأولى كنت في التجارة! و﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب، ٤] وقد يعذره في جهله بالكتاب والسنة وسهوه في الصلاة أنه ليس إلا خازن المال كما قال: «الخليفة ليس إلا خازن الأموال!»

عن علي بن رباح اللخمي قال: «إن عمر بن الخطاب (رض) خطب الناس فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فاني له خازن!»

**أقول:** كان الخليفة يحتاط في أموال المسلمين أكثر من الواجب! كالتالي:

### زهد الخليفة في بيت المال

أتى بمسك فأمر أن يقسم بين المسلمين، ثم سد أنفه! فقيل له في ذلك، فقال: وهل ينتفع منه إلا بريحه؟ ودخل يوما على زوجته فوجد معها ريح مسك؛ فقال: ما هذا؟ قالت: إني بعث من مسك بيت مال المسلمين، ووزنت بيدي، فلما وزنت مسحت إصبعي في متاعي هذا! فقال: ناولني متاعك! فأخذه، فصب عليه الماء فلم يذهب؛ فجعل يدلكه في التراب ويصب عليه الماء فلم يذهب؛ فجعل يدلكه في التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه!<sup>٢</sup>

١. عن إبراهيم النخعي، وفي ملك اللما في بدايع الصنابع، ج ١، ص ١١١؛ «إن عثمان ترك القراءة في الأوليين من صلاة العشاء فقضاها في الآخرين وجهر».

٢. الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٤١٤.



هكذا فليكن الفقيه الزاهد البارِع! فهل كان الخليفة يضرب ستارا أمام مصابيح المسلمين حتى لا يستضيء بضوئها؟! ويضرب سدا على مهبِّ الصبا، متى حملت ريحاً من حقول المسلمين؟! إلى أمثال هذه الانتفاعات التي لا دخل لرضا المالك فيها؛ لأنه لا يملكها. فأما إذا كانت ريح المسك مملوكة لمالك المسك، إذ ذاك، كان على الخليفة أن يوصلها إليه، أو يدعو المالك ليشمها حتى تنفد، رداً للمال إلى مالكة ما أمكن، لا أن يغسلها بالماء ويدلكها بالتراب تضييعاً لأموال المسلمين وإيذاءً لزوجته المظلومة... فأفقه بالخليفة وأزهد به!

إن الخليفة هكذا يزهد في أموال المسلمين! التي لا ماليتها لها، ثم لا يزهد في فدك الصديقة الزهراء، بل يأخذ عنها عنفاً، بعدما أخذته من أبي بكر، يأخذ سنده ويمزقه...! وإتّها كانت فتوى سياسية كما كانت من زميله الأول!

### فتوى الخليفة في أكل اللحم:

ومن زهده وترهيدته: «أن رجلاً من الأنصار مر به، وقد تعلق لحماً، فقال له عمر ما هذا؟ قال: لحمه أهلي، قال: حسن، ثم مر بالرجل لليوم الثاني والثالث، فعلى رأسه بالدرّة! ثم صعد المنبر فقال: إياكم والاحمرين: اللحم والنيبذ فإنهما مفسدة للدين، متلفة للمال!»<sup>١</sup>

وهذا فقه عجيب، وفتوى محيرة للعقول، تناقض كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. يناقضانها كالتالي: عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، إنى إذا أكلت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت عليّ اللحم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ \* وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿﴾ [المائدة، ٨٧ - ٨٨]»<sup>٢</sup>

١. عن ميمون بن مهران - ينقله عنه كنز العمال، ج ٥، ص ١٦١، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٨٢.

٢. سيرة عمر لابن الجوزي، ص ٦٧ و كنز العمال، ج ٣، ص ١١١؛ الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٤٢٤.

وما رواه عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «سيد الإدام في الدنيا والآخرة اللحم، وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء»<sup>١</sup>.

وقد يعذر الخليفة في فتواه هذه أن نقيضها في سورة «المائدة»، وهو لم يدرس إلا «البقرة»! ولكن هل يعذر أن يفتي دون علم؟ ولعلها أيضا من الفتاوي الإستحسانية السياسية الوقتية!

**نهى الخليفة عن رواية الحديث عن الرسول ﷺ:**

**الخليفة يحبس المحدثين!** هنا يضم خليفة المسلمين نهيه عن تفهم القرآن إلى النهي عن رواية الحديث عن الرسول ﷺ؛ لكي تبقى الأمة الإسلامية في جاهليتها الأولى، رغم تأكيد الكتاب والسنة في تفقه الدين والتساؤل عن المشاكل القرآنية وسواها. أخرج الطبراني عن إبراهيم بن عبدالرحمن: «إنّ عمر حبس ثلاثة، حبسهم بالمدينة حتى قتل»<sup>٢</sup> وفي لفظ الحاكم، «أن عمر بن الخطاب قال: لابن مسعود ولابي الدرداء ولأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ؟! وحبسهم بالمدينة حتى أصيب»<sup>٣</sup>.

ومن جراء هذا المنع الباتّ عن نقل أحاديث الرسول ﷺ، يقول الشعبي: «قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً؛ فما سمعت يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً»<sup>٤</sup>!

**أقول:** إن نهى الخليفة هذا لم يكن بدافع الحفاظ على كتاب الله عن المعارضات، كما لم يكن نهيه عن تفقه القرآن بهذا الدافع؛ إذ قد نهى فيمن نهاه عن التحديث، مثل أبي ذر الغفاري الذي قال فيه النبي الأعظم ﷺ: «ما

١. مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٣٥.

٢. تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧؛ مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٤٩؛ وصححه محشي الكتاب فقال: «هذا صحيح عن عمر من وجوه كثيرة».

٣. المستدرک، ج ١، ص ١١٠.

٤. سنن الدارمي، ج ١، ص ٨٤؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٥.

أظلت الخضراء ولا أفلّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر<sup>١</sup>! ومثل عبد الله بن مسعود «صاحب سر الرسول ﷺ وأفضل من قرأ القرآن وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، الفقيه بالدين، العالم بالسنة»،<sup>٢</sup> ومثل أبي الدرداء عويمر، كبير الصحابة، صاحب الرسول ﷺ.

### أمر الخليفة بالحفاظ على دواوين الجاهلية:

وبينا نرى الخليفة ينهى عن تفقه القرآن وتحديث الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ، نجده يأمر بالحفاظ على شعر الجاهلية قائلاً: «أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل!» قالوا: «وما ديواننا؟» قال: «شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم»<sup>٣</sup>!

أجل، كل إناء يرشح بما فيه، ويعارض ما ينافيه!

فيا خليفة المسلمين! أترجيحاً للشعر الجاهلي – تفسيراً للكتاب – على الكتاب نفسه، وعلى أحاديث الرسول ﷺ، واللّه تعالى يقول: ﴿... أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾؟! [النساء، ٥٩ والمائدة، ٩٢ والنور، ٥٤ ومحمد، ٣٣ والتغابن، ١٢] ويقول: ﴿... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ...﴾ [النساء، ٨٣] ويقول: ﴿... رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...﴾ [البقرة، ١٢٩]

### اجتهاد الخليفة في الطلقات الثلاث:

عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: «إن الناس قد استعجلوا في أمر، كانت لهم أناة؛ فلو أمضيها! فأمضاه عليهم»<sup>١</sup>.

١. مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ٣٤٢ و ٣٤٤.

٢. المستدرک، ج ٣، ص ٣١٢ - ٣١٥.

٣. المستدرک، ج ٣، ص ٣٣٧.

**أقول:** لقد جمع خليفة المسلمين هنا في فتواه بين مخالفة الكتاب والسنة، إذ الجمع مهما أمكن أولى! كما جمع بين النهي عن تفقه القرآن وتحديث الحديث عن الرسول ﷺ؛ فما أحوطه على الكتاب والسنة!

أما القرآن فقولته تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ...﴾ [البقرة، ٢٢٩ - ٢٣٠]

ولا تصدق المرات إلا بالدفعات؛ فهل يفتي الخليفة لمن هو مدينٌ ثلاثة دنانير، أن يدفع ديناراً واحداً قائلاً: «ثلاثاً»، أنه أدى دينه تماماً؟!!

وعجيب أن هذه الآية من السورة التي درسها طوال ١٢ سنة! فهل نسي الآية؟! أم لم يفهمها؟! أم لا يهمنه خلاف القرآن؟! أنا لا أدري!

### فتوى الخليفة فيمن ولد لسته أشهر «لولا علي لهلك عمر»

أخرج الحفاظ ابن أبي حاتم والبيهقي عن الدثلي أن عمر بن الخطاب رفعت إليه امرأة، ولدت لسته؛ فهمم برجمها. فبلغ ذلك علياً، فقال: «ليس عليها رجم»، فبلغ ذلك عمر؛ فأرسل إليه، فسأله، فقال: «قال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ...﴾ [البقرة، ٢٣٣] وقال: ﴿... وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾ [الأحقاف، ١٥]؛ فسته أشهر حملة؛ وحولين؛ فذلك ثلاثون شهراً؛ فخلي عنها»<sup>٢</sup> وقال: «لولا علي لهلك عمر!»

١. مسند أحمد، ج ١، ص ٣١٤؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٧٤؛ سنن البيهقي، ج ٧، ص ٣٣٦؛ مستدرک الحاكم، ج ٢، ص ١٩٦؛ تفسير القرطبي، ج ٣، ص ١٢٠؛ وصححه - ارشاد الساري، ج ٨، ص ١٢٧؛ الدر المنثور، ج ١، ص ٢٧٩؛ وفي معناه أيضاً سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٤٤؛ أحكام القرآن لجصاص، ج ١، ص ٤٥٩؛ وأخرجه الطحاوي.

٢. السنن الكبرى، ج ٧، ص ٤٤٢؛ مختصر جامع العلم، ص ١٥٠، الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٤، ذخائر العقبى، تفسير الرازي، ج ٧، ص ٤٨٤؛ أربعمينية، ص ٤٦٦؛ تفسير لنيسابوري ٣ في الأحقاف، كفاية الكنجي، ص ١٠٥؛ مناقب الخوارزمي، ص ٥٧؛ تذكرة السبط، ص ٨٧؛ الدر المنثور، ج ١، ص ٢٨٨ و ج ٦، ص ٤٠؛ نقلاً عن جمع من الحفاظ، ج ٣ ص ٢٢٨؛ نقلاً عن غير واحد من أئمة الحديث، وأخرج الحفاظ عن بعجة بن عبد الله الجهني نفس الفتوى عن عثمان أيضاً، وقد أدركه الإمام علي عليه السلام بعدما رجمت، أخرجه مالك وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وأبو عمر وابن الديبع والعيني والسيوطي.

اتي عمر بن الخطاب بامرأة حامل، قد اعترفت بالفجور؛ فأمر برجمها؛ فتلقاها عليٌّ فقال: «ما بال هذه؟» فقالوا: «أمر عمر برجمها»؛ فردها عليٌّ فقال: «هذا سلطانك عليها. فما سلطانك على ما في بطنها؟ ولعلك انتهرتها أو أخفتها؟» قال: «قد كان ذلك!» قال: «أوما سمعت رسول الله ﷺ قال: لا حدَّ على معترف بعد بلاءٍ، إنه من قيد أو حبس أو تهدَّد؛ فلا إقرار له»، فخلى سبيلها ثم قال عمر: «عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب! لولا علي لهلك عمر!»<sup>١</sup>

**أقول:** يسند الإمام عليٌّ في القصة الأخيرة إلى قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾ [الأنعام، ١٦٤ والإسراء، ١٥ وفاطر، ١٨ والزمر، ٧] ولم يدرسها الخليفة، ولكن الآية الأولى من البقرة!

## لولا علي لهلك عمر!

أمر عمر (رض) برجم زانية، فمَرَّ عليها سيدنا عليٌّ رضي الله عنه في أثناء الرجم؛ فخلَّصها. فلما أُخبر عمر بذلك، قال: «إنه لا يفعل ذلك إلَّا عن شيء» فلما سأله قال: «إنها مبتلاة بني فلان فلعله اتاها وهو بها»؛ فقال عمر: «لولا علي لهلك عمر!»<sup>٢</sup>

### فتوى الخليفة في إرث الزوجة من الدية:

عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب (رض) كان يقول: «الدية للعاقلة، ولا تثر المرأة من دية زوجها شيئاً». حتى أخبره الضحاک بن سفيان أن النبي ﷺ كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته؛ فرجع إليه عمر.

١. الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٦؛ ذخائر العقبى، ص ٨٠؛ مطالب السؤل، ص ١٣؛ مناقب الخوارزمي، ص ٤٨؛ الأربعين للفخر الرازي، ص ٤٦٦.

٢. أخرجه عنه أرباب الصحاح والسنن وأئمة الفقه والحديث، والتفصيل تجده في الغدير، ج ٦، ص ١٠٢.

**أقول:** كأنّ الخليفة لم تفرع سمعه آيات الأثر في سورة النساء: ﴿... وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ...﴾ [النساء، ١٢]

كلا! لأنها ليست من البقرة! وكذلك آية الدية في النساء: ﴿... فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء، ٩٠] أو أن الخليفة لم يعتبر الدية من المتروكات ولا الزوجة من الأهل، رغم آية الدية، وأن الآيات في [العنكبوت، ٣٣ والنحل، ٥٧ ويوسف، ٢٥ والنمل، ٧ والقصاص، ٢٩ وطه، ١١] - هذه الآيات - صريحة في أن الزوجة من الأهل وأحرى لها، إلا أن هذه الآيات ليست من البقرة!

كل احد - كل الناس - أفقه من عمر

يقولها الخليفة في عدة قضايا كما يلي:

١ - عن مسروق بن الأجدع قال: «ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه، والصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك! ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوه إليها، فلا أعرفن ما زاد في صداق امرأة على أربعمئة درهم. ثم نزل؛ فاعترضته امرأة من قريش؛ فقالت: يا أمير المؤمنين! نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمئة درهم؟! قال: نعم. فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿... وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ فَنُطْرًا...﴾؟ [النساء، ٢٠] قال: «فقال: اللهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر! ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس! إنني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله - أو - فمن طابت نفسه فليفعل!»<sup>١</sup>

١. أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير، وسعيد بن منصور في سننه، والمحاملي في أماليه، وابن الجوزي في سيرة عمر، ص ١٢٩؛ وابن كثير في تفسيره، ج ١، ص ٤٦٧؛ عن أبي يعلى وقال: «أسناده جيد قوي»، والهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٨٤؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج ٢، ص ١٣٣؛ وفي جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج ٨، ص ٢٩٨؛ وفي الدرر المنتشرة، ص ٢٤٣؛ نقلاً عن سبعة من الحفاظ ومنهم: أحمد وابن حبان والطبراني، وذكره الشوكاني في فتح الغدير، ج ١، ص ٤٠٧؛ والعجلوني في كشف الخفاء، ج ١، ص ٢٦٩؛ نقلاً عن أبي يعلى وقال: «سنده جيد»، وابن

**أقول:** وهنا صور تسع أخرى من القصة، تشابهها في أصل الفتوى وردّها<sup>١</sup>.

زهد الخليفة عمر!

كل الناس أفقه من عمر

٢ - مرَّ عمرٌ بشابٍّ من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فجدع له ماءً بعسل، فلم يشربه وقال: «إن الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف، ٢٠] فقال له الفتى: «يا أمير المؤمنين! إنها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة! اقرأ ما قبله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا...﴾»؛ فقال عمر: «كل الناس أفقه من عمر!»<sup>٢</sup>

**أقول:** هذه معجزة من الخليفة، كيف حفظ هذه الجملة من الآية، ولم يدرسها؛ لأنها ليست من البقرة! ويا ليته لم يحفظ هذا المقدار أيضاً؛ إذ أفتى به دون أن ينظر إلى ما قبلها!

كل احد أفقه من عمر - كل احد أفقه من عمر - كل احد أفقه من عمر:

٣ - دخل عليٌّ عليه السلام على الخليفة، فإذا امرأة حبلى تُقاد ترجم؛ فقال عليٌّ عليه السلام: «ما شأن هذه؟» قالت: «يذهبون بي ليرجموني!» فقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «يا أمير المؤمنين! (عمر) لأيّ شيء تُرجم؟ إن كان لك سلطان عليها، فما لك سلطان على ما في

درويش الحوت في أسنى المطالب، ص ١٦٦؛ وقال: «حديث كل أحد أعلم وأفقه من عمر - قاله عمر لما نهى عن المغلاة في الصداق، وقالت امرأة: قال الله: ﴿... وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا...﴾، [النساء، ٢٠] رواه أبو يعلى وسنده جيد».

١. كما أخرجه الزبير بن بكار في الأوقفيات، وابن عبد البر في جامع العلم كما في مختصره، وابن كثير في تفسيره، ج ١، ص ٤٦٧؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج ٢، ص ١٣٣؛ والسندي في حاشية سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥٨٤؛ والجلوني في كشف الخفاء، ج ١، ص ٢٧٠ و ٢٧١؛ وصور أخرى أخرها جماعة كثيرة ذكرها المغفور له العلامة الاميني في الغدير، ج ٦.

٢. ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٦١.

بطنها!» فقال عمر: «كل احد أفقه مني» ثلاث مرّات، فضمها علي ﷺ؛ حتى وضعت غلاما ثم ذهب بها إليه فرجمها.<sup>١</sup>

### الخليفة لا يعرف حكم «الجُنْب» فاقد الماء:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه في باب التيمم بأربعة طرق عن عبد الرحمن بن ابزي: «أن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنبت؛ فلم أجد الماء»؛ فقال: «لا تصل» فقال عمار: «أما تذكّر يا أمير المؤمنين! إذا أنا وأنت في سرية، فأجنبتنا، فلم نجد ماءً، فأما أنت فلم تصل، وأما انا فتمعكت في التراب وصليت؛ فقال النبي ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تتفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك»؛ فقال عمر: «أتق الله يا عمار!» قال: «إن شئت لم أحدث به»!<sup>٢</sup>

**أقول:** هذه فتوى الخليفة في حكم المجنب فاقد الماء، وبين يديه كتاب الله في آيتين صريحتين بفرض التيمم لفاقد الماء،<sup>٣</sup> لكنهما ليستا من البقرة، بل من النساء والمائدة اللتين لم يدرسهما، كباقي القرآن إلا البقرة. ومما يحير العقول توجيه عمدة القاري،<sup>٤</sup> وفتح الباري،<sup>٥</sup> أن «هذا مذهب مشهور عن عمر، اجتهاداً منه؛ فهو معذور»!

فهل يعذر الخليفة في اجتهاد يصاد كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؟!<sup>٦</sup>

١. أخرجه الحافظ محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج٢، ص١٩٦؛ وذخائر العقبى، ص٨١.

٢. سنن أبي داود، ج١، ص٥٣؛ وابن ماجه، ج١، ص٢٠٠؛ ومسند أحمد، ج٤، ص٢٦٥ و٢١٩؛ وسنن النسائي، ج١، صص٥٩ - ٦١؛ وسنن البيهقي، ج١، ص٢٠٩.

٣. ففي سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] وفي المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَاطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]

٤. ج٢، ص١٧٢.

٥. ج١، ص٣٥٢.



وهل الإجتهد إلاّ منهما لا ضدّهما؟ فأحرى في التوجيه أنه ما درس الآيتين، ولكنه لماذا لم يقبل من عمار وهذّده أن لا يروي هكذا عن رسول الله ﷺ، فلعله حفاظاً على كرامة الخلافة الإسلامية وإن ضيع حكم الله!

### قومية الخليفة في الميراث: العجم لا يرث!

روى مالك - إمام المالكية - عن الثقة عنده أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: «أبى عمر بن الخطاب أن يورث أحدا من الاعاجم، إلاّ أحدا ولد في العرب». قال مالك: «وإن جاءت امرأة حامل من أرض العدو، فوضعت في أرض العرب، فهو ولدّها، يرثها إن ماتت وترثه إن مات: ميراثها في كتاب الله»<sup>٢</sup>.

**أقول:** فتوى الخليفة هذه، ناتجة، عن أمرين: هما قوميته العربية، وجهله بآيات الإرث؛ لأنها في سورة النساء وليست في البقرة! وكذلك آية الشعوب فإنها في الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات، ١٣]

... ولكنه كيف جهل هذه الضرورة الإسلامية - كالشمس في رابعة النهار - أنه ليست من شرط الإرث العربية أو الولادة في أرض العرب؟ أنا لا ادري!

### ذكاء الخليفة في فهم القرآن:

عن مسروق قال: «سألت عمر بن الخطاب عن ذي قرابة لي، ورث كلاله؛ فقال: الكلاله الكلاله! وأخذ بلحيته ثم قال: واللّه، لأن أعلمها أحب إليّ من أن يكون لي ما

١. كما في البخاري، ج ١، ص ١٢٩؛ ومسلم وأحمد، ج ٤، ص ٤٣٤؛ والنسائي، ج ١، ص ١٧١؛ والبيهقي، ج ١، ص ٢٩؛ وتيسير الوصول، ج ٣، ص ٩٨؛ وفرض التيمم على المجنب فاقد الماء من الضروريات التي يعرفها كل مسلم فكيف خفى على خليفة المسلمين؟! أنا لا ادري!

٢. الموطأ، ج ٢، ص ١٢.

علي الأرض من شيء. سألت رسول الله عنها؛ فقال: ألم تسمع الآية التي نزلت في الصيف، فأعادها ثلاث مرات<sup>١</sup>.

**أقول:** يظهر من إحالة الرسول ﷺ الخليفة في حكم «الكلالة» ومعناها إلى آتيها أنه ﷺ استسهل معناها أو أراد ان يظهر مدى ذكاء خليفة المسلمين! ومن المتأكد أنه ﷺ بين معنى «الكلالة» للخليفة لأنه سأله عنها مراتٍ، وحاش الرسول ﷺ أن يسأله من سوف يتقلد أزمة أمور المسلمين؛ فلا يجيبه عن مهمة شرعية. ولكن الخليفة لم يكن ليدرك معنى «الكلالة» رغم ظهور تفسير الرسول ﷺ! ولقد أيسر ﷺ عن أن يفهمها كما:

أخرج راهويه وابن مردويه عن عمر انه «سأل رسول الله ﷺ كيف تورث الكلالة؟ فأنزل الله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَدٌّ وَرَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَدٌّ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء، ١٧٦].

فكان عمر لم يفهم؛ فقال لحفصة: «إذا رأيت رسول الله ﷺ طيب نفسي، فسليه عنها؛ فلما رأت منه طيب نفس فسألته عنها؛ فقال ﷺ: أبوك ذكر لك هذا؟ ما أرى أباك يعلمها حتى يموت<sup>٢</sup>». فكان عمر يقول: ما أراني أعلمها وقد قال رسول الله ﷺ ما قال.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر قال: «سألت النبي ﷺ كيف قسم الجدة؟ قال ﷺ: ما سؤالك عن ذلك يا عمر؟ إني أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك». قال سعيد بن المسيب فمات عمر قبل أن يعلم ذلك<sup>٣</sup>.

١. تفسير الطبري، ج ٦، ص ٣٠؛ تفسير الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٥١.

٢. قال السيوطي في مجمع الجوامع كما في ترتيب الكنز: «هو صحيح» ورواه الجصاص في أحكام القرآن، ج ٢، ص ١٠٥؛ وتفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٩٤؛ والدر المنثور، ج ٢، ص ٢٤٩؛ وكنز العمال ٦: ٢.

٣. أخرجه الطبراني في الأوسط والهيتمي في مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٢٧؛ وقال: «رجاله رجال الصحيح» وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج ٦، ص ١٥؛ نقلاً عن عبدالرزاق والبيهقي وأبي الشيخ في الفرائض.

... ويكأن الكلاله وإرث الجد من معضلات مسائل الجبر واللوغاريتم!  
 فإذا أيس الرسول ﷺ أن يعلم الخليفة معناها، فكيف بمعضلات المشاكل  
 الدينية الأخرى، والسياسية المعقدة، وكيف أدرك معنى الخلافة؟! كالا! ولا  
 عرف معنى الخلافة:

### الخليفة يجهل معنى الخلافة

يقول: «ثلاث لأن يكون رسول الله ﷺ يبينهن أحبَّ إليَّ من حمر النعم: الخلافة  
 والكلالة والربا»<sup>١</sup>.

### الخليفة يتجسس ويتسور البيوت

عن عمر بن الخطاب أنه كان يعسُّ ليلةً، فمرَّ بدارٍ، سمع فيها صوتاً؛ فارتاب وتسورَّ؛  
 فرأى رجلاً عند امرأة وزق خمر فقال: يا عدو الله! أظننت أن الله يسترك وأنت على  
 معصيته؟ فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين! إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في  
 ثلاث: قال الله تعالى: ﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾ [الحجرات، ١٢]، وقد تجسست! وقال: ﴿... وَأَتُوا  
 الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ [البقرة، ١٨٩]، وقد تسورت! وقال: ﴿... فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى  
 أَنْفُسِكُمْ...﴾ [النور، ٦١]، وما سلّمت! فقال: هل عندك من خير أن عفوتُ عنك؟ قال: نعم  
 والله لا أعود! فقال: إذهب فقد عفوت عنك!»<sup>٢</sup>

١. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج ٦، ص ٢٢٥؛ وأبوداود الطيالسي في مسنده، ج ١، ص ١٢؛ ورواه مرة بن  
 شرحبيل عن عمر بن الخطاب.

٢. الرياض النضرة، ج ٢، ص ٤٦؛ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٦١ و ج ٣، ص ٩٦، الدر المنثور، ج ٦، ص ٩٣؛  
 الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٤٧٧.

## اجتهاد الخليفة في البكاء على الميت خلاف حكم الرسول ﷺ

عن ابن عباس قال: «لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: إلقوها بسلفنا الخير، عثمان بن مظعون؛ فبكت النساء؛ فجعل عمر يضربهن بسوطه! فأخذ رسول الله ﷺ يده وقال: مهلاً يا عمر دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان! إلى أن قال: وقعد رسول الله ﷺ على شفير القبر، وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمةً لها»<sup>١</sup>.

ولا أدري، ما الذي حدا عمر إلى التسرع لضرب تلكم النسوة الباقيات وصاحب الشريعة ينظر اليهن من كذب! ولو كان بكأوهن محظورا، كان هو الأولى بالمنع والرد. ومن أين علم الحظر في بكائهن ورسول الله ﷺ يخالفه؟ وهلا راجعه ﷺ في أمرهن لما هم بهن تأديبا؟ وما هذه الفضاظة الدافعة له إلى ما فعل؟ وكيف مد يده إلى تلكم النسوة؛ حتى أخذها النبي الأعظم ﷺ ودافع عنهن؟ والمجتمعات هناك بطبع الحال حامة رسول الله ﷺ وذوات رحمته ونسوته.<sup>٢</sup>

هذه الفضاظة من الخليفة، أفتظن أنه تركها بعد نهى الرسول ﷺ؟ كلا! إنه كان يكررها طوال خلافته دون انتهاء<sup>٣</sup> ولئن كانت له قدرة على ضرب الرسول ﷺ أيضا لكان يضربه؛ إذ كان يبكي ﷺ على أفلاذ كبده:

كما بكى ﷺ وأجرى دموعا غزيرا على ابنه إبراهيم قائلًا: «العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»،<sup>٤</sup> وكما بكى على

١. مسند أحمد، ج ١، صص ٢٣٧ و ٣٣٥، مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٩١؛ وصححه وقال الذهبي في تلخيص المستدرک: «سنده صالح»، مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٥١، الإستهيعاب في ترجمة عثمان بن مظعون، ج ٢، ص ٤٨٢؛ مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٧.

٢. الغدير، ج ٦، ص ١٦٠.

٣. كما أخرج الحاكم عن أبي هريرة وروى سعيد بن مسيب وغيرهما من أعلام الحديث أن جلالتة كان يضرب النسوة الباقيات على موتاهن بالدرة، ويكيهن بالوجع، حزنا على حزن!

٤. سنن أبي داود، ج ٣، ص ٥٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٨٢.

ابنه: طاهر قائلاً: «إن العين تذرف وإن الدمع يغلب، وإن القلب يحزن، ولا نعصي الله عزّ وجلّ»<sup>١</sup>.

وبكى ﷺ لما أصيب حمزة ﷺ، وجاءت صفية بنت عبد المطلب ﷺ تطلبه، فحالت بينها وبينه الأنصار، فقال ﷺ: «دعوها»، فجلست عنده، فجعلت تبكي إذا بكى رسول الله ﷺ، وإذا نشجت نشج، وكانت فاطمة ﷺ تبكي، ورسول الله ﷺ كلما بكت يبكي، وقال: «لن أصاب بمثلك أبدا»<sup>٢</sup>.

وقد نعى ﷺ جعفرًا وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة وعيناه تذرفان<sup>٣</sup>.

وقد زار قبر أمه وبكى عليها وأبكى من حوله<sup>٤</sup>.

وهذا هو ﷺ يقبل عثمان بن مظعون، وهو ميت، ودموعه تسيل على خده<sup>٥</sup>.

وهذا هو ﷺ يبكي على ابن لبعض بناته؛ فقال له عبادة بن الصامت: «ما هذا يا رسول الله ﷺ؟» قال: «الرحمة التي جعلها الله في بني آدم، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»<sup>٦</sup>. وهذا وهذا...

فإنما البكاء على الأموات سنة الرحمة والحنان، يمنع عنها الفظ الغليظ، إلا من يرجو عونه! كما أنه ترك عائشة تبكي على أبيها بين الباقيات، وضربهن ونهاهن إلا أيها!  
قال سعيد بن المسيب: «لما مات أبوبكر بكى عليه! فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قال: إن الميت يعذب ببكاء الحي! فأبوا إلا أن يبكوا! فقال عمر لهاشم بن الوليد: قم؛ فأخرج النساء! فقالت عائشة: إني أخرج عليك، فقال عمر: ادخل فقد اذنت لك؛ فدخل؛ فقالت عائشة: أمخرجي أنت يا

١. مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٨.

٢. امتاع المقرئ، ص ١٥٤.

٣. صحيح البخاري، كتاب المناقب في علامات النبوة في الإسلام؛ سنن البيهقي، ج ٤، ص ٧٠.

٤. سنن البيهقي، ج ٤، ص ٧٠؛ تاريخ الخطيب البغدادي، ج ٧، ص ٢٨٩.

٥. سنن أبي داود، ج ٢، ص ٦٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٥٤.

٦. سنن أبي داود، ج ٢، ص ٥٨؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٨١.

بني؟ فقال: أما لك فقد أذنت. فجعل يخرجهنّ امرأة امرأة، وهو يضربهن بالدرّة؛ حتى خرجت أم فروة وفرق بينهن!»<sup>١</sup>

## لولاك لافتضحنا

قاله الخليفة حينما ذكر عنده حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: «لو أخذته؛ فجهزت به جيوش المسلمين، كان أعظم للأجر، وما تصنع بحلي الكعبة؟! فهمّ الخليفة بذلك، وسأل أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: «إن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين، فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفيء، فقسّمه على مستحقّيه، والخمس، فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات، فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله؛ ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا؛ فأقرّه حيث أقره الله ورسوله»، فقال عمر يخاطب علياً: «لولاك لافتضحنا!» وترك الحلي بحاله.<sup>٢</sup>

## زلة الخليفة في سياسته:

رغم ما يزعمه بعض من لا خبرة له، لا يخص تأخر الخليفة في القيادة الدينية وعلوم الدين فحسب، بل هو متأخر في التدبير السياسي أيضاً كالديني، ومن ذلك:

الخليفة يريد الخروج إلى غزو الروم بنفسه؛ فيشاور الإمام عليه السلام في ذلك فيشير إليه بقوله عليه السلام: «وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة، وستر

١. أخرجه ابن راهويه وصححه السيوطي - راجع كنز العمال، ج ٨، ص ١١٩؛ وذكره ابن حجر في الإصابة، ج ٣، ص ٦٠٦؛ و«إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» ج ٢، ص ١٥١؛ والمسند الجامع، ج ١٣، ص ٢٢٦؛ وجامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، الباب: مسند عمر بن الخطاب، ج ٢٨، ص ٣٩٥.

٢. النهج، ج ٣، ص ٢١٨؛ الكلام، ص ٢٧٠؛ عبده. صحيح البخاري، ج ٣، ص ٨١؛ في كتاب الحج باب الكسوة وفي الإعتصام أيضاً، أخبار مكة للأزرقي. سنن أبي داود، ج ١، ص ٣١٧؛ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٢٦٩؛ سنن البيهقي، ج ٥، ص ١٥٩؛ فتوح البلدان للبلاذري، ص ٥٥؛ الرياض النضرة، ج ٢، ص ٢٠؛ ربيع الأبرار للزمخشري، ب ٧٥؛ تيسير الوصول - فتح الباري، ج ٣، ص ٢٥٨؛ كنز العمال، ج ٧، ص ١٤٥.

العورة، الذي نصرهم، وهم قليل لا ينتصرون، ومنعهم، وهم قليل لا يمتنعون، **حيُّ لا يموت**، إنك متى سرت إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفةً دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع، يرجعون إليه، فابعث إليهم رجالاً محرباً، وأخفz معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهرك الله، فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين»<sup>١</sup>.

### من أين يبدأ تاريخ الإسلام؟

جمع الخليفة الناس، يسألهم: «من أي يوم نكتب؟»، فقال عليٌّ عليه السلام: «من يومٍ هاجر رسول الله، وترك أرض الشرك»<sup>٢</sup>. ذلك لأن النبي الاقدس صلى الله عليه وآله قدم المدينة في شهر ربيع الأول؛ فأمر حينذاك بالتأريخ؛ فكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت له سنة. فالإمام يشير - بما أشار - إلى ألاّ يبتدعوا في التأريخ ولا يتخلفوا عما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله.

### لا عشت في أمة لست لها يا أبا الحسن!

يقولها الخليفة، حينما يحكم على خمسة أنفار بالرجم؛ فيخطئه الإمام عليه السلام في ذلك؛ حيث يقدم عليه السلام واحداً يضرب عنقه، والثاني يرحمه، والثالث يضربه الحد، والرابع نصف الحد خمسين جلدة، والخامس يعزره.

فقال عمر: «كيف ذلك؟» فقال عليه السلام: أما الأول فكان ذمياً، زنى بمسلمة؛ فخرج عن ذمته، وأما الثاني، فرجل محصن زنى؛ فرجمناه؛ وأما الثالث، فغير محصن؛ فضربناه

١. نهج البلاغه، عبده، الكلام، ١٣١؛ أقول: وهذا نموذج من حسن سياسية الإمام وتدييره سياسيةً عادلةً، دونما مكز وخديعة! وقد يأتي القول الفصل في ذلك في بيان تأسيس الدولة العلوية، انشاء الله.

٢. أخرجه الطبري ومجاهد في تاريخيهما، وذكره الشارحي عن ابن شهاب، مناقب آل أبي طالب، ج١، صص ٣٣٨ و٣٣٩.

الحد، وأمّا الرابع، فعبد زنى؛ فضربناه نصف الحد، وأمّا الخامس فمغلوب على عقله مجنون فعزرناه». فقال عمر: «لا عشتُ في أمة، لستَ لها، يا أبا الحسن!»<sup>١</sup>

### رأي الخليفة في بيت المقدس:

عن سعيد بن المسيب قال: «إستأذنَ رجلٌ عمرَ بن الخطاب في إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهّز؛ فإذا تجهّزت، فأعلمني، فلمّا تجهّز جاءه؛ فقال له عمر: إجعلها عمرة. قال: ومّرّ به رجلان وهو يعرض إبل الصدقة فقال لهما: من أين جئتما؟ قالا: من بيت المقدس؛ فعلاهما بالدرّة وقال: أحج كحج البيت؟ قالا: إنا كنا مجتازين!»<sup>٢</sup>

**أقول:** وهذه الفتوى تعارض ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».<sup>٣</sup>

### رأي الخليفة في الأسماء والكنى وتعريضه فيها على رسول الله ﷺ

عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أنّ عمر بن الخطاب ضرب ابناً له، تكنّى بأبوعيسى، وأن المغيرة بن شعبة تكنّى بأبي عيسى؛ فقال عمر: أما يكفيك أن تكنّى بأبي عبد الله؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ كناني؛ فقال: إن رسول الله ﷺ قد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنا في جَلَجَلَتِنَا (جَلَجَيْتِنَا) فلم يزل يُكنّى بأبي عبد الله حتى هلك...»<sup>٤</sup>

١. مناقب آل أبي طالب، ج١، صص ٤٩٢-٤٩٣، عن الأصمغ بن نباته.

٢. أخرجه الأزرقي كما في كنز العمال، ج٧، ص ١٥٧.

٣. أخرجه أحمد في مسنده، ج٢، صص ٢٣٨ و ٢٧٨؛ والبخاري في صحيحه كما في السنن الكبرى، ج٥، ص ٤٤؛ ومسلم في صحيحه، ج١، ص ٣٩٢؛ والدارمي في سننه، ج١، ص ٣٣٠؛ وأبوداود في سننه، ج١، ص ٣١٨؛ وابن ماجه في سننه، ج١، ص ٤٣٠؛ والنسائي في سننه، ج٢، ص ٣٧؛ والبيهقي في سننه، ج٥، ص ٢٤٤؛ والبخاري في صحيحه، ج١، ص ٤٧؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٤، ص ٣؛ رواه أحمد البزاز والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات اثبات، والنسائي في سننه، ج٣، ص ٣٤؛ والترمذي في صحيحه، ج١، ص ٦٧؛ والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، ص ٦٠؛ أخرجه عن أبي سعيد الخدري وأبي الجعد الضميري وأبي هريرة وبصرة بن أبي بصرة الغفاري، وميمونة مولاة النبي ﷺ عن النبي ﷺ.

٤. سنن أبي داود، باب من يتكنّى بأبي عيسى، ج٤، ص ٤٤٦. وسنن البيهقي، باب من يتكنّى بأبي عيسى، ج٢، ص ٣٣٤.



وفي لفظاً: «ان النبي غفر له وإننا لا ندرى ما يفعل بنا»... وفي لفظاً: «ويلك هل ليعسى أب؟ أما تدري [أنّ] ما كني العرب: أبومرة، أبوحنظلة...» وفي لفظاً: «كتب إلى أهل الكوفة: لا تُسمّوا احداً باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسمائهم المسمين بمحمّد، حتى ذُكر له أنه ﷺ أذن لهم في ذلك؛ فتركهم!»<sup>١</sup>

**أقول:** مواقف الخليفة هذه في الأسماء والكنى تكشف عن مدى جهله وقوميته العربية، ومنها:

١- أنه يرى التكني بأبي عيسى ذنباً؛ لأن عيسى ﷺ ما كان له أب، رغم أنّ النبي ﷺ كنى المغيرة أبا عيسى! يرى هذه التكنية ذنباً من رسول الله ﷺ مغفوراً، وقد أخطأ في المعنى من ذنب الرسول ﷺ المغفور<sup>٢</sup> وأخطأ في أنّ التكني بابي عيسى ليس ذنباً، يغفر أو لا يغفر؛ لأنّ عيسى لا يختص بابن مريم ﷺ.

٢- ينهى عن التسمي باسم النبي ﷺ ويغير أسماء المتسمين به، رغم قول الرسول ﷺ: «إذا سميتُم محمداً، فلا تضربوه ولا تحرموه»! وقال: «إذا سميتُم الولد محمداً، فأكرموه، وأوسعوا له في المجلس، ولا تقبّحوا له وجهها»<sup>٣</sup> - ومثله كثير في الأحاديث - ورغم أنه ﷺ سمي غير واحد من ولدان عصره محمداً.<sup>٤</sup>

١. سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣٠٩؛ سنن البيهقي، ج ٩، ص ٣١؛ الإستيعاب، ج ١، ص ٢٥٠؛ تيسير الوصول، ج ١، ص ٣٩، الكنى والأسماء للدولابي، ج ١، ص ٨٥؛ زاد المعاد لابن القيم، ج ١، ص ٢٦٢؛ نهاية ابن الأثير، ج ١، ص ١٩٨؛ الإصابة ج ٢، ص ٤١٣؛ ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٠٤؛ عمدة القاري، ج ٧، ص ١٤٣.

٢. الذنب لغويًا: ما يستفضح عقباه دنوباً أو أخروباً، والثاني هو العصيان والأول قد يكون من أفضل الطاعات. وكان الرسول ﷺ مذنباً بهذا المعنى بين المشركين؛ إذ كانوا يترصبون به الدوائر ليقضوا عليه؛ فغفر الله أي ستر هذا الخطر بما فتح مكة المكرمة؛ فأمن قوم من هؤلاء والقلة الباقية لم يجسروا بعد على إيذائه. راجع كتابنا «الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة» وكذلك «عقائدنا».

٣. مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٤٨؛ السيرة الحلبية، ج ١، ص ٨٩؛ المدخل لابن الحاج، ج ١، ص ١٢٩؛ وأخرجه ابن عساكر وذكره المناوي في فيض القدير، ج ٦، ص ٢٣٧؛ والحلي في السيرة النبوية، ومسند أحمد، ج ٣، ص ٣٦٩ - ٣٠٣ - ٣٨٥؛ وغير ذلك من الكتب.

٤. مثل محمد بن ثابت بن قيس الأنصاري، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، ومحمّد بن عمار بن حزم الأنصاري، ومحمّد بن انس بن فاضلة الأنصاري ومحمّد بن يقديويه الهروي.

٣- حينما ينهى عن التكني بأبي عيسى، يأمر بكنى العرب كأبي مرة، وهو من كنى الشيطان!

فهل إن الخليفة يقصد من وراء ذلك أن يخفي أسماء الأنبياء ويُسيبها، كما منع عن حديث الرسول ﷺ وسمح في أشعار الجاهلية؟! فهل لكي يرجع المسلمون إلى الجاهلية الأولى؟! فلعله لم يكن إلا بدافع جهله العارم، وهذا خير المحامل لأعمال الخليفة، إذا أردنا استبقائه في الإسلام.

ويدُّ لك مع أيادٍ لم أجرك بها

يقولها الخليفة، مخاطباً الإمام ﷺ، حينما أتى بمال، فقسمه بين المسلمين، فضلت منه فضلة؛ فاستشار فيها من حضره من الصحابة؛ فقالوا: «خذها لنفسك؛ فإنك إن قسمتها لم يصب كل رجل منها إلا ما لا يلتفت إليه»، فقال علي ﷺ: «اقسمها، أصابهم من ذلك ما أصابهم، فالقليل في ذلك والكثير سوء»، ثم التفت إلى علي ﷺ وقال: «ويد لك مع أيادٍ لم أجرك بها»<sup>١</sup>.

فرَّج الله عنك يا أبا الحسن، كما فرَّجت عنا!

يقولها حينما تنازعت عنده امرأتان في طفل، ادعته كل واحدة منهما ولدا لها، دونما بينة ولا منازع فيه غيرهما، فاستدعى المرأتين، ووعظهما، وخوفهما؛ فأقامتا على التنازع والاختلاف؛ فقال ﷺ عند تماديهما في النزاع: «أئتوني بمنشار!» فقالت المرأتان: «وما تصنع؟» فقال ﷺ: «أقده نصفين، لكل واحدة منكما نصف!» فسكتت إحداهما، وقالت الأخرى: «اللَّهُ الله يا أبا الحسن! إن كان لا بد من ذلك فقد سمحتُ به لها!» فقال ﷺ: «اللَّهُ اكبر! هذا ابنك دونها؛ ولو كان ابنها لرقتُ وأشفتُ»؛ فاعترفت المرأة الأخرى أن

١. القاضي نعمان في شرح الأخبار عن يزيد بن خالد بإسناده إلى طلحة بن عبد الله.

الحق مع صاحبتهما، والولد لها دونها. فسُرِّيَ عن عمر، ودعا لأُمير المؤمنين عليه السلام، بما فرج عنه في القضاء<sup>١</sup>.

### عود علي بدء في وصف الخليفة عمر:

ثم ان الإمام يصف هذه الحوزة الخشنة بأنه: «كراكب الصعبة» ركب مركباً، لا يحق له، ولا يذلُّ لراكبه. فإن شدد عليها، يجذب زمامها؛ لتبطئ عن سرعتها وتسير على شاكلة راكبها، خرم أنفها، وضيعها حينذاك. وإن أسلس لها وأرسلها حيثما تريد، تقحمت به فلم يملكها.

أجل، إن قميص الخلافة الذي تقمصه، لأطول من قامته القصيرة بكثير، فإن قصر ذيله فقد نزل الخلافة دون مكانتها، وإن أرسله - كما هو - دفع به إلى الزلاّت.

ولكن الخليفة أرخى زمام الخلافة الصعبة بكل طاقاته الجبارة؛ فرمى به في أودية الضلالة، وتقحمت في ورطات الهلاكة، فلم يمكنه الخروج عنها والتخلص منها، فما يُنتظر لأمةٍ، هذا قائدها إلا أن يُمنوا ويبتلوا بخبط وشماس وتلون واعتراض، على حد قول الإمام.

فلقد كان يسير بهم على غير معرفة وإلى غير جادة؛ حيث كان مركوب الخلافة شماساً، تحت من ليس من أهلها، فما أتى بسيره السريع إلا تلونا واعتراضاً. أجل، و«إن العامل على غير بصيرة لا يزيده سرعة السير إلا بعداً عن الطريق»!

ثم يختم الإمام عليه السلام وصف الثاني بما وصف، ويقول: «فصبرت على طول المدة وشدة المحنة!» فلقد كانت المحنة في خلافة الثاني على الإمام علي عليه السلام، الذي يحسّ بالمسؤولية، أكثر من كل احد، حيث يجب عليه أن يراقبه في حكومته دون غفلة، ولا لحظة؛ فإن هو إلا كولي طفل أو ذي جنة، أمره الاستبداد الغاشم والجهل العارم على أمة كبيرة، لا يتمكن عزله والقيام مكانه، ولا الانعزال عنه ليصنع في الأمة بما لا يرضاه الله.

١. الإرشاد للمفيد، ج١، ص٢٠٥؛ ومناقب آل أبي طالب، ج١، ص٤٩٧ و٤٩٨.

## رأي الخليفة في علي أمير المؤمنين عليه السلام

عن ابن عباس قال: «وردت علي عمر بن الخطاب واردة، قام منها، وقعد، وتغير، وتردد، وجمع لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فعرضها عليهم، وقال: أشيروا علي! فقالوا جميعا: يا أمير المؤمنين أنت المَفْرَعُ<sup>١</sup> وأنت المنزع! فغضب عمر وقال: ﴿... اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ...﴾ [الأحزاب، ٧٠ - ٧١]؛ فقالوا يا أمير المؤمنين ما عندنا مما تسأله عنه شيء! فقال: أما والله، إني لأعرف أبا بجدتها<sup>٢</sup> وابن بجدتها وابن مفزعها وابن منزعها؟ فقالوا: كأنك تعني ابن أبي طالب؟ فقال عمر: لله هو! وهل طفحت حرة بمثله وأبرعته؟ انهضوا بنا إليه؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين أتصير إليه أو يأتيك؟ فقال: هيهات هناك شجنة من بني هاشم، وشجنة من الرسول، وأثرة من علم يوئى لها ولا يأتي، في بيته يوئى الحكم؛ فاعطفوا نحوه! فألفوه في حائط، وهو يقرأ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة، ٣٦] ويردها ويبيكي؛ فقال عمر لشريح: حدث أبا الحسن بالذي حدثنا به؛ فقال شريح: كنت في مجلس الحكم فأتى هذا الرجل فذكر أن رجلا أودعه امرأتين حرتين مهيبة (: غالية المهر) وأم ولد؛ فقال له: أنفقه عليهما حتى أقدم. فلما كان في هذه الليلة وضعتا جميعا إحداهما إبناً والأخرى بنتا، وكتاهما تدعي الابن وتتنفى من البنت من أجل الميراث...؛ فقال له: بم قضيت؟ فقال شريح: لو كان عندي ما أقضي به بينهما لم آتكم بهما؛ فأخذ علي عليه السلام طينة من الأرض فرفعها؛ فقال: إن القضاء في هذا أيسر من هذه، ثم دعا بقدر؛ فقال لإحدى المرأتين: إحلبي! فحلبت؛ فوزنه، ثم قال للأخرى: إحلبي!! فحلبت؛ فوزنه؛ فوجده على النصف من لبن الأولى؛ فقال عليه السلام لها: «خذي أنت ابنتك!» وقال عليه السلام للأخرى: «خذي أنت إبنك!» ثم قال عليه السلام لشريح: أما علمت أن لبن الجارية على النصف من لبن الغلام، وأن ميراثها نصف

١. أي: الملجأ (الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٢٥٨).

٢. أي: المنزع بالكسر: السهم والمنرعة بالفتح: ما يرجع إليه الرجل من أمره ورأيه و تدييره. (الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٢٩٠).

٣. أبا بجدتها: وقولهم: هو عالم ببجدة أمرك و بجدة أمرك أي: بدخلة أمرك و باطنه. و يقال: عنده بجدة ذلك بالفتح، أي: علم ذلك. و منه قيل للعالم بالشيء المتقن: هو ابن بجدتها. (الصحاح، ج ١، ص ٤٤٠).

ميراثه، وأن عقلها نصف عقله وأن شهادتها نصف شهادته، وأن ديتها نصف ديته؟ وهي على النصف في كل شيء. فأعجب به عمر اعجاباً شديداً، ثم قال: أبا الحسن! لا أبقاني الله لشدة لست لها! ولا في بلد لست فيه!¹

### فتوى الخليفة في حد البلوغ

عن ابن أبي مليكة أن عمر كتب في غلام من أهل العراق، سرق؛ فكتب أن: «اشبروه فإن وجدتموه ستة اشبار فاقطعوه!»! فشبر؛ فوجد ستة أشبار، تنقص أنملة؛ فترك.²

### فتوى الخليفة في المتعتين:

نجد الخليفة في طيات فتاواه يتلون: فتارة يفتي خلاف الكتاب والسنة عن جهل؛ فيدله علي أمير المؤمنين أو غيره من المسلمين، حتى العوام والنساء؛ فيقبل ويشكر، وأخرى يطيش ويغضب علي من يده، كما في قصة عمار، لما روي له حكم الجنب فاقد الماء، وعندما سئل عن معنى «الأب»؛ فلما رأى الحاضرين يجيئون، علاهم بالدرة يضربهم، وثالثة يفتي بفتاوى متناقضة، وإلى غير ذلك من مواقفه المحرجة في فتاواه. وقد نراه يفتي خلاف كتاب الله وسنة رسول الله مصراً بالخلاف ومهدداً من يخالفه ويرده إلى الكتاب، كما في قصة المتعتين:

### تحريم الخليفة متعة الحج:

قال عمر: «قد علمت أن النبي ﷺ قد فعله وأصحابه؛ ولكنني أكره أن يظلوا مُعرسين بهن في الأراك، ثم يروحون في الحج، تقطر رؤوسهم!»¹

١. كنز العمال، ج ٣، ص ١٧٩؛ مصباح الظلام للجرداني، ج ٢، ص ٥٦.

٢. أخرجه ابن أبي شيبه وعبدالرزاق ومسدد وابن المنذر في الأوسط كما في كنز العمال.

وقد تواتر النقل أن عمرَ حرّم متعة الحج، وقد نزل وجوبها في كتاب الله وعمل بها رسول الله ﷺ لما استحسنته!<sup>١</sup>

ومن ذلك ما عن سالم قال: «إني لجالس مع ابن عمر في المسجد، إذ جاءه رجل من أهل الشام، فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: حسن جميل! قال: فإن أباك كان ينهى عنها، فقال: ويملك فإن كان أبي نهى عنها، وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به! أفيقول أبي أخذ أم بقول رسول الله ﷺ؟ قم عني!»<sup>٢</sup>

وما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «تمتع رسول الله ﷺ؛ فقال عروة: نهى أبوبكر وعمر عن المتعة؛ فقال ابن عباس: ما يقول عرية؟ قال: يقول: نهى أبوبكر وعمر عن المتعة؛ فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبوبكر وعمر!»<sup>٣</sup>

١. أخرجه مسلم في صحيحه، ج ١، ص ٤٧٢؛ وابن ماجه في سننه، ج ٢، ص ٢٢٩؛ وأحمد في مسنده، ج ١، ص ٥٠؛ والبيهقي في سننه، ج ٥، ص ١٧ و ٢٠؛ والنسائي في سننه، ج ٥، ص ١٥٣؛ ويوجد في تيسير الوصول، ج ١، ص ٢٨٨؛ وشرح الموطأ للزرقاني.

٢. عن أبي رجا قال: «قال عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله وأمرنا بها رسول الله ﷺ، ثم لم تنزل آية تسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء». أخرجه مسلم في صحيحه، ج ١، ص ٤٧٤؛ والقرطبي في تفسيره، ج ٢، ص ٣٦٥؛ وصححه، قال البخاري، كما في تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٣٣؛ وقال القسطلاني في الإرشاد ٤: ١٦٩ والنووي في شرح مسلم: ان عمر كان ينهى الناس عن التمتع، وأخرج ما في معناه في السنن الكبرى، ج ٥، ص ٢٠ و ٣٤٤؛ والنسائي في سننه، ج ٥، ص ١٥٥؛ وأحمد في مسنده، ج ٤، ص ٤٣٤ و ٤٣٦؛ وفتح الباري، ج ٣، ص ٣٣٨؛ والدارمي في سننه، ج ٢، ص ٣٥؛ والمالك في الموطأ، ج ١، ص ١٤٨؛ والشافعي في الام، ج ٧، ص ١٩٩؛ والنسائي في السنن، ج ٥، ص ٥٢؛ والترمذي في صحيحه، ج ١، ص ١٥٧؛ وصححه، والخصاص في أحكام القرآن، ج ١، ص ٣٣٥؛ وابن القيم في زاد المعاد، ج ١، ص ٨٤؛ والزرقاني في شرح المواهب، ج ٨، ص ١٥٣.

٣. تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٦٥؛ عن الدارقطني، وأخرج ما في معناه الترمذي، ج ١، ص ١٥٧؛ وزاد المعاد لابن القيم، ج ١، ص ١٩٤؛ والزرقاني في هامش شرح المواهب، ج ٢، ص ٢٥٢؛ والسنن الكبرى، ج ٥، ص ٢١؛ ومجمع الزوائد، ج ١، ص ١٨٥.

٤. مسند أحمد، ج ١، ص ٣٣٧؛ كتاب مختصر العلم لأبي عمر، ص ٢٢٦؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ٣، ص ٥٣؛ زاد المعاد لابن القيم، ج ١، ص ٢١٩.

ولقد نهاهُ أبيُّ بن كعب - فيمن نهاه - عن هذه الفتوى. إذ همَّ أن ينهى عن متعة الحج؛ فقام إليه أبيُّ بن كعب فقال: «ليس ذلك لك؛ قد نزل بها كتاب الله واعتمرناها مع رسول الله ﷺ؛ فنزل عمر».

**أقول:** وما ذكرناه ليس إلا قليلاً من كثيرٍ، مما أخرجهُ الحُفَّاءُ وأعلام الحديث، أن الخليفة عمر حَرَّمَ متعة الحج فيما حرَّمه! والأصل في حلِّ عمرة التمتع قوله تعالى: ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخَلِّقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة، ١٩٦].

هذا، وقد حكم الخليفة عمر بخلاف هذه الآية، وهي من السورة التي درسها! ثم ماذا نصنع بالآيات التالية: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ \*... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \*... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة، ٤٤ - ٤٧].

فهل نُكذِّبُ كتاب الله؟ أم نحكم بظلم وفسق وكفر الخليفة؟ لا فحسب، بل إنه أظلم وأفسق وأكفر؛ لأنه حكم ضد ما أنزل الله!

... إن الله يأمرنا بضم الحج إلى العمرة، والخليفة ينهانا قائلاً: «افصلوا بين حجكم وعمرتكم. اجعلوا الحج في أشهر الحج واجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتمَّ لحجكم وعمرتكم».

١. أخرجه أحمد، ج ٥، ص ١٤٣؛ والبيهقي، ج ٣، ص ٢٤٦؛ وقال: «رجاله رجال الصحيح»، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج ٣، ص ٣٣؛ والدر المنثور، ج ١، ص ٢١٦؛ نقلاً عن مسند ابن راهويه وأحمد.

٢. موطأ مالك، ج ١، ص ٢٥٢؛ سنن البيهقي، ج ٥، ص ٥؛ تيسير الوصول، ج ١، ص ٢٧٩؛ وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في الدر المنثور، ج ١، ص ٢١٨.

## تحريم الخليفة متعة النساء

عن عمر أنه قال: «ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ، أنا مُحَرَّمُهن ومُعَاقِبٌ عليهن: متعة الحج، ومتعة النساء، و(حيٌّ على خير العمل) في الاذان!»<sup>١</sup>

**أقول:** احاديث المتعتين تربو على أربعين حديثاً بين «صحاح» و«حسان» تعرب عن أن المتعتين كانتا على عهد رسول الله ﷺ، ونزل فيها القرآن، وثبتت إباحتهما بالسنة، وأول من نهى عنهما عمر.<sup>٢</sup>

وانما نهى عن متعة النساء، أواسطَ خلافته، في شأن عمرو بن حريث؛ إذ قدم الكوفة، فاستمتع بمولاة، فأتى بها عمرو حُبلى؛ فسأله فاعترف، فذلك حين نهى عنها عمر.<sup>٣</sup>

وأخرج ابن الكلبي: «أنَّ سلمة بن أمية بن خلف الجمحي استمتع من سلمى مولاة حكيم بن أمية بن الأوقص الأسلمي؛ فولدت له؛ فوجد ولدها؛ فبلغ ذلك عمر؛ فنهى عن المتعة».<sup>٤</sup>

نهى عنها الخليفة، إلى حيث، اعتبرها سفاحاً، رغمَ حليتها في الكتاب والسنة، كما في قوله لمن فعلها: «اما والذي نفسي بيده، لو كنت تقدمت في نهى لرجمتك، بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح».<sup>٥</sup>

وقد يرى نفسه مقابل كتاب الله وسنة رسوله، ناقلاً لهما في حلية المتعتين، ثم يحرمهما رَغْمَهما ومستَهزءً بهما!

فعن أبي نضرة عن جابر رضي الله عنه، قال قلت: «إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر به». قال: «على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله ﷺ ومع

١. أخرجه الطبري في المستبين، والقوشجي في شرح التجريد، وحكاه عن الطبري الشيخ على البياضي في كتابه «الصراط المستقيم».

٢. عده العسكري في أولياته، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٩٣؛ والقرواني في تاريخه هامش الكامش الكامل، ج ١، ص ٢٠٣؛ أول من حرّم المتعة.

٣. أخرجه الحافظ عبدالرزاق في مصنفه عن ابن جريح قال: «أخبرني ابوالزبير عن جابر...»؛ وفتح الباري، ج ٩، ص ١٤١.

٤. الاصابة، ج ٢، ص ٦٣.

٥. عن سليمان بن يسار عن أم عبد الله ابنة أبي خثيمة، وأخرجه كنز العمال، ج ٨، ص ٢٩٤؛ من طريق الطبري.



أبي بكر، فلما ولى عمر خطب الناس، فقال: **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الرَّسُولُ! وَإِنَّ الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنُ! وَإِنَّهُمَا كَانَتَا مَتَعَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا، وَأَعَاتِبُ عَلَيْهِمَا: إِحْدَاهُمَا مَتَعَةُ النِّسَاءِ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَجُلٍ تَزُوجُ امْرَأَةً إِلَى أَجْلِ إِلَّا غَيْبْتُهُ بِالْحِجَارَةِ! وَالْأُخْرَى مَتَعَةُ الْحَجِّ»<sup>١</sup>.**

وقد يرى نفسه حاكماً، كما الله يحكم، دون أن يخص الحكم به تعالى، كما عن عمر، أنه قال: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ يَحِلُّ لِنَبِيِّهِ مَا شَاءَ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مِنْزَلَهُ؛ فَافْصَلُوا حُجُوكُمْ مِنْ عَمْرِكُمْ وَاتَّبِعُوا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ؛ فَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ تَزُوجُ الْمَرْأَةَ إِلَى أَجْلِ إِلَّا رَجَمْتُهُ»<sup>٢</sup>!**

إِنَّ الْخَلِيفَةَ عَمْرٍ يَنْهَى عَمَّا أَحْلَاهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي صَحِيحَةِ سَرَاقَةَ، قَالَ: **«قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطِيبًا، فَقَالَ: أَلَا إِنْ الْعَمْرَةَ قَدْ دَخَلْتَ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>٣</sup>.** وقد رواه الخليفة أيضاً عنه **ﷺ**<sup>٤</sup>. ولقد عارض الخليفة - فيمن عارضه وجاه رأيه في تحريم المتعتين - نفر كبير من الصحابة والتابعين<sup>٥</sup>. وأهم من كل المذكورات

١. سنن البيهقي، ج ٧، ص ٢٠٦؛ وقال: «أخرجه مسلم في الصحيح من وجه آخر عن همام».

٢. مسند أبي داود الطيالسي، ص ١٤٧، ولقد أخرج وروى تحريم المتعتين نفر كبير من الحفاظ وأصحاب الصحاح والسنن بألفاظ مختلفة، يجمعها أصل تحريمه من الخليفة عمر، رغم أنهما كانتا محللتين على عهد رسول الله ﷺ! وممن أخرجه: مسلم، ج ١، ص ٣٩٥؛ جامع الاصول لابن الأثير، تيسير الوصول لابن الدبيح، ج ٤، ص ٢٦٢؛ زاد المعاد، ج ١، ص ٤٤٤؛ فتح الباري، ج ٩، ص ١٤١؛ كنز العمال، ج ٨، ص ٢٩٤؛ الموطأ، ج ٢، ص ٣٠؛ الام، ج ٧، ص ٢١٩؛ السنن الكبرى، ج ٧، ص ٢٠٦؛ تفسير الطبري، ج ٥، ص ٩؛ تفسير الثعلبي، تفسير الرازي، ج ٣، ص ٢٠٠؛ تفسير أبي حيان، ج ٣، ص ٢١٨؛ تفسير النيسابوري، الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤٠؛ بداية المجتهد لابن رشد، ج ٢، ص ٥٨؛ النهاية لابن الأثير، ج ٢، ص ٢٤٩؛ الغريين للهروي، الفائق للزمخشري، ج ١، ص ٣٣١؛ تفسير القرطبي، ج ٢، ص ١٤٠؛ لسان العرب، ج ٩، ص ١٦٦؛ تاج العروس، ج ١٠، ص ٢٠٠؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٨٠؛ البيهقي، ج ٧، ص ٢٠٦؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٥٦ و ٣٦٣؛ الجصاص، ج ٢، ص ١٧٨؛ كنز العمال، ج ٨، ص ٢٩٣؛ البيان والتبيين للجاحظ، ج ٢، ص ٢٢٣؛ السرخسي الحنفي في المبسوط، ضوء الشمس، ج ٢، ص ٢٩٣؛ وعشرات أمثال هؤلاء؛ وقد جمعهم العلامة المغفور له الاميني في الغدير، ج ٦، ص ٢٠٥، ٢١٣.

٣. مسند أحمد، ج ٤، ص ١٧٥؛ سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٢٢٩؛ سنن البيهقي، ج ٤، ص ٥٥٢؛ سنن الدرامي، ج ٢، ص ٥١؛ صحيح الترمذي، ج ١، ص ١٧٥؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ٢٨٣؛ سنن النسائي، ج ٥، ص ١٨١؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٣٠.

٤. أخرجه البيهقي في سننه، ج ٥، ص ١٣؛ وقال: «رواه البخاري في الصحيح».

٥. وهم: عمران بن الحصين - جابر بن عبدالله - عبدالله بن مسعود - عبدالله بن عمر - معاوية بن أبي سفيان - أبوسعيد الخدري - سلمة بن أمية بن خلف - معبد بن أمية - الزبير بن عوام - خالد بن مهاجر - عمرو بن حريث - أبي بن كعب - ربيعة بن أمية - سمير - سعيد بن جبير - طاووس اليماني - عطاء أبو محمد المدني - السدي - مجاهد -

كتاب الله في قوله تعالى: ﴿... فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء، ٢٤]

وإضافةً إلى صراحة الآية في متعة النساء، نجد تصريحاتٍ وفيرةً من نفر كبير من الحفاظ وأرباب السنن والتفاسير، أنها نزلت في متعة النساء، بين من خصها بها، ومن عمها بالنكاحين الدائم والمنقطع<sup>١</sup>، ومن احتمل اختصاصها بالدائم، رمياً له بالشذوذ، أنه خلاف المتواتر من السنة، الظاهر من الآية.

## فضائل مختلقة للخليفة عمر بن الخطاب، مكافحة لما قرأت

### ١ - مهانة الرسول الأقدس ﷺ، بغية إكرام عمر!

«الشیطان یفر من عمر ولا یفر من رسول الله ﷺ»!

عن بريدة: «خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله ﷺ، إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى؛ فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرتِ فاضربي وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل ابوبكر، وهي تضرب، ثم دخل علي، وهي تضرب؛ ثم دخل عثمان، وهي تضرب، ثم دخل عمر؛ فألقت الدف تحت أستها، ثم قعدت عليها؛ فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر! إني كنت جالسا، وهي تضرب، ثم

زفر بن أوس المدني - علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سلمان الفارسي، عمار بن ياسر - مقداد - أبودجانة الأنصاري - مالك الأستر - وعشرات أمثالهم كما نجد في طيات الروايات.

١. كالإمام أحمد في مسنده، ج ٤، ص ٤٣٦؛ وأبو جعفر الطبري في تفسيره، ج ٥، ص ٩؛ أخرجه عن قتادة وعن شعبة عن الحكم وعن عمر بن مرة ومجاهد وأبي ثابت، كلهم روه إلى أجل مسمى، وأبوبكر الجصاص، ج ٢، ص ١٧٨؛ والحافظ أبوبكر البيهقي، ج ٧، ص ٢٠٥؛ والحافظ البغوي في هامش تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٢٣؛ وأبو القاسم جار الله الزمخشري في الكشاف، ج ١، ص ٣٦٠؛ والقاضي أبوبكر الاندلسي في أحكام القرآن، ج ١، ص ١٦٢؛ أبوبكر يحيى بن سعدون القرطبي في تفسيره، ج ٥، ص ١٣٠؛ وفخر الدين الرازي، ج ٣، ص ٢٠٠؛ والحافظ أبوزكريا النووي في تفسيره، ج ١، ص ٢٥٩؛ وعلاء الدين البغدادي في تفسير الخازن، ج ١، ص ٣٥٧؛ وابن جزري في التسهيل، ج ١، ص ١٣٧؛ وأبو حيان في تفسيره، ج ٣، ص ٢١٨؛ وابن كثير في تفسيره، ج ١، ص ٤٧٤؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤٠؛ وأبو السعود العمادي في تفسيره، ج ٣، ص ٢٥١؛ والقاضي الشوكاني في تفسيره، ج ١، ص ٤١٤؛ وشهاب الدين الألوسي في تفسيره، ج ٥، ص ٥؛ وغيرهم من أعلام السنة في التفسير والحديث.

دخل أبوبكر، وهي تضرب، ثم دخل علي، وهي تضرب، ثم دخل عثمان، وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر، أَلقتِ الدف»!!!

**أقول:** وليت شعري بماذا يدين هذا الجعال الدجال، الذي يمس من كرامة الرسول ﷺ ولا يبالي، بغية اختلاق مكرمة لعمر؟! ولماذا لم يكتف باختلاق فضائل للخليفة لا تمس من كرامة الرسول ﷺ؟! فليس لنا إلا أن نقول: هذه روايات إسرائيلية، يُقصد من ورائها تشويه سمعة الإسلام، والقضاء على كرامة الرسالة المحمدية ﷺ.

## ٢ - عمر لا يحب الباطل والله ورسوله يحبان الباطل!

عن الأسود بن سريع قال: «أتيت النبي ﷺ، فقلت: قد حمدت ربي بمحامد ومدح، وإياك؛ فقال: إن ربك عزّ وجلّ يحب الحمد؛ فجعلت أنشده، فاستأذن رجل طويل أصلع، فقال لي رسول الله ﷺ: اسكت! فدخل، فتكلم ساعة، ثم خرج؛ فأنشدته، ثم جاء؛ فأسكتني النبي ﷺ، فتكلم، ثم خرج؛ ففعل مرتين أو ثلاثاً؛ فقلت يا رسول الله ﷺ! من هذا الذي أسكتني له؟ فقال: هذا عمر، لا يحب الباطل!»<sup>١</sup>

**أقول:** هل إن حمد الله ومدح رسوله باطل، لكي يبغضه عمر؟ فكيف إذاً يحبه الله رسوله؟ أم إنه حق، يراه الخليفة باطلاً، ويتبعه الرسول في رأيه، كأنه الشارع دون الله! «فهل علمت رواة السوء بالذي تلوكه بين أشداقها؟ أم درت فتعمدت؟ أم إن حب عمر والمغالاة في فضائله، أعماهم عن تبعات هذا القول الشائن؟»<sup>٢</sup> فما أسرع الأسود في فريته السوداء على الرسول الأقدس ﷺ! ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج، ٤٦].

١. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٦؛ من طريق الأسود بن سريع ومن طريق آخر عن الأسود التميمي.

٢. العلامة المغفور له الأميني في الغدير، ج ٨، ص ٩٠.

### ٣ - فَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ عَمْرِ دُونَ الرَّسُولِ ﷺ!

عن سعد بن أبي وقاص قال: «إستأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتهن، فلما استأذن عمر، قمن، يتدرن الحجاب؛ فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك؛ فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله ﷺ! قال ﷺ: عجبت من هؤلاء، اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك، إبتدرن بالحجاب...! ثم قال ﷺ والذي نفسي بيده، ما لفيك شيطانٌ قطُّ، سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»<sup>١</sup>.

**أقول:** وأنا لا املك شيئاً وراء هذه الأسطورات الكافرة، إلا أن أردد اللعنة على الكذابين، الذين يمسون من كرامة الرسول الأقدس ﷺ، وعجب من البخاري كيف يذكرها في صحيحه؟ أحباً للخليفة وبُغضاً للرسول ﷺ؟!



## الشورى الثانية

هنا يعطف الإمام عليه السلام بالكلام إلى الشورى الثانية، التي بيّضت وجه الأولى؛ حيث خلفت الولايات بانتصاب جرثومة أموية ضئيلة، تتقوى بشتى الفروع من هذه الشجرة الملعونة في القرآن! ألا وإنه حجر الأساس لبناء الحكومة الأموية التي أضمرت العداء لنبي الإسلام، والقضاء على الإسلام، منذ البدء!

هذه الشورى، هي التي تجدد مجد أمية ونعرات الجاهلية الأولى، وتنتقم من محمد ﷺ ومن معه، أشدّ الانتقام.

١. أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٥، ص ٨٩؛ وفي المناقب، ج ٥، ص ٢٥٦.

هذه التي تعترك المعارك ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتقلّب أمور الأمة ظهرَ بطنٍ، لا على خلاف كتاب الله وسنة نبيه فحسب، بل خلافاً لسيرة الشيخين، الَّذِينَ كانا يحافظان على الإسلام في ظاهر الأمر، أحياناً كثيرةً.

تلك التي قلبت أمور الأمة الإسلامية إلى حيث، يصعب الأخذ بزمامها، حتى في حكومة الإمام عليه السلام؛ فلقد كان عليه السلام لا يكاد يقبل الإمرة بعد مقتل عثمان، رغم الثورة الكبيرة من الأمة جمعاء لقبول بيعته عليه السلام؛ فيقول الإمام حينذاك:

«... حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ! فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ؛ حَتَّى صَرْتُ أُفْرَنْ إِلَى هَذِهِ النِّظَائِرِ؟! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَوْا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لَضِغْنِهِ، وَمَالَ الْآخِرَ لَصَهْرِهِ مَعَ هَنْ وَهَنْ...»

فبُؤْساً وَبُعْداً للشورى الأولى؛ حيث تولد مواليد كهذه التي - على عمد أو جهل - تبني قواعد عرش أمية الكافرة، الذي كلف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لتحطيمها النفاس والنفوس بجهوده وجهاده المقدس.

الخليفة الذي اختلقته يد الاستبداد من خليفة الشورى الأولى، يمضي لسبيله ولا يرضى ويقنع بويلات الخلافتين؛ حتى يجعل الخلافة بعده في شورى انتصابية في اختلاف واختناق.

ذلك حيلة منه: (من عمر) على انتصاب خليفة، كشاكلته، يرمي مرماه وينحو منحاه، إلا أنه لم يستبد في ظاهر الأمر لشخص خاص بعينه، رغم ما فعله خليفة الشورى الأولى، مخافةً اعتراض المسلمين بأن الخلافة لا تكون إلا بالنص أو الشورى.

لذاك وذاك، ينتخب للشورى خمسةً، سادسهم الإمام عليه السلام. خمسةً يزيّف مكانتهم من الخلافة علانيةً على علم منه أنهم يسدون باب الخلافة على الإمام عليه السلام بطبيعة الحال، وبما يشترط للشورى من الشروط المستبدة

الغاشمة، وبما يهددها - إن لم ترض بما اشترط - بالقتل، على يدي أبي طلحة الأنصاري رئيس الشورى وحفيظها، وهو في خمسين رجلاً من الأنصار حول نادي الشورى، حاملين سيوفهم على عواتقهم!

### كيان أعضاء الشورى وشرائطها:

تصريح جلاله الخليفة، أن الرسول الأعظم ﷺ مات وهو راضٍ عنهم، ثم تقيحه كل واحد منهم ما خلا الإمام ﷺ حاصراً نقصه ﷺ - وحاشاه - أن به دعاية.

يقول الشارح المعتزلي: «إنَّ عمرَ لَمَّا طعنه أبولؤلؤة وعلم أنه ميت لا محالة، استشار فيمن يوليه الأمر بعده؛ فأشير إليه بابنه عبدالله (إشارة ملوكية وراثية)؛ فقال: لا هاء الله! لا يليها رجلان من ولد الخطاب، حسب عمر ما حمل، حسب عمر ما احتقب، لا هاء الله! لا أتحملها حيا وميتا! ثم قال: إن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن هذه الستة من قريش: عليٌّ ﷺ، وعثمان، وطلحة، والزيبر، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم؛ ليختاروا لأنفسهم. ثم قال: إن استخلف، فقد استخلف من هو خير مني، يعني: أبابكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ!!! وحاشاه من هذه النسبة الزور!

هنالك نتساءل الخليفة، إن لم يتسَخلف الرسول الأعظم ﷺ، كما تزعم؛ فلماذا تستخلف أنت خلافاً عليه وتخلفاً عن سنته؟ وإذا استخلف قريشك؛ فهل إنَّ هذا يرجِّح سنة الإِستخلاف؛ حتى تقلده في ذلك وتترك سنة الرسول ﷺ؟!!

أفهل تظن الرسول ﷺ ترك سنة حسنة، يعمل بها ابن أبي قحافة؟!!

## الخليفة يقبِّح أعضاء الشورى الانتصابية

وهو بذلك: يفنِّد رأي الرسول ﷺ في حبهم كما زعم، كما يرجح فعلة ابن أبي قحافة في الاستخلاف.

يروى الشارح المعتزلي عن الشيخ أبي عثمان الجاحظ، أن عمر حينذاك قال:

«ادعوهم لي؛ فدعوهم؛ فدخلوا عليه؛ وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه. فنظر إليهم فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي؟ فوجموا؛ فقال لهم ثانية؛ فأجابه الزبير قائلاً: ما الذي يبعدنا منها، وليتها أنت، فقامت بها! ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة والقرابة!»!

فانظر إلي هذه الكلمة الخبيثة، يدهن بها الزبير الخليفة تقرباً إليه، وشكراً لأيديه، أن جعله من أعضاء الشورى، على علمه بما لعليٍّ ﷺ من الفضيلة والسابقة. أجل، إن الخليفة ينتخب للشورى رجالاً على شاكلته، ينحون نحوه، ويحذون حذوه، إلا علياً ﷺ؛ إذ لا يرضاه خليفةً، مهما دخله فيهم بظاهر الأمر.

## الخليفة يخبر أعضاء الشورى عن أنفسهم:

### زبير!

الجاحظ يسوق القصة كما يلي: «أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قال الزبير: قل؛ فإننا لو استعفيناك لم تعفنا».

فلقد بلغت الفضيحة من الخمسة أصحاب الشورى إلى حيث يتقون تصريحات الخليفة عن كيانهم؛ فهذا رأي الطالب والمطلوب، والناخب والمنتخب؛ فكيف بهذه الأمة المظلومة؟! فبؤساً لقوم، يرعاهم من لا يرى نفسه أهلاً!

﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد، ١١]

«كما أنتم، يولى عليكم».

«لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون؛ فلا يستجاب لكم»<sup>١</sup>.

حينذاك، يقول الخليفة، مخاطباً أعضاء الشورى، واحداً تلو الآخر: «أما أنت يا زبير، فوعق لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب؛ يوماً إنساناً، ويوماً شيطاناً، ولعلها لو أفضت إليك، ظلت يومك تلاطمُ بالبطحاء على مُدّ من شعير! أفرأيت إن أفضت إليك، فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ومن يكون يوم تغضب! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة!»

فهذا زبير أحد أعضاء الشورى، يصفه الخليفة بخبث الطينة، وسوء الخلق والسريرة، وأنه شيطان! فهذا عمل الخليفة وكل إنسان يعمل على شاكلته!

### طلحة!

ثم اقبل على طلحة، ولقد كان بينهما ما كان،<sup>٢</sup> قائلاً: «أقول أم أسكت؟ قال: قل؛ فانك لا تقول من الخير شيئاً! قال: أما إنني أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أحد، والباد الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله ﷺ، ساخطاً عليك، للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب».

قال الجاحظ: «لما نزلت آية الحجاب قال طلحة بمحضرٍ ممن نقل عنه إلى رسول الله ﷺ: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم! سيموت غدا فنكحهن...!»  
وفي رواية البلاذري قال: «أنفه في السماء وأسته في الماء»<sup>٣</sup>!

١. من وصية الإمام للحسينين ﷺ.

٢. أنه اعترض على أبي بكر انتصابه لعمر، فهو يكمن له العداة بطبيعة الحال، ويظهرها له حينذاك وعداءه للإسلام بانتصابه، أحد أعضاء شورى الخلافة.

٣. ج. ٥، ص ١٧.



**سعد!**

ثم اقبل الخليفة على سعد بن أبي وقاص قائلاً: «إنما أنت صاحبُ مقنبٍ من هذه المقانب، (أي صاحب جيوش وفي كتاب الالفين، أنهم ثلاثمائة) تقاتل به، وصاحب قنصٍ، وقوس وأسهم، وما زهرة والخلافة وأمور الناس!»!

**عبدالرحمن بن عوف!**

ثم أقبل على ابن عوف قائلاً: «وأما أنت يا عبدالرحمن، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك، لرجح إيمانك به، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، وما زهرة وهذا الأمر!»!

**عثمان بن عفان!**

ثم خاطب عثمان - هدفه الأساسي من الشورى - قائلاً: «هيها إليك! (بؤساً ودناسَةً ورجاسَةً) كأني بك قد قلَّدتكَ قريشٌ هذا الأمرَ لحبها أياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وأثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذُوبان العرب؛ فذبحوك على فراشك ذبحاً! واللَّه، لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن!» ثم اخذ بناصيته قائلاً: «فإذا كان كذلك، فاذكر قولي؛ فإنه كائن».

**الإمام أمير المؤمنين عليؑ!**

وأخيراً! أقبل على الإمام عليؑ قائلاً: «لله أنت، لولا دعاية فيك! أما واللَّه، لئن وليتهم، لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء!»!

**الخليفة! يخلف عثمان الأموي مرتين**

مرةً بما مر من بيان كيان الستة أعضاء الشورى، وأخرى بما انتصبهم أعضاء للشورى وما شرط لها!

١. لعله مما سمعه من رسول الله ﷺ أو من عليؑ؛ فإنه من أنباء الغيب وعمر ما كان ليعلم الشاهد فضلاً عن الغيب.

فالأول: ما يظهر من بيان شخصية الأعضاء؛ فيرى الأول شيطاناً، لا يرضى الله له الخلافة، فكيف يوَلَّى حينذاك؟!

ويرى الثاني راداً على رسول الله آية الحجاب، مستهزئاً به ﷺ، وقد سخط عليه الرسول ﷺ، فكيف يقود الأمة من هذه صفته؟!

ويرى الثالث صاحب جند وقوة، فكيف يوَلَّى من له جنود وسلطان، والخلافة تنافي الاستبداد بالقوة؟! بل يحق لها أن تتقوى بسلطان التقوى ورضى الشعوب.

ويرى الرابع ضعيفاً، بالرغم من إيمانه – على زعمه – وليس تصلح قيادة الأمر لضعفاء الأمة.

ثم لما يخاطب الخامس، يرى استخلافه ثابتاً، بقوله: «كأني بك، قد قلدتكَ قريشٌ هذا الأمرَ لحبها إياك...!» فيعلنُ ميله إليه، وأنَّ قريشاً تحبه ولذلك تستخلفه، وإن كان يذكر سوء تدبيره في أيامه إلى حيث يجهز عليه عمله فيقتله، إلا أنه مع ذلك يقول فيه مقالته الصريحة في ميله وميل قريش إليه، ميل كل إنسان إلى شاكلته!

وحينما يقبل على الإمام علي عليه السلام لا يرى فيه نقطة سوداء، يعترضه بها، ولا آية منقصة، يعيِّره فيها، ولذلك يستحسن ويستجمل ولايته بعده، على ترده فيها من وجهين، دون أن يعلن رغبته فيها أو ميله إليها:

١. فريته على الإمام عليه السلام، أن به دعايةً قائلاً: «لله أنت» حقيق أنت بالخلافة

وحرىُّ بها، لولا دعاية ومزاح!

يعني الخليفة – من خلايا هذه الجملة المشحونة بشتى المكائد والحيل – أن قيادة المسلمين لا تصلح لمن فيه دعاية؛ فلا تولَّوه الأمر!

الخليفة يسمى العطف والحنان والخلق العظيم، الذي يعرفه من الإمام عليه السلام، – يسميه – دعايةً، ثم يجعلها من الأسباب الهامة لعدم تأهله عليه السلام

للخلافة، إلى حيث يعبر عن ولايته بـ «لو» إشارةً إلى امتناع توليه أمر الأمة له ﷺ والحال هذه.

إن الخليفة لحوزته الخشنة التي يغلظ كلمها ويخشن مسها، يحسب كل حنانٍ دعابةً، وكلِّ رافةً مزاحاً ومضحكةً، حينما يداعب الدين والمسلمين في خالفته ويستتهزئُ بهم في صورة خشنة.

ذلك! بالرغم من أن الرسول الأعظم كانت به دعابة وابتسام، كما قال الله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم، ٤] فهل إنه ﷺ ما كان يحق للرسالة؟!

إنه ليرى الدعابة من موانع الولاية، وهو يداعب ويلعب الأمة الإسلامية بهذه الشورى الانتصابية السوداء!

٢. سكوته عن حب الأمة للامام ﷺ، حيث يضيفه إلى رأيه في عدم تأهله للخلافة!



## الهيئة التنفيذية للشورى وشرائطها

ثم بعد أن يأخذ أعضاء الشورى، كلُّ مأخذَه من الخليفة، ينتخب هيئةً تنفيذيةً عنيفة، لإنتاج الشورى كما يريد، على الشرائط التالية قائلاً:

«ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري»؛ فدعوه له، فقال: «انظر يا أبا طلحة! إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم. فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه! وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافهما فاضرب أعناقهم!»

وأخيراً بعد هذه الفتاوى القاتلة المستبدة، يفتي بقتل الجميع قائلاً:

«وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر؛ فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم!»

### محاكمة عادلة، في الشورى الدامية:

يا خليفة المسلمين! بأي سناد تسند في هذه الآراء القاتلة، تستبيح به دماء الرعيل الأول من وجهاء المسلمين - على زعمك - الذين تؤهلهم للخلافة؟! وهذه بدعة منك سيئةٌ على خلاف كتاب الله وسنة نبيه، وسيرة خليفة السقيفة الذي تتبع أثره!

تصنع الشورى على شاكلة، تدلي بها إلى ابن عفان بعدك، وقد وصفته أنه يحمل بني أميه على رقاب المسلمين!

تجعل الشورى في ستة، تزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام أحدهم، تذيلاً منك لساحته، فمتى اعترض الريب فيه مع الأول منكم - وهو خيركم - حتى صار يقرن إلى هذه النظائر؟ فلتكُ لم تُدخله فيهم، مصرحاً: أيها المسلمون لا تولوا علياً! فلعمر الله، كان ذلك أحسن إليه وأوفق لكيانه، من قرنه لهذه الخمسة الذين تصف كلاً منهم بألوان الرذائل!

فيا لله وللشوري التي بداية أمرها كهذه، وختامها أن البيعة إنما هي لمن يسير بسيرة الشيخين، وحاش لعلي أن يقبل حقه المنصوص على شريطة الباطل!

### عملية الشورى

دُفن عمر، فوقف شرطة الشورى على باب البيت، وقد جمع الستة! وقف بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم!

### طلحة!

ثم اتكل القوم وتنازعوا؛ فقام طلحة يشهدهم على نفسه أنه وهب حقه من الشورى لعثمان، حيث يعلم أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان، فليقف جانب عثمان تضعيفاً لجانب علي ولا أقل برأي واحد!

### الزبير!

حينذاك يقوم الزبير، يعارض طلحة، ويشهد على نفسه أنه وهب حقه من الشورى لعلي، حمية النسب<sup>١</sup>، وخلافاً على عثمان، فإلى هنا رأيان يكافئان في علي وعثمان؛ فبقي أربعة.

١. حيث إنه ابن صفة عمه أمير المؤمنين.

**سعد!**

قال سعد: «وأنا وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبدالرحمن»؛ حيث يرى أن الأمر لا يتم له، وأنهما من بني زهرة.

**عبدالرحمن!**

إذ ذاك، يخاطب عبدالرحمن علياً عليه السلام وعثمان قائلاً: «أيكما يخرج نفسه من الخلافة، ويكون إليه الإختيار في الباقيين؟»؛ فلم يتكلم منهما أحد؛ فقال: «إني أشهدكم قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما»؛ فأمسكاً؛ فبدأ بعلي عليه السلام وقال له: «أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر!»

**علي عليه السلام**

«بل على كتاب الله وسنة رسوله»؛ فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه، فقال: «نعم!»؛ فعاد إلى علي، فأعاد قوله ذلك ثانياً ثم ثالثاً، فلما رأى أن علياً عليه السلام غير راجع عما قاله، وأن عثمان ينعم له بالإجابة، صفق على يد عثمان وقال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين!»

هذه صنعة الشورى! ولقد كان من المستحيل أن توافق علياً على الإمرة؛ حيث إن جلالة الخليفة صبغها بصبغة واحتال فيها بحيلة، لا توافق ولا تشاكل إلا ابن عفان، كما أنه رأى رأيها له قبل ذلك.

فمن شرائط الإمرة فيها أن تكون على سيرة الشيخين كيفما ساروا، وفقاً لكتاب الله وسنة نبيه أو خلافاً لهما! ولقد كانت هذه هي النقطة الأساسية لعدم توافق الإمام عليه السلام لقبول الإمرة وإن أصروا عليه مرات ثلاث في ظاهر الأمر؛ حيث قنطروا للخلافة ما لا يقبله إلا من لا يبالي بالدين.

ولكن الإمام لا يقبل الخلافة على شريطة الباطل.

### فلقد يُتساءل الإمام عليه السلام كما يلي:

يا أمير المؤمنين، هب إن الشيخين غصبا حقك المنصوص في الغابر، فأما الآن وقد يبايعك رابع الأربعة بالخلافة، فلمَ لم تقبله في الحاضر، وتركته لابن عفان وهو من تعرفه؟!

الإمام: ما لي والباطل؟! وإن كان في طريق الحق، فإني لا أريد الخلافة إرادة بالذات - لا - إلا لإقامة الحق، فكيف أقبلها على سيرة الشيخين!

-: أجل، ولكنه تَقَبَّله على الشرط الباطل في ظاهر الحال، ثم تخالف الشرط إذا تم لك الأمر!

الإمام: ما لعلي والخديعة؟! ليست الخديعة من ديني ولو للوصول إلى الحق.

كيف وقد نقضوا بيعتي بعد ما بايعني الناس وتداكوا عليّ في ذلك تداكَّ الإبل الهيم، يوم ورودها - بعد الثالث - وأنا إمام الأمة بالنص والإجماع! فكيف إذًا، بايعوني على شرط أخالفهم فيه، أ فلا أكون حينذاك ألقيت بيدي إلى التهلكة، ولهولاء الناس - الجاهلين، أو المتجاهلين - وللناس عليّ الحجة في نقضي شريطة البيعة؟!

لهذا وذاك، لا يكاد الإمام ليقبل الإمرة على هذه الشريطة الفاسقة. كيف، ولا يكاد يقبلها بعد الثالث أيضاً؛ حتى ثاروا إليه أن يقبل، كما سيأتيك نبأه بعد حين.

ومع الغض عن هذه الشريطة الخاطئة، فإنّ شاكلة الشورى، شرطاً ومشروطاً، لا تلائم الإمام عليه السلام، كما يشير إلى شطر منها، قائلاً: «ولكنني أسففت إذا أسقّوا وطّرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن!»!

أجل، إنه مال واحد من أعضاء الشورى عن حق الإمام، لضغن غابر وعداوة حاضرة على الإمام، وقد يتردد هذا بين رجلين منهم:

أحدهما: طلحة؛ حيث وهب حقه لعثمان بادئ البدء؛ لأنه تيمي وهو ابن عم أبي بكر، وقد كان حصل من بني تيم حنق شديد على بني هاشم لأجل الخلافة.<sup>١</sup>

ثانيهما: سعد بن أبي وقاص؛ حيث قتل الإمام عليه السلام أباه يوم بدر - ونفراً من إخوانه - فكان ذلك ضغينة عريقة في نفسه على الإمام عليه السلام، ولذلك يهب حقه من الشورى لعبد الرحمن، هذا الذي يرجح جلاله الخليفة جانبه؛<sup>٢</sup> حيث يعلم أنه لا يصيب مرماه إلا به.

أجل، إن سعداً هذا، يحتال في انحراف الأمر عن الإمام عليه السلام نسخةً طبق الأصل، ويتخلف عن بيعة الإمام أيضاً بعد رجوع الأمر إليه!<sup>٣</sup>

«ومال الآخر لصهره مع هن وهن»، وهذا هو عبد الرحمن، الذي يهب حقه من الشورى، على أن يكون له الخيرة في انتخاب واحد من الباقيين: علي عليه السلام وعثمان. والمصاهرة بينه وبين عثمان من جهة أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، كانت تحته، وهي أخت عثمان من أمه.

**أجل، إن شيطان الشورى يميل إلى عثمان مع هن وهن:** هن يقبح ذكره وقد أجمل عنه الإمام عليه السلام؛ هو الشريطة الباطلة على سيرة الشيخين؛ حيث جعلها قرينة لكتاب الله وسنة نبيه، كما جعل الخليفة هؤلاء الأشرار قرناء الإمام!

ثم هن آخر هو عثمان نفسه، يتقمص قميص الخلافة باستبداء بقية السوء للشورى: عبد الرحمن، لأنه... ولأنه كان أخت عثمان تحته ولأنه...

هنالك يظهر أن الخليفة إنما عين عثمان قبل الشورى، فأدلى بالخلافة إليه بالشاكلة التي ألقى على الشورى أجزاءً وشروطاً، فيا لله وللشورى!

١. ذهب إليه الشارح المعتزلي.

٢. حيث قال: «وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن؛ فارجع إلى ما قد اتفقت عليه؛ فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها!»

٣. انطبق قول الإمام: «فصغا رجل لضغنه» على سعد أظهر، لما ذكر من الضغينة القديمة، وأنه النقطة الأساسية في انحراف الشورى وإن كان الجمع بينهما لا بأس به، لولا منافاة قوله عليه السلام: «رجل» فإنه لا يوافق إلا واحد منهما.



هذه الشورى التي ينتهى أمرها إلى واحد، هذه صفته، وهو يستبد بانتصاب عثمان الأموي، فالويل على الإسلام من هذه الشجرة المعلونة الأموية.

يقول الإمام في قيام عثمان حينذاك بالخلافة:

«إلى أن قام ثالث القوم، نافجاً حُضَيْهَ بين نَثِيلِهِ ومُعْتَلِفِهِ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إلى أن انتكث عليه فتُّهُ، وأجهز عليه عمله، وكَبَتَ به بِطَنَتُّهُ».

## حصيلة الشورى خلافة أمية

كان أبوه عفان ممن يضرب بالدف ويتخنت به ويلعب<sup>١</sup>، وها هو ابنه، يلعب بالدين وبالمسلمين ولا يبالي، يتبع إثر أبيه وأفضح منه!

قام عثمان بالأمر نافجاً حُضَيْهَ، رافعا ما بين إبطه وكشحه، متهيئاً أن يأكل بالخلافة مأكلاً عظيماً، ويملاً بطنه وبطون أمية من مال الله، أموال الشعب العزّل المظلومين، ولقد كان يتحَيَّن الفرص لذلك!

قام بالأمر ولم يكن قيامه إلا حراكاً بين نثيله ومعتلفه – فلم يكن همُّه من الخلافة إلا الأكل والرجيع – كالبهيمة المربوطة، همُّها علفها أو المرسلّة، شغلُّها تَقَمُّمُها، تكترس من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، ترك الأمة وأمرها سدىً، وأهملها عابثاً، يجر حبل الضلالة على عاتقه، ويعتسف طريق المتاهة<sup>٢</sup> دونما تفكير في قيادة الأمة إلى مراميها اللاتئة بها، ودون أن يرى أمامه مسؤوليةً في الأمر، في جنب الله وعباده، الذين استعبدتهم بخلافته الظالمة الغاصبة!

١. رواه العلامة في كشف الحق، ومؤلف كتاب إلزام الناصب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

٢. هذه من كلمات الإمام في خطبة أخرى يقول فيها: «أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين!» ثم هذه الجملات مشيراً إلى عثمان وأشكاله ممن لم يرد بالخلافة إلا بطنه وفرجه.

## الخليفة عثمان بين الكتاب والسنة

فتوى الخليفة برجم امرأة ولدت لستة أشهر:

تزوج رجل بامرأة من جهينة؛ فولدت له تماماً لستة أشهر؛ فانطلق زوجها إلى عثمان؛ فأمر بها أن تُرجم؛<sup>١</sup> فبلغ ذلك علياً عليه السلام؛ فأتاه فقال عليه السلام: «ما تصنع؟ ليس ذلك عليها شيء قال الله تبارك وتعالى: ﴿... وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾ [الأحقاف، ١٥] وقال: ﴿... وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾ [البقرة، ٢٣٣]؛ فكم تجده بقي إلا ستة أشهر؟» فقال عثمان: «والله، ما فطنت لهذا! علي بالمرأة!» فأمر بها عثمان أن تُردَّ؛ فوجدوها قد فرغَ منها.

وكان من قولها لأختها: «يا أختي، لا تحزني! فوالله، ما كشف فرجي أحد قطُّ غيره».

قال: «فشبَّ الغلام بعد؛ فاعترف الرجل به، وكان أشبه الناس به!» وقال: «فرأيت الرجل بعدُ يتساقط عضواً على فراشه»<sup>٢</sup> وفي نقل آخر: «فلما رآه أبوه قال: إبنى والله لا أشك فيه. و أبلاه الله بالقرحة الأكلة فما زالت تأكله حتى مات».<sup>٣</sup>

١. فحتى لو ثبت زنا عليها بعلم قاطع، من شهادة غير سالحة وروية، لم يثبت حدٌ عليها، لأنه منحصر - حسب القرآن - بشهادة رجال أربعة وهم عدول، على شروط أخرى ومنها وحدة الشهادة على زمان وكيفية الزنا! - ثم الرجم - إسلامياً - لا يعني القتل بالأحجار! بل هو رمى بأحجار صغار ما صدق الرجم وقد كفى كما قال الامام الصادق عليه السلام

٢. أخرجه مالك، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وأبو عمر، وابن كثير، وابن الديبع، والعيني، والسيوطي، وغيرهم، أخرجه عن بعجة بن عبد الله الجهني. على سبيل المثال، ر: الدر المنثور، الباب: ١٥، ج ٩، ص ١٥٠.

٣. تفسير ابن أبي حاتم، سورة الأحقاف، ج ١٢، ص ٢٢١. و تفسير ابن كثير، الباب: ١٥، ج ٧، ص ٢٨٠.

## فتوى الخليفة بالنداء الثالث

عن السائب بن يزيد: «أن النداء يوم الجمعة، كان أوله في زمان رسول الله ﷺ وفي زمان أبي بكر وفي زمان عمر: إذا خرج الامام وإذا قامت الصلاة، حتى كان زمان عثمان، فكثر الناس؛ فزاد النداء الثالث على الزوراء؛ فثبتت حتى الساعة!»<sup>١</sup>

وفي لفظ البلاذري: «... ثم إن عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة من خلافته؛ فعب الناس ذلك وقالوا: بدعة!»<sup>٢</sup>

## رأي الخليفة في الجنابة:

أخرج مسلم في الصحيح بالاسناد عن عطاء بن يسار، أن زيد بن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان، قال: «أ رأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُمِّنْ؟» قال عثمان: «يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذَكَرَهُ!»<sup>٣</sup>

هكذا يفتي الخليفة وبين يديه كتاب الله! ﴿... وَلَا جُنُبًا... حَتَّى تَغْتَسِلُوا... أَوْ لَمْ يَمَسُّمُ

النِّسَاء...﴾ [النساء، ٤٣]

هكذا! وبين يديه السنة المتواترة عن رسول الله ﷺ: «إذا التقى الختان بالختان، وجب الغسل، أنزل أو لم ينزل»<sup>٤</sup> وما في معناه.

١. صحيح البخاري، ج ٢، صص ٩٥ و ٩٦؛ صحيح الترمذي، ج ١، ص ٦٨؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ١٧١؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٣٤٨؛ سنن النسائي، ج ٣، ص ١٠٠؛ كتاب الأم للشافعي، ج ١، ص ١٧٣؛ سنن البيهقي، ج ١، ص ٤٢٩ و ج ٣، ص ١٩٢ و ٢٠٥؛ تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦٨؛ كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٨؛ فيض إله المالك للبقاعي، ج ١، ص ١٩٣.

٢. في الأنساب، ج ٥، ص ٣٩؛ عن السائب بن يزيد.

٣. صحيح مسلم، ج ١، ص ١٤٢.

٤. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٠٨؛ صحيح مسلم، ج ١، صص ١٤٢ و ١٤٣؛ سنن الدارمي، ج ١، ص ١٩٤؛ سنن البيهقي، ج ١، ص ١٦٣؛ مسند أحمد، ج ٢، صص ٢٣٤ و ٣٤٧ و ٣٩٣؛ ج ٦، ص ١١٦؛ ج ٤٧، صص ١١٢ و ١٦١؛ المحلى لابن حزم، ج ٢، ص ٢ و ج ٣، ص ٣؛ مصابيح السنة، ج ١، صص ٣٠ و ٣٢؛ الإعتبار لابن حازم، ص ٣٠؛ تفسير القرطبي، ج ٥، ص ٢٠٠؛ تفسير الخازن، ج ١، ص ٣٧٥؛ الموطأ لمالك، ج ١، ص ٥١؛ الأم للشافعي، ج ١، ص ٣١ و ٣٣؛ سنن البيهقي، ج ١، ص ١٦٤؛ المدونة الكبرى، ج ١، ص ٣٤؛ صحيح الترمذي، ج ١، ص ١٦؛ وصححه، سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٢١١؛ نيل الأوطار، ج ١، ص ٢٧٨.

ثم لماذا يأمر بالوضوء، وليس إلا من الحدث الأصغر؟ ولماذا أمر بغسل الذكر وليس إلا من النجاسة والرجل لم يُمْن؟! أنا لا أدري!

### كتمان الخليفة حديث النبي:

أخرج أحمد<sup>١</sup> عن أبي صالح قال: «سمعت عثمان (رض) يقول على المنبر: أيها الناس إنني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، كراهية تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم في سواه من المنازل».

أفلم يدر الخليفة بعد أنه اجتلب بكتمان حديث الرسول ﷺ - اجتلب - لعنة الله عليه والملائكة والناس أجمعين. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة، ١٥٩]؛ فإن الرسول ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم، ٣ - ٤]

ثم إذا كتم الخليفة حديث الرباط، فهل كان بإمكانه كتمان آيات الرباط التي تتلى على المسلمين ليلَ نهارٍ؟ وإلى عشرات من هذه التساؤلات.

### الخليفة يقدم خطبة العيد على صلاته:

روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: «أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلى بالناس بعد ما خطبهم، فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك، أي: صار يخطب قبل الناس».<sup>٢</sup>

١. في مسنده، ج١، ص ٥٧ و ٦١ و ٦٥؛ في موضعين باللفظين، وذكرها غير واحد من الحفاظ أخذاً من مسند أحمد.  
٢. ابن حجر في فتح الباري، ج٢، ص ٣٦١؛ الشوكاني في نيل الأوطار، ج٣، ص ٣٦٢؛ وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي غسان والسيوطي في الأوائل وتاريخ الخلفاء، ص ١١١؛ والسكتواري في محاضرة الأوائل، ص ١٤٥.

يفتعل الخليفة هذه البدعة خلافا على رسول الله ﷺ لمصلحة درك الناس الصلاة، كأن الاحكام الإلهية تتغير حسب المصالح الوقتية التي يراها الخليفة! وقد ثبت عن الرسول الأعظم ﷺ انه كان يخطب بعد العيدين على عكس الجمعة.<sup>١</sup>

ولقد مضى الشيخان ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعثمان نفسه ردحا من أيامه على هذه السنة<sup>٢</sup> ثم خالفه لرأي، رآه دون أية حجة من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ.

ثم بنو أمية، زملاء خليفة أمية، مشوا مشيته في هذه البدعة وحبذوها؛ ليضطرّ الناس إلى استماع الخطبة قبل الصلاة إذ كانوا يسبون ويلعنون أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب في خطبهم، بالرغم من عدم استباحة المسلمين هذا القول الشائن، لما وعوه من حديث رسول الله ﷺ «من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله».<sup>٣</sup>

### خصومة يرفعها الخليفة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

«إن يحسنَ وصفية كانا من سبِّي الخمس؛ فزنت صفية برجل من الخمس وولدت غلاما فادعاه الزاني ويحسنَ؛ فاختصما إلى عثمان، فرفعهما عثمان إلى علي بن أبي طالب علي بن أبي طالب فقال: أفضي فيها بقضاء رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وجلدهما خمسين خمسين».<sup>٤</sup>

١. كما رواه ابن عباس وعبدالله عمرو وأبوسعيد الحضري وعبدالدين السائب وجابر بن عبدالله وانس بن مالك وبراء بن عازب وأبوعبيد مولى بن أزهر، ومعهم وفاقهم أئمة أهل بيت الرسول ﷺ، أخرجه الحفاظ وأصحاب الصحاح والسنن والأسانيد: صحيح البخاري، ص ١١١ و ١١٢ و ١١٦؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٢٥ و ٣٢٦؛ سنن أبي داود، ج ١، ص ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧؛ سنن النسائي، ج ٣، ص ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥؛ سنن البيهقي، ج ٣، ص ٢٩٦ و ٣٠١؛ موطأ مالك، ج ١، ص ١٤٦ و ١٤٧؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٨؛ الأم للشافعي، ج ١، ص ١٧١ و ٢٠٨؛ سنن البيهقي، ج ٣، ص ٢٩٦ و ٢٩٧؛ سنن الترمذي، ج ١، ص ٧٠؛ المحلى لابن حزم، ج ٥، ص ٨٥ و ٨٦، بدائع الصنائع، ج ١، ص ٢٧٦؛ المدونة الكبرى لمالك، ج ١، ص ١٥٥.

٢. أخرجه الشافعي في الأم، ج ١، ص ٢٠٨؛ والبخاري في صحيحه، ج ٢، ص ١١٢.

٣. رواه في الصحيح ابن عباس وأم سلمة عنه ﷺ كما أخرجه في المستدرک، ج ٣، ص ١٢١.

٤. أخرجه أحمد في مسنده، ج ١٥، ص ١٠٤؛ والدرقي من طريق الحسن بن سعد عن أبيه وفي تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٧٨ وكنز العمال.

وليت شعري إذا يجهل الخليفة قضاء الرسول هنا، كيف يجهل وتغرب عنه آية حد الرقيق والاماء،<sup>١</sup> رغم أنه جامع القرآن، كما يُزعم؟! كلا، لا جمعه هو ولا حفظه! فأكرم به خليفة للمسلمين وأسد بهم!

### فتوي الخليفة في عدة المختلعة

عن نافع أنه سمع ربيع بنت معوذ بن عفراء، وهي تخبر عبدالله بن عمر أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان، فجاء معاذ بن عفراء إلى عثمان، فقال: «إن ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم أ تنتقل؟» فقال له عثمان: «تنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدة عليها إلا أنها لا تنكح حتى حيضة، خشية أن يكون بها حبل»، فقال عبدالله عند ذلك: «عثمان خيرنا وأعلمنا».<sup>٢</sup>

فانظر إلى الخليفة الأموي - أعلم من في حزبه وشيعته - كيف يفتي خلاف نص القرآن في خشية الحمل، فضلاً عن خشية الولادة: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾ [البقرة، ٢٢٨]، يفتي به الأكبر الأعلم على حد تعبير عبدالله بن عمر - وجامع القرآن كما يزعمون!

### تفقه الخليفة في القرآن:

إن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: «أحلتهم آية وحرمتهم آية! فأما أنا، فلا أحب أن أصنع ذلك!»<sup>٣</sup> وفي لفظ: «كل

١. ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ...﴾ [النساء، ٢٥]

٢. سنن البيهقي، ج ٧، ص ٤٥٠ و ٤٥١؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٣٤؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٧٦؛ نقلاً عن ابن أبي شيبة، زاد المعاد لابن القيم، ج ٢، ص ٤٠٢؛ كنز العمال، ج ٣، ص ٢٢٣؛ نيل الأوطار، ج ٧، ص ٣٥.

٣. أخرجه مالك في الموطأ، ج ٢، ص ١٠؛ عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب والبيهقي عنه.

شيء حرمه الله تعالى من الحرائر، حرمه الله تعالى من الإماء، إلا الجمع في الوطاء بملك اليمين»<sup>١</sup>.

**أقول:** لا نجد آية في القرآن تعارض آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ... وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ...﴾ [النساء، ٢٣]! اللهم إلا ما يشير إليه الخليفة في فتواه بالتحليل بعد توقفه في الأول «إلا الجمع بملك اليمين» وهو قوله تعالى: ﴿... إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾! [النساء، ٢٤]

وهنا نتساءل الخليفة: كيف يفتي في البداية بوجود التناقض في القرآن «أحلتها آية وحرمتها آية»، والله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾! [النساء، ٨٢]؛ إذ يرى أن فيه تناقضا، فكيف يستند إلى كتاب الله ما ليس من عند الله؟! ثم كيف يتوقف في حكم الجمع بين الأختين للآيتين، ولا معارضة بينهما! إذ الأولى تحرم الجمع بين الأختين بعدما تحرم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الاخت والامهات من الرضاعة، وأمهات النساء والربائب من المدخول بهن وحلائل الأبناء الصليبين؛ والثانية تحلل ما ملكت الأيمان بعد ما تحرم المحصنات من النساء.<sup>٢</sup>

فهل يشك الخليفة أم يفتي بالحلية فيما عدا الأختين مما ملكت الأيمان، كما يشك أو يفتي فيما ملكت الأيمان: أن تحل الأمهات والبنات والأخوات و... إذا كنّ مما ملكتهن أيمان الأولاد والآباء والإخوة، كل ذلك سنادا إلى آية ملك اليمين؟! أو أنه يختص الحلية من بين هؤلاء بالأختين؟! فأفقه بالخليفة وأسعد بالأمة الإسلامية؛ إذ يرأسها هكذا خليفة!

١. ملك العلماء في البدائع.

٢. راجع: الآية ٢٣ و ٢٤ من سورة النساء.

إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لم يكن ليخصص تحريم الجمع بين الأختين في آيتهما، كما لا يخصص التحريم في سائر المحارم؛ لاختلاف الموردين في التحريم والتحليل.

فآية التحريم تحرم كل المحارم نسيبا وسببيا، ورضاعيا في ثنتين من الأختين، ولا تستثني، والآية الثانية، التي هي تلو الأولى ومن تتمتها، تعطي ضابطة عامة لتحريم غير من ذُكرن من النساء في عداد المحرمات. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء، ٢٤]، أي: من غير من ذُكرن من المحارم في الأولى.

تعني من المحصنات: الطاهرات الزكيات غير الزانيات ولا متخذات أخدان، لا الحرائر، كما في بعض الآيات، لمكان استثناء ما ملكت الأيمان؛ فهن معنيات بين المحصنات، ولا ذوات الأزواج، كما في آيات أخرى، لضرورة حرمتهم إطلاقا دون اختصاص بالحرائر.

إذاً، فالمحصنات هنا الطاهرات غير المزوجات، فلا يحلن إلا بسبب شرعي من زواج أو ملك يمين، أشارت إلى الثانية بقوله: ﴿... إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾، وإلى الأولى: ﴿... وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء، ٢٤]

إذاً، فلا مساس بين الآيتين ولا تعارض حتى يشك الخليفة أو يفتي بالحلية! وكما لا خلاف بين المسلمين في حرمة الجمع بين الأختين إطلاقاً؛ فأفقه بالخليفة وأكرم به!





## بداية عمليات الخليفة: الإصلاحية!

قصر الخليفة: طمارد الزوراء! معتلفه الواسع!

أول ما قام به الخليفة الأموي من عملياته الإصلاحية (!) أن اهتم ببنائية معتلف وقصر ملكي كبير على عيون الفقراء العزل المحطّمين، ولقد كان هذا أول ما نقضه من سيرة الشيخين، التي شرطها لقبول الإمرة!

وأول من يعترض عليه هو عبدالرحمن، ذلك الحجر الأساسي لإمرته، لمّا ينظرُ إلى القصر، وإلى ألوان الطعام التي صنعها، قائلاً: «يا ابن عفان! لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك! وإنّي أستعيذ الله من بيعتك». فغضب عثمان وقال: «أخرجه عني يا غلام!»؛ فأخرجه، وأمر الناس ألا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض، ومرض عبدالرحمن؛ فعاده عثمان فكلّمه، ولم يكلمه حتى مات<sup>١</sup>.

وهذا أول حجر يضعه ابن عفان لبناية الملكية الجبارة؛ فيركز قواعد عرش الخلافة على تحطيم النفوس والنفائس والأعراض؛ فيؤسس دولة أموية عنيدة قاضية على شرف الإسلام والإنسانية!

قام ابن عفان بالأمر وقام معه بنو أمية، يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، يأخذون شعبهم بعد الجوع، ويملؤون بطونهم بعد الجفو، كالإبل تستلذ نبتة الربيع بشهوة صادقة، وتملاً منه أحناكها بعد طول مدة الشتاء، ويبست الأرض فيها.

أجل، إن خلافة عثمان هي المرحلة الأولى التي اجتازها بنو أمية لتحقيق مطامعهم، ولقد قنطروه إلى استعادة مجدهم، وأبوسفیان رأس هذه السلسلة، لمّا يشعرُ بعود المجد

١. رواه ابن أبي الحديد في نقله قصة الشورى.

للعائلة الأموية وتركيزه من جديد، يمشي به الحق الثاري المستفز إلى قبر حمزة عم النبي ﷺ وأبي طالب ويخاطبه راکلاً له برجليه: «انهض، فقد صار إلينا الملك الذي حاربنا عليه»؛ فاجتمع حوله حينذاك شملهم الشامل، وأبعده عن كل اتصال مباشر بالشعب، ومنعوا الناس أن يوصلوا إليه شكاياتهم، وجعلوا له بطانة أموية خالصة، وعلى رأسها مروان بن الحكم؛ فأحاطت بالخليفة الأموي - بدء السلسلة الاموية الملعونة - من على شاكلته، فأصبحت وزارة البلاط لسلطان أمية أموية خالصة.

ثم أخذ عثمان بخيله ورجله يستبدل الولاية والعمال الهاشميين، الذين كانوا من عهد الشيخين أولياء أمور الدولة الإسلامية، يستبدلهم بالشباب الأجلاف الفسقة اللئام من بني أمية، يوليهم أمور المسلمين، استبدال الخلافة والولاية الدينية بالخلاعة اللادينية الاستثمارية الظلماء، يستعوض بذلك بطابع الإسلام طابع الدولة الأموية؛ فلقد كان أول الغيث بحرا، وأول النار رمادا ودمارا!

ولقد ظلت عامة الناس، في هذه الحكومة الجبارة الأرستقراطية، فقراء مهملين، والهيئة الحاكمة في نعيم مقيم.

لذلك أخذ ينهض التحرريون من الشعب المسلم، مثل أبي ذر الغفاري، قائلاً جهاراً، دونما مداهنة أو تقية: «لقد حدثت أعمال ما أعرفها! واللّه، ما هي في كتاب اللّه ﷻ ولا سنة نبيه ﷺ! واللّه، إنني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيى، وصدقاً مكذباً، وأثرةً بغير تقى، يا معشر الأغنياء وأسوأ الفقراء! وبشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه بمكاوٍ من نار، تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم! اتخذتم ستور الحرير ونضائد الديباج، وألغتم الاضطجاع على الصوف الأذربي، وكان رسول اللّه ﷺ ينام على الحصير، واختلف عليكم بألوان الطعام، وكان رسول اللّه ﷻ لا يشبع من خبز الشعير!»!

ولقد بلغ بهذا الصحابي الحر الدين كرهه للأثرة الأموية الدامية، أن ترك الحجاز وذهب إلى الشام؛ لكي لا يرى بعينه إسراف عثمان ومروان في أموال الشعب؛ فإذا به

من أمر معاوية ما يهون به لديه أمر الخليفة ومستشاره! رآه مطلق العنان في أموال المسلمين أكثر فأكثر فازداد سخطاً وثورة.

فلما بنى معاوية قصر الخضراء في الشام، بعث إليه أبوذر قائلاً: «يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك، وأنتى ذلك، فهي الإسراف!» وأخيراً يؤول أمر أبي ذر أن يوكل الخليفة أمر تأديبه إلى معاوية؛ فأخرجه من مجلسه، ونهى الناس عن الاجتماع به وخطبه قائلاً: «يا عدو الله! تؤلّب الناس علينا وتصنع ما تصنع، فلو كنت قاتلاً رجلاً من أصحاب محمد ﷺ من غير إذن أمير المؤمنين، لقتلتك!» فقال أبوذر: «ما أنا بعدو لله ولا لرسوله؛ بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر...» ثم يؤول أمر أبي ذر إلى نفيه إلى الربذة وموته أو قتله فيها!

## قطائع خليفة أمية وعطاياها إلى حزبه

الخليفة الأموي - بعد أن يوطئ بني أمية رقاب المسلمين ويوليهم الولايات - يفتح صناديق بيت مال المسلمين إليهم:

- ١ - يأخذ خمس إفريقية التي افتتحت في أيامه، ويهبه كله لمروان، مشاورة الأول.<sup>١</sup>
- ٢ - يطلب إليه عبد الله بن خالد بن أسيد صلةً؛ فيعطيه أربعمئة ألف درهم.
- ٣ - يعيد الحكم بن العاص ويعطيه مائة ألف درهم، بعد أن رسول الله ﷺ قد سيره ونفاه. ثم لم يرده لا هو ﷺ ولا الشيخان.
- ٤ - يُقطع عثمانُ مهروز - موضع سوق بالمدينة - الحرث بن الحكم أخا مروان، وقد تصدّق به رسول الله ﷺ على المسلمين.

١. العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٦١.

٥ - يُقطع فذك مروان، وقد كانت تطلبها فاطمة عليها السلام بعد وفات أبيها عليه السلام بالميراث والنحلة، وكان حقها دون المسلمين، أو حق المسلمين دون اختصاص بأحد، كما كان يزعمه ابن أبي قحافة، ولقد عدّه ابن قتيبة في المعارف<sup>١</sup> وأبو الفداء في تاريخه<sup>٢</sup> مما نقم الناس على عثمان. ولم تزل فذك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبدالعزيز؛ فانتزعها من أهله وردّها صدقة<sup>٣</sup>.

٦ - يحمي المراعي حول المدينة كلها عن مواشي المسلمين إلا عن بني أمية.

٧ - يعطي عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقية بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحداً من المسلمين.

٨ - يعطي أبا سفيان بن حرب - أعدى أعداء الإسلام ونبي الإسلام - مائتي ألف من بيت المال؛ لأن زوجته هي ابنته أمّ أبان، وأخيراً:

جاء زيد بن أرقم - صاحب بيت المال - بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان باكياً؛ فقال عثمان: «أتبكي أن وصلت رحمي!» قال: «لا، ولكن أبكي لأنني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله عليه السلام! والله، لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً!» فقال: «ألق المفاتيح، فإننا سنجد غيرك».

٩ - يأتيه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فيقسمها جلاله الملك الأموي كلها في بني أمية.

١٠ - ينكح الحرث بن الحكم ابنته عايشة؛ فيعطيه مائة ألف من بيت المال بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه<sup>٤</sup>.

١. المعارف، ص ٨٤.

٢. ج ١، ص ١٦٨.

٣. البيهقي في السنن الكبرى، ج ٦، ص ٣٠١؛ العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٦١؛ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٦٧.

٤. هذه العطايا العشر ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج.

هذه وعشرات كهذه من عطايا خليفة الشورى الملعونة، يعطيها جلالته من بيت المال، كأنها من أمواله الشخصية، وإن كانت كذلك لم يكن الخليفة ليبذلها كهذه البذلة المبتذلة، فكيف ذا والمال مال الله! أموال الشعب الفقير!

وحينما يعترض عليه شركاؤه في الشورى ومنهم الإمام عليه السلام: «ما هذا التبذير في أموال المسلمين ولم يفعله الشيخان؟!» حينذاك ينبثق قائلاً: «إن أبابكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا احتسب في إعطاء قرابتي!»

أجل، إن ابن عفان يفتح بين المال على مصراعيه يغدقه على المنافقين ليلتفوا حوله، وأحياناً على الضعفاء الأذلاء ليستمروا معه، لا إليه ولا إلى المناجزة، وهذا هو أسّ البلاء الذي مكّن الذل من رقاب المسلمين، وسن لهم إلى يوم القيامة الجبن عن نصره الحق، والتضحية في سبيله، والاستخذاء لدعاة الباطل، والقهقرة بين يديه.

### محاكمة عادلة:

أيا خليفة الشورى! أنتحسب عند الله وتتقرب إليه بصلة أرحامك فحسب من أموال المسلمين؟! وهل إن فعلت هذه إلا كسارق يقطع الطريق على المسلمين، ثم يصل، بما كسب، أرحامه؟ أفلا تقطع يده؟ فكيف تجترى أنت بهذه الفعلة الغاشمة ثم تستصلحها بهذه الكلمة الخاطئة الفاسقة؟!

أجل، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ﴾

[الروم، ١٠]

تخلف الخليفة عن سيرة النبي صلى الله عليه وآله والشيخين في دولته

قضية الحكم بن أبي العاصي:

الخليفة يؤوي ويكرم طريد الرسول صلى الله عليه وآله ولعينه وعدوه اللدود:

كان الحكم أحد جيرانه ﷺ بمكة، من أولئك الأشداء عليه ﷺ، البالغين في إيذائه شاكلة أبي لهب، وكان يجلس عند النبي ﷺ، فإذا تكلم اختلج وغمز النبي ﷺ بإصبعه ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلى قام خلفه، فأشار بأصابعه، لذلك دعا عليه النبي ﷺ قائلاً: «كن كذلك، مختلجاً»، فكان كذلك حتى مات، وقال ﷺ: «من عذيري من هذه الوزغة اللعينة، لا يساكنني ولا ولده»؛ ففرّ بهم جميعاً إلى الطائف، وقال ﷺ: «عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا ويتردلون في الآخرة»<sup>١</sup>.

نرى الخليفة يكرم هذا الطريد لعين الرسول ﷺ، يعطيه صدقات قضاة البالغة ثلاثمائة ألف درهم، وكان هذا مما أنكر على عثمان.

خليفة المسلمين يكرم هذه الشجرة الملعونة في القرآن وعلى لسان النبي الأقدس ﷺ؛ لأنه عمه، ولأنه يريد أن يتبنى دولة أموية خالصة، قاضية على الإسلام! يكرمه بعد ما طرده زميلاه أبوبكر وعمر، أتباعاً للرسول الأعظم ﷺ! روى هذه من روى وأخرج ما سبق؛ فلا نعيد ذكرهم.

### صحيفة سوداء من نماذج الفوضى في مال الله:

هنا نجمل القول عن تفصيل ما أقطعه، ووهبه خليفة أمية لحزبه، لحدّ أجهز عليه عمله وكبت به بطنته! وإليكم جدولاً من جداول الفوضى العثمانية في مال الله:

١. روى وأخرج لذلك كله: البلاذري في الأنساب، ج ٥، ص ٢٧؛ وسيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٥؛ وأخرجه الطبراني من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر ومالك بن دينار في السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٣٧ وأسد الغابة، ج ٣، ص ٣٤؛ وابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق، ص ١٤٤؛ وبسند رجاله رجال الصحيح عن عبدالله بن عمر، الحاكم في المستدرک، ج ٤، ص ٤٨١؛ وصححه من طريق عبدالله بن الزبير، كنز العمال، ج ٦، ص ٩٠؛ ابن عساکر من طريق محمّدين كعب القرظي، تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ١٩٧؛ تفسير الزمخشري، ج ٣، ص ٩٩؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٥٩؛ تفسير الرازي، ج ٧، ص ٤٩١؛ نهاية ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٣؛ تفسير النيسابوري، ج ١٣، ص ٢٦؛ تفسير النسفي، ج ٤، ص ١٣٢؛ الصواعق، ص ١٨٠، حياة الحيوان للدميري، ج ٢، ص ٣٩٩؛ تفسير الشوكاني، ج ٥، ص ٢٠؛ وعشرات غيرها.

الأعلام	الدنانير	الأعلام	الدنانير
الحكم بن أبي العاص	٣٠٠/٠٠٠	مروان بن الحكم	٥٠٠/٠٠٠
الحارث	٣٠٠/٠٠٠	ابن أبي سرح	١٠٠/٠٠٠
سعيد	١٠٠/٠٠٠	طلحة	٤٢٠/٠٠٠
الوليد	١٠٠/٠٠٠	عبدالرحمن	٢/٥٦٠/٠٠٠
عبدالله	٩٠٠/٠٠٠	يعلى بن أمية	٥٠٠/٠٠٠
آل الحكم	٢/٠٢٠/٠٠٠	زيد بن ثابت	١٠٠/٠٠٠
		إبن أبي وقاص	٢٥٠/٠٠٠
		الزبير	٥٩/٨٠٠/٠٠٠



## ثورة العامة على خليفة أمية

يقول الإمام عليه السلام بعد الإشارة إلى تلکم التبذيرات في أموال المسلمين: «إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

انتكث وانتقض ما فتله طيلة حكومته الغاشمة، أن ثار عليه الشعب المسلم يطالبونه بحقوقهم المحطمة، وأجهز وأسرع عليه بالقتل، عمله العارم، وإصراره واستبداده على الجور وسوء التدبير، وأسقطته - مكبا على وجهه المظلم - بطنته، وإسرافه في أكل وإيكال أموال المسلمين.

### مقايسة بين خليفة الشورى والشيخين:

كانا في ظاهر الأمر على سنة الرسول ﷺ عملياً وفي الفتيا إلا ما استبد به الأول وأكثر منه الثاني، وكانا قد يقبلان النصح من الإمام ﷺ إذا أشار عليهما بالمصلحة الخاصة أو العامة، كما سلف يسير من ذلك.

ولكن شيخ أمية ليس ليقبل النصح إلا وبجابهه بكل خشونة وتمنّع، ولا يلين إلا لإدارة أعضاء البلاط الأموي وعلى رأسهم مروان: ذلك المكار الأفك الفتك الأثيم.

### من ذكريات استبداد لشيخ أمية :

إصطاد أهل الماء حَجَلاً فطبخوه وقدموا إلى عثمان وأصحابه، فأمسكوا، فقال عثمان: «صيد لم نصده ولم نأمر بصيده، اصطاده قوم حل، فأطعمونا؛ فما به بأس؟» فقال رجل: «إن عليا يكره هذا»؛ فبعث إلى علي ﷺ فجاء، والخليفة غضبان ملطخ يديه بالخبث؛ فقال: «إنك لكثير الخلاف علينا!» فقال الإمام ﷺ: «اذكروا لله! من شهد النبي ﷺ أتى بعجز حمار وحشي، وهو محرم؟» فقال: «إنا محرمون، فأطعموه أهل الحل»، فشهد اثنا عشر رجلاً من الصحابة، ثم قال ﷺ: «أذكر الله رجلاً شهد النبي ﷺ، أتى بخمس بيضات من بيض النعام، فقال: إنا محرمون فأطعموه أهل الحل، فشهد اثنا عشر رجلاً من الصحابة، فقام عثمان ودخل فسطاطه وترك الطعام على أهل الماء»<sup>١</sup>.

انظر إلى جحيم بطن الخليفة، كيف يغضب من حكم الله، إذا خالف بطنه، وكيف يجترئ على الإمام الناصح، إذا يدلّه إلى الحق!

هذا وأشباهه من استبداد شيخ أمية، حتى نأتي على آخر عهده، حينما يثور عليه القشور المحطمة المظلومة من الشعب العزل المسلم: حينذاك – وقبل الحادثة – يستسفرون

١. مسند أحمد، صص ١٠٠ - ١٠٤؛ كتاب الامام للشافعي، ج٧، ص١٥٧؛ سنن أبي داود، ج١، ص٢٩١؛ سنن البيهقي، ج٥، ص١٩٤؛ تفسير الطبري، ج٧، صص ٤٥ - ٤٦، المحلى لابن حزم، ج٨، ص٢٥٤؛ كنز العمال، ج٣، ص٥٣؛ نقلاً عن أحمد وأبي داود وابن جرير وقال: «صححه» وعن الطحاوي وأبي يعلى والبيهقي، أخرجه بالفاظ مختلفة منها ما في المتن.



الإمام عليه السلام بينهم وبينه ليخرج عن مظالمهم: فيؤدي الإمام السفارة حقها بمواعظ بليغة مع الأدب البالغ، لكي يرجع ويستخلص عن مظالم المسلمين وحقوقهم؛ ولكنه مُصِرٌّ على فعلته، لا يتأثر ولا يرتجح!

### نصائح الإمام لشيخ أمية ذودا عن الثورة

حينذاك يخاطبه الإمام عليه السلام قائلاً: «إن الناس ورائي، وقد استفسروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على شيء لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغك، وقد رأيتَ كما رأينا، وصحبتَ رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت اقرب إلى رسول الله وشيخة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينال. فالله الله في نفسك! فإنك والله ما تبصّر من عمي، ولا تعلم من جهل، وإن الطرق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة».

إن الإمام عليه السلام في تلكم الكلمات المنيرة، مع تمام الأدب والحرمة لجانب مقام الخلافة، ينصح الخليفة دون أن يبتغي استثثاراً عليه، ولا تخجيراً إياه، قائلاً: «وإنَّ الطرق لواضحة»، إشارةً منه إلى أن الذي تناله من فقراء المسلمين، حرمة ووضحة المنار، ليس عليها غبار، وعلى ذلك يحمل مثل قوله عليه السلام: «ما أعرف شيئاً تجهله... لتعلم ما نعلم... ما سبقناك إلى شيء...» يعني بذلك: أننا وأنت سواء في علمنا بهذه الحقوق والمظالم، وحرمة ما اقترفته من الآثام في حكومتك.

لا أنه - وحاشاه - يريد تسويته مع ابن عفان في العلوم التي استأثر بها! كيف، والأمة مجمعة على أنه أعلم وأفضل منهم أجمع، وقد يشهد لذلك اعترافات الشيخين، وشيخ أمية نفسه، ومن اليهم! وقد أسلفنا طرفاً يسيراً منها.

ثم خاطبه حينذاك قائلاً: «فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهَدَى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن

البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضلَّ به؛ فأمات سنة مأخوذة، وأحیی بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يوتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، يُلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحي، ثم يرتبط في قعرها. يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمرها عليها، ويثبت الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يمجون فيها موجا، ويمرجون فيها مرجا، فلا تكونن لمروان سيقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضى العمر!!

فقال له عثمان: «كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم»، فقال الإمام: ﷺ «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»<sup>١</sup>

فلقد ترون نصائح الإمام الشافية لعثمان الطاغية، يذكره بما يعلم من وجوب العدل والنصفة في الرعية، ويحدّره عما لا يجهره من غضب الله سبحانه وانقلاب القشور المظلومة المتراكمة أن يقتلوه؛ فيفتح باب القتال في هذه الأمة المرحومة!

ولكن الخليفة لم يكن لسمع النصح فأجهز عليه عمله!

وأخرج ابن السمان من طريق عطاء أن عثمان دعا عليا ﷺ فقال: «يا أبا الحسن، إنك لو شئت لاستقامت علي هذه الأمة؛ فلم يخالفني أحد»، فقال علي ﷺ: «لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها، ما استطعت أن ادفع عنك وأكف الناس؛ ولكنني سأدلك على أمر، هو أفضل مما سألتني: تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحد»<sup>٢</sup>.



١. نهج البلاغة، عبده، الكلام، ١٦٤، ج ٢، ص ٦٨.

٢. الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٢٩.

## الإمام لا يثور ولا يثير للخلافة

### نظرية الإمام في الثورة والقتل:

ومهما حدث من أمر فالإمام لم يكن ليرضى قتله حينذاك، كما لم يرض أثرته في أموال المسلمين، قائلاً: «ولو أمرتُ به - قتل عثمان - لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني. وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجزاع»<sup>١</sup>.

فلقد ترون الإمام لا يرى مقتل عثمان رغم طغيانه؛ حيث كان هناك طريق آخر في دفع مظالمه إذا لم يرض بالعدل، وهو عزله عن الخلافة، لا أن يقتلوه فيفتح بذلك باب الفتنة؛ ولقد استفاد معاوية الطاغية من مقتله مجالاً واسعاً في محارباته على الإمام عليه السلام وما إلى ذلك من سوء الآثار المشؤومة.

أجل، إن الإمام ليس ممن ينتقم من الخليفة مهما بلغ عليه الظلم حين خلافته، صيانةً للمسلمين، واستبقاءً للأمن، وذوداً عن الاضطراب، قائلاً: «... فوالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة...»<sup>٢</sup>.

## علي والخلفاء!!!

### كيف يصنع الإمام مع الخلفاء في خلافتهم؟

ذلك رأى الإمام في حكومة الإسلام، ولعمري إن هذه هي التضحية التامة في سبيل الحق، أن يقعد زعيم الأمة عن التسلط على عرش الحكم، الذي تتسابق إليه الرغبات،

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٣٠، ج ١، ص ٧٦.

٢. نفس المصدر، الخطبة: ٧٤، ج ١، ص ١٢٤.

وتمدُّ إليه الأعناق، وتفنى دونه النفائس والنفوس، وتهتك له الأعراض وتُسلَب الأموال.

يقعد الإمام عن ذلك، ما لم يكن جور إلا عليه خاصة، لا على الرعية والشعب. ولقد بلغ من حنانه للثلاثة الغاصبين حقه، أن سمى ثلاثة من أبنائه بأسمائهم مقابلةً السوء بالحسن<sup>١</sup>، والقسوة بالرحمة، وأعانهم طيلة ربع قرن أيام خلافتهم برأيه وعلمه، وسياسته العادلة الصالحة، دونما خديعة وشكيمة، ولا عملية تخريبية على إمرتهم، رعاية للإصلاح رغم ما يرى من حقه مغضوبا.

ولم يؤثر عنه ضربة هدامة قوليا ولا عمليا على الخلفاء، يقَلَّب بها أمورهم ويثير الشعوب عليهم، أللهم إلا بعد أيامهم، إيقاظا للمسلمين فيما مضى عليهم من هذه الحكومات الجاهلة الجائرة، وحملاً لهم على الحكم العدل، لكي لا يستنوا بسنن هؤلاء الخلفاء، احتسابا لها سنة الإسلام!

أجل، إن الإمام عليه السلام لا يهدف في أموره إلا صالح الإسلام والمسلمين، دون رعاية لحقوقه الشخصية، لذلك يسير مع سير الخلافة الإسلامية حثيثا، مرشدا مصلحا داعيا إلى الحق رويدا.

**طرف من علل قعوده عليه السلام عن الأخذ بحقه المنصوص :**

إن الإمام لم يكن ليقعد عن الأخذ بحقه، لضعف في ذلك يعتوره، كيف، وهو القائل: «والله، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها...!»<sup>٢</sup> والقائل: «إني والله، لو لقيتهم واحدا وهم طِلاع الأرض كلها، ما باليت ولا استوحشت؛ وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلّي

١. تلميح إلى قوله تعالى: «ادْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيَّةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ» [المؤمنون، ٩٦] و أيضاً: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّبِيَّةُ ادْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [الفصلت، ٣٤]. (م)

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٤٥، ج ٣، ص ٧٣.

بصيرة من نفسي، ويقين من ربي؛ وإني إلى لقاء الله لمشتاق، وإلى حسن ثوابه لمنتظر راج.»

أم كيف يتوانى عن المناضلة الثلاثة وأضرابهم، وهو من عرفه من القوة والشجاعة التي يرعش بها جثمان الشجعان الأقوياء، وترعد بها فرائض أسد غابات الجدل والنضال!

أجل، إن الإمام يقعد عن قوة ويسكت عن قدرة، ولماذا؟

لئلا ينتقض حصن الوحدة في المسلمين، وكى لا يرتدوا كفارا لحدثاة عهدهم بالإسلام؛ فإذا رأوا خلافا بعد ارتحال الرسول ﷺ بادئ البدء، بادروا إلى الرجعة على الجاهلية الأولى.

هذا وذيك لمن في المسلمين من المنافقين ومن السذج ضعفاء الإيمان، ومن الذين نال الإمام من نفوس ذويهم وأقربائهم في مختلف الحروب مع المشركين.

فنارت ألوان الضغائن على الإمام ﷺ من جانب، وحيل شورى السقيفة من آخر، وجهل الأكثرية الرهامة وهوانهم عن تناصر الحق من ثالث، واستثقالهم صميم الحق على عواتقهم طيلة حياة الرسول الأعظم محمد ﷺ من رابع؛ فاستراحوا عنه إلى شوب الباطل!

فتعاضدت هذه وأمثالها من العلل العلييلة؛ حتى أقعدت الإمام ومنعته عن حقه؛ فصبر وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، يرى تراثه نهبا، صبر على طول المدة وشدة المحنة، فطار إذ طاروا، وأسف إذ اسفوا؛ حتى إذا ثارت الأمة جمعاء على شيخ أمية يقتلونه، ويخاطبون الإمام ﷺ: «لا نجد غيرك يا علي! ولا نرضى إلا بك...»!!!



## انقلاب الثوار

### تقضي خلافة الزور بأيدي الانقلاب:

الخليفتان الأوَّان جلسا على عرش الحكم، دونما نص أو صلاحية لهما في نظر الدين، اتكالا على رأي الشورى التي نعرفها أو استبداد رأي! ومنطق الشورى في انتصاب الأول أن الرسول الأعظم ﷺ لم يعين خليفة من بعده، ولا بد للمسلمين من زعيم، افتراءً على الرسول ﷺ بإهماله الأمة حيارى - وحاشاه! - فضلاً عن استبداد الثاني.

وقد استمر أمر الإسلام ظاهرياً في خلافة الأوَّين، فبينما الثاني أخذ يوطد أركان الدولة الإسلامية على أنقاض عروش كسرى وقيصر، فإذا ثالثهم أخذ تأمراً ثانياً، وهو على الإسلام نفسه، فقد خالف في خلافته الكتاب والسنة وسيرة الأوَّين؛ حتى قضت عليه أيدي الانقلاب الاسلامي الكبير.

### مقتل عثمان:

فلما جاءته وفود الأمصار، تشكو إليه عماله واستبدادهم وركوبهم الأهواء، راجين أن ينصفهم بعض الإنصاف الذي كان بعهد الأوَّين؛ فوعدهم خيراً في ظاهر الأمر، وبطن لهم حيلة القضاء على قادة الوفود؛ فلما كانوا في بعض الطريق إلى ديارهم ضبطوا كتاباً من مروان بن الحكم يأمر به العمال بقتل زعماء الوفود ساعة يصلون!

فارتدوا حينذاك إلى المدينة، وطلبوا من عثمان مُشيرَه الأوَّل، هذا الكذاب الأشر - طلبوا إليه - أن يسلمهم مروان؛ فأبى وأصرّوا، وأصرّ ألا يجيب لهم طلباً، واشتد سخطهم وزادت بهم النقمة، حتى اضطرت الخليفة إلى ملازمة داره أربعين يوماً!

وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يسعى طيلة هذه الأيام أن يحسم مادة الخلاف بطريقة صالحة، يقرها المنطق الصحيح؛ فقال له: «إن الناس ورائي...» ذلك النصح البالغ السالف؛ فلم ينفعه إلا عنادا وإصرارا!

ثم قوي جانب الوفود الانقلابيين، حتى انضم اليهم خلق كثير من العاصمة ومن غيرها وحاصروا قصر الخلافة بكل ضراوة وشراسة.

فلما تعاضم الخطر على من في الدار، تخلّى عن الخليفة حتى أبناء عائلته الأمويين، الذين كانوا هم السبب الرئيسي فيما صار إليه أمره وأمر المسلمين، فأثروا أن يهربوا خفية إلى الشام، حيث ينتظرهم نسيبهم معاوية، عامل الخليفة عليها.

وبقي الحسنان عليهما السلام على رأس القوم، الذين يلازمون أبواب دار الخلافة؛ لعلمهم بمنعون عن الخليفة الأذى وسوء المصير حتى يخرج من مظالم الناس!

ولقد طال الحصار على الخليفة أربعين يوما، والثائرون يتكاثرون يوما فيوماً؛ إلى أن تسلّقوا سور الدار وفتكوا به.

«ولقد بقي بعد مقتله مطروحا في خندق اليهود إلى ثلاثة أيام لا يصلّى عليه»<sup>١</sup> ولا يستحل أحد دفنه، ولا يقدم أحد على ذلك خوفا من المهاجرين والأنصار؛ حتى نهبته بنو أمية ودفنوه.

ويقال: كان في هذه الثلاثة مطروحا في مزبلة اليهود حتى أكلت الكلاب إحدى رجليه؛ فاستأذنوا عليا عليه السلام فأذن في دفنه، «ودفن في حش كوكب، وهي مقبرة، كانت لليهود بالمدينة، فلما تولّى معاوية وصلها بمقابر أهل الإسلام»<sup>٢</sup>!

ولم يحضر دفنه المحظور من ناحية المسلمين إلا أربعة من حزبه ليلاً على تخوّف منهم. فعن عثمان بن محمد الأخنسي عن أم حكيمة قالت:

١. أخرجه أبو عمر في الاستيعاب من طريق مالك ومحب الدين الطبري في الرياض عن الخجندي، وذكره الصفدي، في تمام المتون ٧٩ عن مالك، واليعقوبي.

٢. أخرجه الطبري من طريق أبي بشير العابدي.

«كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان: جبير، حكيم، أبوجهم، نيار الأسلمي؛ وحملوه على باب واسع قرع رأسه على الباب، كأنه دباة، ويقول: دب دب؛ حتى جاؤوا به حش كوكب؛ فدُفِنَ به، ثم هُدم عليه الجدار وصلي عليه هناك».

ولم يَسْتَبِح المسلمون قتل الخليفة ومهانتة هكذا بعد قتله، ومنعه عن أن يَصَلَّى عليه ويُغسل ويدفن - لم يفعلوا ذلك كله بالخليفة - إلا لأنهم رأوه خارجا عن الإسلام أو لا أقل مفسدا في الأرض حتى يستباح دمه! وهل هنا وجه آخر، أن المسلمين أجمعين فسقوا بما فعلوا، بمن فيهم من الصحابة الكرام والتابعين والذائدين عن حوزة الإسلام؟!



١. طبقات ابن سعد طليدن، ج ٣، ص ٥٥؛ انساب البلاذري، صص ٨٣ و ٨٦ و ٩٩؛ الامامة والسياسة، ج ١، ص ٤٠؛ تاريخ الطبري، ج ٥، صص ١٤٣ - ١٤٤؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٥٣؛ الإستيعاب، ج ٢، صص ٤٧٨ - ٤٧٩؛ صفة الصفوة، ج ١، ص ١١٧؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٧٦؛ الرياض النضرة، ج ٢، صص ١٣١ - ١٣٢؛ معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨١؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٦٨؛ تاريخ ابن كثير، ج ٧، صص ١٩٠ - ١٩١؛ حياة الحيوان للدميري، ج ١، ص ٥٤؛ وفاء الوفاء للسهمودي، ج ٢، ص ٩٩؛ السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٨٥؛ تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٢٦٥.



## تعاقد النص والرأي العام في خلافة الإمام عليه السلام

يقول عليه السلام حينذاك: «... فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ، ينثالون عليّ؛ حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم...»<sup>١</sup>

الطامة الكبرى والثورة الانقلابية العظمى يحتم على الإمام قبول الخلافة، ولكن هل يقبل الإمام عليه السلام إلى الخلافة فيقبلها دون شرط؟ وهل كان ينتظر الجلوس على عرشها، يعدد لذلك الآتات، ويتحين الفرص؟ كلاً...!

الثائرون لا يرون حينذاك للشورى معنى ولا حاجة؛ حيث افتعلات الشورى الدامية والسقيفة الخاطئة فعلت ما فعلت، وقلبت الأمور كما قلبت!

آنذاك قام المسلمون عن نومتهم التي طالت طيلة ربع قرن بعد أن ذاقوا وبال أمرهم؛ فقضوا على الآراء المستبدة الجبارة، وثاروا، وأخذوا أزمة الأمور بأيديهم، يلحون على الإمام قبول البيعة؛ فلانقلاب حساب غير ما تنتظمه الأفكار الجهنمية من الساسة الشياطين، فقارن حينذاك النص والرأي العام في تأمير الأمير عليه أفضل الصلوات والسلام.

ولكن هيهات أن يقبل الإمام البيعة وهيهات...!

أنى، وهو ليس ممن يريد الخلافة إرادةً بالذات، إلا أن يقيم به حقاً أو يبطل باطلاً؛ فببغى بها مرضاة الله، ولا يهواها للتأمر والحكم، والالتداد بالمقام والرعونة والجاه، والانتفاع من فوائدها وعوائدها وتشطّر ضرعيها!

ومن ذكريات ذلك من ذي قبل:

١. نهج البلاغة عبده، الخطبة: ٣، ص ٣٥ - ٣٦.

١ - يقرأ الرسول الأعظم ﷺ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ...﴾ [النمل، ٦٢] وعلي ﷺ يسمع، فارتعد واضطرب، ينتفض انتفاض العصفور؛ فضرب النبي ﷺ على كتفيه وقال: «ما لك يا علي؟! ما شأنك تجزع؟!» فقال: «وما لي لا أجزع والله يقول: إنه يجعلنا خلفاء الأرض؛» فقال ﷺ: «لا تجزع! والله، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر!»<sup>١</sup>

أجل، إن الإمام - علي طهارته وعصمته وسداده - حينما يسمع أمر الخلافة يجزع، استثقلاً لما يمليه عليه فرض الخلافة، إلا بعصمة من الله، وعظة لمن يتهالك فيها ويتكلف شتى الوسائل للتأمر على الناس دون صلاحية، كمثّل ابن الخطاب الذي كان حاضراً عنده حينذاك، ومن يحذو حذوه من المتأمرين.

٢ - يقول حبر الأمة ابن عباس: «دخلت على أمير المؤمنين علي ﷺ بذي قار، وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ قلت: لا قيمة لها، فقال ﷺ: والله، لهي أحب إلي من إمرتكم هذه، إلا أن أقيم به حقاً أو أبطل باطلاً».

فليكن نعله؛ المخصوف - الذي لا يسوى درهما ولا فلساً، لكثرة الرقع فيها، حتى صارت كأنها رقع كلها - هذا أحب إليه من إمرة المسلمين، حيث يمشي بنعله نحو مقاصده ومراميه، ويتقي بها أن يصيب رجله إصابة. ولكنه ماذا يصنع بالخلافة، إذا لم يتمكن أن يقنطرها نحو أهدافه المقدسة من إحقاق الحق وإزهاق الباطل؟! وليس هو ممن يستدر بها على نفسه وأهليه، كمثّل خليفة أمية: ابن عفان، أو أن يلتذ بها وهمياً، كمثّل الشيخين وأضرابهم.

فإذاً، لا يريد الخلافة إرادة بالذات، لا... إلا أن يقنطرها إلى الحق؛ فلو سلم الحق وهو من أهون الرعايا، لكان ذلك أهنأ إليه ألا يسلم، وهو القائد الأول.

١. رواه الطوسي في أماليه ص ٤٧، وفي إرشاد المفيد، ص ٥١؛ بالإسناد عن عمران بن حصين قال: «كنت أنا وعمر بن الخطاب جالسين عند النبي ﷺ وعلي جالس إلى جنبه...».

أجل، إن نظرية الإمام في الخلافة إيجابيا وسلبيا تختلف عن نظرات الآخرين القائلين: «إنما نريد الخلافة للخلافة، والملك عقيم»، الذين يستحلون كل دمار ووبار وكل عصيان حتى الكفر، للوصول إلى الخلافة، ثم يبيحون كل محذور لاستبقائها فيهم، وفي نسلهم، ومن يَهُوُّونه لذلك.

يستبيحون القضاء على كل من لا يلين لسلطاتهم الجبارة الكافرة، زجًّا في السجون ونفيًّا وقتلاً وإن كان من المؤمنين الأبرار، أو من القادة الروحانيين الأحرار، أو الأئمة المعصومين الأطهار!

فلا يرون في العالم، بمن فيه وما فيه، إلا أشخاصهم وشخصياتهم، وإلا ما ينتفعون به لتركيز قواعد عروشهم؛ فما أولئك من ولد آدم، إن هم إلا أذناب الشياطين!!!

... نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يتهالك في البيعة منذ ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله، رغم أنه كان المنتصب حينذاك رسوليًّا بأمر الله، وإنما يلقي الحجج: أنه أحق بالامر، ولمكان الوصية.

فقد روى ابن سعد: <sup>١</sup> أن العباس قال لعلي عليه السلام: «أمدد يدك أبايعك؛ يبايعك الناس، فلا يختلف عليك اثنان»؛ <sup>٢</sup> فقال عليه السلام: «لنا بجهاز رسول الله صلى الله عليه وآله شغل» <sup>٣</sup>.

وأصبرُ به وأكرمُ! كيف لا يمد يده احتراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وتطبيقاً لوصيته صلى الله عليه وآله: «أنك بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم، فسلموا لك الأمر، فاقبله منهم» <sup>٤</sup>.

١. في الطبقات (٢:٣٨).

٢. الطبقات، ج ٢، ص ٣٨؛ مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠٠؛ تاريخ الذهبي، ج ١، ص ٣٢٩؛ ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٩١؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤؛ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٤؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٧٤.

٣. ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٣١؛ عن كتاب السقيفة.

٤. أسد الغابة، ج ٤، ص ٤١.

إنه لا يأتي الناس الا إذا أتوه وبايعوه - لا رغبةً عن وصية الرسول ﷺ؛ بل رغبة عن أن يقال: «إن علياً يتهالك من أجل الإمرة» ولأن الناس كانوا يستثقلون إمرته؛ اذ كان على مَرِّ الحق، والناس لا يريدون الا أضرابهم! ذلك بأن الله لم يك مغيراً ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.



### أنى يريد الخلافة وقد ...!

ثم الإمام الشيخ أنى يريد ويقبل الخلافة، وقد أصيبت بشتى الجوارف الهدامة في زمن الثلاثة؛ فأصبحت على شفا جرف هار؛ فانهارت بها الثورة القاضية إلى نيران غضب الشعوب الثائرين؛ فأحرقتها!

أنى؛ وقد رُضِّي جثمانها تحت أقدام ظلمة غاشمين، أظلة الشياطين!

أنى؛ وقد تشطرت الخلفاء ضرعيها ودمرتها، وقضت عليها إلى أن تصورت بصورة الغيلان، يُخاف عنها ويفر منها!

أنى، وقد حرفت وبدلت ألوان الأمة الإسلامية عن صبغة الله إلى ألوان مائلة عن الحق، طوال ربع قرن بعد ارتحال الرسول الأعظم ﷺ؟!!

أنى، وقد ابتدعت البدع وضُيعت السنن، وحُرِّفت عن جهات أشراعها؟! حولها عن مراكزها الثالث؛ خليفة أمية، يدر عليها القطايع والأرزاق، يروِّي بذلك أعراق هذه الشجرة الملعونة تقويةً لها.

هذه التي كانت تتحين الفرص للقضاء على الإسلام ونبي الإسلام؛ فارتجعت أمور الأمة الإسلامية حينذاك إلى أسوأ وأظلم وأطغى مما قبل الإسلام؛ فأصبحت قيادة الأمة أصعب مما بدأ بها الرسول الأعظم ﷺ!

أتى؟! وهو يريد ليحمل الناس على صميم الحق، وهم قد أنسوا بما يرونه قبله من استبدال الخلافة بالسلطنة الكسروية والقيصرية؛ حيث بيني شيخ أمية قصوراً سبعة بمدينة الرسول، داراً لنائلة وداراً وقصراً وقصوراً، لنفسه وذويه، ومروان: مشيره الأول - بيني القصور - بذي خشب ويفعل ما يريد!!

... بعد ذا وذيك، تدق الخلافة باب الإمام عليه السلام، وليس لها رمق، يضطرب في سكراتها، ولا للأمة إلا رهق، تلتعب في هفواتها وتلهو عما يراد بها!

تدق بابه وتتشبّث، وهي في رمقها الأخير من الحياة! فماذا يصنع الإمام، هذا الطبيب الدوار بطبه، بمريض هو في قبضة الموت، وعلى رأسه قتلة جبارون من العنصر الأموي؟ يأخذ في إصلاح ما أفسدته الثلاثة في الغابر، أم يهجم بقطع أيادي الجبارين وضرباتهم الهدامة على الدين والدينين، في الحاضر؟ أو هل يبدأ بالقضاء على البدع الجبارة السالفة والموجوده، أو يحمل الأمة على كتاب الله وسنة نبيه؟

ثم هل يتحمل أضرار الخلافة وأوزارها هذه، دون راحة ولا انتفاع ولا التذاذ، وجهادا دائما وتضحية في شتى ألوانها ومراحلها؟!

أو يترك الأمة بلا راع يرعاهم، أو قائد يقودهم، يتركهم سدىً، ويذرهم فيما هم فيه يعمهون، وفي عيهم وغيهم يترددون؟!

فحينذاك لم يبق للخلافة العادلة لأمير المؤمنين إلا تضحية في سبيل الحق ونجاة الأمة؛ فهو يريد بقبض يده عنها إصرار الشعب عليها؛ حتى يدلهم على عدم ميله اليها ورغبته فيها.

يريد ليرشدهم إلى أن حكومته لا تنحرف عن صميم الحق ولو قيد شعرة، ولو استغلت به الغوائل وقضت عليه بالفناء والدمار؛ ولكنهم لا يتحملون محض الحق إلا بشوب الباطل.

## هامة البيعة الانقلابية

يقول الإمام في وصف بيعته:

١ - «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم عليّ تذاكَّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج اليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب».

٢ - «فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون: البيعة البيعة، قبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فحاذبتموها».

٣ - «فما راعني إلا انثيال الناس حولي، كعرف الضبع، ينثالون عليّ؛ حتى لقد وطئ الحسان، وشقَّ عطفاي، مجتمعين حولي، كربيضة الغنم».

أجل، إن الإمام ليس ممن يمد يده حملاً للشعب على بيعته، وإن كان حقه المنصوص، ولا من الذين يسطون بأيدي عادية طاغية على رؤوس كل من لا يباعهم على الإمرة الجبارة، ولا ممن يحتال في الوصول إلى هذه البغية بشتى الحيل الإبلية ومختلف ألوان المكيدة التي يسمونها بالسياسة الوقتية.

كيف! وهو لا يكاد يقبلها وقد تداكت عليه الأمة - على عطشها من ريِّ الحياة العادلة - تذاكَّ الإبل الهيم على حياضها، وأقبلت عليه إقبال العوذ المطافيل بهيمانها وحبها البالغ على أولادها؛ حتى سقطت في هذه الحركة الانقلابية الجماهيرية أرديتهم، ووطئ الضعفاء تحت الأقدام، وانقطعت النعال؛ حتى لقد والله، ووطئ

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٢٢٩، ج ٢، ص ٢٢٢.

٢. نفس المصدر، الكلام: ١٣٦، ج ٢، ص ٢٠.

٣. من خطبة الشقشقية.

الحسنان، وشق عطفًا للإمام من وفر هجمة الثائرين للبيعة، كأنهم من كثرة زحامهم عرف الضبع، كشر عنق الضبع في الوفرة والكثرة. اجتمعوا حوله، اجتمع الغنم الهارب من الذئاب، حول راعيها العطوف الرحيم.

أجل، إنه كان يحق للأمة هذا الإقبال البالغ! كيف لا، وقد بقيت عطشى من حياة الأمن والإيمان والروح والرضوان، تفترسها الذئاب الضارية وتحطّمها وترضّسها الحكومات الزائفة! وذلك طيلة ربع قرن... وما مقالته حينذاك إلا أن:

٤ - «دعوني والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أعامت، والمحجة قد تنكرت! واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب. وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً»<sup>١</sup>.

«دعوني والتمسوا غيري»!

إن الإمام في خطابه هذا، يخالف الخلفاء في تحرّجه عند البيعة واستقالته منها؛ فإن كل من تقمّص الخلافة قد اعتملوا لها، واحتالوا إليها، وحرصوا عليها، قبل أن يتخرجوا فيها ويستقيلوا منها! فإن الإمام رفض الخلافة يوم الشورى دون إلحاح في ابتغائها؛ حيث علم أنه لا يكون بها حراً، وبين يديه عثمان يتهالك عليها. الإمام ليعلم أنه إن رفضها، قبلها عثمان بلا منازع أو منافسة.

يقول ابن أبي قحافة بعد جلوسه على عرش الخلافة: «أقبلوني...» وذلك بعد أن تم له الأمر، علماً منه أنه لا يقبلها زميله إن رفضها هو، والإمام عليه السلام يقول: «دعوني»! وهو يعلم أنه إن رفضها، تلقّفها غيره تلقّف الكرة.

١. نفس المصدر، الكلام: ٩٢، ج ١، ص ١٨٢.

وأما عمر فإنه لم يقلها؛ لأنه تولى الخلافة بالنص من خليفة الشورى، لا بالانتخاب، ولأنه يأمن منافسة الإمام عليه السلام، قبلها عثمان على الشرط، وبالرغم من الشرط فإنه خالف في خلافته كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وكذا سيرة الشيخين.

ومهما يكن من شيء، فالإمام يذكر الظروف الهائلة في خلافته وما هو فاعله، قائلاً: إن آفاق الأمة الإسلامية قد أغامتها غيم الظلم والظلم، فأزالت عنها قيم العدل، وأن المحجة الواضحة، التي أتى بها الرسول الأعظم ﷺ أصبحت متنكرة، بما تدخلت فيها من البدع والأهواء، وأنا أستقبل في الإمرة أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له هذه القلوب المقلوبة الدخيلة، ولا تثبت عليه ذيك العقول المدخولة، وإني لا أقوم في الإمرة إلا بالحق الذي أراني الله، دون إصغاء لقول قائل، أو عتب عاتب، كيفما بلغ به المقام، وطالت له الأيام؛ فالأمة حينذاك لا تصلح لخلافتي أنا! لذلك كله دعوني وما أنا فيه، والتمسوا للخلافة غيري؛ فإن تركتموني فأنا كأحدكم، وأسمع وأطوع لمن تولونه أمركم، إن كان على جادة الحق<sup>١</sup>.

حينذاك أنا لكم وزيراً لمن تولونه، انصره في الحق وأدله إلى الرشاد، وألزمه على المحجة، خير مني لكم أميراً؛ إذ لا تقوم القلوب لإمارتي، ولا تثبت عليها العقول.

إن الإمام عليه السلام ذلك الطيب الدوار بطبه، يريد ليداوي الأمة؛ ولكنه يطالبهم ألا يتدخلوا، ويحملوا عليه آراؤهم وآواؤهم، بأن يطيعوه ويسلموا له الخيرة في الأمور إطلاقاً، كما خلفه الرسول الأعظم ﷺ بولاية الأمر إطلاقاً، دونما شريطة، إلا ما هو ركيزة نفسه المقدسة من تطبيق الكتاب والسنة النبوية على الشعب في شتى ظروفه.

فكما أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وليحكم بين الناس بما أراه الله، ولا يكون للخائنين خصيماً، كذلك ممثله الوحيد، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على سواء، لا

١. هذه الشرطية مستفادة من قوله ﷺ: «لعلي أسمعكم»؛ إذ لم يحتم السمع والطاعة على نفسه إلا بكلمة الترجي، و«لعلي» إشارة منه إلى أمرين: أحدهما، أن يولوا عدلاً وثانيهما، أنه يسمع له - إذا - ويطيعه أكثر من غيره.



يختلف عن الرسول ﷺ إلا بالنبوة، يريد ليحكم بين الناس بما يريه الله تعالى، لا ما يراه هو نفسه ويهواه الشعب، حيث يرون ما لا يحق ولا يصلح، ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾ [المؤمنون، ٧١]

### عقد الخلافة المنيرة العلوية:

إن الإمام ليرى أن الأمة لا يصلحها مهما جهدت وألّبت إلا قيادته؛ فقبلها على كره من الخلافة كراهيةً بالذات قائلاً: «إني إلى لقاء الله وإلى حسن ثوابه لمنتظر راج؛ ولكنني آسى أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها؛ فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً؛ فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام، وجلد حدا في الإسلام، وإنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ، فلولا ذلك، ما أكثرت تأليبكم وتأييبكم وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذا أبيتم وونيتم»<sup>١</sup>.

«.. اما والذي فلق الحبة، وبرئ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء، أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز»<sup>٢</sup>.

أجل، إن الإمام لا يأسى أنه لم يل أمر الأمة، وإنما يأسى أن يلي أمرها سفهاؤها وفجارها، تسوقها إلى سبيل الجهالة وطريق المتاهة سفها، وتقودها إلى وقود الجحيم وسعيرها - الذي سجره جباره لغصبه - فجورا.

١. نهج البلاغة، عبده، الكتاب ٦٢، ص ١٢٠.

٢. نهج البلاغة، عبده، تنمة الخطبة الشقشقية، صص ٣٦ - ٣٧.

## الخليفة عمر يشرب الخمر!

فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ بَعْدَ مَا تَلَيْتَ عَلَيْهِ آيَاتَ التَّحْرِيمِ؛ فَلَمْ يَقْنَعِ وَالتَّمَسَ زِيَادَةَ الْبَيَانِ، مِثْلَ: ابْنِ الْخَطَّابِ.

فَعِنَ عُمَرُ أَنَّهُ - لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ - قَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الْمَالَ وَالْعَقْلَ»، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ...» [البقرة، ٢١٩]؛ فَدَعَى عُمَرَ، فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا» فَنَزَلَتِ الْآيَةُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى...» [النساء، ٤٣] فَكَانَ مَنَادِي الرَّسُولِ ﷺ، إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، يَنَادِي أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سُكَارَى؛ فَدَعَى عُمَرَ وَبَيَّنَّ أَنَّ الْآيَةَ قَرَأَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا!» فَنَزَلَتِ آيَةُ الْمَائِدَةِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ\*» إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟» [المائدة، ٩٠ - ٩١] فَدَعَى عُمَرَ، فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟»، قَالَ عُمَرُ: «إِنْتَهِينَا! إِنْتَهِينَا!»

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى «يَشْرِبُهَا - أَيُّ: الْخَمْرَ - عَمْرٌ قَبْلَ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ؛ فَأَخَذَ بِلِحْيِ بَعِيرٍ، وَشَجَّ بِهِ رَأْسَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَنُوحُ عَلَى قَتْلِي بَدْرًا! فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَخَرَجَ مَغْضَبًا يَجْرُ رِدَاءَهُ، فَرَفَعَ شَيْئًا كَانَ فِي يَدِهِ، فَضْرَبَهُ بِهِ؛ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

١. أخرجه أبو داود في سنة، ج ٢، ص ١٢٨؛ وأحمد في المسند، ج ١، ص ٥٣؛ والنسائي في السنن، ج ٨، ص ٢٨٧؛ والطبري في تاريخه، ج ٧، ص ٢٢؛ والبيهقي في سننه، ج ٨، ص ٢٨٥؛ والجصاص في أحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٤٥؛ والحاكم في المستدرک، ج ٢، ص ٢٧٨؛ و ج ٤، ص ١٤٣؛ و صححه وأقره الذهبي في تلخيصه، والقرطبي في تفسيره، ج ٥، ص ٢٠٠؛ وابن كثير في تفسيره، ج ١، ص ٢٥٥؛ و ج ٢، ص ٥٠٠؛ نقلا عن أحمد وأبي داود والترمذي، والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه وعلي بن المدني في إسناد صالح صحيح، وفي تيسير الوصول، ج ١، ص ١٢٤؛ وتفسير الخازن، ج ١، ص ٥١٣؛ وتفسير الرازي، ج ٣، ص ٤٥٨؛ وفتح الباري، ج ٨، ص ٢٢٥؛ والدر المنثور ١: ٢٥٢، والضياء المقدسي في المختارة، والحاكم في المستدرک، ج ٤، ص ١٤٣؛ والترمذي في صحيحه، ج ٢، ص ١٧٦؛ من طريق عمرو بن شرحبيل، والآلوسي في روح المعاني، ج ٧، ص ١٥.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة، ٩١]، فقال عمر: انتهينا! انتهينا!¹

أجل، إن الخليفة لا تكفيه آية البقرة: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، رغم أن الله تعالى حرّم الاثم قائلاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [الأعراف، ٣٣] ورغم أن الرسول ﷺ نهى عنها، لما نزلت آية البقرة، كما عن عائشة،² هنا لا يكفيه بيان الله تعالى وبيان الرسول الأقدس ﷺ؛ فيسأل في الخمر بيانا شافيا! ولا تكفيه آية النساء: ﴿... لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى...﴾، رغم أن الرسول ﷺ قرأها عليه كحجة ثانية؛ حتى تنزل آية المائدة!

ولم يكن ذلك لجهله أو تجاهله الحرمه المنصوصة في آياتها، بل لحبه الشديد لها وكونه أشرب الناس في الجاهلية!³

لذلك كلّه، نرى النبي ﷺ يخصّ عمر بالدعوة لاستماع آيات الخمر؛ لأنه ما كان ليتركها ولو رددت عليه قوارع النهى في آيات الله البيّنات، فأخيراً، عندما قرئت عليه آية المائدة قال: «انتهينا انتهينا...»؛ ولكنه رغم ذلك لم ينته عن شرب النبيذ الشديد وكان يقول: «إني رجل معجار البطن أو مسعار البطن، وأشرب هذا النبيذ الشديد؛ فيسهل بطني»!⁴

... كان الخليفة يشربه طوال حياته إلى آخر نفس كما عن عمرو بن ميمون: «شهدتُ عمر، حين طُعن، أتى بنبيذ؛ فشربه»!⁵

١. في لفظ الزمخشري في ربيع الابرار وشهاب الدين الابشهي في المستطرف، ج ٢، ص ٢٩١.

٢. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه، ج ٨، ص ٣٥٨؛ وحكاه عنه في الدر المنثور، ج ١، ص ٢٥٢.

٣. كما أخرجه ابن هشام في سيرته، ج ١، ص ٣٦٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ج ١٠، ص ٢١٤.

٤. أخرجه وما في معناه ابن أبي شيبة كما في كنز العمال، ج ٣، ص ١٠٩؛ وجامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢، ص ١٩٠ - ٢١٥.

٥. تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٥٦.

ذلك رغم أنه كان يحدُّ من يشربه كما عن الشعبي: «شرب أعرابي من اءاداة عمر؛ فأغشي؛ فحده عمر، ثم قال: وإنما حده للسكر لا للشرب!»<sup>١</sup> رغم أن النبيذ محرّم بالضرورة كما عن النبي ﷺ: «إنّ ما أسكر كثيره، فقليله حرام».<sup>٢</sup>

ومن هؤلاء من لم يُسلم حتى رضخت له وأعطيت على إسلامه العطايا، كعمرو بن العاص، المشير الأول لمعاوية الطاغية؛ فإنه لم يسلم حتى طلب من النبي ﷺ عطاءً، فلما أعطاه أسلم، ومنهم... ومنهم...

ولولا هذه النكبات فيمن تولّى أمر الأمة الإسلامية، ما أثمرت تأليبكم وتحريضكم عليهم وتغييركم عنهم ولتركتكم على ما أنتم فيه، إذا سلم دينكم وإمرتكم عن خلاف الحق والعدل.

أجل، إن مقالة الإمام في الإمرة كهذه: فوالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن جور إلا عليّ خاصةً.

ولكن الإمام يرى نفسه المقدسة أمام مسؤولية خطيرة، وقد يرى الناس حوله، كربيضة الغنم، خوفاً من الذئاب، وقد تداكوا عليه تذاكّ الأبل الهيم التماساً لماء الحياة، والإمام ﷺ، ذلك الأسد الضرغام، وذيالك البحر القمقام، يرى ترك الغنم بين الذئاب تفترسها، والعطاش في الفلوات، تموت عطشا؛ ليرى ذلك في مذهبه ظلماً، والقيام بالخلاص فرضاً عليه، عدلاً، وإن كان في القيام بخلاص الهلكى تعبٌ بالغٌ وتكلفٌ زائدٌ!

أجل، إن صميم الأمر في القيادة العادلة، لا سيما في أمة متشتتة كهذه، ليست إلا التضحية في سبيل الحق بالنفس والنفيس، دونما راحة أو فائدة وعائدة شخصية، وإن

١. أخرجه وما في معناه العقد الفريد، ج ٣، ص ٣١٦؛ والجصاص في احكام القرآن، ج ٢، ص ٥٦٥؛ وحاشية سنن البيهقي لابن الترمذاني، ج ٨، ص ٣٠٦؛ وكنز العمال، ج ٣، ص ١١٠؛ والقاضي أبو يوسف في كتاب الآثار، ص ٢٦٦؛ من طريق أبي حنيفة عن ابراهيم أبي عمران الكوفي التابعي.

٢. أخرجه الدارمي في سننه، ج ٢، ص ١١٣؛ والنسائي في سننه، ج ٨، ص ٣٠١؛ والبيهقي في سننه، ج ٨، ص ٢٩٦؛ وأبوداود في سننه، ج ٢، ص ١٢٩؛ وأحمد في مسنده، ج ٢، ص ١٦٧؛ والترمذي في صحيحه، ج ١، ص ٣٤٢؛ وابن ماجه في سننه، ج ٢، ص ٣٣٢؛ والبعقوي في مصابيح السنة، ج ٢، ص ٦٧؛ والخطيب في تاريخه، ج ٣، ص ٣٢٧؛ وابن الأثير في جامع الاصول كما في التيسير، ج ٢، ص ١٧٣؛ وعشرات أمثالهم.

انتظار قبول الناس وإقبالهم بالتعظيم والتكريم، وتقبيل الأيدي والأرجل، انتظار لا توافقه طبيعة الحال، وليست حالة من هذه نظرتة إلا كسباح خلاف السيل الجارف، وهو يرجو أن يمشي معه السيل سيرا حثيثا رفيقا؛ فلا يحتاج إلى تكلف السباحة المُتعبة، أو يتمنى الخلاص القاطع وهو هاجم ضد مسيره... كلاً!

وإنما المؤمن في هذه الحياة الدنيا المظلمة، كلما ازداد إيمانه وإحساسه للمسؤولية – أمام الخالق والمخلوق – ازدادت نعماته، لمكان الأمواج الهامة الهدامة من الأكثرية ضد الإيمان عمليا وعقائديا؛ فكيف بمن يريد قيادة أمة كبيرة، قيادة عادلة في صميم الحق!

فالإمام إنما تروّعه وتضطره إلى قبول الأمر هذه المسؤولية الهامة؛ فلولا حضور الحاضر من هؤلاء الثائرين المضطهدين للبيعة، وحضور الوقت الذي وقته الرسول ﷺ للقيام بالإمرة؛ ولولا قيام هذه الحجة بوجود الناصر في إمرته، بالرغم من المنافقين، ولولا ما أخذ الله على العلماء ألا يقارّوا، ولا يتراضوا ويسكتوا على بطنه ظالم، يأكل الأموال ويهتك الأعراض ويهدر النفوس، ظالم قوي في ظلمه وجوره؛ وألا يصبروا على شغب مظلوم، على جوعه وتعبه، ورضه تحت نير الذل والجور... لولا ذلك وذيك، لألقيتُ حبل هذه الناقة على عاتقها، ترعى حيث شاءت، ولتركتُ الخلافة يأخذ بزمامها من أراد، ولسقيتُ آخر هذه الأمة بما سُقيتُ أولها من كأس مملوءة الزقوم، وشربها السموم، ولتركتُها تشرب من كأس الحيرة والضلالة، متعسفةً طريق المتاهة، وهم في سكرتهم يعمهون، ولأفئتم دنياكم هذه، أهونَ عندي من عفطة عنز.

هذه ظروف خلافة الإمام القلقة! فحينذاك يقوم بالأمر لتلك الجهات، دون أن يرغب فيه رغبةً بالذات، محتسبا عند الله عناه، بيتغي بذلك مرضاة ربه وخلاص الأمة، وهو أعرف الناس بما يجري في خلافته وكيف يجب عليه أن يعمل، وكما يقول بما بويح: «ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات. ألا وأن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم ﷺ؛ والذي بعثه بالحق، لتبليبن بلبلةً ولتغرلبن غرلةً

وَلتَسْلُطَنَّ سَوطَ القَدْرِ؛ حَتَّى يَعودَ أَسفلُكُمُ أَعلاكُمُ وَأَعلاكُمُ أَسفلُكُمُ وَليسَبِقَنَّ سابِقونَ كانوا قَصَروا، وَليَقصِرَنَّ سَبَّاقونَ كانوا سَبَقوا! وَاللَّهِ ما كَتَمْتُ وَشِمةً [كَلِمَةً] وَلا كَذَبْتُ كَذِبَةً، وَلقد نُبِّئْتُ بِهَذا المَقامِ وَهَذا اليَومِ! أَلَا وَإِنِ الخَطايا حَيلَ شَمَشَ خَمَلَ عَليها أَهلُها وَخَلَعَت لَجمَها؛ فَتَقحَمَت بِهَمِّ في النَارِ! أَلَا وَإِنِ التَّقوى مَطايا ذَلَل، عَليها أَهلُها، وَأَعطوا أَزمتَها فَأوردتَهم الجَنَّةَ. حَقٌّ وَباطِلٌ وَلكلِّ أَهلٍ، فَلئنَ أَمَرَ الباطِلُ، لَقديما فَعَلَ، وَلئنَ قَلَّ الحَقُّ فَلربما وَلَعَل، وَلَقلما أَدبِرَ شيءٌ فَأَقبلُ»<sup>١</sup>.

## دولة الإسلام في حكم مهرجان الإمام عليه السلام في أرجاء أرض الوطن الإسلامي الكبير تلو الرأي العام على بيعته بالخلافة؟!

حينما يلين الإمام لقبول الخلافة كما يُملئها عليه الواجب الديني، عندئذٍ يصف سرور المسلمين بأجمعهم لقبوله الخلافة، قائلاً: «... وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب»<sup>٢</sup>.

أجل، إن المسلمين يبتهجون ببيعة الإمام من صغيرهم وكبيرهم، وصحيحهم وعليلهم، ورجالهم ونسائهم؛ فقد «ابتهج بها الصغير» وكان رمزا إلى أمرين: أحدهما، ما بلغ به الظلم والهرج في الأيام الخالية زمن الثالث، إلى أن اضطرب بها حتى الصغار! وثانيهما، ما سطع به عدل الإمام، ولما يأخذ زمام الخلافة، أن عرفه الصبيان! فأكرم به وأحسن!

«وهدج إليها الكبير» مشياً في ارتعاش، لشدة الرغبة؛ حيث لا يمشي الكبير الهرم إلا إلى ما يضطر إليه من ضروراته الحيوية.

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام ١٦: (ومن كلام له عليه السلام لما بويج بالمدينة)، ص ٤٦ - ٤٨.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكلام ٢٢٩ (ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة)، ص ٢٢٢.

«وتحامل نحوها العليل» على علته تعباناً حرجاً، لا يدرك علته في جنب العليل التي شاهدها في الغابر، وطلايع الصحة والشفاء التي يرجوها في الحاضر، تحامل عليها تحاملَ الأصحاء الأقوياء.

«وحسرت إلى بيعته الكعاب» عن الأردية للإسراع إلى البيعة، أو حسرت إليها، وكشفت عن وجهها، وخرجت عن خدرها الشابات، متجهات إلى البيعة، بلا استيحاءٍ في حسرها، لشدة الرغبة، والحرص على إتمام الأمر لأمير المؤمنين عليه أفضل الصلوة والسلام.

فكأنما يسيل إليه سيل الجمع والجماعة دونما خيرة إلا اختيار بيعة الإمام عليه السلام، لا يحسون هرماً ولا ضعفاً ولا علة، بل ولا النساء حسراً، لا لعدم اهتمامهن بالحجاب، بل لكثرة الشغف نحو الهدف، كمثل أم، ترى ولده ساقطاً في البئر، وهي على السطح؛ فهي تسقط نفسها من السطح رغبةً في تخليص مهجة قلبها وثمره فؤادها؛ فلا تهتم وتغم عن كسر رجلها أو شيء من بدنها، دون خلاص ولدها.

كذلك ترى هذه الأمة المضطهدة المحطمة المرضوضة برضاى البلايا والمحن. ترى شفاءً حاضراً، ودواءً حاسماً لأدوائها؛ فلا يهتمها نحو البيعة ما تصطدم أو تتعب، ولا الشابات ألا تأخذ بستارتها؛ حيث تنحو حينذاك نحو ستار الرحمة والحجاب عن كل نقمة.

### مهرجان ومهرجانات

فأجمل وأحسن بذيالك المهرجان! الذي ينشأ من أعماق القلوب، ويبدو في المقال والفعال، في إطلاق الرغبة والاختيار، دونما جبر واضطرار.

ثم فكّر في: هل إن هذا المهرجان يقاس بالمهرجانات التي تتخذها الظلمة المستبدون المسيطرون على الشعوب، بقوة السيف والنار والترغيب والترهيب والغيلة والحيلة؟

إن هؤلاء الفراغنة الجبارين، كما سيطروا على الناس بالظلم والزور، كذلك هم المسيطرون عليهم فيما يهووناه، فقد يتخذون المهرجانات الكبيرة، بالرغم من عزاء الشعوب في حكومتهم! يتخذونها في كل مناسبة سنويا، لذكرى يوم جلوسهم على عرش الحكم، أو ميلادهم، أو غلبهم على الثائرين عليهم من الأحرار الأبرار، الذين لا يكادون يصبرون على الظلم والزور، وما إلى ذلك من مظالمهم الغابرة!

إنهم يتخذون تلك المهرجانات ويكلفون فيها من أموال الشعب المظلومين، دونما حد أو نهاية، ويضطرونهم باتخاذها في أيديهم وأسواقهم بذات أيديهم، وأن يتكلفوا فيها، ولو بالاستدانة!

و انهم ليدعون، في هذه المهرجانات المشؤومة الخاطئة، من الراقصات واللاعبات والمغنيات، من شتى ألوان الملاهي والمناهي والمنكرات، فيعلنون فيها ويبدون الخلاعة والاستهتار وألوان الفجور اللادينية واللاإنسانية، كما في زمن الشاه عليه لعنة الله.

فما أقبحهم بدءاً وعوداً! وما أظلمهم أخذاً في القيادة وفي ذكرياتها الملعونة!

فهذه مهرجانات... ومهرجان الحكومة العلوية مهرجان!

أجل، إن الحكومة العلوية عيدٌ للشعوب الأحرار حينما قام بالأمر، وإن ذكرها عيدٌ لجميع الأجيال حتى نهاية العالم؛ والحكومة الأموية وما إليها عزاءٌ وخزيٌ ودمارٌ وبوار، يحق أن تتخذ لها التعازي، والمآتم المتواصلة!

ولا يزال المسلمون في تلكم المآتم حتى يسفر صبح العدالة الإنسانية بصميمها في دولة المهدي القائم عليه السلام أو يسفر أحيانا على ضوء التضحيات من الحركيين التحرريين الأبرار؛ فإنه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾



## عود على بدء في بداية الحكم العلوي العادل:

ومن مقالاته في قيامه بالأمر:

«فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشَلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفِضُهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتًا. فَطَرْتُ بَعْنَانَهَا، وَاسْتَبَدَّدْتُ بَرَهَانَهَا، كَالْجَبَلِ لَا تَحْرِكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تَزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ. لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ. الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ. رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قِضَاءَهُ وَسَلِمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ...»<sup>١</sup>



## طليعة الدولة الإسلامية

يقوم زعيم هذه الدولة الغراء، حينما شلَّت أركان الحكومة والأمة، وتفسخت أوصالها، حينما ضعفت رجالها عن القيام بحقها، وإقامة الدين بصميمه في مرماها، خيفةً من استبداد الحكومة، كما نفت أباذرها، ورَضت جثمان آخرين، رغم قيامهم في مجابهة الظلم!

تتطلع هذه الشمس المنيرة وتطلع حينما تقبع واختبأ الحاكم والمحكوم: تقبَّع الشيخان تحت ستار التراب واختبأ وخمل ذكرهما إلا بغير الصواب، وتقبَّع شيخ أمية بالثورة القاضية، واختبأت الأمة برجالاتها الحاضرين عن القيام بالقيادة عجزاً وقصوراً.

وينطق ذيك الناطق بصميم الحق والصواب، حين تمتنع متكلموا الأمة في أمور العامة عن الكلام، وتخرَّس عن التدخُّل في هذا الأمر الهام.

١. نهج البلاغة، عبده، الخطبة ٣٧، (ومن كلام له ﷺ يجري مجرى الخطبة) ص ٨٨.

ويمشي ويمضي بنور الله الذي حباه لإيمانه وشدة وطأته وانصهاره في ذات الله؛ فيسير بالأمة إلى الصواب، حين وقفوا عن الحراك لظلام ذلك الجو، وعمى السائرين؛ حيث الآفاق أغمت، والمحجة قد تنكرت!

يمضي ويمشي بالأمة رويداً، سيرا سريعا إلى مسيرة المقدس. من ذا؟ من كان قبل ذلك أخفض الأمة صوتاً، دونما جهر بالخلاف على معتصبي الخلافة أو تحرّض للقضاء عليهم، ودونما أية غوغاء وضوضاء أو جزع، طيلة ربع قرن، وهو أعلى الأمة فوتاً؛ حيث لم يفت من الأمة، في هذه الأيام المظلمة، ما فات الإمام من خلافته مقاماً، ومن فدك فاطمة مالاً ومن ... ومن ...!

أجل، يقوم بالأمر حينذاك متطلعاً ناطقاً ماضياً بنور الله، يطير بجناحي العلم والإيمان، بالخلافة، دونما أية وقفة أو فتور؛ يسير بها سيرا زائداً نحو الإصلاح، يجبر به الوقفات، والرجعات السوداء الغابرة، ويستبدّ ويستقل برهان الخلافة في شتى ميادين رهانها؛ فيؤسس حكومة عادلة لم تك تعدوا الخيال، تلك المدينة الفاضلة، التي لا تماثلها أية دولة في القرون الخالية والآتية، إلا دولة المهدي الثاني عشر من العترة الهادية عليه السلام.

أجل، يستبد ذلك الحاكم المغوار بالحكومة العادلة، استبداد ربه ورسوله بها، بما أراه الله، كالجبل الراسخ لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف!

ذاك وذيك الطامات الكبرى في تلك الحكومة العادلة، التي قلبت الأمور ظهرأً لبطن، تُصلحها وتُرجعها إلى ما بدأت به في الحكومة المحمدية صلى الله عليه وآله، ولم يكن في ذلك القائد العدل لأحد مهمز ووقية، يعيبه بها، ولا مغمز!

### برامج الحكومة للعزيم والضعيف:

فلا عزة ولا قوة في هذه الدولة العادلة الا للحق، ولا ذلة ولا ضعف الا للباطل؛ اذ لا يحكم فيها حاكم الأثرة الظالمة، ولا استئثار فيها بالأموال والسلاح والجبروت والسيف والنار؛ وإنما الحاكم فيها هو الله بعدله وفضله وقضائه الصالح، يمثله الإمام في

دولته ﷺ تمثيلاً ثانياً بعد الرسول ﷺ؛ فعجوزة مقعدة دميمة، وهي بين الحياة والموت، لا مال لها ولا جمال، ولا أهل ولا أية قوة أو ناصر وعاذر، وقد غُصِبَ حقها وظُلِّمت في شيء يسير من مالها... هذه المرأة عزيزة قوية في حكم الإمام حتى يأخذ بحقها! في حين أن رجلاً شجاعاً قوياً ملياً من المال والأهل والعشيرة، وهو في حظيرة القدرة والجبروت، وقد أخذ شيئاً من حق تلك العجوزة؛ ذلك الجبار ذليل ضعيف في حكومة الإمام ﷺ حتى يأخذ الحق منه.

«... رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره...».

فلا ترضى هذه الحكومة إلا قضاء الله، ولا تسلم إلا لأمره، مهما بلغت به الأمور؛ حتى تستسلم لأمر ربه مجيبة دعوته إلى جواره.

**الظلم في مذهب الإمام كفر والانظلام هوان وتقوية للكفر!**  
ومن ذكريات ذلك:

١ - يقول للحسن والحسين عليهما السلام حينما يوصيهما بوصية الهامة:

«وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»<sup>١</sup>

... خذوا على يد الظالم السفيه بكل قدرة؛ حيث إن مقاومة الظالم حق مشروع للناس، وخلصوا المظلومين الضعفاء عن أيدي هؤلاء الظلمة الطغاة؛ إذ لا يقدرّون على التخلص، دونما عون ونصير.

٢ - يقول لممثل الحكومة في بعض الأقطار الإسلامية:

«استعمل العدل واحذر العسف والحييف؛ فإن العسف يعود بالجلاء، والحييف يدعو إلى السيف»<sup>٢</sup>!

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٧، ص ٧٦ (م)

٢. نفس المصدر، الحكمة: ٤٧٦، ص ١٠٩ (م)

يعني الإمام عليه السلام هنا وهناك: النزوعَ بالمظلومين إلى القتال لإنقاذ أنفسهم، ومن هذا الباب قوله عليه السلام مخاطبا من وقع عليهم الظلم وظلموا ساكتين:

٣ - «ألا تسخطون وتنقمون أن يتولّى عليكم السفهاء الظالمون؛ فتعمّوا بالذل وتقروا بالخسف، ويكون نصيبكم الخسران؟!»

وكذلك يقرر مثل هذا الحق في أقوال آخر كالتالية:

٤ - «ألا إن لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا...»<sup>١</sup>

٥ - «ردوا الحجر من حيث جاء؛ فإن الشر لا يدفعه إلا الشر!»<sup>٢</sup>

وهذه كناية عن مقابلة الشر بالشر، ما لم ينفع الحلم إلا ازدياد قوة وجرأة للظالم؛ فمن يستسلم للظالم، وهو يقدر على الأخذ بحقه منه، فقد ترك حقا شخصيا، ونعمة أنعمها ربه عليه، هي تقويته على الأخذ بحقه.

وضيّع حقا ثانيا جماعيا؛ حيث قوى الظالم بانظلامه على ظلم غيره، فليجبه المظلوم الظالم بما في إمكانه، ولو بلفظة قول، أو تظلم عند من يرجو عونه ونصرته، أو بفضيحة الظالم جهارا، ويقول الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ...﴾ [النساء، ١٤٨]

٦ - «الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.»<sup>٣</sup>

٧ - «من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده.»<sup>٤</sup>

٨ - «... فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أوزمتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم. يعملون في الشبهات، ويسيروا في الشهوات. وأيم الله، لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم.»<sup>١</sup>

١. نفس المصدر، الخطبة: ١٠٥، ص ٢٠١.

٢. نفس المصدر، الحكمة: ٣١٤، ص ٧٤.

٣. نفس المصدر، الحكمة: ٢٥٩، ص ٥٧.

٤. نفس المصدر، الحكمة: ١٦٤، ص ٤١.

٩ - «لئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه».<sup>٢</sup>

... أجل، إن الإمام يؤمن بحق المظلوم بقتال الظالم والقضاء عليه؛ حتى ولو تفرقت الظالمون في أرجاء الأرض، ويعمن في ايقاظ حمية المظلوم وإنقاذ نخوته للدفاع عن حقه، بهذه المقالات المنيرة.

إن مذهب علي عليه السلام ألا يصبر المظلوم على كِظَّة الظالم؛ فإن هذا أيضا ظلم من ناحية أخرى من المظلوم، هي تقوية الظالم، وتشجيعه على تخليده، والإكثار من ظلمه، وهذا معنى:

١٠ - «الظالم والمظلوم كلاهما في النار... القاتل والمقتول كلاهما في النار...». إن الإمام عليه السلام يمكّن فكرة مقاومة الظلم في النفوس تمكينا شديدا؛ إذ يجاوب في الناس روح الجزع من المصير، إذا هم فشلوا في دفع الظلم ومقاومة الجور، قائلاً:

١١ - «بقية السيف أبقى عددا وأكثرهم ولدا».<sup>٣</sup>

يعني بذلك: أن الذين يقاومون الظلم بحقهم فيقتل أكثرهم، يكون الباقون منهم شرفاء، ويعيشون في كرامة أنفسهم وحفظ حقوقهم؛ فإذا بعددهم أبقى وبأولادهم أكثر، بخلاف الأذلاء الذين يُظلمون فيرضون بالظلم والذل والهوان؛ فإن مصيرهم إلى المحو والفناء جميعا، بل هم بددّ على بقائهم، وأموات على حياتهم؛ فليست الحياة في الذل حياة الأحرار...

وعلى أية حال، فإن مقال الإمام في كل حال:

١٢ - «لنا حق فإن أعطيناه، وإلا، ركبنا أعجاز الابل، وإن طال السرى».<sup>٤</sup>

١. نفس المصدر، الخطبة: ١٠٦، ص ٢٠٥.

٢. نفس المصدر، الخطبة: ٩٥، ص ١٨٦.

٣. نهج البلاغة، عبده، الحكمة: ٨٤، ج ٤، ص ١٩.

٤. نفس المصدر، الحكمة: ٢٢، ج ٤، ص ٦.

ثم يُوغل في هذا المعنى؛ فيجعل مقاومة الظلم فرضاً على الناس، لا حقاً لهم  
يجوز لهم تركه، قائلاً:

١٣ - «العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة».

١٤ - «رحم الله إمرءاً ... أو رأى جوراً فرده ...».

أجل، إن حياة الإمام وحكومته كلها سلسلة معارك في سبيل نجاة المظلومين  
والمستضعفين، وانتصار دائم للشعب، دون من يريدونه إنتاجاً لهم، وحرزاً من السادة  
الأقوياء، وورثة الأمجاد الجاهلية!!!

وبداية الأمر ونهايته في هذه الحكومة أنها: ملجأ المظلومين!

ومن ذكرياته قول الإمام عليه السلام:

«... ارفعوا إليّ مظالمكم...»<sup>١</sup>.

«يوم المظلوم على الظالم أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم»<sup>٢</sup>.

«يوم العدل على الظالم أشد من الجور على المظلوم»<sup>٣</sup>.

«... وظلم الضعيف أفحش الظلم...»<sup>٤</sup>.

«... ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم...»<sup>٥</sup>.

«... والله، لئن أُبيت على حَسَك السعدان مسهداً<sup>٦</sup> وأجرُّ في الأغلال مصفِّداً، أحب

إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الحطام!

وكيف أظلم أحداً لنفس، يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها...»<sup>٢</sup>.

١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الباب: المراقبة لدفع مظالم الجنود، الحديث: ١٦٣٦، ج٥، ص ١٩٥.

٢. نهج البلاغة، عبده، الحكمة: ٢٤١، ج٤، ص ٥٣.

٣. نفس المصدر، الحكمة: ٣٤١، ج٤، ص ٨٠.

٤. نفس المصدر، الرسالة: ٣١؛ ومن وصية له للحسن بن علي عليه السلام، ج٣، ص ٥٢.

٥. نفس المصدر، ج٣، ص ٤٥.

٦. الحسك: الشوك، والسعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك، والمسهد: المسهر.

## ضرورة إنقاذ المظلومين

لقد استعان المستعمرون بعمالئهم في بلادنا الإسلامية من أجل تنفيذ مآربهم الاقتصادية الجائرة، ونتج عن ذلك وجود الملايين من الجياع يفتقدون أبسط الوسائل الصحية والثقافية، وجاه أقلية ذات ثراء ونهمة وفساد عريض، والجياع من الناس في كفاح مستمر بُغيةً تحسين أوضاعهم، وتخليص أنفسهم من وطأة جور حكامهم المعتدين، إلا أن الأقليات الحاكمة، وأجهزتها الحكومية هي الأخرى، تسعى إلى إخماد هذا الكفاح؛ ولكننا مكلفون بإنقاذ المحرومين المظلومين، وعلماء الإسلام مكلفون بمناضلة الظالمين والقضاء عليهم.

### معونة الظالمين!..

ولقد بلغت معونة الظالم في المعاصي حدًّا لا يدانيه شيء، وقد يقرر الإسلام أن عون الظالم ظلم، ليس في ظلمه فحسب، بل إنَّ عونه في شيء من أمره ظلم، وإن كان مباحاً أو راجحاً ذاتياً؛ بل ومن بنى لظالم مسجداً، أو لاق له دواءً، أو شاركه ولو في أية طاعة!! لماذا؟

لكي لا يكسب الظالم بذلك وجاهة زائدة لدى الجماعات، ويتستر بما يختلس من حقوق الشعب وأموالهم، يُلقى بذلك سداً على جوره، ويتمثل بمثال الأتقياء الدينين!

لذلك إن الإسلام لا يبيح التولي عن الجائر، إلا فيما ليس له وجاهة وتقوية، وإنما يهدف في التولي عنه نصرته المظلومين، والقضاء على الظالمين؛ ولا يسمح نصرته الظالم والدخول في جمعه، وإن كان فيما يندب إليه الإسلام.

١. مصفداً: مقيداً.

٢. نفس المصدر، الكلام، ٢٢٤، ج ٢، صص ٢١٦ - ٢١٧.

فالظالم إذا بنى مسجداً، أو أقام مأتماً دينياً، أو حج بيت الله الحرام، أو نشر المصحف الشريف، أو فعل أمثال ذي وذيك، حينذاك ليس لمسلم حرٌّ، أن يدخل في مأتمه، أو يحج معه البيت، أو يأخذ مصحفه.

... فالشريعة المقدسة الإسلامية إنما يستهدف، بهذه الأنظمة العادلة، القضاء على الظلم والظالمين، ومجاہتهم بكل قوة وقدرة، كي لا يتقوّوا ويكثرّوا؛ فيدمروا البلاد بمن عليها، ويأكلوا الرعية بما لها...!

الإمام يعادي الظلم أشد العداة؛ لأنه... ولأنه ذاقه أكثر من كل أحد!

### أقوى الأقوياء وأشد المظلومين:

بيننا الإمام عليه السلام، بين بدئه وعوده، عونٌ للمظلومين وهو عدوٌ للظالمين، فإذا أصبح أشدّ المظلومين، ومن ذكرياته ما يقول عليه السلام:

١- «ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخصاً - فالحمد لله - ولقد خفت صغيراً، وجاهدت كبيراً، أقاتل المشركين، وأعدائي المنافقين حتى قبض الله نبيه عليه السلام؛ فكانت الطامة الكبرى، فلم أزل محاذراً وجلاً، أخاف أن يكون ما لا يسعني فيه المقام، فلم أر بحمد الله إلا خيراً حتى مات عمر، فكانت أشياء، ففعل الله ما شاء، ثم أصيب فلان، فما زلت بعد فيما ترون دائباً، أضرب بسيفي صيباً حتى كنت شيخاً!»<sup>١</sup>

٢- قال عليه السلام: «ما زلت مظلوماً منذ كنت!» قيل له عليه السلام: «عرفنا ظلمك في كبرك، فما ظلمك في صغرك؟» فذكر: «أن عقيباً كان به رمد فكان لا يدرهما حتى يبدؤوا بي»<sup>٢</sup>.

يُظلم في صغره ويظلم في كبره! يظلمه الخلفاء ومناوئوه، لا فحسب، بل ويظلمه رعيته أيضاً، وكما يقول عليه السلام: «... أما والذي نفسي بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم؛ ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي!»<sup>١</sup>

١. بحار الانوار، ج ٢٨، ص ٦٧ (الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان) (م)

٢. مناقب آل أبي طالب في حديث عمرو بن حريث.



٣ — ويقول: «لوددت والله، أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم. يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين؛ صم ذوو أسماع، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي! أستنفركم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كُغيب وعبيد كأرباب؟! أتلو عليكم الحِكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثُّكم على جهاد أهل البغي؛ فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم: وتتخادعون عن مواعظكم. أقومكم غدوةً، وترجعون الي عشية كظهر الحية، عجز المقوم، وأعضل المقوم، أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم المختلفة، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه! وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه! لوددت — والله — أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم...!»<sup>٢</sup>

... ويقول كهذه المقالة في مواضع شتى، ليس المقام يناسب تفصيلها.

٤ — ومن ذاك في نكث طلحة والزبير: «... أَللّهُمَّ إِنّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَثَا بِيَعْتِي فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تَحْكَمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرْهَمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمَلَا، وَلَقَدْ اسْتَثْبَتَهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتَ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ، فَغَمَطَ النِّعْمَةَ وَرَدَّ الْعَافِيَةَ».

٥ — ومما يشكوا فيه مظالم قريش قوله عليه السلام: «أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيشٍ؛ فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي فِي الْحَجَرِ وَالْمَدْرِ»<sup>٣</sup>.

١. نهج البلاغة، عبده، الخطبة: ٩٧، ج ١، ص ١٨٧.

٢. نفس المصدر، الخطبة ٩٧ ص ١٨٨.

٣. بحار الانوار، ج ٤١، ص ٥١.

## الحكومة العلوية تعدل في الحاضر وتصلح الآتي والغابر:

إن الإمام عليه السلام لا يكتفي بردّ الظلم في حكومته فحسب؛ بل يرده وإن كان في الأيام الخالية، كأيام خليفة أمية، وحينذاك يقوم قائلاً:

«ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكلما أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته؛ فإن العدل في سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيّق»<sup>١</sup>.

إن الإمام ليراعي في حكومته حتى البهائم! فكيف بالناس؟! ومن مقالاته المنيرة في ذلك:

«... إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً، بين فيه الخير والشر، خذوا نهج الخير تهتدوا، وأصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض. الفرائض أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول، وفضلّ حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها؛ فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى إلا بما يجب»<sup>٢</sup>. بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم، وهو الموت؛ فإن الناس أمامكم، وإن الساعة تحذوكم من خلفكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم، اتقوا الله في عباده وبلاده؛ فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه»<sup>٣</sup>.

... أجل، إنه ليرعى حتى البهائم... وكيف يقاس بمن لا يراعي حق المسلمين الأبرياء، أو حق الإنسانية كيفما كانت، وإن كانوا ليعلمون بألفاظ،

١. موسوعة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، ج ٥، ص ٦ و٦٩٣، وأيضاً بهذا المضمون: بحار الانوار، ج ٣١، ص ٢٢٣، ونهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٦، ج ١، ص ٤٦.

٢. كظروف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا اقتضيا أذاه.

٣. نهج البلاغة، عبده، الخطبة: ١٦٧، ج ٢، ص ٨٠ (م).

مثل: «حماية الحيوانات» أو يحمون حيوانات خاصة، في حين أنهم لا يرون للإنسانية وللمسلمين مكانةً وشأنًا!

يرحمون ويحمون الكلاب، ولا يذودون عن حمى الفقراء والضعفاء، بل ويقضون عليهم! قضى الله عليهم، وأخذهم اخذ عزيز مقتدر!

### برنامج آخر في هذه الحكومة:

كما أن الإمام لم يكن ليتولى أمر المسلمين بالخدعة، ولا لينتصر لحقه بالباطل، فهو كذلك الآن - وقد تم له الأمر - لا يقنطر الباطل لتركيز قواعد عرش الحكم، ولو في لفظة قول، أو سكوت عن حق، أو بذل درهم في غير حقه، أو مداهنة مع الظالمين الأقوياء؛ كي يوافقوه في الحكم، أو لا يثوروا عليه ويزاحموه. ومن مقالاته النيرة هنا:

### «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟!»

يقولها حينما يعاتب على التسوية في العطاء، وأنّ الأنسب لتركيز الحكم بين الناس إقناع وإرضاء الوجوه الأقوياء، ذوي الأقدار والشؤون في الشعب؛ فينبثق قائلاً: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! والله، ما أطور به ما سمر سميّر، وما أمّ نجم في السماء نجماً! لو كان المال لي لسويت بينهم؛ فكيف، وإنما المال مال الله! ألا، وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله. ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه، ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم؛ فإن زلت به النعل يومًا، فاحتاج إلى معونتهم، فشر خدين وألم خليل»<sup>١</sup>.

١. نفس المصدر، الخطبة ١٢٦، ج ٢، ص ٦.

## التسوية فی العطاء:

وهذه من البرامج الثابتة للإمام عليه السلام طوال حكمه، وما أم نجمه في سماء الشعب، أنه لا فضل لأحد على أحد في بيت المال بهجرة ولا نصرة، ولا صحبة الرسول صلى الله عليه وآله، فضلاً عن أن يستأثر أحداً بالأثرات الجاهلية من القوة والعشيرة!

كما يقول: «أيها الناس! ألا، لا يقولون رجال منكم غداً: قد غمرتهم الدنيا، فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرفقة، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأخرتهم إلى حقوقهم التي تعلمون، يقولون: **حرماً ابن أبي طالب حقوقنا!** ألا، وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غداً عند الله؛ فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل لأحدٍ على أحد!»!

أجل، إنما الفضل في التقوى. وصحبة الرسول إنما يفضل المكانة عند الله في اليوم الآخر، وعند أهل الدين في الحرمة والعزة، لا في بيت المال؛ حيث لا يرتبط بالقوت ولا حكم فيه إلا القسم بالسوية.

وهذا الأسلوب وأشباهه، الذي يلجأ إليه الإمام في التسوية بين الناس جميعاً في الحقوق العامة، هو الدافع الأول، الذي حمل أولئك الوجهاء المترفين على ترك الإمام عليه السلام، والالتحاق بابن أبي سفيان، وبث العرقلات الجاهلة عليه؛ فإن علياً عليه السلام لا يكاد يستميل أحداً بمال الأمة، ولا يصانع الرؤساء وزعماء القبائل، كما كان يفعل ابن هند.

فإذاً، ليس الإمام عليه السلام ممن يركّز قواعد عرش حكمه بالتفضيل في العطاء من بيت مال المسلمين، ثم يعتذر، ويختلق وجوهاً شرعية في ذلك، أن هذه أموال المسلمين، فلتصرف في صلاحهم، ومنه تقوية هذه الحكومة العادلة! كلا! إن الإمام عليه السلام يحكم ليعدل؛ فكيف يقنطر الظلم لعدله؟

أجل، إن الحكومة العلوية لا تسائر الظلم ولا الظالمين تحت أيّ ستار واعتذار، وأي عنوان ثانوي، كما يفعله أشباه العلماء حفاظاً على اعتباراتهم الشخصية والجماعية.

اجتمع عليه مرةً كبار المهاجرين، وفيهم وعلى رأسهم طلحة والزبير، يريدون إقناعه بمسايرة معاوية الطاغية إلى أن يستتب له الأمر، فيخلعه على يسر وعافية؛ فخالفهم جميعاً مترفعاً عن الحيلة والمؤاربة.

وقد جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته بالخلافة، وهو من ذوي الحنكة والحيلة والتدبير، فقال له: «إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإن الضياع اليوم يضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا اتتك طاعتهم وبيعة جنودهم، استبدلت أو تركت»؛ فمكث الإمام غير بعيد، ثم أعلن عن إباطه الحيلة والخديعة، ولو تركيز قواعد حكمه الحق! فقال: «لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمري»!

ثم لما ظهرت حيلة معاوية الطاغية بمكائده الفاتكة، وقد زعم أنه أدهى منه ﷺ حينذاك، يقول: «والله، ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى الناس»!

أجل، كيف يرضى الإمام بقاء عمال الخليفة الأموي، عثمان، على أعمالهم إلى حين، ولو لساعةٍ، وهم من يعرفهم، وعلى رأسهم معاوية، وقد أضمروا العدا على الإسلام قديماً، وكانوا يتحسّنون الفرص للقضاء عليه، فكيف يثبتهم؟! وما يصنع بخلافة تقوم على قواعد ظالمة، مثل: معاوية وابن عامر ومن اليهم من الطغاة اللئام؟! أمسايرة للظالم، وتثبيتاً للظلم بغيّة تبديده؟!!

إنّ الإمام ﷺ في حكومته الغراء إنما يقبض يده على الدين دون إفراط بشيء منه قيد شعرة، في تأليف القلوب النافرة، فينقض أقوى المنافقين شكيمة، معاوية، عن إمارة الشام، فناصبه هو ومن على شاكلته العدا وظاهروا عليه.

وأما معاوية أخو عثمان، فقد فتح بيت المال على مصراعيه، وراح يغدقه على المنافقين ليلتفؤوا حوله، وعلى الضعفاء ليستمروا مع القواعد، لا إليه ولا إلى مناجزته، ولعمري، إن هذا هو أسّ البلاء الأول، الذي مكّن الذل من رقاب المسلمين، وسنّ لهم إلى ما هم على هذه الشاكلة: الجبن عن نصره الحق، والتضحية في سبيله، والإستخذاء لدعاة الباطل، والتقهقر بين يديه عن ثائر نبيهم، والاعتصام بكتابهم، والثبات على دينهم.

تلك هي ثمرة الشجرة الملعونة التي غرسها أبوسفيان، وغذاها الشيخان، وقواها عثمان بتسامحه، وضعفه، وسوء تدييره؛ ثم استغلها معاوية لهواه، وساعده على ذلك الاستغلال نفاق فريق، وضعف آخرين!

## وزارة المالية

برامج الإمام في بيت المال، وزارة المالية في هذه الحكومة:

قد يخلط الأمر على الفقراء المؤمنين مما يزينه لهم الرأسماليون الأشقياء غير الدينين، الذين يأكلون أموال الشعب بالزور والباطل، كما يلي:

... إن كنتم فقراء، فإنما ربكم معكم يكفيكم... لو كنا نحن كأمثالكم فنشارككم في هذه الفضيلة! ... أنتم اليوم فقراء، وغدا أغنياء، على العكس منا، وأمثال هذه المخدّرات البراقة!

ولكن الإمام يحرض الناس على العمل، وينهاهم عن التبتل، وأن يصبروا على انهضام حقوقهم؛ ولذلك فإننا نراه يحسم مواد الفقر كما يمليه عليه الواجب الديني.

فلا يرى الاستئثار إلا بالحق والعمل، كما يهديه إليه كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم، ٣٩].

ومن هجماته على الفقر، وعلى الاختلاف الطبقي العارم، تسويته في العطاء، وأنه يساهم في توفير الخبز والماء والكساء للمجموعة البشرية وفي رفع الحاجة عن العامة. أجل، إنه يقتل الفقر بالعدل في القسمة؛ كي لا يقتل الفقرُ الشعب، كما قتل الرأسماليون الأشقياءَ الفقراءَ المضطَّهدين، يأكلونهم وحقوقهم، ويحطمونهم وكيانهم!

فما أقدس سوط الإمام يرفعه على الفقر، وعلى الذين يزينونه من المنافقين، أولي النعمة والأثرة! إذ يقول: «لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته»

إنه يقاتل الفقر ودوافعه بالتحريض على العمل، ومحاربة الأثرياء الذين يأكلون أموال الفقراء؛ أكلة الأراضى المواتِ والأموال العامة، وسراق أموال الشعب.

### عدل الإمام في بيت المال:

هل إن الإمام يستأثر أهله وذويه في بيت المال؟ كلا! إن الإمام لا يرى لأهله فضلا في بيت المال مهما كانوا فضلاء في دين الله:

١ - استدعت إحدى بناته من خازن بيت المال أن يعيرها سترا لضعيف، أتاه في عيد، وهي شريكة في هذا الستر، فلما يطلع الإمام عليه السلام يقول: «يا بنت ابن أبي طالب! لا تذهبي بنفسك عن الحق! أكل نساء المهاجرين والانصار يتزينن في مثل هذا العيد بمثل هذا؟!»

٢ - يأتي إليه أخوه فقيرا، كهلاً، أعمى، مع صبيانه، شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم - يأتيه - ملتصقا منه، وهو الخليفة وكفيل بيت المال، أن يزيده ويستأثره بصاع من البر. والإمام يجيبه بحديدة يحميها ويدنيها من جسده! كما يقول في قصته هذه: «والله، لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بر كم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم، وعاودني

مؤكدًا، وكرر علي القول مرددًا؛ فأصغيت إليه سمعي؛ فظن أنني أبيع ديني، وأتبع قياده مفارقًا لطريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضح ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد يحترق من ميسمها، فقلت ثكلتك الثواكل يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه! أتئن من الأذى، ولا أئن من لظى! وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتها كأنما عُجنت بريق حية أو قيئها؛ فقلت: أصله أم زكاة أم صدقة؟! فذلك محرم علينا أهل البيت! فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية؛ فقلت: هبلك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟! أمختبأ أنت أم ذو جنة أم تهجر؟! والله، لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة، ما فعلت! وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى؟! نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين<sup>١</sup>.

٣ - يقدم عليه عبدالله بن زمعة، وهو من شيعته، يطلب منه مالاً، فيجيبه قائلاً: «إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء المسلمين، وجلب أسيافهم؛ فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا، فجناة أيديهم، لا تكون لغير أفواههم»<sup>٢</sup>.

أجل، إنه «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»، وإنما جناة كل يد لفيه، دون غيره ممن لا يجنيه؛ فما أفاده المسلمون في محاربة الأعداء، إنما هم المشتركون فيه، دون من لم يشاركهم في الحرب.

هذه ضابطة عامة يسئها الإمام عليه السلام في الأموال التي أنتجتها المساعي؛ فليست إلا للساعي على قدر سعيه، سواءً أكانت من التجارة أو الزراعة أو غيرها من الحرف والأعمال المباحة.

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٢٢٤، ج ٢، ص ٢١٧ - ٢١٨.

٢. نفس المصدر، الكلام: ٢٣٢، ج ٢، ص ٢٢٦.



وإن كان هناك أموال في بيت المال، يشترك فيها الفقراء القاصرون عن قُوَّتِهِمْ، من زكوات وصدقات وما إليها من الإنفاقات الواجبة أو المندوبة. ولتفصيلها محلُّ آخر.

٤ - طلحة والزبير، هذان الداهيتان أهل السؤدد والقدرة، يأتيانه في بيت المال ليلاً، في مذاكرةٍ شخصيةٍ لهما، فيقوم الإمام حينذاك يطفئ السراج، ثم يأخذ يكلمهما في الظلام!

فيقولان له معترضين - حائرين - علي ما فعله بهما وهما ضيفان، وهكذا... بدل أن تزيد سراجا وتبسط بساطا وتتكلف طعاما، ثم تصلنا صلة، تليق بنا...؟!

فينبثق عليه السلام قائلاً: «ليس لي ولا لأحد أن يستضيء في ضوء هذا السراج إلا لمصلحة الفقراء؛ إنه من مال الفقراء!»

٥ - أتى بمال مساءً فقال لعمال بيت المال: «اقتسموه»؛ فقالوا: «قد أمسينا يا أمير المؤمنين، فأخره إلى غدٍ»؛ فقال لهم: «تقبلون لي أن أعيش إلى غد؟» قالوا: «ماذا بأيدينا؟»؛ فقال: «لا تؤخروه حتى تقسموه».

هل يأخذ وزير المالية (الإقتصاد) من بيت المال شيئاً لذات نفسه وأهليه، مستأثراً به على من سواه؟

كلاً، ولا فلساً! بل وكان عليه السلام يضرب بالمرِّ، ويستخرج الأرضين، وينفق في سبيل الله، ويعيش كأفقر من في أرجاء الحكومة الإسلامية!

٦ - مضت عليه أحيان، ليس عنده ثلاثة دراهم، يشتري بها إزاراً، وما يحتاج إليه، ثم يقسم كل ما في بيت المال على الناس، ثم يصلي فيه فيقول: «الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته»!

١. بحار الانوار، ج ٤٠، ص ٣٢١؛ و ج ٤١، ص ١٠٧.

٢. نفس المصدر، ج ٤٠، ص ٣٢١.

٧ - يراه الخولاني جالسا على بردعة<sup>١</sup> حمارٍ مبتلة؛ فيقول لأهله في ذلك: «هل إن أمير المؤمنين، خليفة الإسلام، يجلس على مثل هذا؟!»، فيجاب: «لا تلومني! فوالله، ما يرى شيئا ينكره إلا أخذه، فطرحة في بيت المال»<sup>٢</sup>.

٨ - يراه عنتره بالخورنق، وهو عليه السلام يرعد تحت سمل<sup>٣</sup> قطيفة؛ فيقول له: «يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع!»، فقال: «والله، ما أرزؤكم من أموالكم شيئا، وإن هذا لقطيفتي، التي خرجت بها من منزلي من المدينة، ما عندي غيرها»<sup>٤</sup>.

٩ - علي بن رافع يقول: «كنت على بيت مال علي بن أبي طالب عليه السلام وكاتبه، وكان في بيته عقدٌ لؤلؤ، كان أصابه يوم البصرة، فأرسلتُ إليَّ بنتُ الإمام عليه السلام قائلة: بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام عقد لؤلؤ، وهو في يدك، وأنا أحب أن تعيرنيه، أتجمل به في أيام عيد الأضحى؛ فأرسلت إليها، وقلت: عارية مضمونة، يا ابنة أمير المؤمنين؛ فقالت: نعم، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام؛ فدفعته إليها. فإذا أمير المؤمنين رآه عليها، فعرفه قال: من أين صار اليك هذا العقد؟! فقالت: إستعرتُه من ابن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين، لأتزين به في العيد، ثم أردته». قال: «فبعث إليَّ أمير المؤمنين عليه السلام؛ فجنَّته؛ فقال: يا ابن رافع! أتخون المسلمين، يا ابن أبي رافع؟ فقلت: معاذ الله أن أخون المسلمين! فقال: كيف أعرتَ بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين، بغير إذني ورضاهم؟! فقلت: يا أمير المؤمنين! إنها ابنتك! وسألتنني أن أعيرها إياه تتزين به، فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة، وضمنته في مالي، وعليَّ أن أردته مُسَلِّماً إلى موضعه! فقال: رده من يومك، وإياك أن تعود لمثل هذا، فتنالك عقوبتي! ثم أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة

١. كساء يلقي على ظهر الدابة.

٢. نفس المصدر، ج ٤٠، ص ٣٢٤.

٣. أي: ثوب خَلِق بالٍ.

٤. نفس المصدر، ج ٤٠، ص ٣٣٤.

مردودة، وكانت إذَنْ أوَّلَ هاشميَّةٍ قُطِعَتْ يَدُها في سَرَقَةٍ. فبلغ مقالته ابنته؛ فقالت له: يا أمير المؤمنين، أنا ابنتك وبضعةٌ منك! فمن أحمقٌ بلبسه مني؟ فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: يا بنت عليّ بن أبي طالب، لا تذهبي بنفسك عن الحق! أكلُ نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟ فقبضته منها ورددته إلى موضعه»<sup>١</sup>.

## أنتى لك هذا؟ من أين، ولم يكن؟

هذا سؤالٌ يُسألُ به كل من وُلِّيَ أمراً، صِفر اليد، ثم أصاب أموالاً ودوراً وقصوراً، فالحكومة العادلة الإسلامية تحتمُّ عنه هذا السؤال: أنتى لك هذا؟!

أيها القائد! الملك! رئيس الجمهورية! رئيس الوزراء!

يا وزير الدفاع! وزير الثقافة والإرشاد! وزير الاقتصاد! وزير المالية! وأيها الرئيس...!

أيها المدير...! أيها الملازم...! أيها التاجر...! أنتى لكم هذا...!

ارفع إلي حسابك، إرفع إلى القانون، إلى العدل، إلى الدين، إلى أمير المؤمنين عليه السلام حسابك.

يكتب الإمام عليه السلام إلى بعض عماله: «بلغني عنك أمر! إن كنت فعلته، فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك! بلغني أنك جردت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع اليَّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس! والسلام»<sup>٢</sup>.

أجل، إنَّ هيئة الدولة، والأنظمة الدولية في مذهب الإمام عليه السلام، لا شأن لها إلا تسهيل الأمور على الشعب، وحفظ حقوقهم، والدؤدَ عنهم، لا أن يسيطروا عليهم بكل أنفة وكبرياء، ويأكلوهم ويأكلوا أموالهم؛ فكلما

١. نفس المصدر، ج ٤٠، ص ٣٣٨.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٤٠، ج ٣، ص ٦٤.

استبدلت الهيئة الحاكمة سرقت أموالاً، وحطمت حقوقاً، وهتكت أعراضاً ونفوساً، جملة بعد أخرى، كما نراه من الحكومات الجابرة اللادينية والالسانية، ولا سيما باسم الدين!

هذه البربرية الوحشية والرجعية السوداء، الهدامة للحريات والحقوق، أصبحت تسمى حكومة وتقدمية بيضاء، إلى حيث يقال لمن تُوَلَّى أمراً، ولم يصب مالاً، ولا منالاً: كل أمرك في فِشَل، وعقلك في خَبَل، ولم تكن أهلاً لما توليت! فليتك لم تكن على هذا الأمر! فقد ضيّعتَ المقام دون فائدة وعائدة!

وبجنب هذه الحكومات الظالمة، تلمع الحكومة العلوية، قائلاً ﷺ لعزیزته: «أَكَلُ نساء المهاجرين تتزيّن بمثل هذا؟» حال أنها استعارته عارية مضمونة! ويُجابه أخاه المُعَوِّزَ الفقيرَ، عقيلاً، إذ يسأله زائداً عن حقه؛ فيجازه بحديدة، يحميها؛ فيئنُّ منها!

هذا وذيك...، ولا ينتفع من بيت المال، ولا فلساً؛ بل ويزيده من ذات يده، وكدِّ يمينه، وعرق جبينه، وينفقه على فقراء المسلمين.

أجل، ولا يشبع هو وأهله من خبز، قائلاً: «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسأج هذا القز؛ ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي إلى تخيير الأطمعة! ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثي، وأكباد حرّى؟!!

أو اكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة      وحولك أكباد تحن إلى القدِّ



## أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين (!)

ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟! أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش؟! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همُّها علفها، أو المرسلّة، شغلُّها تقمّمها، تكترس من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثا، أو أجرّ حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة؟!»<sup>١</sup>

صلوات الله عليه إماماً عاليّ السلطان، واسع الإمكان؛ فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء، لأمكنه، ولكنه كيف يشبع، ويلتذ، ويتمتع، ولو من أمواله الشخصية، ولعل في أرجاء المملكة الواسعة الإسلامية بطونا، لا عهد لها بالشبع، ولا طمع لها في القُرص؟! وكيف ترضى عاطفته الإنسانية، فضلاً عن الخلافة الدينية، أن يبيت مبطانا، وحوّل البطونُ الغرثى، والأكباد الحرّى؟!

أم كيف يلبس خيار الملابس، ويسكن خير المساكن والقصور، وأمامه عراة، لا يسكنهم لا بيت خرب، ولا حجرة صغيرة؟!

... أيقنع الإمام من نفسه بأن يقال: «أمير المؤمنين»؛ فيجلس على عرشه ويسكن في قصر الخلافة؟! ولا يقوم بالمسؤولية الهامة أمام الشعب في دينه ودنياه؟! كلا! ثم كلا!

ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته

إنّ على كل مسلم مسؤوليةً جماعيةً - بعد شخصه - مهما كانت مكانته عاليةً. وطبيعة الحال قاضية أنه كلما كانت مكانة الإنسان - الاجتماعية - أتم، كانت مسؤوليته أهمّ، وجريمته، لو ترك شيئاً مما عليه، أكثر وأعم؛ فالزعماء الروحيون، وساسة الشعب لا

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٥، (من كتاب له كتبه إلى عثمان بن حنيف) ج ٣، صص ٧٠ - ٧٢.

يحل لهم أن يتركوا أنفسهم سدىً، ويهملوها عابثين، دون عملية إصلاحية في أمور الشعب.

هناك أمير المؤمنين عليه السلام يفرض على نفسه ما أملاه عليه فرض الخلافة الكبرى الإسلامية، أن يشارك المسلمين في مكاره الدهر، ذوداً لها عنهم، مشاركاً لأضعف الرعية في عيشته، وأن يكون أسوة لهم في جشوبة العيش، ونعموته، ورغده؛ لكيلا يطروا فيها، ويزلوا، أو يُضلوا بها عن المحجة؛ فتردى بهم النعيم إلى الجحيم!

بذل الإمام وسماحته:

لعل جاهلاً بصميم الأمر في خلق الإمام عليه السلام، يزعم أنه يجعل يده مغلولةً ممسكةً عن العطاء والبذل لذوي الحاجات إلا على قدر أقاتهم الضرورية.

لكننا نجد الإمام سمحاً بذولاً، دون أن يمسك بشيء، وإن كان من أمواله الشخصية! وإن ذكريات سماحته، وبذله من أمواله، وكدّ يده، لا تُحصَى! وإليكم شيئاً منها يسيراً:

١ - يصيب الإمام عليه السلام - من قسمة الفيء التي قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله - أرضاً، فاحتفر فيها عيناً، فخرج ماءً ينبع في السماء، كهيئة عنق البعير، فجاء البشير يبشره بذلك.

حينذاك هل يستبشر الإمام عليه السلام بهذه العين الفوارة في ذيك الأرض الجرداء الحراء؟ أجل، يستبشر، لا لأنه يملك الملايين؛ فيبنى قصوراً، ودورا، ويملاً البنوك، ولو من ذات يده وملكه الخاص به! كلاً! ما لعلني ونعيم يفتنى، ولذة لا تبقى؟!!

إنه لا يفرح لنفسه أن ملك الملايين، وإنما يفرح أن امتلك ما يدرُّ به على الشعب ذوي الحاجة، قائلًا: «بشر الوارث! هي صدقة بتة بتلاء، في

حجيج بيت الله، وعابري سبيل الله، لا تباع، ولا توهب، ولا تورث؛ فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً»<sup>١</sup>.

أجل، إنه كما كان الإمام عليه السلام يقف نفسه المقدسة لخدمة الخالق وخلقها، كذلك يقف أمواله الشخصية لذوي الحاجات منهم.

٢ - «إنه أعتق الف نسمة من كد يده، جماعة لا يحصون كثرة...» ويكد، ويتعب نفسه لينفق على البائسين! «رأى رجلٌ عنده عليه السلام وسق نوى، فقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: مائة ألف نخلة إن شاء الله. غرسه فلم يغادر منه نواة واحدة، فهو من أوقافه. ووقف مالاً بخيبر وبوادي القرى، وكذلك مال أبي نيرز، والبغية، وأرباحاً، وأرنية، ورغداً، ورزبناً، ورياحاً، وقف كل ذلك على المؤمنين، وأمر بذلك أكثر ولد فاطمة عليها السلام من ذوي الأمانة والصلاح. وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة، وبنى مسجد الفتح في المدينة، وعند قبر حمزة، وفي الميقات، وفي الكوفة، وجامع البصرة، وفي عبّادان، وغير ذلك»<sup>٢</sup>.

هذا شيء يسير من بنياته، وحفره الآبار، وإخراج العيون، وغرسه الأشجار، وعتقه النسمات، ومن أوقافه، وصدقاته، التي لا تحصى كثرة!

٣ - كانت له أربعة دراهم من الفضة، وما عنده شيء غيرها، فتصدق بواحد ليلاً، وبواحد نهاراً، وبواحد سراً، وبواحد علانية، فنزل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً...﴾ [البقرة، ٢٧٤]<sup>٣</sup>

٤ - لقد كان يؤثر على نفسه وأهله، حتى نزل فيه: ﴿... وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [الحشر، ٩]

١. فروع الكافي (من الطبعة الحديثة) ج ٧، ص ٥٤. وبحار الانوار، ج ٤١، ص ٤٠.

٢. مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٨٧؛ عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام. وبحار الانوار، ج ٤١، ص ٣٢.

٣. أخرجه ابن عباس والسدي ومجاهد والكلبي وابوصالح والواحدي والطوسي والثعلبي والطبرسي والماوردي والقشيري والثمالي والنقاش والقتال وعبيدالله بن الحسين وعلي بن حرب الطائي، في تفاسيرهم.

أجل، إن الإمام، ذلك البذول ذو السماحة والعطاء الغزير، إنما يبذل، ويعمي في بذله، من ذات يده، حب درجات الفضيلة، وأما في بيت مال المسلمين فلا قسم إلا بالسوية!  
ولم يكن عطاؤه كشاكلة عطايا الملوك أولي النعمة والكبرياء، بكل أنانية ورعونة، بل عطاء الأخ للأخ، وعون فرد من الشعب لآخرين.

فلقد كان يحمل الطعام، وألوان الحاجة، إلى بيوت الأيتام، في آناء الليل وأطراف النهار، ويعين الضعيف بنفسه المقدسة، وبنفسه. ومن ذلك:

نظر ﷺ إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها، فقالت: «بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور؛ فقتل، وترك علي صبيانا يتامى، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس؛ فانصرف الإمام ﷺ، وبات ليلته قلقا، فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: «أعطني أحمله عنك»، فقال: «من يحمل وزري عني يوم القيامة؟»، فأتى، وقرع الباب، فقالت: «من هذا؟» ﷺ: «أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان»، فقالت: «رضي الله عنك، وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب!» فدخل ﷺ وقال: «إني أحببت اكتساب الثواب؛ فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين، وبين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا»، فقالت: «أنا بالخبز أصبر، وعليه أقدر؛ ولكن شأنك والصبيان، فعلمهم حتى أفرغ من الخبز؛ فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد علي إلى اللحم فطبخه، وجعل ﷺ يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً، قال له: «يا بني! اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمر»، فلما اختمر العجين قالت: «يا عبد الله! اسجر التنور»، فبادر ﷺ بسجره، فلما أشعله ولفح في وجهه، جعل يقول: «ذق يا علي! هذا جزء من ضيع الأرامل واليتامى»، فرأته امرأة تعرفه؛ فقالت: «ويحك! هذا أمير المؤمنين ﷺ!» فبادرت المرأة، وهي تقول: «واحيائي منك يا أمير المؤمنين!» فقال ﷺ: «بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك!»



فأكرمُ بسُلطانِ عدلٍ، مسيطرٍ على مُلكٍ عظيمٍ إسلاميٍّ، يعتذرُ إلى امرأةٍ ضعيفةٍ،  
أن قُتِلَ زوجها في جهادٍ، أمر به في سبيلِ الله، ويلاطفها، ويعينها في حملِ قربةِ ماءٍ،  
وطعامٍ، وفي خدمةِ البيت!

فهكذا يحنُّ إليها، مع عمومِ حنانه ورحمته إلى الضعفاء الفقراء إطلاقاً، دونما  
إهمالٍ واستغفالٍ!

يبسط برحمته، ويمد بظله على رؤوس الشعب مجاهداً مجتهداً متعباً نفسه، لا  
يستريح، ولا ينام، ثم يخاطبهم كالمعتذر: أنه لا يقوم بواجبه في أمرهم، تواضعاً  
للحق، وترفيقاً بهم، فأكرمُ به وأجمل!

ثم انظر إلى ظلمة جبارين، كيف صنيعهم بالشعوب العزلَّ المظلومين، إذا رفعوا  
إليهم حاجاتهم ومظالمهم! كيف يلدغونهم، ويلسعونهم؛ فيحطّمونهم، كأنهم ليسوا  
من الشعب!

ثم انظر إلى حكومة عادلة إسلامية في ضوء دولة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كيف  
نظامها في حكمها، وأنظمتها الدولية في شتى ألوان التدابير، ذوداً عن الشعب، ورحمةً  
وحناناً لهم، لكي تذوق وتمس حقيقة الحكم العدل!...



## الحكومة العلوية الغراء

الدساتير المقررة فيها على القائد الأعظم وبلاطه...، شاكلة الوزارة والوزراء في هذه  
الحكومة...، فرض كل وزير وعامل في وزارته وعمله...، النظام الطبقي في مذهب  
الإمام...

لتأخذ القوَّادُ، والملوك، ورؤساء الجماهير، اليوم عبراً، وعظات، ودساتير هامة من دستور الإمام لمالك الأشر، وسائر العمال في الدولة العلوية؛ فلا يطوُّوا عرشاً، يحملهم إلى هلاك أمتهم، ثم هلاكهم، وإهلاك أبنائهم في ضمير الغيب؛ فإن فساد الآباء ينحدر للأبناء، كما أن صلاحهم يؤثر في الأبناء.

فأحرى لهم، إذا يريدون الأمن والإصلاح، أن يتخذوا دستوره المبارك لإصلاح دنياهم، وإن لم يكونوا من أهل الدين؛ حيث العمل بدستور الحق والعدل أول ما يعمل ويُصلح، إنما هو في هذه الحياة المظلمة القلقة الخطرة، ثم يظهر تماماً يوم يقوم الأشهاد.

وبالأحرى لأصحاب الحكومات الإسلامية الغراء؛ الذين يحكمون على الشعوب المسلمين، وهم يعتنقون الإسلام، ويتحدون في إله واحد، ونبي واحد، وكتاب واحد؛ فعليهم أن يعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا يفرقوا، ولا يختلفوا في القوانين والثغور.

كيف، وإنما الدساتير المحكَّمة عليهم منزَّلة في كتاب الله، وليس للإسلام حدٌّ إلا كلمة: أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ!

فلا يبيدوهم أبعاد الأمكنة، واختلاف الألسنة والألوان، ولا يحكم فيهم حاكم القوميات الهدامة للقوام العدل الإسلامي، ولا الطائفيات، والأحزاب المتفرقة عن الأهداف الإسلامية العادلة، ولا تتدخل فيهم السياسات الإبليسية الغربية، ولا غيرها من السياسات غير العادلة.

وإذ لا يحكم على المسلمين إلا حاكم القرآن الكريم، فلماذا يفرقون ويتشعبون، حتى يسيطر عليهم الاستعمار الغاشم، فيقضي عليهم، بالرغم من أنهم من أكثر النفوس عدداً، وأقواهم مدداً، وسنا إلهية؟

حكومة القرآن في مختلف البلاد الإسلامية في جبهة واحدة.

فلا قانون لشعب مسلم إلا القرآن، ولا مَلِكٌ، ولا رئيسُ جمهورية، ولا قائدٌ إلا ممثلاً للرسول الأعظم ﷺ، تطبيقاً لأحكام الدين.

ولا ثغر للأراضي الإسلامية إلا ثغر الإسلام؛ فالمسلمون يد واحدة على من سواهم، تسعى بذمتهم أذانهم؛ فالقريب من قرّبه الإسلام، والبعيد من بعده الكفر به.

فالمسلم في البلاد الإسلامية إنما هو في وطنه، وإنْ بَعُدَ عن مولده ومسكنه آلاف الفراسخ، والمسلم في البلاد غير الإسلامية غريب عن بلاده، وإنْ كان في مولده وموطنه؛ والمسلم في بلاد، لا يحكم فيها الإسلام، وإنْ تسمى به، إنما يعيش في غير بلده؛ فانهضوا أيها المسلمون لتجديد الحكومة الإسلامية العالمية الكبرى! استرجعوا سيادتكم وشوكتكم وعزكم، واعتبروا يا أولى الألباب! ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾! [آل عمران، ١٣٩]

ثم إذ - ومع الأسى! - لا تؤسس الدول الإسلامية حكومة واحدة على ضوء القرآن الكريم؛ فليتخذوا قراراً عاماً عالمياً فيما بينهم، يحتفظون به على كياناتهم واستقلالهم، قراراً مشتركاً بينهم، يُقرُّهم على أنظمة وندوات إسلامية؛ لكي ينسلخوا - على شتات حكوماتهم - في سلك واحد.

فُعدوا بذلك ما استطاعوا من قوة، للقضاء على أعداء الإسلام، وأعداء الحرية والسلام، وإذاً كيف يجترئ الأعداء المستعمرون على تحطيم بلد مسلم واحتلاله؟! وأتى يقدر اليهود الأذلاء - وهم قليلون - على اغتيال إخواننا في البلاد المقدسة، فيهتكوا نواميسهم، ويسيلوا دمائهم، ويشقوا بطون النساء الحوامل المسلمات!!!

أجل، ليتخذوا قراراً ثابتاً على الإسلام والسلام فيما بينهم، والعداء لأعدائهم؛ فإذا وجدوا بلداً إسلامياً يتخذ بطانة من أعداء الإسلام، من اليهود وغيرهم، ضد المصالح الإسلامية العامة، حينذاك يوبّخوه بألوان التوبيخ؛ لكي يرجع عن ضلاله وغيه.

فيا أبناء الإسلام! يا أبناء محمد ﷺ! يا أبناء القرآن! يا أبناء المجاهدين الأولين! ألم يأن لكم أن تخشع قلوبكم، وتستسلم لحكم القرآن! أما حان حين اليقظة عن هذه النومة القاضية؟ وهُدَّةٌ بديل وحديّة؟! أ ولم يهد لنا: كم أهلك الأعداء من القرون قبلنا، وكم يهلك في واقعنا الحاضر! أولم يهد لنا ما يمضي علينا من السلطات الجبارة الاستعمارية اللإنسانية؟ ف ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾! [آل عمران، ١٣٩]

فإنما الوهن والضعف والهوان والخزي والحزن والبوار والدمار، كل ذلك، لأننا لسنا مسلمين حقيقيين! لسنا أحرارا في الدين!

ولقد اكتفينا من الاسلام بالاسم، بالجنسية الإسلامية، وبالقشر فحسب! وحينذاك يقضي علينا كلُّ قَشْمَرَةٍ وزلزالٍ، لفقد الأبواب الإسلامية! فاعتبروا يا أولى الأبواب!



## أسس الحكومة العلوية الغراء

واحد كأمة! فرد كهيئة!

قد اجتمع في زعيم هذه الحكومة الغراء شتى المناصب الوزارية والمديريات العامة، من رئاسة الجنود، وزارة الثقافة والإرشاد، وزارة العدل والقضاء، وزارة الاقتصاد وتنمية الاموال، وزارة الجباية والمالية، وزارة الداخلية والخارجية، وزارة الأمن والنظمية!!!

بيننا الإمام هو القائد الأول الديني في حكومته، فإذا هو القائد الأول السياسي!

فبيننا يؤمُّ الشعب في الصلاة، فإذا هو يقودهم ويؤمهم بنفسه في الجنود

ذوداً عن الإسلام!

بيننا يرتعش في صلاته من خشية الله، وإذ يرى مظلوماً، غُصِبَ حُقه، فإذا هو  
يرعش من سطوته وصولته الشجعان، أُسد الغابات في ميادين الحرب!  
بيننا يبين للشعب أحكام الدين، فإذا هو مقرر لهم أحكام الدفاع والتجنيد  
والسياسات الداخلية والخارجية، بما أنها أيضا من أحكام الدين السياسية.  
وبينا يقول: «يا دنيا غرّبي غيري»، فيزهد عن الدنيا وفيها، فإذا هو مرعّب الناس  
للعمل والزراعة وتنمية الأموال وإصلاح جانب الإقتصاد والقضاء على الفقر!  
فلقد كان الإمام، في وحدته، كلّ القوى، يُصلح الشعب بشتّى أساليب الإصلاح!

### عهد الإمام عليه السلام

إلي مالك الأشر، واليه على مصر، وقد نرى فيه عهداً إلى جميع الولاة والعمال  
والحكام والفقهاء في كل عصر ومصر. الدستور العام للملوك، ورؤساء الجماهير،  
ومتصرفي الألوية، والولاة في حوزاتهم، ووظائفهم الشخصية والجماعية، مع الخاصة  
والعامة!<sup>١</sup>

يقول الإمام عليه السلام: «... وأنّ الناس ينظرون في أمورك في مثل ما كنت  
تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما  
يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده؛ فليكن أحب  
الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملِك هواك، وشحّ بنفسك عمّا لا  
يحلّ لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت. وأشعر  
قلبك الرحمة للريعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً  
ضاريا، تغتنم أكلهم...»<sup>٢</sup>.

١. هذه الدساتير هي الكتاب الهام الذي كتبه الإمام عليه السلام لمالك الاشر النخعي، لمّا وآه مصر وأعمالها، حين  
اضطرب امر محمد بن أبي بكر، وقد نذكر غيرها من كلامه المناسب للمقام، مشيرا إلى مأخذه، ونذكر بعض المذكرات  
خارجا عن الهلالين المحتفين بدستورات الإمام المباركة.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٥٣، ج ٣، ص ٨٢ - ١١١.

... لا تكن كما تفعله الطغاة الظالمون، الذئاب الضارية في شاكلة الرعاة للشعوب، كلما سيطر واحد منهم على الشعب أخذ يأكلهم، ويحطمهم، يغتنيهم بكل حرص واستعجال، كمثل قطاع الطريق، فيملؤون البنوك - الداخلية والخارجية - من أموال الشعب، ولا يفكرون في سلطاتهم الجبارة إلا مصالحهم الشخصية والعائلية!

«فان الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق...».

مسلم وغير مسلم، فابسط لهم جناح الرحمة إطلاقاً.

«يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه؛ فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله؛ فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمن على عفوه، ولا تبجن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة، وجدت منها مندوحة...».

هل المأمور معذور؟

«ولا تقولن: إني مؤمر فأطاع؛ فإن ذلك إدغال (اغتيال) في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير...».

أجل، إنما يعذر المأمور إذا كان في حق، ومن أمر الدين الحق؛ فهو يعذر فيما يفعل لتحقيق الحق، وتزييف الباطل، لا كل مأمور بكل أمر من أي أمر، وإن كان فيه منهكة للدين، وظلم على الخلق!

لا تغتر بالمليك والسلطان، ولا تنس أنك عبد بين يدي ملك الأملاك!

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عِظَم مُلكِ الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك؛ فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك بما غرب عنك من عقلك...».

أجل، إن من أطغاه المُلك، وأخذته الكبرياء، فقد غرب عقله، وطلع جهله وشماسه؛ فإذا كانت ذكرى العبودية لكل أحد واجبة فهي للسلطين أوجب، لكيلا يهواوا في الربوبية، فتوردهم هذه الكبرياء الكاذبة موارد الهلكة؛ فمنهم من: ينكر الرب فوقه، قائلاً: ﴿... أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات، ٢٤]!!! أو يسوّى نفسه باللّٰه في عظمته والتشبه به في جبروته، يردف اسمه باسم اللّٰه، وحوّله وقوّته بقوّته وحوّله سبحانه وتعالى، بل وقد يُنسى ذكر اللّٰه عند ذكره، عن ألسن الشعوب ليقولوا باسم الزعيم فحسب!

«إياك ومساماة اللّٰه في عظمته والتشبه به في جبروته! فإن اللّٰه يذل كل جبار، ويهين كل مختال...».

أيهما أوفق للعدل وأجمع للصلاح، رضا الخاصة أم رضا العامة؟

«... وليكن أحبُّ الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية...» فالنظام الصالح الطبقي يملّي على الوالي إرضاء الرعية دون استئثار للخاصة، أولي الأيدي والمناصب عليهم، لماذا؟

«فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة...».

فإذا لم يكن بدُّ من سخط إحدى الطبقتين، فسُخط الخاصة مغفور في نظر الشعب، وفي نظر الخاصة أنفسهم إذا رضي العامة؛ ولكن سخط العامة لا ينفع معه رضا الخاصة مهما بلغ بهم القوة والمكانة. لماذا؟

لأنه «وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبيرا عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة...»!

### لها سبعة أبواب

الإمام في هذه الجملة يفتح أبواباً سبعة للقدح في الخاصة المستأثرين في الملك بالمناصب والأموال، فكأنها أبواب الجحيم، إذا أراد الوالي تركيز عرشه في حظيرة مدينة فاضلة، فليسد هذه الابواب الجهنمية، إذا أضرت بالمصلحة العامة، لكي تفتح إليه، وإلى الشعب أجمع، أبواب البركات؛ فإن الخاصة:

١ - «أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء» والأمن؛ حيث إن لهم رواتب ثقيلة، هي من أموال الشعب، كي يكونوا خدامهم في شؤونهم الجماعية.

٢ - وهؤلاء هم «أقل معونة» وعوناً بأنفسهم ونفائسهم «في البلاء»، وأثقل وأهون تضحيةً للذود عن الشعب.

٣ - وهم «أكره الناس للإنصاف» من أنفسهم.

٤ - و«أسأل بالإلحاف»: أكثرهم سؤالاً للمال والجاه إصراراً وإلحافاً.

٥ - «وأقل شكرا عند الإعطاء»: أقلهم شكرا للوالي إذا أعطوا ما سألوا.

٦ - «وأبطأ عذرا عند المنع»: ولا يكادون يقبلون العذر إذا منعوا إلا قليلاً.

٧ - «وأضعف صبيرا عند ملمات الدهر» أي: الدواهي النازلة.

هؤلاء هم «من أهل الخاصة»؛ فكيف يستأثرون على العامة، الذين هم على خلافهم في هذه الأبواب السبعة الجهنمية؟ وكيف...؟!

«وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء»، هم «العامة من الأمة؛

فليكن صنوك إليهم، وميلك معهم...»



فالإمام إنما يراعي جانب الشعب، وهم على هذه الخصائل الفاضلة، دون استئثار للخاصة: من الوزراء، والرؤساء، ومتصرفي الألوية، والولاة، والعمال، ودون أهل البلاط، بالرغم من قربهم من القائد الأعظم؛ لأن أساس الملك والدولة إنما هم العامة، وإنما الأنظمة الدولية وعمالها هم خدام الشعب؛ فليرجح جانب المخدم عند تزامم المصلحة بينه وبين خادمه، لا سيما مثل هؤلاء الخدام المترفين، الذين قد يشتهه عليهم الأمر، إلى حيث يحسبونهم يملكون الرعية ملك الموالي لعبيدهم!

### أقرب الرعية وأبعدهم؟

ورغم أن كثيرا من الولاة يقربون السعاة، الذين يطلبون ويتجسسون معائب الناس اقتربا إليهم، فإن الإمام يحظر الولاة عن هؤلاء الظلمة الهتاكين لأستار الناس قائلًا: «وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنْ فِي النَّاسِ عِيُوبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مِنْ سِتْرِهَا؛ فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنكَ مِنْهَا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنكَ؛ فَاسْتِرِ الْعُورَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتِرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحِبُّ سِتْرَهُ عَنِ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عَقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغابَّ عن كل ما لا يصلح لك، ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٍ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ...».

### عمال الأمن

إن من شر الخلق الذميمة هو التجسس عن خفايا أمور الناس، واستكشاف ما ستره الله عليهم؛ والقرآن يؤكد المنع عن ذلك قائلًا: ﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾ [الحجرات، ١٢]! يعني عن عيوب الناس التي سترها الله عنكم؛ فلا يحل تتبع خفايا عيوب الناس، ولا إفشاؤها إذا ظهرت لك، لأن في ذلك تعبيراً للمؤمنين، وتعريضاً للمحظور، وتشجيعاً للفاحشة، ومساً بكرامة الجماعة المسلمة، وتذليلاً لهم.

لذلك كلّه، يحرمّ القرآن ظنّ السوء، والتجسس، والاعتياب، والفرية، قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾ [الحجرات، ١٢]!!

فالأنظمة الجاسوسية وعمالها المسمون بعمال الأمن، إنما هي أنظمة إبليسية خاطئة، تبسط العار والدمار والبوار في الشعب، إلا فيما يلي:

١ - من يُحذر منه للناحية العقائدية والخلقية في الشعب، بثّاً للضلال وغيثاً للفساد وحثّاً عليه عملياً في الشعب؛ فذلك يحل أو يجب فضيحته على رؤوس الأشهاد؛ لكيلا يفسد الشعب بفساده، كالمبدع في الدين، والمتجاهر في المنكر، والهاتك نواميس المسلمين، والفاتك لحرماتهم.

٢ - من يُخاف منه على الأمن في أرجاء الدولة الإسلامية، أن يثور أو يثير ضدها، فليقبض على يديه ويفضح، ذوداً عن حرمة الحكم العدل عن الانفصام وعن الظلم وعن الاستتار بعرش الحكم.

وإلى ذلك وذيك يشير الإمام بقوله عليه السلام «وتغاب عن كل ما لا يصلح لك».

يعني: إذا صلح التجسس والإظهار لبعض الضغائن، صلح لك قائداً عدلاً وللرعية، فلك ذلك حينذاك.

«... ولا تنقض سنة سالحة، عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنة، تضر بشيء من ماضي تلك السنن؛ فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها...».

## العلماء حكام على الملوك!

وحينذاك، إذ يجري الكلام عن نقض سنن وإبرام أخرى، يفرض على الوالي مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في ذلك والرد إلى الله ورسوله قائلاً: «وأكثر مدارس العلماء

ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك ... واررد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ...﴾؛ [النساء، ٥٩] فالرد إلى الله، الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة ...»

### كيف يرد القائد سوء الظن عن الشعب؟

«... وإن ظنت بك الرعية حيفاً، فأصحر لهم بعذرك، وأعدل عنك ظنونهم بإصهارك؛ فإن في ذلك رياضةً منك لنفسك، ورفقا برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق...».

«... إياك والدماء وسفكها بغير حلِّها؛ فإنه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها! والله سبحانه وتعالى مبتدئٌ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة؛ فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ...»

فبؤساً لملوك، يطلقون النار بالرصاص على وجوه الشعب العزل الأبرياء؛ فيقتلون منهم الألوفاً، بالرغم من أنهم يريدون التحرر عن الحكم العاشم وما يختلقه الحاكم من أحكام، تخالف كتاب الله والدستور المؤسس على الدين!

اللهم شتت شملهم، وبدد جمعهم، وخذهم أخذ عزيز مقتدر ...!

«ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة، وإن ابتليت بخطأً وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة؛ فلا تطمحن بك سلطانك من أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم! وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء؛ فإن ذلك من أوثق فُرس الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.»

## بمن يلصق القائد من شعبه ؟

«... ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة؛ فإنهم جماعٌ من الكرم، وشُعَبٌ من العرف. ثم تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقم في نفسك شيء، قويتهم به، ولا تحقرن لطفًا، تعاهدتهم به، وإن قلّ؛ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتكالاّ على جسيمها؛ فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه ...».

وحينذاك، إذ يحنُّ القائد إلى الرعية هذا الحنان والعطف، فهل يمن عليهم؟! لا، وكلا! إذ إنه إنما أعطاهم العدل الذي يمليه عليه فرضه في الحكم دونما فضل ومزيد على ما عليه، فلماذا يمن عليهم؟!

«إياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدّهم، فتتبع موعدك بخلفك؛ فإن المن يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف، ٣].»

## الوزراء المشاورون في الحكومة العلوية:

«... لا تدخلن في مشورتك بخيلاً، يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً، يُضعفك عن الأمور، ولا حريصاً، يزيّن لك الشره بالجور؛ فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله...».

## شاكلة الوزراء في هذه الحكومة ومن لا يصلح للوزارة:

خير الوزراء وشرهم؟ هيئة الوزراء في نظر الإمام؟

هنالك ينهى الإمام واليه، الأشر، عن استيزار وزراء الأشرار وأشرار الوزراء قائلاً: «إنَّ شرَّ وزراءك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام؛ فلا يكوننَّ لك بطانة؛ فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف، ممن له مثل آرائهم ونفادهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه. أولئك أخفُّ عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقلَّ لغيرك إلفاً؛ فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ...».

### آثر الوزراء عند القائد الأعظم!

هل هو من يؤازره في كل ما يهواه، تقرباً إليه، ولو إلى الباطل والزور؟  
 كلاً! أولئك هم الأبعدون، لا يحق لهم الوزارة والحكم؛ بل «لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مَسَاعِدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ، مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَقْعَاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ ...».

أجل، إنما كيان الوزير ومكانته، في هيئة الدولة الإسلامية السليمة، عونُ القائد في تركيز الحق والذود عن الباطل، لا مؤازرته في استبقاء ملكه واستجراهِ أهدافه وتحقيقها كيفما كانت، ومهما بلغت به الأهواء!



## وزارة البلاط الاسلامي

لا يحق وزارة البلاط وأية عملية فيها لكل خاصة وبطانة للقائد، وإنما ذلك لأجمعهم لوجوه صلاح الأخلاق؛ حيث «إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة، تغر بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم؛ فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة ...».

أجل، ليحسم القائد مواد الفساد والاستئثار بغير حق، والتناول واللا إنصاف، عن كل أحد، وإن كان من قرابته وحاشيته، أو ولده وذويه.

وليقطع أيدي الجور وإن كانت على جثمانه، فضلاً عن قرابته وخاصته؛ فالحكم عقيم، ليس فيه وراثة وقرابة، إلا ما يرث خيراً للشعب. ويقرب إليهم ما يصلحهم.

### كتاب البلاط!

«... ثم انظر في حال كتابك، فوَلِّ على أمورك خيرهم، واخص رسائلك، التي تدخل فيها مكائذك وأسرارك، بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة، فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور؛ فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ...».

## كيف يتعرف إلى صلاح الوزراء، للبلاط وغيره؟

«ثم لا يكن اختيارك إياهم، على فراستك واستقامتك وحسن الظن منك؛ فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء...!»

أجل، إن من الوزراء من يحتال للزلفى إلى القائد، بحسن الخدمة في ظاهر الأمر وبدئه، وهو يتحين الفرص للعمليات التخريبية الشخصية أو الجماعية، إذا استأمن القائد على نفسه.

## فماذا يصنع القائد في تخيير الوزراء؟

... ليختبرهم ... «... اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً؛ فإن ذلك دليل على نصيحتك لله وللمن وليت أمره. واجعل لرأس كل امر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يشتم عليه كثيرها...».

أجل، إنما ينتخب من هؤلاء الذين لهم السوابق الحسنى في غابر أمورهم، يُنتجبون للشؤون الوزارية وتصرفات الأولوية وكل أمر هام من الأمور الدولية. ولتكن أولياء الأمور من شذرات وخلصاء المؤمنين الأكياس، ذوي البصائر الأحرار...

كل ذلك لأنّ صلاح الحكم لا يختص بصلاح الحاكم شخصه؛ إذ لا ينفذ أمره في إصلاح الأمة إذا كانت أعوانه أشرارا، ونحن ننتهم الحاكم المدعي للصلاح، المتظاهر به؛ إذ نرى أعوانه أشقياء؛ فليس صلاح الحاكم - فقط - أن يصلي، ويصوم، ويحج، ويسهر في عبادة ربه؛ فإنما مهمة الحاكم في صلاحه إصلاح حال الشعوب، وتقواه تقوى جماعية سياسية، إضافةً إلى تقواه الشخصية.



## وزارة الدفاع والتجنيد

الوزير الأول والقائد الأعظم للدفاع في الجنود هو الإمام شخصياً، بما فيه من مجامع الشروط في ذلك؛ فلقد كان شجاعاً مغواراً من طفولته، وهو يمص ثدي أمه، إلى أن قُتل في محراب عبادته لشدة عدله!

من ذكريات بطولته طيلة حياته المنيرة:  
في طفولته:

١ - تقول أمه فاطمة بنت أسد: «شدت وقمطت عليا بقمط فنتر القمط، ثم جعلته قمطين، فنترهما، ثم جعلته ثلاثة وأربعة وخمسة وستة، منها أديم وحرير، فجعل ينترها قائلاً: يا أماه! لا تشدي يدي؛ فإني أحتاج أن أبصص لربي بأصبعي»<sup>١</sup>.

٢ - يقول عمر بن الخطاب: «إن علياً عليه السلام رأى حية، تقصده، وهو في مهده، وقد شدت يدها في حال صغره، فحوّل نفسه، فأخرج يده، وأخذ بيمينه عنقها وغمزها غمزة؛ حتى أدخل أصابعه فيها، وأمسكها حتى ماتت، فلما رأت ذلك أمه نادت واستغاثت؛ فاجتمع الحشم، ثم قالت: كأنك حيدرة حيدرة! اللبوة إذا غضبت من قبل أذى أولادها»<sup>٢</sup>.

٣ - ويقول جابر الجعفي: «كان ظئرة علي - التي أرضعته - امرأة من بني هلال، خلفته في خبائها مع أخ له من الرضاعة، وكان أكبر منه سناً بسنة، وكان عند الخباء قلب، فمرّ الصبي نحو القلب، ونكس رأسه فيه، هنالك تعلق علي عليه السلام بفرد قدميه في يدي الطفل وفرد يديه في فمه، فجاءت أمه فأدركته، فنادت في الحي: يا للحي من غلام ميمون!

١. بحار الانوار، ج ٤١، ص ٢٧٤ عن المناقب.

٢. نفس المصدر، ٤١، ٢٧٤ عن انس عن عمر...



أمسك علي ولدي! فمسكوا الطفل من رأس القلب، وهم يعجبون من قوته وفطنته، فسمته أمه مباركا. وكان الغلام من بني هلال يعرف بمعلق ميمون»<sup>١</sup>.

هذه بطولته في طفولته! فكيف بها في رجولته؟! حيث الأمة مجتمعة على أنه ما عمل أحد من المسلمين مثل ما عمله الإمام في جهاده مع الأعداء، ولقد بلغ من قوته مستوى لا يذكر اسمه إلا ويلازمه ذكرى البطولة بكافة مفاهيمها، وأن الشجعان يعتزون ويتقوون بذكراه عند المناضلات ...

### في المغازي:

ومن ذكريات بطولاته في المغازي الإسلامية:

- ١ - قتل يوم بدر خمسة وثلاثين مبارزاً، دون الجرحى.
- ٢ - ويوم أحد، قَتَلَ كَبْشَ الكَتِيبةِ، طلحة بن أبي طلحة، وتسعة عشر آخرين من الأبطال، سوى من قتلهم بعد ما هزمهم.
- ٣ - ويوم الأحزاب يقتل عمرو بن عبد ود، ولده، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، ومنبه بن العثمان العبدري، وهبيرة بن أبي هبيرة بن أبي هبيرة المخزومي؛ وحينذاك هاجت الرياح، وانهمز الكفار، وولَّوْا الأدبار.
- ٤ - ويوم حنين أربعين رجلاً، وفارسهم أبو جرول؛ فإنه قده نصفين بضربة في الخودة والعمامة والجوشن والبدن إلى القربوس!
- ٥ - وفي غزاة السلسلة، قتل السبعة الأشداء، وأشجعهم، سعيد بن مالك العجلي.
- ٦ - وفي بني النضير، أحد عشر غرورا منهم.
- ٧ - وفي بني قريظة، ضرب أعناق رؤساء اليهود.
- ٨ - وفي بني المصطلق، قتل مالكا وابنه.

١. نفس المصدر، ٤١، ٢٧٥.

٩ - ويوم الفتح، قتل فاتك العرب، أسد بن غويلم.

١٠ - وفي وادي الرمل، قتل جميع مبارزيتهم.

١١ - وبخيبر، مرحبا وذا الخمار وعنكبوتا.

١٢ - وفي الطائف، هزم خيل ضيغم.

وما إلى ذلك من مقاتله العظيمة، فكان لا ينجو من ضربته أي بطل؛ حيث كانت له ضربتان: إذا تناول قَدًّا، وإذا تقاصر قَطًّا.

أجل، هذا أمير المؤمنين قائد الجنود، وهو القائل: «... والله، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها...!»<sup>١</sup>

«لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار»!

يسمع هذا النداء من السماء حينما يحارب رجالاً من المشركين، فسأله المشرك أن يهبه سيفه؛ فرماه إليه! فقال المشرك: «عجبا يا ابن أبي طالب! في مثل هذا الوقت تدفع إليَّ سيفك؟» فقال: «إنك مددت إلي يد المسألة، وليس من الكرم أن يُردَّ السائل»، فرمى المشرك نفسه إلى الأرض، قائلاً: «هذه سيرة أهل الدين»، فقبل قدمه، وأسلم!<sup>٢</sup>

«يا أمير المؤمنين لم لا تشتري فرسا عتيقا»؟

قيل له ذلك حيث كان فرسه متوسط الخطأ، رفيقا غير عتيق؛ فكانوا يعجبون منه، وهو ذلك البطل المغوار، وذلك فرسه! فأجاب قائلاً: «لا حاجة لي فيه، وأنا لا أفر ممن كَرَّ عليّ، ولا أكرّ على من فرّ مني»!<sup>٣</sup>

١. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٤٥ (كتابه إلى عثمان بن حنيف الانصاري، عامله على البصرة)، ج ٣، ص ٧٣.

٢. أبواب السعادات في فضائل العشرة.

٣. أمالي الصدوق ١٠٢ عن الصادق عليه السلام.

يا أمير المؤمنين! لم لا تلبس جوشنا تماما، فما لجوشنك ليس له ظهر؟

«... لا حاجة لي إلى ظهر؛ حيث لا أفر حتى أخاف الضربة على ظهري!!»

أجل، إن الإمام لا يفر من العدو، شجاعةً بلباقة، ولا يكر على من فر، حناناً منه وكرماً! ومن كرمه وعلوّ همته أنه لم يكن يأخذ سلب القتلى، فيذرهم حيث هم.

يقتل عمر بن عبدو، ولا يأخذ سلبه، وتراه أخته قتيلاً، فتقول: «من قتله؟» قيل:

«علي!»؛ فأنشدت حينذاك تقول:

«...كفو كريم!

لو كان قاتل عمرو غير قاتله      لكنت أبكي عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمرو لا يعاب به      من كان يدعى قديماً بيضة البلد!

### كيان الجنود في نظر الإمام!

«... الجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم...»<sup>١</sup>

أجل، إن الحكومة العلوية ترى الجنود حصون الرعية، تذود عنهم بأس الأعداء، وتبسط الأمن في البلاد، حينما ترى الحكومات الظالمة أن الجنود إنما هي لاحتفاظ القائد، وبيته وأهدافه؛ فقد يأمرهم بإطلاق النار على وجوه الشعب الأبرياء، رغم أنهم يطالبونه بالحق ويريدون التحرر عن السلطات الجبارة.

### آثر الجنود عند القائد!

«... ليكن آثر جنودك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم هما واحداً في جهاد

١. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٥٣، (عهده إلى مالك الاشتهر)، ج ٣، ص ٩٠.

العدو... فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله. ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً... إن عطفك يُعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استئثار دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم...<sup>١</sup>

### مصارف الجنود على الشعب، كما أن الذود عن الشعب على الجنود:

«... ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج، الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم...»  
ليس للجنود مضارة الشعب، كما ليس للشعب مضارة الجنود؛ حيث إنهما كعضوين في بدن واحد، يتفقان في هدف واحد دونما تفاوت!

لذلك، إن الإمام يصدر أمراً باتاً لتأديب الجنود الذين تطأ عمل العمال حيفا عليهم، قائلاً: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد. أما بعد، فإنني قد سيرت جنوداً هي مارة بكم إنشاء الله، وقد أوصيتهم بما يجب عليهم من كف الأذى وصرف الشذى (أي: الشر) وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرفة الجيش إلا من جوعة المضطر، لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه. فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم، وكفوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه

منهم. وأنا بين أظهر الجيش؛ فادفعوا إلي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم، ولا تطيقون دفعه إلا بالله وبِي؛ فأنا أُغَيَّرُ بمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>١</sup>.

أجل، إنه ليس للجيش في الحكومة العلوية شأن، إلا الذود عن الشعب، دونما أذى أو شذى عليهم، كما ليس للشعب مضارثهم والتعرض لهم، إلا عند تجاوزهم على الشعب؛ فلهم التنكيل بهم عند المكنة، ورفع مظالمهم إلى القائد الأعظم لو لم يمكنهم دفعهم عن التجاوز، وإنه مما لا بد منه للجنود على الشعب شعبهم وما يضطرون إليه؛ فليس لهم منعهم عن ذلك كما في غيرهم من المضطرين.

### قائد الجنود وزير الدفاع

«... فَوَلَّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف...»<sup>٢</sup>.

أجل، إنَّ قائد الجنود يحق له أن يكون جامعاً لهذه الخصائل الروحية، من لا يحمله الغضب على التجاوز عن الحق، وهو رؤوف على قدرته، وحليم على قوته، يرأف بالضعفاء، ويعلوا على الأقوياء، من لا يثيره العنف والقوة على الميل عن المحجة العادلة، ولا يقعده عن نضال الأقران والشجعان ضعفٌ في روحه أو في بدنه؛ فهو جامع مجامع القدرة روحياً وفي جسمه.

### وظائف قواد الجنود وأصحاب المسالح في مختلف الثغور:

يصدر الإمام أمراً هاماً إلى موظفي الثغور، الحارسين لمواضع السلاح، قائلاً: «من عبد الله، علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحاب المسالح<sup>١</sup>. أما بعد، فإن حقا على الوالي ألا

١. نفس المصدر، الكتاب: ٦٠، صص ١١٦-١١٧.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشر)، ج ٣، ص ٩٢.

يغيّره على رعيته فضلٌ، نالَه، ولا طولٌ، خُصَّ به، وأن يزيدَه ما قسم الله له من نعمه،  
دُنُوًّا من عباده وعطفًا على إخوانه ...»<sup>٢</sup>

فما فضل به قائد الجند من القيادة والقوة، لا يحق له أن يستكبر بذلك عن الحق  
والعدل؛ بل حقُّ له أن يزيدَه ذلك حنانًا وعطفًا على رعيته.

فعلى القائد أن يعدل في الجنود، صغيرهم وكبيرهم، دونما تفاوت  
واستثناء، ولا يستصغر دانيهم ويستعظم عاليهم؛ فالقريب منهم من قرّبه  
حسن الخدمة فيما عليه!

«ألا، وإن لكم عندي ألاّ أحتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمرا  
إلا في حكم، ولا أوخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا  
عندي في الحق سواء - فإذا فعلتُ ذلك، وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة  
- وألاّ تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق. فإن  
أنتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن اعوجّ منكم ثم أعظم له  
العقوبة، ولا يجد فيها عندي رخصة؛ فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم  
ما يصلح الله به أمركم»<sup>٣</sup>.

### أسرار الحرب لا تعدوا رئيس الدفاع!

كما أن الحكم بين المتخاصمين لا يعدوا محكمة العدل، يقرر الإمام في هذا القرار  
الهام لقواد الجنود ألاّ يحتجز دونهم سرا - أيّا كان - إلا في الحرب - إذ يجب المحافظة  
على أسرار الحرب كيما تفشل بمن لا يؤمن عليه من إفشائها للعدو - وألاّ يطوي عن  
مشورتهم أمرا إلا في حكم، صرح به الشرع في حد من الحدود، فلا شورى في حكم

١. جمع مسلحة، أي الثغور لأنها مواضع السلاح.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٥٠، ج ٣، ص ٧٩.

٣. نفس المصدر، الكتاب: ٥٠، ج ٣، صص ٧٩ - ٨٠.

الله، وبعد هذين، ليس للقائد أن يحتجز عن شعبه سرا، ولا أن يؤخر لهم حقا عن محله اللائق به.

ثم إن الجنود، بشتات مراتبها، متحدة تجاه الحق وقانون العدل، لا يفرط في أدانيهم، ولا يفرط في أعاليهم، وإنما الحاكم بينهم هو العدل لا سواه.

أجل، إن أمير الجند وأضعف افراده في الحكومة العلوية على سواءٍ وجاه القانون؛ فأكرم به وأحسن!

فهل تقاس هذه الحكومة الغراء بالحكومات التي لا تحكم فيها إلا حاكم القدرة والسلطان، والسيف والنار، وحاكم الاستتار والأنفة والاستكبار؛ فتحطم الحق والقانون تحت نير الذل والقوة الطاغية إلى حيث يقول أحدهم: أنا القانون والقانون أنا، إنما القانون للاحتفاظ عليّ وعلى كياني ولأحكم به لا ليحكم عليّ! إن أمر القانون بيدي، أقلبه كيفما شئت، أرادته الشعب أم لم يردده.

فتراهم يختلقون قوانين جائرة من عند أنفسهم، ويتولد من أفكارهم الجهنمية الهمجية السوداء ما يحطم الشعب ودينه وقوانينه، ويهتك الرعية ونواميسها ويقضي عليها، لكي يركز بذلك عرش حكمهم.

وتراهم يحتجزون عن كل سر دون الشعب ودون الجنود، ويستأثرون بها المستشارين الأجانب، أعداء الدين والشعوب، ويسيطرونهم على الجنود وقوادها!!!

ذلك إرغاماً لأنوف الشعب وأنظمتهم الدولية تحت سلطات الأجانب ليأتمروا بأمرهم، كما أن الحاكم الأول هو العبد الأول ومن عملائهم المطيعين لهم.

حينذاك يقرر الإمام عليه السلام قراره الهام على الجنود بالألا يتأخروا عن دعوة القائد الأعظم، ولا يقصروا في صلاح يستصلح به الشعب والحكومة، وأن يخوضوا الشدائد الغامرة للوصول إلى الحق، فيدوروا مع الحق حيثما دار، فيكونوا ضحايا الحق ضد الباطل والجور. ثم يهددهم، إن لم يستقيموا واعوججوا عن الحجة والمحجة، يهددهم بعظيم العقوبة، دونما رخصة ونظرة.

وأخيرا يقرر قرارا للجانبين: الأمير والمأمور، فأما المأمور فحق له أن يأخذ حقوقه من الأمير ويطالبه بها دونما خوف واضطراب، ويفرض عليه من جانب آخر أن يعطي الأمير حقه في إمارته بصدق الطاعة وأداء الأمانة.

ثم بعدئذٍ يلقي قرارا حاسما على المتخلفين من الجنود في كتاب له ﷺ إلى بعض أمراء جيشه:

«فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب، وإن توافت الامور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهض بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك؛ فإن المتكاره مغيبه خير من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه»<sup>١</sup>

يقرر هنا أن ينهض القائد ويستظهر بمن أطاعه إلى من عصاه، فيخرجهم من جنوده على عقوبة وتأديب، فيستغني بالمنقاد عن المتكاره، دونما إكراه على العاصي أن ينقاد؛ حيث لا يؤمن حيلته حينذاك، وإن ألقى إليك حبل الطاعة في ظاهر الأمر فقليل مع ثبات خير من كثير على شتات!

أجل، إن خلوا الجنود عن المتناقلين في الدفاع، أصلح من قيامهم فيهم؛ حيث يخاف غدرهم، وأن يسري التكاره منهم إلى المنقادين؛ فيفشل أمر الجنود بأجمعهم.

## كيف تلتقى الجنود الأعداء؟

### (قرارات التجنيد وأنظمة الدفاع والصلح)

١ - «ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنائهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم»<sup>٢</sup>.

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤، ج ٣، ص ٦.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ١٢، (في وصية له ﷺ لمعقل بن قيس الرياحي حين انفضه إلى الشام في ثلاثة الاف)،

ج ١، ص ٣.



٢ - «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم؛ فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم، حجةٌ أخرى لكم عليهم؛ فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى. وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول. إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات. وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده»<sup>١</sup>.

أجل، إن القتال في الإسلام إنما هو دفاع، لا لون له إلا الذب عن مس العدو، والذود عن الأنفس والأموال والأعراض الإسلامية السليمة، والاحتفاظ على الدين والدينين، ونواميسه ونواميسهم؛ كل ذلك في سبيل الله.

وليس هو تفتحا للبلاد لتوسعة الملك، ولا حرصاً على تحطيم الأعداء دونما اندفاع عن بأسهم. وأخيراً ليست الحروب الإسلامية توسعيةً ظالمة، إنما هي دفاعية أو تأديبية ضد من يعيث الفساد في الأرض، وأجمل تعبير وأخصره في الحروب الإسلامية: أنها في سبيل الله.

فهذا أمير المؤمنين، المثل الأول للرسول الأعظم ﷺ، يقرر ذلك القرار العادل السَّمح في الدفاع، فلا يسمح البدء بالقتال حتى يبدأ العدو. لا يأمر بالقتال إلا بعد دعائهم إلى الحق وإتمام الحجة عليهم، لكي تتم بذلك حجتان على العدو، و ﴿... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ...﴾ [الأنفال، ٤٢]

ثم بعدئذ ينهى في القتال عن أمور<sup>٢</sup>، قضيةً لحكم الفطرة الإنسانية والحنان، الذي يمليه الإسلام على معتنقيه، وإلزاماً للحجة على العدو و... كما يلي:

١. الكتاب ١٤، (ومن وصية له ﷺ لعسكره قبل لقاء العدو بصفين)، ج ٣، ص ١٥.

٢. لقد فصلنا القول في حدود الجهاد في موسوعتنا المسلسلة، التفسير الموضوعي، تحت عنوان «الجهاد في نظر القرآن».

- ١ - «لا تقتلوا مدبراً!» لماذا؟ لأنكم لا تقتلون إلا للدفاع، لا قتلاً ضارياً توسعياً؛ فإذا أدبر العدو منهزماً فلا دفاع.
- ٢ - «ولا تصيبوا معوراً»؛ إذ أمكن من نفسه لكم وهو عاجز عن حمايتها، فخلوا سبيله؛ إذ إن الكفاءة شرط الفتوة في المقاتلة.
- ٣ - «ولا تجهزوا على جريح» لا تقتلوه على جرحه! ذروه وما هو عليه من علته؛ حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.
- ٤ - «ولا تهيجوا النساء بأذى» وإن هيجوكم بشتم أو سب؛ إذ إنهن ضعيفات القول والأنفس والعقول... وما إلى ذلك من الحنان في القتال، من عدم التعرض للصبيان والأشياخ والضعفاء والنساء وأشباههم!

### متى تسير الجنود؟ ومتى تقف؟ وكيف تسير؟

«وسر البردين، وغور بالناس، ورفه بالسير، ولا تسر أول الليل؛ فإن الله جعله سكناً وقدره مقاماً لا ظعناً؛ فأرح فيه بدنك وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة الله»<sup>١</sup>.

يقرر الإمام عليه السلام في ذلك القرار:

- ١ - كون السير في وقتي البرد: الغداة والعشي.
- ٢ - وألا ينزل بالجنود في الغائرة، وهي شدة الحرّ.
- ٣ - وأن يرقّه في السير دونما إتعاب.
- ٤ - وأن يستريح أول الليل؛ حيث جعله الله سكناً وقدره مقاماً؛ فهو بالاستراحة أوفق وللجنود أرفق.

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٢، ج ٣، ص ١٢؛ (كتبه الإمام إلى معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له).

٥ - خذ بالسير حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر.

كلّ ذلك كي لا تضعف الجنود قبل لقاء العدو، ويحافظوا على استعدادهم للحرب في نظرة وراحة، فيغلبوا بإذن الله.

وكل ذلك، إذا لم يضطّروهم للحراك - في الأوقات المخطورة والحارة - حدث هائل، يفرض على الجنود الإسراع إلى الأعداء، إذا لا سبيل حينذاك إلا التعجّل والإسراع.

### الثبات في الحرب :

«... تزول الجبال ولا تزلُّ، عضَّ على ناجذ (أقصى الأضراس) أعر الله جمجمتك، تدُّ في الأرض قدمك: (ثبتهما كالوتد) ارم ببصرك أقصى القوم، وعض بصرك: (أحيط بجميع حركاتهم) واعلم أن النصر من عند الله سبحانه»<sup>١</sup>.

### المحل المناسب للمعسكر؟

«فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قبيل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم رداء ودونكم مردا. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن. واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم. وإياكم والتفرق! فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كقفة، ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة»<sup>٢</sup>.

هنالك يقرر الإمام عليه السلام مقر المعسكر، بأن يكون قدام الجبال وأسافلها أو أثناء الأنهار، لتكون رداءً من خلف ومردا للعسكر، وأن يجعل رقباء، يرقبونهم عن كيد الأعداء وبأسهم في أعالي الجبال والأتلال؛ إلا يفاجأهم العدو من مأمئهم.

١. نفس المصدر، الكلام: ١١ (كلامه عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل)، ج ١، ص ٤٣.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ١١ (أوصى فيه جيشا بعثه إلى العدو كيف يصنع ليقتضي عليه)، ج ٣، ص ١٣.

ثم بعد أن يحذّر الجند عن عيون وطلائع العدو، يحظّـرهم عن التفرق في وجه الأعداء، ويحرّضهم على النزول جميعاً لا أشتاتاً، وكذلك الارتحال؛ ليملؤوا بذلك عيونهم رهبةً ورعباً، ثم إذ غشيهم الليل، ليس لهم ذوق النوم إلا ما بينه وبين اليقظة، أو المضمضة؛ وأن يجعلوا أسلحتهم مستديرة حولهم، ككفة الميزان؛ فهو ميزان منام الجنود ليلاً، دونما غفلة أو فتور.

### أين يقف قائد الجنود من المعسكر وكيف النضال؟

«فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدنّ من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ...»<sup>١</sup>

وهذا تقريره للجنود قبل الأخذ في النضال، فكيف القتال؟

كان يقول لأصحابه عند الحرب:

«لا تشتدّن عليكم قرّة بعدها كرّة، ولا جولة، بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها، ووطّئوا للجنوب مصارعها، واذمروا أنفسكم على الطعن الدّعسيّ والضرب الطلّحفيّ، وأميتوا الأصوات؛ فإنه أطرد للفشل. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا ...»<sup>٢</sup>

يقول: لا معرّة في الفرة، إذا كانت مقدمة للكرّة أو بعدها كرّة، ولا جناح في التجوال دونما نضال وقتال إذا كان بعدها حملة.

ثم حق السيف أن يقطع ويدمر، ولقد كانت ضربات الإمام عليه السلام أبكاراً: إذا تناول قدّاً، وإذا تقاصر قطّاً؛ وإذا أتى حصناً هدّاً، ولم تكن عوناً تحتاج إلى المعاودة؛ فكان لا ينجو من ضربته أحد، يعطي السيف حقه في القتال.

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٢ (وصيته لمعقل بن قيس في حرب الشام)، ج ٣، ص ١٤.

٢. نفس المصدر، الكتاب ١٦ (وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب)، ج ٣، ص ١٦.

«... أن أصول الضرب ستة، وكلها مأخوذة عنه، وهي: علوية، وسفلية، وغلبة، وماله، وجاله، وجرهام...»<sup>١</sup>

أجل، وطئوا بسيوفكم مصارع جنوب الأعداء، مذمرين بها للطعن الشديد، والضرب العتيد القاطع القاضي! وأميتوا الأصوات من ضجيجها وعجيجها؛ كي لا يفشل الجند فيغلب، أو يتقوى العدو فيغلب، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال، ٦٠]

فهذه طرّف من توجيهاته وأوامره لوزارة الدفاع وأنظمتها... وختاما للبحث نذكر، فيما يلي، تأنيبه على بعض أصحاب الثغور والحدود الإسلامية لتوانيتهم وجاه الأعداء، وطرّفا من مقرّرات الصلح.

يكتب إلى كميل بن زياد عامله على هيت، ينكر عليه دفع من يجتاز به من جيش العدو، طالبا الغارة: «أما بعد، فإن تضييع المرء ما ولي، وتكلفه ما كفي، لعجز حاضر، ورأي متبر، وإن تعاطيك الغارة على أهل قريسيا،<sup>٢</sup> وتعطيلك مسالحك التي وليناك، ليس بها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها، لرأي شعاع.<sup>٣</sup> فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك، غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا سادّ ثغرة، ولا كاسر شوكة، ولا مغن عن أهل مصره، ولا مجز عن أميره»<sup>٤</sup>.

## موارد الصلح

﴿... وَالصُّلْحُ خَيْرٌ...﴾ [النساء، ١٢٨] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال، ٦١-٦٢]

١. وصف ضرباته كما نقلناه. مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٥٥.

٢. بلد على الفرات.

٣. رأى شعاع: متفرق يصب المخطور على الشعب وبلده من العدو.

٤. نفس المصدر، الكتاب: ٦١، ج ٣، صص ١١٧ - ١١٨.

«اغتنم مواضع الصلح»، «... لا تدفعن صلحا، دعاك إليه عدوك، فيه رضى؛ فإن في الصلح دعوةً لجنودك، وراحةً من همومك، وأمنا لبلادك...»<sup>١</sup>

ولكن لا تأمن العدو المصلح؛ فرب صلح هو حيلة للتفجؤ، كما واصل عليه السلام قائلا: «ولكن الحذر كل الحذر من مقارنة عدوك في طلب الصلح! فان العدو ربما قارب ليتغفل؛ فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن...»

راع عقود الصلح دونما تخلف، ولا تنقض إلا من نقضك؛ ﴿... فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾ [البقرة، ١٩٤]

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض الله شيء، الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشنت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استولبوا من عواقب الغدر؛ فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك؛ فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمنا، أفضاه بين العباد برحمته، وحرىماً يسكنون إلى منعه، ويستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه. ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق؛ فإن صبرك على ضيق أمر، ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر، تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه؛ فلا تستقل فيها دنياك ولا آخرتك...»

هنالك يلزم الإمام عليه السلام القتال تحت لزام الصلاح، دفاعاً عن الحق وذوداً للنفس والنفيس من المسلمين، دونما حرص على إراقة الدماء، وفتح

١. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الاشتهر)، ج٣، ص ١٠٦.

أراضي الأعداء وبلادهم، ودون أطماع توسعية ظالمة. فلا تريد الحكومة الإسلامية من الناس إلا انفتاح آذانهم لسماع الحق، وانفتاح قلوبهم لإشعاع أنوار المعرفة واليقين، ولا معنى للقتال في الإسلام إلا في سبيل الله.

ولقد كان الإمام، إذا يلاقي العدو محارباً، يقول: «اللهم إليك أفضت القلوب، ومُدَّت الأعناق، وشخَّصت الأبصار، ونُقِلت الأقدام، وأنضيت الأبدان. اللهم قد صرَّح مكتومُ الشنآن، وجاشت مراحل الأضغان. اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا. ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف، ٨٩]»<sup>١</sup>.

هذا طرْف من القرارات الصالحة للتجديد والدفاع، وإنَّ القرآن يلقى قراراً هاماً على المسلمين إطلاقاً، أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم من أعدائهم، ويُعدُّوا لهم ما استطاعوا من قوة، فكرية وعملية، علمية وصناعية، بسلاح العقل والفكر الثاقب والتدبير اللائق، وبسلاح الحديد والنار، تقديماً للأسلحة الروحية على الحديدية، قائلاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد، ٢٥]

ومن مقالات الإمام عليه السلام: «الجنة تحت ظلال السيوف»<sup>٢</sup>.

أجل، لا تتمكن أمة من حياة صالحة في ظل من الرّوح والراحة، في جماعات عاتية ظالمة من شتى الجهات الحيوية، إلا تحت ظلال السيوف والسلاح، التي تهدد وتقطع أطماعهم التوسعية عن أن ينالوهم بسوء!

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٥، ج ٣، ص ١٥.

٢. بحار الانوار، ج ٣٣، صص ١٤ و ٤٥٧ و ج ٩٧، ص ١٣.

## شريعة الجهاد:

... طالما تتناول أقلام وألسنة المبشرين والمستشرقين المسيحيين ضد الإسلام في كتيباتهم ودعاياتهم، أنه شريعة القوة والخشونة، تدعوا الناس ليدخلوا في الإسلام بقوة السيف والنار...!

لكنهم بين من لم يدرس الإسلام درساً واقعياً، ومن يحقد الإسلام ويتربص به الدوائر. ولا تؤثر دعاياتهم الزور، الا فيمن لم يدرسوا الإسلام كما هو، أو من ينحو منحاهم في العداة ضد الإسلام...

إذاً، فتعالوا ندرس شريعة الجهاد، حسب القرآن الذي هو سناد الإسلام الأول والأخير: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [البقرة، ٢٥٦]

وهكذا يحكم العقل أيضاً، والواقع أن الايمان - وهو من حالات القلب - لا ينفذ ويسكن في القلب بالإكراه، إنما للاكراه نصيبه من أعمال الجوارح، وهي أيضا لا تبقى إلا حسب بقاء الإكراه، رغم أننا نرى المسلمين طوال القرون الإسلامية، يخافون الله - من آمن منهم - يخافون ويتقون سرا وعلانية، ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

والحروب الإسلامية - طوال قرونها - ليست بالتي تُعدُّ على حساب الإسلام، إلا ما توفرت فيه الشروط الإسلامية، دون التي شذت عن الشروط الإسلامية من الحكومات الشاذة عن صميم الإسلام.

فالقرآن، إذ يسمح للجهاد ويأمر به، يعتبره أمراً إصلاحياً، لا توسعياً تخريبياً، ويعده من العبادات وفي سبيل الله، لا في سبيل الحيونة والوحشية التوسعية.

نرى مبررات أربعة في الحروب الإسلامية، كالتالية:

١ - عندما يهاجم المسلمون من قبل أعدائهم، فهم مأذون لهم الدفاع وقد يؤمرون به إن كانت لهم عدة وعدة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا



رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَيَعُ وَصَلَوَاتُ  
وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ  
\* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ  
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿ [الحج، ٣٩ - ٤١].

هكذا يؤمر المسلمون أن يدافعوا عن أنفسهم، ﴿... عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا...﴾: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ  
يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء، ٨٤].

٢ - للحفاظ على النوااميس والنساء والأطفال والضعفاء، الذين هم في خطر الأعداء،  
كي لا يفاجؤوا بالتنكيل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ  
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ  
لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ \* الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾  
[النساء، ٧٥ - ٧٦].

٣ - لدفع مادة الفساد والفتنة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ  
انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، ١٩٣]، ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَبِلُوا لَكَ  
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة، ٤٨] ذلك لأن ﴿... الْفِتْنَةُ أَشَدُّ  
مِنَ الْقَتْلِ...﴾ [البقرة، ١٩١]، ﴿... وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾ [البقرة، ٢١٧].

يسمح الإسلام للقتال دفعا لما هو أشر وأخطر: الفتنة التي تسبب الأخطار العقيدية  
وما أشبه، ومنها: القتال.

٤ - لتأديب الأعداء، الذين نقضوا العهد في وقف اطلاق النار، فأطلقوها،  
ونقضوا العهد في الكف عن الإفساد والتضليل؛ فواصلوا في تضليلاتهم:  
﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ  
لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ \* أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ

الرَّسُولِ وَهُمْ بِدُوكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
 \* قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ  
 مُؤْمِنِينَ \* وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢-١٥﴾.

فجماع الآيات في الجهاد الإسلامي أنه في سبيل الله، ذوداً عن حرمان الله من يهتكها، وعن أنفس المسلمين ونواميسهم وعقائدهم، وأمنهم في دينهم وفي ديارهم، كما ويجب على أي إنسان أن يدافع عن حقه وجوبا عقليا.

### شريعة الجهاد في كتابات الوحي :

... وكما النبيون أجمعون أمروا بالجهاد، فمنهم من وجدوا أنصارا لتحقيق أمر الله كموسى وداود ويوشع، إذ حاربوا حروبا دامية، ومنهم من لم يجد أنصاراً، رغم أنه كان مستعداً للحرب، كالسيد المسيح ﷺ.

### استعداد السيد المسيح للحرب

ففي إنجيل متى ١٠: ٣٤: «لا تظنوا أنني جئت لألقى سلاماً على الأرض. ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً».

وفي لوقا ١٢: ٤٩-٥١: «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟ ولي صبغة أصطبغها، وكيف أنحصر حتى تكمل؟ أتظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض! كلا! أقول لكم: بل انقساما!».

وفي لوقا ٢٢: ٣٦: «فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذه، ومزود كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً».

١. سفر الأعداد الفصل، ٣١:٧-١٧ - سفر التثنية الفصل ٢٤:٢-٣٤ والفصل ١:٢٠، ٥، ٨، ١٠-١٤ والفصل ٢١: ٢٤ وسفر الخروج الفصل ١٧: ٨-١٦ وأغلب الفصول من كتاب يوشع. وأول تواريخ الأيام الفصل ٢٧ والتكوين ١٥:١٨.

يأمر هنا الحواريين بالاستعداد للحرب... وفي الآية ٤٩ يأمر بالضرب: «فلما رأى الذين حوله ما يكون، قالوا يا رب أنضرب بالسيف؟ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة؛ فقطع أذنه اليمنى...».

ونرى في هذا الفصل كيف يستنصر المسيح الحواريين، ليدافعوا عنه، وكيف أنهم تقاعدوا عن نصرته حتى كمشوه وسلموه إلى رئيس الكهنة وكان حادثة الصلب، مهما كان لمن شَبَّه بالمسيح ﷺ.

هكذا نرى السيد المسيح أنه كان مستعداً للحرب الدفاعية، وقد فشل في المعركة إذ فشل أنصاره، فناموا حينذاك بدل أن يقوموا بالسيف، إلا واحد قطع أذن عبد رئيس الكهنة.

ثم نرى كيف ينقم المبشرون والمستشرقون المسيحيون من نبي الإسلام أن شريعته شريعة الجهاد، وبين أيديهم النبيون الذين جاهدوا وقاتلوا...! وبينهم السيد المسيح، الذي جعل الجهاد من أهدافه الأساسية...! وبينما هم – طوال التاريخ المسيحي – يوقدُ نيران الحروب متواصلة... وبعد كل ذلك، ينقمون من نبي الإسلام، لماذا دافع عن الإسلام وعن نواميس المسلمين!

ينقمون منه، رغمَ حكم العقل وكتابات الوحي بضرورة الدفاع عن النفس والنفيس، ورغم أن انبياء الله يمدحون شريعة الإسلام، أنها شريعة الجهاد، كما فصلنا القول فيه، في كتابنا، «رسول الإسلام في الكتب السماوية».



## وزارة العدل وشروط القاضى والقضاء

كما أن الإمام عليه السلام كان أفضى الأمة، وأعدلهم حكماً، ولقد قال الرسول الأعظم ﷺ فيه: «أفضاكم علي ﷺ»،<sup>١</sup> كذلك كان يقرر القرارات العادلة الصالحة للقضاء العدل في شتى أرجاء أرض الوطن الإسلامي الكبير على شروط للقاضي والقضاء، وأنها لا تحقق إلا لمن يمثل قضاء أحكم الحاكمين.

فكما أن الهداية والملك هما من شؤون الألوهية الخاصة، يمثل ويتنخب لهما من يريد، من الأنبياء، فالائمة، فالعلماء الربانيين الراشدين، ومن الملوك العدول من النبيين وأتباع النبيين؛ كذلك القضاء، فإنها أيضاً من شؤون الربوبية الخاصة كما ينطق بذلك كثير من أي الذكر الحكيم، ولا يمثل قضاءه سبحانه إلا من فيه شروط العلم والعدل والكياسة والتدبر والتدبير التام في القضاء، حتى يحكم ولو عليه وعلى ذويه، دون أن يعدله عن الحكم هوياً أو ترغيباً أو ترهيباً أو رشاءً أو أية قدرة، سوى الحق والعدل.

فبناية وزارة العدل في الحكومة العلوية، إنما هي على هذه الشروط العادلة وإن كانت قضاتها في بنايات خربة، وإن كان قضاؤه وهو وأمير العدل في دكة القضاء، حظيرة مسجد الكوفة، لا في قصور عالية ذات الأحجار المزيّنة بأنواع الزينة والزخرفة وتساوير العدل وموازينه، وهي خالية عن قضاة العدل وقضائه، بعيدة عن مفاهيم الحق! وإنما هم عملاء بدل أن يكونوا علماء، وهم غزاة على الحق رغم أن يكونوا غزاة للحق، عادلين فيه، وهم المرثشون في الحكم عوض أن يحكموا بالحق! فهناك يأتي الإمام على بيان شروط القاضي والقضاء، ومن لا يصلح لها قائلاً: ...

١. للحصول على مصادر الحديث، راجع كتاب «الغدير» العظيم، للعلامة الشيخ الاميني، ج ٤، ص ٩٧.

## من لا يصلح للقضاء؟

«إن أبغض الخلائق إلى الله رجلا ن:

رجلٌ وكله الله إلى نفسه؛ فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوفٌ بكلام بدعة ودعاء ضلالة؛ فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

ورجلٌ قَمَشَ جهلاً، موضع في جهال الأمة، عادٍ في أغباش الفتنة، عمٍ بما في عقد الهدنة، قد سماه أشباه الناس عالماً، وليس به؛ بكرٌ فاستكثر من جمعٍ، ما قل منه خيرٌ مما كثر؛ حتى إذا ارتوى من ماءِ آجنٍ، واكتنز من غير طائرٍ، جلس بين الناس قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات، هياً لها حشواً رتاً من رأيه، ثم قطع به؛ فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ؛ فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب! جاهلٌ خباط جهالاتٍ، عاش ركب عَشَوَاتٍ، لم يعصَّ على العلم بضرر قاطع، يُذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا مَلِيءٌ والله بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فُوِّضَ إليه. لا يحسب العلم في شيء مما أنكره، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره. وإن أظلم أمرٌ اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج منه المواريث. إلى الله أشكو من معشرٍ يعيشون جهالاً، ويموتون ضلالاً، ليس فيهم سلعة أبورٍ من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعا، ولا أعلى ثمنا من الكتاب إذا حُرِّفَ عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر!»<sup>١</sup>

أجل، إلى الله المشتكى من عيشة جاهلية في ضلال، ممن ليس عندهم سلعة أبور من الكتاب، إذا استنطق بالحق الذي ينطق به، ولا شيء أعلى منه ثمنا، إذا حُرِّفَ وأوّل على أهوائهم!

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٧ (في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك بأهل)، ج١، ص ٥١.

إلى الله المشتكى، من قضاة جهال، يراهم أشباه الناس مثقفين، لما عندهم من شهادات، أصدرتها كلية القضاء، وهم لا يعرفون من الحقوق الإسلامية متناً كاملاً ولو تقليدياً من قضاء القرآن، فضلاً عن أن يجتهدوا فيه!

«بكر فاستكثر من جمع»: اجتمع عنده كثرات من شتات الأقاويل في الحقوق، في مدة قليلة، من الحقوق غير الإسلامية، أو الإسلامية الدخيلة أو المؤولة والمحرفة، التي قليلها خير من كثيرها!

ذلك العالم الحقوقي، أو صاحب الدكتوراه في الحقوق، الذي ارتوى من عيون نتنة آجنة، وهو يرى أنه يحسن صنعاً، أخذ من الحقوق الفقهية الإفرنجية الضالة، أو من أبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي، دونما تساؤل عن الفقه القرآني، وهو فقه الإسلام بكامله.

فهذه محاكم، ومحاكم الحكومة العلوية أيضاً محاكم بجنبها، لا ترى القضاء لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به ما لا يعرف حكمه من الكتاب والسنة، اختلق لها خلقاً من رأيه، لا يدري أصاب أم أخطأ!!!

لم يعضّ العلم ولم يأخذه دراية وتفهما واختباراً، يُذري المدارك الحقوقية غثها وسمينها، إذراء الريح الهشيم!!!

**ويلات القضاء من غير أهلها:**

تصرخ من جهل وجور قضائه الدماء، حكماً بغير الحق، وتعجُّ منه المواريث؛ فأفئحُ بها قضاءً، وأشنعُ به قاضياً!

وأسوأ من ذلك، المحاكم القضائية العميلة لحكام الجور، لا تقضي إلا ما قرره القائد وأشار إليه، دونما رعاية حق أو قانون، إلا ما تهواه الحكومة المستبدة.

فهذه محاكم، ومحاكم الحكومة العلوية أيضا محاكم بجنبها، لا ترى لبعض المترافعين فضلاً على بعض إلا على ضوء الحق والعدل، وإن كان هو القائد الأعظم أو أية شخصية من الشخصيات العظيمة وكبار الموظّفين؛ فلا أعظم فيها من الله وحكمه، تحكم بصميم الحق والعدل، دونما رعاية منزلة أو مقام.

... من ذلك الوتيرة المبترة في القضاء تنشأ الخلافات العارمة في الأحكام؛ ولذلك إن الإمام عليه السلام يذمها في كلام له آخر قائلاً:

**تناقض الأحكام في قضية واحدة في مختلف المحاكم القضائية الدخيلة!**

«تردّ على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم تردّ تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام، الذي استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعاً! وإلهمم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد! أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاءه؛ فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه وتعالى ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...﴾ [الأنعام، ٣٨] وقال: فيه تبيان كل شيء،<sup>١</sup> وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء، ٨٢].

وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به.<sup>٢</sup>

يذم الإمام في هذا الكلام رأي «التصويب» في مختلف الأحكام، كما عليه جمع من أهل السنة، فأجهلُ بهم حكماً، وأظلمُ بهم قضاءً ورأيًا!

١. إشارة إلى الآية: ٨٩ من سورة النحل.

٢. نفس المصدر، الكلام: ١٨ (في ذم اختلاف العلماء في الفتيا)، ج ١، ص ٥٤.

## من يصلح للقضاء؟

ويقول عليه السلام: «اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم؛ ممن لا يزهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا...»<sup>١</sup>

هذه ثلاثة عشر شروطاً مفروضة<sup>٢</sup> في القاضي، مضافة إلى العلم الثاقب بالكتاب والسنة، ولتأمين هذه الشروط الهامة واستبقائها عملياً في القاضي، يفرض الإمام عليه السلام على القائد الأعظم أمرين، يعطيهمهما قضاة العدل، وهما:

١ - أن يفسح لهم في البذل ما يزيل عنهم وأعدارهم في الرشا؛ فبذلك تنسدّ عليهم أبواب الرشا إطلاقاً.

ولكن ذلك لا يكفي ذوداً لهم عن الانحراف عن الحق، والانحراف في الحكم؛ حيث تكون هناك شخصيات فوقهم في الأنظمة الحكومية، ولذلك يسدّ باب العذر عليهم من هذه الناحية أيضاً مضافاً إلى الأولى قائلاً:

٢ - «أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك»، لماذا؟ «ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك».

١. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشتر)، ج ٣، ص ٩٤.

٢. اقتباس من القياس الأدبي عن الآية ٢٥ من سورة الكهف حيث قال جلّ وعلا: ﴿ثَلَاثَ مِائَةِ سَنِينَ﴾، إذ المصنف كان يرى القرآن مصدراً رئيساً وقولاً فصلاً، حتى في اصطلاح القواعد الأدبية.



أجل، إن الحكومة العلوية، مع هذه الشروط الأساسية للقاضي، تعطيه من الجاه والمال ما لا تعطيه لأحد، ولو من أخص خواص الحكومة.

### مقام القضاء أرفع المقامات في هيئة الدولة العلوية!

إن حرمة القاضي أعلى من جميع المقامات الدولية، ومن رئيس الوزراء، وحتى من القائد الأعظم، إن لم يكن هو أيضا في مقام القضاء؛ لكيلا يطمع أحد في تحريف القضاة عن المحجة، حتى القائد نفسه، فلا أحد أعظم من القاضي؛ لأنه يحتل مسؤولية الحكم بين الناس، كما أنه لا شيء أعز من الحق.

### الشروط الأربعة عشر في القاضي

- ١ - العلم بالكتاب والسنة، كما نبه عليه الإمام في الكلام السالف، وهو أن يعضَّ على العلم بضرر قاطع.
- ٢ - ألا تضيق به الأمور عن الحكم الحق، من شبهة في مدارك الحكم، أو تشخيص المورد، أو الدوافع الخارجية لإصداره بعد معرفته.
- ٣ - لا تمحكه وتغضبه الخصوم، كيفما تخاصموا، وأنَّى ومهما اختصموا لديه؛ فليكن حليما، بحنانٍ ورحمة بالغة؛ فالقضاء لا يلائمها الغضب، الذي يزل بصاحبه عن المحجة، ويبطل الحجة.
- ٤ - لا يتمادى في الزلة إن زل، بل يستبدل بها الصواب الذي أراه الله تعالى دونما استحياء.
- ٥ - ولا يحصر ويقف عن الرجوع إلى الحق متى عرفه.

٦ - لا تُشرف نفسه ولا تُغلبه على طمع؛ بل يغلب على المطامع كيفما كانت، وحيثما بلغت! كيف لا، وقد كفى الله أجره، وكفّته الحكومة العدل، مما فسح له في البذل، وكفاه الحق عن الباطل.

٧ - لا يكتفي بالنظرة الأولى البدائية، وإنما عليه خوض اللجج لاستخراج الحق، باستفراغ وسعه واجتهاد مظانه ومحتملاته «فالنظرة الأولى نظرة حمقاء»<sup>١</sup>.

٨ - يقف في الشبهات، التي لا يلمع حكمها من ملامعها، بل يقف عندها وقوف المتردد الحائر اللأيديري، حتى يترك أو يدري.

٩ - يحتج بالحجج اللابقة والمآخذ اللائقة لاستخراج الحكم، دونما قياس أو تأويل برأيه واستحسان؛ فلا يحنُّ إلا إليها، ولا يفر إلا مما يخالفه من أقرانها: قياساً ورأياً واستحساناً.

١٠ - لا يتبرّم بمراجعة الخصم، بأن يغضب بتراجعه في الجدل، أو يجادله إفحاماً له عن حجته لحبّ الغلبة في الاستدلال، أو بغض التجرؤ عليه في النضال.

١١ - أن يكون صبورا على تكشف الأمور المتنازع فيها، بأية وسيلة صالحة، دونما اكتفاء بيسير من الشواهد؛ فلا يعجل في الحكم، بل يقوم فيه ويقعد وينام ويستيقظ، ويروّي ويفكر، حتى يحكم على اطمئنان وإيمان بدلائل العلم والإيمان.

١٢ - لا يزدهيه ولا تخففه عن الثبات على الحق زيادة الثناء عليه من بعض المترافعين، بل يردها على صاحبها في محكمة القضاء؛ احتفاظاً على الحق وقضاء على الباطل.

١٣ - لا يستميله عن الحكم الحق إلى خلافه إغراءً؛ فلا يغتر بشيء في الحكم وإنّ جلّ، ولا يميل عن الحق وإنّ قلّ.

١. كما في الحديث، ويعني بذلك أوليات الأنظار من غير من عصمهم الله تعالى وسددهم.

١٤ - بعد هذه الشروط القيمة، على القائد أن يكثر تعاهد قضاء القضاة، يتعرف إليها من مداركها، ويستكشف الأفضية من مواردها.

أجل، إن على وزير العدل أن يتعاهد أفضية القضاة، بعد أن استقضاهم على هذه الشروط، وبعد أن فسح لهم في البذل فوق الآخرين، وأعطاهم من المقام والزلفى أعلى المقامات في المنازل الحكومية.

فهذا طَرْفٌ إجمالي من كيان القضاء في الحكومة العلوية، كما يتناسب وكرّاسنا المتواضع.



## وزارة التعليم والتربية

قد يصرخ التقديميون على أسماع العالمين بالنواحي التقديمية العلمية فرحين، يظنون أنهم هم المتقدمون دون الغابرين، ومن ذلك التعليمات الجبرية العمومية.

حينما الإسلام يصرخ قبل أربعة عشر قرناً بفرض تعليم وتعلم العلم على كل مسلم ومسلمة، قائلاً:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». (عن الرسول الأعظم ﷺ)

«اطلبوا العلم ولو بالصين».

«لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض

اللجج». (عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام).

«لوددت أن أصحابي ضُربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا». (عن

الإمام الصادق عليه السلام)

«ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا». (عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)

«إنما العلم ثلاثة، آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل». (عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله)

فمن العلم فرض ومنه فضل، والأول هو العلم بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والعلم باحكامه من فرائضه ومحافظيره في العبادات والمعاملات والسياسات، فهذه فرض على كل مسلم ومسلمة، لا يُعذر أحد في تركه، وكما يجب على الجاهل أن يتعلمها، كذلك يجب على العالم أن يعلمها دون ابتغاء أجره، إلا ابتغاء مرضاة الله. فإنما مثل العلوم الدينية بالنسبة للأرواح، مثل الهواء والماء للأبدان؛ لا حياة روحيا إلا بها، كما لا بقاء جسميا إلا بهما.

كما أنه ليس للتعليم والتعلم والتربية مكان خاص ولا زمان أو سن معين، كما يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»!!!

أنى كان الطالب وأينما كان، فلا حد للعلم لا من حيث الزمان ولا المكان، وإنما الحياة كلها مدارس العلم تعليما وتعلما، والأمكنة كلها كليات العلوم، دونما اختصاص بزمان أو مكان.

ثم الفرض في الأنظمة العلمية والتربوية لا يخص الجاهلين، بل يعمهم والعلماء الربانيين؛ فكما أن على الجاهل أن يتعلم، فعلى العالم أيضا أن يعلم، كلٌّ يطلب صاحبه، ويبتغي قرينه، في الفرض المشترك.

وكما أن سوط الإمام الصادق عليه السلام يعلو على رؤوس الجهال لكي يتعلموا، كذلك يعلو على رؤوس العلماء ليعلموا، دون تفاوت واختلاف.

حينذاك نكرر كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا»!

فالثقافة الإسلامية مركزة على فرضين بين الفريقيين: العلماء والجهال، الجهال والعلماء؛ فالجاهل المستنكف عن التعلم، فيما يجب عليه، مذب، وكذا العالم الخازن علمه عنده، القائم مقامه، والجالسُ مجلسه، دونما حراكٍ للدعوة والدعاية بلسانه وقلمه، مذب؛ وقد ذم الله العلماء الكاتمين علوم الدين في كتابه قائلاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة، ١٥٩]

وإنما الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه، ولا يخص إخفائه مع السؤال، ولا تحريفه بعد البيان؛ بل ويشمل كل من عنده أمانة علمية معرفية للناس، ولا يظهره ويبينها ويعطيها إياهم، كهولاء الذين يظنون أن القرآن ظني الدلالة، كتماناً لدلالته البينة، رغم أنه نور وبيان وبرهان وحجة بالغة ربانية، وأنه في لفظه ومعناه، في قشره ومغزاه، يفوق معجزات النبيين أجمعين.

ومما لا يريبه شك أن علوم الدين أمانات عند علماء الدين بعد النبيين، وقد يهدي إليه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ يعني: بيناه لعلماء الدين، لبيئونه للناس، ومن البديهي أن ما أنزله الله إلى رسله، لم يك لبيئته لكل فرد فرد من الناس، وإنما يبلغه الرسول ﷺ للرعييل الأول من الأمة، وهم علماءؤهم واولوا الألباب منهم، ويملي عليهم أن ينشروه، ويعلموه، ويبينوه للناس؛ حيث لا يتيسر للرسول أن يبين ما أنزله الله عليه لكل أحد دونما واسطة، ومما يهدي إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران، ١٨٧]

فهناك فرض ومحذور: فالفرض هو البيان، والمحذور هو الكتمان، الذي يعم ترك البيان إطلاقاً، وتركه عند السؤال أو تحريف ما بين.

وقوله تعالى: ﴿... فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد، ٤٠] بالعطف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ [الأحزاب، ٢١]، ومن الأسوة الحسنة بالرسول الأعظم ﷺ الأسوة به في فرض التبليغ

والدعوة إلى الله، الشامل لتعليم الجهال من الناس، وعظمة المتخلف الذي لا يجهل الأمر والنهي.

فعلى علماء الدين تنظيم رحلات تعليمية وتربوية في شتى أرجاء العالم، ونشر معارف الدين بشتى الوسائل التبليغية، دعوة ودعاية، لسانا وقلما، من الإذاعات والتلفزيونات وغيرها؛ لكي تتم الحجة البالغة على الناس؛ ﴿... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال، ٤٢].

### القائد الأعظم، هو بنفسه، وزير الثقافة والتربية

بيننا أمير المؤمنين هو القائد الأعظم للمسلمين، فإذا هو وزير التربية والتعليم أيضاً، كما كان الرسول الأعظم ﷺ بالنسبة للناس، ﴿... يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران، ١٦٤] و [الجمعة، ٢]؛ فالأمير ﷺ وزيره في مختلف شؤونه التي من أهمها التربية والتعليم.

### المعلم والمربي

وكما أن مقام القضاء بين الناس هو أهم المقامات الجماعية، كذلك التربية والتعليم؛ بل إنهما أهم حيث هما أعم؛ فلا حياة مع الجهل وفقد التربية؛ فهما جناحان للطائر الإنساني يطير بهما إلى الأجواء الواسعة، عقائديا وعلميا وعمليا.

والحكومة الإسلامية الغراء تجعلهما من أهم برامجها وفي نواصي عملياتها في المجتمع الإنساني الكبير، يريد بذلك القضاء على الجهل حيثما كان، وعلى اللاأخلاقية والهمجية السوداء التي وُجِدَتْ.

فلا تقدّم مع الجهل، كما لا فلاح ونجاح مع فقد الأخلاق والتربية، وهما متعاصران متلازمان في نجاح الإنسان وإسعاده في شتى معارك الحياة في النشأتين.

ومما لا يريبه شكٌ، أن شأن التعليم والتربية إنما هو من شؤون النبوة والإمامة، ثم العلماء الربانيين، لا يعدوهم إلى غيرهم مهما بلغ به المقام؛ فليكن وزير الثقافة والإرشاد من أعلم علماء الدين في الأنظمة الدولية؛ لكي يرشد الشعب إلى صلاح الدين والدنيا.

### الانطلاقة العلمية الإسلامية مشياً مع الزمن

والدين لا يخص دعوته لتعلم العلوم الدينية فحسب، وإنما يخص الفرض العين بها، ويرغب في تعلّم كل علم فيه إسعاد الحياة، ولا تفرق علوم الدين عن غيرها مما يحتاج إليه النوع في إسعاد الحياة ويضطر إليه، إلا في رجحان الدينية على غيرها، وعينية الوجوب في أكثرها على كل أحد، وكفائته في غيرها.

لذلك نرى القرآن يرغب في النظر إلى ما في السماوات والأرض، نظراً علمياً واعتبارياً، يخلص إلى استحكام الإيمان بالله، وإن كان فيه منافع وعوائد لإسعاد الحياة الدنيوية أيضاً.

يجعل المرامي والمقاصد كلها ابتغاء معرفة الله ومرضاته، وهو كنز كل كمال، على أن فيها فوائد ترجع إلى الحياة الدنيا.

ولذلك نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لما يقوم مقام التعليم، لا يخصه بعلوم الدين، فتارة يتكلم عن الأرض وحركاتها وسيرها على فلك في الجو قائلاً: ...

### نظرية الإمام في حركة الأرض

١ - «وأنشأ الأرض، فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج؛ أرسى

أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخذّ أوديتها. فلم يهين ما بناه، ولا ضُف ما قواه...»<sup>١</sup>

يشير في هذه الجملة الجميلة إلى أصليين من أصول معرفة الأرض، طالما تعارك فيهما علماؤها قديما وحديثا، ولم يعرفهما حق معرفتهما نوابغ هذا العلم حتى قبل قرن وحتى الآن إلا شيئا منها، وهما:

١ - قيام الأرض في الجو على غير قوائم، وارتفاعها في الهواء بغير دعائم، وبذلك يفند الآراء القديمة الجاهلة، أن الأرض على ظهر الحوت أو المعز، أو على قرني الثور، أو على أية دعامة وقائمة إلا دعامة الإرادة الإلهية بوسيط القوة الجاذبية أم سواها.

٢ - حركة الأرض على مدار، كأنه ركز وأرسي الأرض على متنه: «وأرساها على غير قرار» يعني: أن الله أرسى وأثبت الأرض، لا على ثبات وقرار، بل على جادة فضائية، تسير عليها سيرا ثابتا دون انفراج واعوجاج وتفلّت عن هذه الجادة الفضائية. وقد يعرّج بها أو يشير إليها القرآن الكريم في آيات، لا يناسب كراستنا هذه تفصيل القول فيها.<sup>٢</sup>

ويقول عليه السلام: «... ووتد بالصخور ميدان أرضه...»<sup>٣</sup>

ويشير هنا إلى طرف من فوائد الصخور، الجبال الراسية، وهو توتيدها الأرض عن الميدان، وهو الاضطراب في حراكها، لا عن أصل الحركة.

٣ - ويقول عليه السلام: «... وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها؛ فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها...»<sup>٤</sup>

١. نفس المصدر، الخطبة: ١٨٦ (في التوحيد)، ج ٢، ص ١٢٣.

٢. من أراد التفصيل فليراجع إلى موسوعتنا، «الأرض والسماء في نظر القرآن» أو «آسمان و زمين و ستارگان از نظر قرآن» التي ألفتها بالفارسية، وفي كتاب «العلوم التجريبية بين الكتاب والسنة» العربية من التفسير الموضوعي.

٣. نهج البلاغة، عبده، الخطبة: ١، (يذكر فيها إبتداء خلق السماء والارض وخلق آدم)، ج ١، ص ١٤.

٤. نفس المصدر، الخطبة: ٩٤، (تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام)، ج ١، ص ١٧٤.



يشير هنا إلى أن للأرض حركات متداخلة، عدلتها الراسيات من جلاميدها، وقد أنهى العلم اليوم حركات الأرض، إلى أربع عشرة حركةً.

٤ - «... فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها...»<sup>١</sup>

هذا وذيك، طُرف من إشارته المنيرة إلى حركات الأرض وتعلقها، دونما عماد يدعمها في الجو!

وقد يتكلم عن السماء وطرقها وأبوابها والمدن الموجودة فيها قائلًا: «أنا بطرق السماء أعرف من طرق الأرض!»!

### نظرية الإمام في مدن السماء

١- «لهذه النجوم التي في السماء مدائن، مثل التي في الأرض، مربوطة كل مدينة بعمودين من نور، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة»<sup>٢</sup>!

يشير هنالك إلى وجود مدن في نجوم السماء. والنجم لغويا هو الكوكب الطالع، ومن طلوعه طلوع التمدن فيه، ومما لا يريه شك أن التمدن لا يوجد الا بوجود عقلاء متمدنين، يعمرون ويصنعون ويخترعون ما ينتفعون به في عيشتهم وحياتهم الجماعية، والمماثلة بين المدن في هذه النجوم بمدننا تقضي أن فيها أناسا، كما هنا، لأن هذه المدن هي وليدة تفكير الانسان في كوكبنا الأرضي، فيجب أن تكون هناك أيضا وليدة تفكيره أو عاقل متمدن كمثلها في التمدن وإن اختلفا في الشاكلة.

١. نفس المصدر، الخطبة: ٢١١، ج ٢، ص ١٩٢.

٢. تفسير القمي، (القمي، علي بن إبراهيم، محقق: الموسوي الجزائري، طيب، دار الكتاب، قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٤ق) ج ٢، ص: ٢١٨؛ قَالَ وَحَدَّثَنِي أَبِي وَيَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: ...

والبرهان في تفسير القرآن، (البحراني، السيد هاشم بن سليمان، محقق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ناشر: مؤسسة البعثة، قم، تاريخ الطبع: ١٤١٦ هـ، الطبعة: الأولى) ج ٤، ص ٥٩١.

ولعل الأعمدة هناك هي الروابط بين تلك المدن وبين ما تعتمد من بقاع، كالأعمدة التي تربط بين السقف والأرض في بيوتنا، ضرورة كونها بيوتا واستقامتها كذلك، إلا أنها ضوئية هنالك دونما هنا.

ولعل العمودين هما الجاذب والدافع، اللذان يتحفظ بهما المدن عن السقوط في جو السماء، وأن المراد من الطول: (مائتين وخمسين سنة) هو المسافة بين المدن على تقدير السنين الضوئية أو سواها.

فهذا أمير المؤمنين يرى ببصيرته مدن السماء وأهلها، والعلم اليوم وقد يطير به الإنسان بصواريخه في جو السماء وعلى القمر، ويبصر به بالمكبرات العظيمة، يبصر مسافات تبلغ زهاء ٢٠٠ مليون فرسخ ضوئي، يبصر جزائر ومجرات سماوية مشتملة على ملايين الكواكب والشموس والأقمار!

هذا العلم على نطاقه الواسع لم يستطع حتى الآن أن يستكشف وجود مدن وعقلاء في هذه الأنجم!

وقد يعدنا القرآن العظيم بتزاور وتقارب بين عقلاء الأرض وما انتشر منهم في السماء قائلاً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى، ٢٩]

فإرجاع ضمير ﴿هِمْ﴾ - وهو لذوي العقول - إلى هذه الدواب المنبثة في السماوات والأرض، آية أن منهم في السماء، كما هم في الأرض، إنساناً أو كإنسان، والجمع بعد البث هنا إنما هو رفع البث والتفرق الذي نراه بين دواب الأرض والسماء؛ وقوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾، إشارة وتبشير أن هذا الفراق بين أهل السماء والأرض لا يدوم، بل يشاء الله أن يجمعهم بعد الشتات!

فسوف يجمع الله بين عقلاء الأرض والسماء، ولكنه أنى وكيف، وأي منهما أسبق؟ لا ندري!

٣ - يروي الإمام عن الرسول الأعظم ﷺ حديث الإسراء، كما يلي: «قال لي ﷺ: يا علي! إن الله أشهدك معي في سبع مواطن، منها: حينما أسرى بي ربي إلى السماء، فكشط لي عن السماوات والأرضين السبع؛ حتى رأيت سكانها وعمارها...»<sup>١</sup>

٤ - ويقول تلميذه وحفيده الإمام الصادق ﷺ: «إن رسول الله ﷺ قال: إن في السماوات السبع لبحاراً، عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام»<sup>٢</sup>.

وهناك آيات عدة تتحدث علماً يحدث به الإمام ﷺ، بحثنا عنها في الفرقان.<sup>٣</sup>

### ثقافة الإمام في نظر الخليفة عمر

لقد بلغ علمه وثقافته ﷺ مستوى، لا ينكره مثل ابن الخطاب، كما يقول فيما رواه عنه الخطيب في الأربعين: «العلم ستة أسداس، لعلِّي خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى لهُوَ أعلم به منا»<sup>٤</sup>.

يسأل عمر: «يا أبا الحسن! إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سئلت عنه؟» فأبرز علي كَفَّه، وقال له: «كم هذا؟» فقال عمر: «خمسة!» فقال: «عجلت يا أباحفص؟» قال: «لم يخف عليّ»؛ فقال علي ﷺ: «وأنا أسرع فيما لا يخفى عليّ»<sup>٥</sup>.

وجماع الكلام عن علمه أنه كان أعلم العلماء في شتات العلوم بعد النبي ﷺ في القرون الخالية والآتية. كيف لا، وهو «باب مدينة العلم والحكمة»؟! وهو القائل:

١. بحار الانوار، ج ٦، الطبعة القديمة، ص ٥١٧، يروي محمد بن عيسى عن أبي عبد الله المؤمن عن علي ابن حسان عن أبي داود السبيعي عن بريدة الأسلمي عن رسول الله ﷺ. وايضاً راجع الطبعة الجديدة منه، ج ١٨، ص ٤٠٦؛ و ج ٢٦، ص ١١٥.

٢. التوحيد عن الصادق ﷺ عن رسول الله ﷺ. بنقل البحار الانوار، ج ٥٥، ص ٩١؛ و ج ٥٦، ص ١٨٢؛ بهذا الإسناد: عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن السيارى، عن عبد الله بن حماد، عن جميل بن دراج.

٣. وفي تفسيرنا الموضوعي مجلد العلوم التجريبيه بين الكتاب والسنة.

٤. نفس المصدر، ج ٤٠، ص ١٤٧ و ١٧٩ والمناقب الخوارزمي، ص ٩١.

٥. نفس المصدر، ج ٤٠، ص ١٤٧. عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

«سلوني قبل أن تفقدوني»!!<sup>١</sup> والقائل: «اندمجتُ على مكنون علم، لو بُحْتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطُّوى البعيدة»<sup>٢</sup> أي: جُبِلْتُ وطبعتُ على علم مخزون في كياني، لو أبوح به لاضطربتم من الدهشة والريب، اضطراب الجبال المتدلية في الآبار العميقة!

وفي ختام هذا البحث، نذكر طرفاً من نظام الإمام التربوي الخالد؛ ليكون ممثلاً لثقافته التربوية، مضافاً إلى ثقافته العلمية:

### التقدمية العلمية والتربوية في الإسلام؟

«لا تقسروا أولادكم على آدابكم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»<sup>٣</sup>

هنا الإمام يُعلم البشرية، كيف تستقبل الحياة الجديدة وتستدبرها قديمة؛ فهو المجدد الأول في عهده، على صلابته العميقة في التمسك بمبدئه، والاحتفاظ بعقيدته.

لم يفرط فيما فرط به معاوية، ولم يجحد جحود من شرطوا في الخلافة قبله، أن تكون قاصرةً، بعد الكتاب والسنة، على سيرة الشيخين؛ بل يستبدل اجتهاد رأيه بهذه السيرة الجامدة، تطبيقاً للكتاب والسنة على مدى الأعصار الطائفة حتى انقضاء العالم، واعتماداً في الفصل في تصريف الأحكام المتطورة صورة، بدافع التطور الزمني، وذلك هو الذي يدعو الإمام عليه السلام لأن يضحّي بالخلافة يوم الشورى، رافضاً لها على هذه الشريطة الجامدة المائلة.

لقد كان الإمام يرمي بكثير من أقواله وأفعاله إلى بناء الأمة الإسلامية في مستقبلها العتيد من جديد وجديد، ويرى ضرورة التطور على أساس الكتاب والسنة،

١. نهج البلاغة، عهده، الكلام: ١٨٩، ج ٢، ص ١٣٠؛ وكنز العمال، ج ١٣، ص ١٤٢، الحديث: ٣٦٥٠٢؛ و ج ١٤، ص ٦٩٤، الحديث: ٣٩٧٠٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة: ٥، ج ١، ص ٤١.

٣. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الحديث: ٥٦٠٠، ج ١١، ص ٥٦٠٠.

دون أن يبغى عنهما حِولاً أو بدلاً، في أصولهما وأسسهما الجامعة، إلا أنه يرى تطبيق الدين في مختلف الظروف والملابسات كما أراه الله.

فالإمام لا يريد، من نهيه عن قسر الأبناء على أخلاق الآباء، النهي عن أسس الأخلاق الإسلامية السامية، وحاشاه عن ذلك! وإنما يريد، بذلك، الأخلاق الاجتماعية، التي لا تنافي الدين في أسسها وأصولها.

فإذا كنت متصفاً بالكرم والوفاء والتسامح والإباء وغيرها، من السجايا النبيلة الفاضلة، فالإمام أسمى وأبعد من أن ينهانا عن أن نروض أبناءنا وأهلينا عليها، ونلزمهم بها!

فإن الأخلاق الكريمة وديعة من الآباء، وعليهم أن يروضوا أولادهم بها وإلا فهم عند ربهم لمسؤولون.

وفي ذلك يقول حفيده السجاد عليه السلام: «وأما حق ولدك فإن تعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره؛ وأنت مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عزّ وجلّ والمعونة له على طاعته؛ فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»<sup>١</sup>.

فالصلة الوثيقة بين القديم والجديد إنما تقوم على الوراثة الخلقية؛ وعلى الآباء القدامى أن يورثوا أولادهم الجدد خير ما عندهم من الأخلاق.

إذن، فالمعنى من قول الإمام عليه السلام إنما هو العادات والسجايا والتقاليد التي تلائم عصر الآباء فحسب، ولا تتسق للأبناء من وراء الرقي المفروض بدافع التطور الطبيعي في الإنسان.

إن الإمام عليه السلام يريد بكلامه المنير تحرير المسلمين في تقدّم الحياة دون فشل وإمهال، على احتفاظ من الأنظمة التربوية الإسلامية عقائدياً وعلمياً وعملياً.

ومثالاً على ذلك: إن آباءنا كانوا يسكنون في دور بدائية، ويركبون الدواب، ويلبسون ثياباً ساذجة، ويجلسون على البساط وعلى الأرض، ويأكلون مأكلاً ساذجة، ويتجرون ويعملون تجارات وأعمالاً، توافق حاجاتهم حينذاك، ويتعلمون من العلوم المادية أشياءً بسيطةً قلائل و...

فهذا وأشباهه لا تحتم على الأولاد الجدد، أن يخططوا حياتهم الجديدة في عصر النور والصاروخ، على مخططات آبائهم القديمة بلا تقدمٍ قيد شعرة، احتفاظاً بسنن الآباء وأخلاقهم لقدمها!

فلا معنى للقدم والعناق إلا إذا كان فيه تقدم وانطلاق؛ فإنما يُعنى من الحياة: غابرها وحاضرها ومستقبلها، ما ترسم رسم الرقي إلى الكمال روحياً ومادياً متلائمين؛ فلا قدمة ورجعية إلا ما فيه تقدّم في الحضارة وارتجاع عن البربرية والهمجية، ولا تقدم وحضارة إذا كان فيها تأخر الإنسانية في جانبي العقيدة وصالح الأعمال.

ومثالاً لذلك: العفاف والصدق؛ فإنهما خُلقان صالحان، لا يُخلقهما ويؤخرهما عن الحياة التقدمية الصالحة، مرّ الدهور والأعوام.

وبالعكس منهما، الاستهتار والكذب؛ فإنهما خُلقان سيئان، لا يصلحهما ويجعلهما تقدماً وحضارةً تقدّم الإنسان في سائر الشؤون الحيوية المادية.

فالإنسان المتقدم من تقدم في فضيلة وكمال، في ناحيتي الروح والجسم المتلائمين ولو أخذها من الدعاة الأوائل الأقدمين للبشرية، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

والرجعي الأسود من رجع إلى الجاهلية والهمجية الأولى وإن تلقاها من الإفرنجيين المتقدمين في الحضارة المادية.

فبؤساً لقوم يسمون الاستهتار والخلاعة ومؤانسة النساء الخليعات، تقدّموا وحضارة وتحرروا، دونما تفكير بما يجره علينا من مساوئ، نتردى معها إلى هوة الذل والهوان والانكسار!

وهكذا مشي الأبناء في إقناع آبائهم إلى الرقص، الذي يزواج بين المرأة والرجل، وهما أجنبيان! قد أصبح من الأخلاق التي يمتاز بها الحاضر عن الغابر، التقدمي عن الرجعي!

ومن أخلاقهم، الذي يسمونه - ويسميه زعماءهم الحلفاء المستهترون - انقلاباً وتقدمية بيضاء، السباحة المختلطة، فالمرأة بين الرجال والأجانب تتجرد عن كلما يستر جسدها، ما عدا عضواً واحداً لو كان جميلاً ما سترها، تتجرد هكذا، وتريد السباحة، فقطع الشوارع بهذه الخلاعة والوقاحة!!!

ومن ذلك ان للمرأة أن تستجيب لأي شاب يطلبها للرقص في مساح اللهو، ولو وضع بطنه على بطنها، وضغط بصدرة صدرها، وكلاهما يفوح منهما العطر؛ ويموج بعضهم في بعض، ثم لا يرون في ذلك حرجاً؛ لأن الرقص من الفنون الجميلة الراقية المتحضرة!

ومن ذلك أنه يحق للمرأة أن تستقبل صديقها في بيت زوجها، وتنصرف إليه؛ فتخلوا به في قاعة الاستقبال، بينما يقوم زوجها بعملها في المطبخ أو غرفة الاطفال، ثم لا ترى ولا يرى احد معها في ذلك شيئاً من الخرق لنظام المجتمع! تلك الوقاحة والخلاعة منهم حينما يحسبون الحياء والعفة والحجاب والوقار تأخراً ورجعية سوداء!

وإنما الرجعية السوداء هي الارتجاج إلى الجاهلية الأولى، إلى مرجع كل فساد وبوار، إلى الأفكار والأعمال الإبليسية الوقحة العارمة، وإن كانت وليدة عصر النور والصاروخ، وإن كانت تصدر أوامرها التحريرية عن المصادر الملوكية والرئاسية!

وإنما الانقلاب والتقدمية البيضاء، أن تنقلب الإنسانية بنعمة من الله وفضل لا يمسه سوء، وتتقدم في شتى الكمالات الروحية والجسمية بما يخططه ويرسمه له الدين الإلهي، من الرب القديم الأزلي الذي كان إذ لا كان، والباقي بعد فناء العالمين،

وقد بعث بذلك رسلاً أذكياً أصفياً، من حين ولد هذا الإنسان على هذه البسيطة، إلى زهاء أربعة عشر قرناً قبل ذلك.

فإنما مواد الرقي والتفكير، في شتى مجالات الكمال الحيوية، أخذةً وصادرةً من خالق الخلق، وهو يحرضهم على تنمية تلك الكمالات في ناحيتي الروح والجسم.

فالإمام عليه السلام يحث في كلامه إلهاماً على تحرير الأجيال في عاداتها، بعد أن يطمئن إلى أن الدين كفيل بردع الأمة عن سوء ما تتخلق به من طبائع، قد تقضي بها إلى الانهيار.

فكم من شعوب انفسخت وسارت بها أخلاقها إلى الانحلال، كفرنسا وإيطاليا وأمريكا وإنكلترا وغيرهما.

والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إذ يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»،<sup>١</sup> يشير بذلك إلى أن حياة الإنسان السامية إنما تتقوم بسمو الأخلاق.

وهناك الإمام عليه السلام، بكلمته البارعة، يقرر عنصرين هامين في بناء الدستور الإنساني، هما:

١ - ضرورة التطور في الحياة.

٢ - قيام التطور على دعائم الحق في العالم.

أجل، إن الإسلام لا يجمد عقلية الإنسان في جانبي الروح والجسم، وإنما يستنميهما في إبعاده في شتى المجالات الحيوية، كيف وهو يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...﴾ [البقرة، ٢٩] ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس، ١٠١]

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم، ٣٩ - ٤٠]

١. نفس المصدر، ج ١٦، ص ٢١٠؛ و ج ٦٧، ص ٤٧٢؛ و ج ٦٨، ص ٣٨٣.



يُحَرِّضُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِمَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ كَيْفَمَا يَشَاءُ عَلَى قَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ؛ فَلَيْسَ لَهُ مِمَّا حَبَاهُ اللَّهُ إِلَّا عَلَى قَدْرِ سَعِيهِ وَعَمَلِهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَحْدُدُ الْإِنْسَانَ عَلَى تَحْرِيرِهِ فِي السَّعْيِ وَالْعَمَلِ، يَحْدُدُهُ عَلَى حُدُودِ الْعَدْلِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، دُونَ مَا ابْتِغَاءَ ظَلْمٍ وَانْحِرَافٍ عَنِ الدَّسَاتِيرِ وَالْأَنْظُمَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَدُونَ مَا إِخْلَادٍ إِلَى الشَّهْوَاتِ.

وَمِنْ قَرَارَاتِ الْإِمَامِ فِي أَمْوَاجِ الْفِتَنِ الْمَخْتَلِفَةِ، حِفَاطًا عَلَى حَرَمَةِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ: لَا ظَهْرٌ فَيُرَكَّبُ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبُ!»<sup>١</sup> وَقَدْ يَفْسِرُ الْبَطَالُونَ الضَّعْفَاءَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَفَقًّا لِمَا يَرِيدُونَهُ مِنَ التَّقَاعَسِ وَالتَّقَاعِدِ عَنِ الْجِهَادِ وَالتَّضْحِيحَةِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَيُؤَبِّخُونَ ضَحَايَاهُ بِأَلْوَانِ التَّوْبِيخِ، تَسْمِيَةً لَهُ بِاسْمِ الْفِتْنَةِ؛ وَقَدْ تَتَوَلَّدُ مِنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الضَّئِيلَةِ وَيَلَاتِ جَمَاعِيَّةَ عَارِمَةٍ، رُبَّمَا تَقْضِي عَلَى أُمَّةٍ وَيُورِدُهَا مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ وَالسَّقُوطِ.

وَهُمْ، كَأَمْثَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، تَخَلَّفُوا عَنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جِهَادِ مَعَاوِيَةَ الطَّاعِيَّةِ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّ الْقِتَالَ بَيْنَهُمَا فِتْنَةٌ؛ فَفَرُّوا مِنْهَا!

وَهَكَذَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ قَعَدُوا عَنِ نَصْرَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَمَا ثَارَ عَلَى بَغِي يَزِيدٍ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ.

فَلْتَسْأَلِ هَؤُلَاءِ الْأَغْيِيَاءَ، إِذَا كَانَ تَنَاصَرُ عَلِيٌّ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي حَرْبِ الْمُنَافِقِينَ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فِتْنَةً، يَجِبُ أَوْ يَجُوزُ التَّقَاعِدُ عَنْهَا، فَحُرُوبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ أَيْضًا لَتَكُنْ فِتْنَةً عَلَى سِوَاهِ؟!

وَإِذَا كَانَ كَمَا يَزْعَمُونَ، فَلِمَاذَا يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى جِهَادِ الْأَعْدَاءِ، وَدِفَاعِهِمْ، وَإِعْدَادِ مَا يَسْتَطَاعُ لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، وَيَلْعَنُ الزَّاحِفَ عَنِ الْقِتَالِ وَالْقَاعِدَ عَنْهُ؟

١. نهج البلاغة، عبده، الحكمة: ١، ج ٤، ص ٣.

فليس المعنى من قول الإمام عليه السلام ما يزعمه هؤلاء الفشلاء القاعدون أولي الضرر، وإنما الفتنة - التي ينهى الإمام عن دخولها، والتي ينهى الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾ [الأنفال، ٢٥] - إنما هي الفتنة التي تقوم على غير حق، كفتنة معاوية، فلا يجوز الدخول فيها؛ حيث لوّن فتنته بلون الأخذ بثأر عثمان، الخليفة الأموي، يتّهم في ذلك الإمام عليه السلام دونما حجة إلا الدعايات الضالة الباطلة؛ وحينذاك يجب تناصر الإمام عليه السلام حيثما قعد أو قام؛ حيث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله جعله يدور مع الحق ويدور معه الحق حيثما دار.

ومن تلك الفتن - التي لا يتبين وجه الحق فيها، ولا يُدرى من أين؟ وإلى أين؟ ولأين؟ - كثورة، تنشب في جماعة أو شعب أو أمة، يضل فيها العقل؛ فلا يتبين عللها وأهدافها.

فليكن المسلم العاقل في أمثال هذه الثانية، كابن اللبون، لا لها ولا عليها، وفي الأولى: لا لها، وإن وُفق وتمكّن فعلية.

ولكن فيما يتبين وجه الحق فيه، فلا بد للمسلم الحر أن يضحي لتقويم الحق وتحطيم الباطل؛ وفيما يخفى ذلك فليتحرّر الرشد وإلا فليسكت. هذا هو المعنى من كلام الإمام عليه السلام، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.



## وزارة الاقتصاد

استعمار الأرض ثم الخراج: الإصلاح الزراعي.

لأن الإمام عليه السلام على ما يراه من المصلحة العامة في الخراج، ليس ليفسد من يؤخذ عنهم ليُصلح الباقين، ولا يسمح التعمية في أخذ الخراج؛ إذ يقول: «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً...»<sup>١</sup>

العمارة ثم الخراج، وهذا من أصلح الأنظمة الاقتصادية وأبقاها وأنماها في أخذ الخراج والضرائب، وهنالك الإمام عليه السلام يملي على الحكومة عون الزارعين وأصحاب الرساتيق والبساتين، بإصلاح الأرض وإفاضة الماء، وأن تدرّ عليهم ما يستدر به خراجهم، قائلاً:

«فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض، اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم؛ فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم؛ فربما حدث من الامور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به؛ فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الارض

١. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الاشر)، ج ٣، ص ٩٦.

من اعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاية على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر...»<sup>١</sup>

هذا هو الإصلاح الزراعي، الذي به يعمر البلاد، ويصلح أمر العباد. والخراج الدولي، الذي يفي معونة الأنظمة الدولية على طيب من أنفس أهل الخراج، أن إذا شكوا ثقل المضروب عليهم خُفَّف عنهم، وإذا شكوا علة من ثقل المصارف وعدم المكنة عن أداء الخراج إلى حين، قُبِل عنهم، أو إذا اشتكوا انقطاع شرب أو إحالة أرض، أصيبت بغرق أو عطش، خُفِّت عنهم وأُعْتَتِهَم في ذلك، وكنتَ لهم كالوالد الرؤوف بكل حنان.

عندئذ يرجع هذا الإهمال والمعونة لهم، يرجع مزيد مؤونة للحكومة وعمارة للبلاد ولقلوب العباد وزينا للحكومة تبجَّحاً لها باستفاضة العدل في الشعب، واستجلاباً لحسن ثنائهم واعتماداً فضل قوتهم ومعونتهم عندما يحتاج إليهم؛ وعماد العرش الحكم على رضى من أعماق قلوب الشعب وتعويلاً عليهم فيما قد تحملهم طيبة أنفسهم.

أجل، إن هذه الطريقة المثلى أليق بالسياسة العادلة العاقلة، وأبقى للحكومة والتقارب بينها وبين الشعب.

### الإفساد الزراعي!

هذا! دون ما كانوا يسمونه زمن الشاه - عليه لعنة الله - «الإصلاحات الزراعية والأرضية»، التي أفسدت على الشعوب، وأثقلت عليهم، وخنقت عيشتهم وحياتهم.

فإننا نرى نفرأ من القادة الحاكمين من السلاطين ورؤساء الجماهير قد أكْبُوا على اقتسام الأراضي العامرة بين الرعايا، يغتصبونها بصورة الشراء كرهاً عن أربابها، ثم يشرونها على أقساط طوال للدهاقين والرعايا؛ لكي يمتلكوها شخصياً ويعمروها!

١. نفس المصدر، صص ٩٦ - ٩٧.

ذلك لا لشيء إلا مخافة شيوع الشيوعه والهجمة العنيفة القاضية منهم على ملكهم وسلطانهم.

وقد خلفت هذه الإصلاحات ويلات: نفاقا عارما، ودماراً وبواراً، واستبدلت بالعمران خراباً! فلا الأرباب السابقون يعينون الدهاقين على استعمار الأرض، ولا الحكومة نفسها، إلا أن تطالبهم بالأقساط التي تطلبها، ثمنا لهذه الأراضي، أو تقرضهم أموالاً يسيرة ربويا، يمتص دماءهم من جهة أخرى ثانية!

فقد أصبحت الدهاقين صفرَ الأيدي عن كل شيء، ليس لهم ما يعمرن هذه الأراضي من البذر والماء والوسائل، التي لا بد منها لعمارة الأرض، بل وأصبحت وبالأحماً ثقيلاً عليهم، تطالبهم أقساطها بدل أن تدرّ عليهم!

وأصبحت أرباب الأراضي صفر الأيدي عنها، وما لها وإليها، فقراء على فقراء، وبالأحماً على وبال، أو متبطلين يأكلون ما عندهم من بقايا أموالهم، ليس لهم شغل يشغلهم! وإننا لنرى في إيران وفي العراق ومصر وغيرها، التي ابتليت بالإصلاحات الزراعية، نرى هذا البوار والدمار الهام العام زيدت أراضي باثرة على أخرى وفقراء معوزين على آخرين.

فهب أن المالكين كانوا يظلمون الرعايا والدهاقين؛ فهل إن ذلك يدعو إلى ظلمهما جميعاً والقضاء على الطبقتين، والإفساد عليهما باسم الإصلاحات الزراعية؟!

كيف، وهناك طرق مشروعة تكفي لتعديل الطبقتين؟!

منها: تهيئة الماء والبذر للدهاقين في هذه الأراضي البائرة، التي بقيت عبثاً لا يستفاد منها؛ فللمالكين ما لهم، يصنعون فيه ما يشاؤون، وللهاقين أيضاً ما لهم؛ وعندئذ تصيح الطبقتان دهاقين عاملين، كل في أرضهم، وبه ينسد أبواب جور المالكين عليهم!

ومنها: تطبيق النظام العمراني الزراعي، كما قرره الدين الإسلامي الحنيف، وهو أن الأرض لمن عمّرها: «من أحيا أرضاً فهي له»!

فلا يملك الانتفاع من الأرض إلا من أحيائها وعمل فيها، دون المترفين الأثرياء، أكلة الأرض ومن عليها، الذين يمتلكون الأراضي البائرة مدَّ أعينهم دون إحياءٍ أو تحجير، ثم يبيعونها أو يستثمرونها بالدهاقين العملاء الفقراء؛ فيمتلكون نتائج أعمالهم، دون أي مبرر إلا أنهم امتلكوا هذه الأراضي بأخذ الطابو قوةً وزوراً.

فلقد كان يجوز ارتجاع أمثال هذه الأراضي، التي عمرتها الدهاقين والفقراء - بزرع وبناية وغيرها - عن أكلة الأرض المترفين كحي تسمى بـ«مفت آباد» في طهران، هجمت الفقراء عليها، وهي أرض جرداء باثرة، امتلكها بعض المترفين؛ فهجمت عليها الفقراء وبنوا فيها بنايات على استعجال! وكما حصلت في الاوزاعي في بيروت! وسوف يجري في سائر الأراضي البائرة، التي امتكها المترفون أولوا النعمة والكبرياء، يجري على أيدي الفقراء الصامدين المجاهدين، والله من وراء القصد.

ومنها: أن يؤخذ منهم الأخماس والزكوات وسائر الصدقات والإنفاقات الواجبة، التي يُمليها عليهم الدين للفقراء والمساكين؛ فيعطونها تخليصاً لهم عن الفقر المدمر والمسكنة، التي أسكنتهم عن الحراك لابتغاء قوتهم؛ وكل ذلك على رعاية علماء الدين الربانيين ونظراتهم الدينية الصالحة.

وبهذه الأنظمة العاقلة العادلة يقضى على الفقر وعلى ظلم أكلة الأرض وأكلة الناس، ويعمر البلاد ومن عليها، ويحيى الشعب.

ثم بذلك، يكثُر تحملهم لأداء الخراجات والضرائب المستقيمة وغير المستقيمة على طوع ورغبة، دونما عنف وإتعا، ودونما اختلاف وانتقاض بين الطبقات، ولا بينهم وبين الحكومة... أَللهم أعط هذه السلطات الجائرة الجاهلة عقلاً وعدلاً، أو اقض عليهم، وخذهم أخذَ عزيز مقتدر!



## استعمار الأرض واستثمار أكلة الأرض

«إياك والاستثمار بما الناس فيه أسوة».

«أما بعد فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخّطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك! بلغني أنك جردت الأرض؛ فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك! فارفع إلي حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس».<sup>١</sup>

«... امنع من الإحتكار...»<sup>٢</sup>.

«... ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج...»<sup>٣</sup>.

«النهر لمن عمل، دون من كرهه...».

«لست أرى أن أجبر أحدا على عمل يكرهه».

«... قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل...»<sup>٤</sup>.

هنالك الإمام في تلكم الجمالات الجميلة المنيرة يرفع صوته وسوطة على رؤوس أكلة الأرض، وما الناس فيه أسوة من الماء والكأ والمعادن، فيفند ويقبّح استثمارهم فيها دونما عمل إلا أنهم مترفون أقوياء أثرياء!

فمن ناحية، لا يُجبر أحداً على عملٍ يكرهه، ومن أخرى، يختص نتائج الأعمال بعمالها، دون الأثرياء المترفين، ومن ثالثة، يملي على الحكومة أن تنظر في استثمار الأرض قبل النظر إلى خراجها.

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٠ (ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله)، ج ٣، ص ٦٣.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشر)، ج ٣، ص ١٠٠.

٣. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشر)، ج ٣، ص ٩٦.

٤. نفس المصدر، الخطبة: ١٩٢ (القاصعة)، ج ٢، ص ١٥٩.

هذا نظره الصائب الثاقب – صريح الحق والعدل – في عمارة الأرض؛ فإنها قوام المعاش والازدهار الاقتصادي. يفرض ويؤكد على الولاية والعمال أن ينظروا في عمارة الأرض فوق ما ينظرون في الحصول على حق الدولة الإسلامية المشروع في الخراج؛ فالخراج نفسه، وهو ملك الجماعة في نتيجة كل حساب، لا يمكن إدراكه إلا بالعمارة، ولا يسعى في تحصيل الضرائب من الجماعة والأرض، التي لا عمارة فيها، إلا كل سفیه طائش، يريد أن يخرب الديار، ﴿... وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾

[البقرة، ٢٠٥]

إن الأرض لا تعمر بذاتها، ولا بوجود قصور ودور، فيها مترفون مترهلون ذوو ثراءٍ وسخف وكبرياء؛ وإنما تعمر بجهد العاملين فيها وبثراء أهلها من كافة الناس. يشدد الإمام عليه السلام في تحريم أخذ الخراج من الشعب، إذا لم يكن راضياً عن حالته الاقتصادية وعن ولاته وحكامه.

أجل، إن أصول الاجتماع والقواعد الإنسانية والمقاييس الأخلاقية تحتم جميعاً أن يكون عطاء الشعب للدولة عن يسر وعافية وإمكانية، لا عن عسر ومتعبة؛ فليُنظر الولاية في تحسين أحوال العامة، قبل أن ينظروا في الأخذ منهم.

أجل، استعمار الأرض...، لكن لا بخراب المستعمرين الفقراء؛ بل عمارة عامة تعم جميع الكادحين، بلا اختصاص واستثمار للحكام ذوي القوة والثروة، بأن يستخدموا الفقراء، ويُقنطروهم لتعمير الأرض وتثميرها لأنفسهم فحسب! فليست تلك عمارة للارض، في نظر الإمام، وإنما ذلك تخريب وبؤس على البائسين وتعمير للمثرين! وإنما تخطط وترسم أنظمة عادلة لتعمير الأرض، فيها تعمير للبؤساء الفقراء، كما يقول:

«... ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى...»<sup>١</sup>

١. نفس المصدر، ج ٣، ص ٩٣.



أجل، إنَّ نظرية الإمام عليه السلام في عمارة الأرض مرَّكزة على أساس من العدالة والفضيلة، لا أعدل منه ولا أعقل؛ فهو لا يجبر الناس على العمل وإن مفيدا، لأنَّ نُكرة الإِجبار بحد ذاتها انتقاصٌ من القيم الإنسانية وإساءة إلى الحرية الخاصة، إلا فيما يجب على الأعيان، ولكنه يرغبهم من ناحية أخرى بأن يجعل خيرات هذا العمل من نصيب العاملين فحسب.

أليست هذه النظرية إحدى الأسس الرئيسة، التي تقوم عليها النظريات الاجتماعية الراقية اليوم؟ فليس للبَطْرِ الكسول ومن يدَّعي الشرف ونُبُل المَحْتَد، أن يذهب إليه شيء من تعب الكادحين، مهما كان هذا الشيء قليلاً!

### كيف تعمل عمال الصدقات والضرائب المستقيمة وغير المستقيمة؟

يكتب الإمام عليه السلام لمن يستعمله على الصدقات، أن يعدلوا ويرفقوا في عملهم بصميم العدل، قائلاً:

«انطلق على تقوى الله وحده، لا شريك له، ولا تروِّعَنَّ مسلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم. ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخذج بالتحية لهم؛ ثم تقول: عبادَ الله! أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفته، لآخذ منكم حقَّ الله في أموالكم؛ فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لا فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تُخيفه أو توَّعده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه؛ فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلطٍ عليه ولا عنيفٍ به، ولا تنفرنَّ بهيمة ولا تفزعنَّها ولا تسوءنَّ صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضنَّ لما اختاره؛ ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضنَّ لما اختاره. فلا تزال كذلك، حتى يبقى ما فيه وفاءً لحق

الله في ماله؛ فاقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتى تأخذ حق الله في ماله. ولا تأخذنَّ عوداً ولا هرمةً ولا مكسورةً ولا مهلوسةً ولا ذاتَ عوارٍ، ولا تأمننَّ عليها إلا من تثق بدينه، رافقا بمال المسلمين، حتى يوصله إلى وليّهم؛ فيقسمه بينهم. ولا تُؤكل بها إلا ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب، ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به. فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بوليدها، ولا يجهدتها ركوبا؛ وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرقه على اللاغب، وليستأن بالنقب والظالم؛ وليوردها ما تمر به من الغدر؛ ولا يعدل بها عن نبت الارض إلى جواد الطريق، وليروحها في الساعات وليمهلهما عند النطاف والأعشاب، حتى تأتينا بإذن الله بُدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات؛ لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك، إن شاء الله»<sup>١</sup>.

فأجملَ بنظام عدل في أخذ الضرائب وأكرم به؛ حيث ينهى عن تفزيع الشعب وترويعهم والأخذ عنهم كادحين!

يأمر عمال الضريبة أن يقوموا بين المدنيين بالسكينة والوقار دون احترام، ويسلموا عليهم، ويحترمهم غاية الاحترام، ثم يذكروا رسالتهم الحكومية بأخذ حق الله من أموالهم على غاية حسن الظن بهم دونما تجسس وتحسس وتفتيش بالنسبة للمنكرين ولا إخافة وإيعاد وإسراع للمقرين.

ثم ينهاهم عن الدخول في مواشيهم إلا بإذنه؛ لأن أكثرها لهم. وإن أذنوا فليدخلوا غير متسلطين ولا جبارين.

ثم الإمام حينذاك ينهى عامل الضريبة عن تنفير وإيذاء البهائم؛ فكيف بأصحابها! ثم أخذ ما يرضاه حقا لله، مراعيًا في ذلك صميم العدل، دونما إفراط أو تفريط، لا في

١. نفس المصدر، الكتاب: ٢٥ (ومن وصية له ﷺ كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات)، ج ٣، ص ٢٣.

حق الله بأن يأخذ مسنة أو هرمة أو مكسورة أو مهلوسة أو ذات عوار، ولا في حق الناس بأن يأخذ جياذ أموالهم؛ لا هذا ولا ذلك، وإنما عليهم الأخذ بالحق احتفاظاً بصميم العدل من الناحيتين.

ثم يعود ثانية إلى رعاية البهائم المأخوذة على حساب الضريبة، فيوصي العمال بهم خير ما يوصى؛ فلا يرضى أن يحال بين الفصيل وأمّه، ولا تمصير لبنها إلى حيث يضر بالفصيل، ولا تجهيدها ركوباً، ولا منعاً عن الغدران أو نبت الأرض، وأن عدلت بها عن الجادة الجيدة.

فهذا طُرف من أوامر الحكومة العلوية بالنسبة لرعاية البهائم؛ فكيف بأصحابها؟! ولقد نرى حكومات أخرى تأخذ الضرائب غير العادلة ولا المشروعة ممن ليس له ولا لأهله ما يعيش به، تأخذها على تخويف عارم، أيما الضريبة وأيما الضرب والزج في السجون أو هما!

هذه معاملتهم مع الفقراء المعوزين! وأما المترفين المثرين، فيُعْفَى عنهم إما بسلطاتهم الجبارة وأنهم من عمال الحكومة الأقوياء، فلا يجري القانون عليهم إلا لهم، وإما بتطميع عمال الضريبة وشبعهم! فأقبحُ بهم، وأظلمُ!!!



## وزارة الداخلية ووظائفها

يقول في دستوره المبارك لمالك الاشر متصرف لواء مصر:

«... ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة؛ فإنهما جماع من شُعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الامور نظراً. ثم أسبغ عليهم الأرزاق؛ فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحنة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك...»<sup>١</sup>

هذا الدستور العدل الهام يشمل جميع العمال في الأنظمة الدولية، ومنهم عمال الضرائب؛ فعلى الحكومة أن تتخذ لصلاحهم وأمانتهم تدابير ثلاث:

### التدابير اللازمة لاستصلاح عمال الحكومة:

١ - استعمالهم اختباراً باستحضار سوابقهم في أرض الوطن وحالتهم الحاضرة؛ فلا يُستأثروا بالمحاباة والأثرة، إلا بالتجربة الحسنة والحياء والإيمان والسابقة في الإسلام، وصحة الأخلاق والعرض وقلّة الطمع؛ ولكي تكون نظراتهم بالغة ثاقبة في عواقب الأمور.

٢ - إسباغ الأرزاق عليهم؛ لكي يتقنوا بها على استصلاح أنفسهم واستغفارها عن تناول ما تحت أيديهم، وأن يكونوا حجة عليهم؛ فلا يعذروا بدافع الحاجة والضرورة.

١. نفس المصدر، الخطبة: ٥٣، ج ٣، ص ٩٥ - ٩٦.

٣ - ثم بعد هذين التدييرين البالغين، يأمر الإمام عليه السلام بتفقد أعمالهم شخصياً، وأن يبعث عليهم من أهل الصدق والوفاء، قائلاً:

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم؛ فإن تعاهدك في السر لأموهم حذوةً لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان؛ فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة...»<sup>١</sup>

هذه هي القرارات اللازمة على وزارة الداخلية يقررها الإمام عليه السلام لانتصاب العمال في مختلف الشؤون الدولية.

## النظام الطبقي

### معاملة الحكومة مع التجار وذوي الصناعات؟

وهناك يأتي بطرف من دساتير الحكومة العلوية بالنسبة للتجار وذوي الصناعات قائلاً:

«... ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المبعاد والمطارح، في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجتروون عليها؛ فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته. وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحا قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكما في البياعات؛ وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية؛ فامنع من الاحتكار؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيعُ بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار، لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمَن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكّلُ به، وعاقب في غير إسراف...».

١. نفس المصدر، ج ٣، ص ٩٦.

## الحكومة العلوية عليها السلام والطبقة السفلى:

«... ثمَّ اللهُ اللهُ في الطبقة السفلى، من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمى؛ فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا. واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم. واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد؛ فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى. وكلُّ قد استرعيت حقه؛ فلا يشغلنك عنهم بطر؛ فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم؛ فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعّر خدك...»<sup>١</sup>

### ليكن القائد الأعظم في متناول أيدي الضعفاء دونما احتجاج عنهم!

«وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال؛ ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه؛ فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه. وذلك على الولاية ثقيل، والحق كله ثقيل؛ وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة، فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسماً، تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متنتع؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن: لن تقدس أمة، لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متنتع. ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونحّ عنك الضيق والانف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار...»<sup>٢</sup>

١. نفس المصدر، ص ١٠١.

٢. نفس المصدر، صص ١٠١ - ١٠٢.

## الأُمور الشخصية للقائد الأَظم، التي لا حول فيها عنه؟

«... ثم أُمور من أُمورك لا بد لك من مباشرتها؛ منها: إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها. إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك، مما تخرج به صدور أعوانك. وأمض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك، فيما بينك وبين الله، أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية...»<sup>١</sup>

## لا يطولن القائد احتجابه عن الشعب!

«... وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور. والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبا دونه؛ فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل؛ وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات، تعرف بها ضروب الصدق من الكذب. وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخّ نفسك بالبذل في الحق؛ فقيم احتجابك؟ من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه؟ أو مبتلى بالمنع؛ فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لامؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة...»<sup>٢</sup>

فأكرمُ بولاية الحكومة العلوية وأعظم به قائدا للملة الإسلامية الكبرى! لا يحتجب عنهم في حوائجهم، لا فحسب، بل ويسعى فيها شخصيا في ظلم الليل ورمضاء النهار! فبينما نراه تقطر من سيفه دماء أعداء الدين، إذا يعين امرأة قُتِل أو مات زوجها، يعينها في حوائج بيتها ويدر عليها ما تحتاج إليه...!

١. نفس المصدر، صص ١٠٢ - ١٠٣.

٢. نفس المصدر، صص ١٠٣ - ١٠٥.

فهل تقاس هذه الحكومة العاقلة العادلة بحكامٍ، ذهبت الحكومة بعقولهم؟ أنهم مترفون مسيطرون على الشعب؛ فأخذوا يظلمونهم بشتى ألوان الظلم وأساليب التنكيل؛ فيحتجبون عنهم مخافة أن يُقضى عليهم بظلمهم، ويحذرونهم حذر الأعداء؛ فلا يقومون ويقعدون، بل ولا ينامون إلا وحولهم خواص الحفاظ من الحرس الجند؛ ليضحو عنهم ويحفظوهم عن بأس الشعوب المحطمة المظلومة!

رقابة الإمام الشديدة على أمرائه وولاته في شتى الأقطار الإسلامية إن الإمام لا يرضى من ولاته إلا أن يمثلوا مكانته من الشعب في العدالة والنصفة، وإليكم من ذلك ذكرياتٍ:

١ - يشنَّ على عثمان بن حنيف عامله على البصرة، حينما يسمع أنه أجاب إلى مآذبة الأغنياء، ولم يدعَ إليها الفقراء، فيؤنِّبه أشدَّ تأنيب، ويوبِّخه أعنف توبيخ!

... أفلا إقامة حق يريدون أن يرشوه بالدعوة، والحق يقام بدون رشوة؟!... أم لإنزال الباطل منزلة الحق، وليس للوالي هذه الفعلة الغاشمة ولو أعطي سلطان الأرض؟! أم كيف يمضي إلى وليمةٍ، يُدعى إليها الثري، ويبعد عنها الفقير والمعوز، وفي ذلك مظهر من مظاهر التفرقة بين الناس، وهذا مما يُجرح ويُجرح قلب عليّ الحر عليه السلام وقلب كل حر؟!!

أجل، وله الحق أن يغاليهم بهذه الدقة والمحاسبة والمراقبة الشديدة، لأنه يدر عليهم إلى حد، لا تبقى لهم حاجةٌ، يضطرون إلى أخذ الرشا والمزيد عن حقوقهم، ولا تحطيم أموال الشعب المسلم وحقوقهم.

يكتب حينذاك إلى ابن حنيف قائلاً:

«أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً، من فتية أهل البصرة، دعاك إلى مآذبة؛ فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان! وما



ظننتُ أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو! فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم؛ فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا، وإن لكل مأموم إماما يقتدى به، ويستضيء بنور علمه! ألا، وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه! ألا، وإنكم لا تقدرون على ذلك! ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد...»<sup>١</sup>

أجل، إن الوالي إذ أنس بالأغنياء المترفين نسي الفقراء المعوزين، ولم يبال أن يسخطهم ويتركهم سدىً إذا رضي المترفون!

٢ - يكتب إلى أبي موسى الأشعري عامله على الكوفة، حينما يبلغه أنه يثبط الناس عن الخروج إليه، لما نذبهم لحرب أصحاب الجمل:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. أما بعد، فقد بلغني عنك قول، هو لك وعليك، فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك، واشدد مؤنرك، واخرج من حرك، وانذب من معك؛ فإن حققت فانفذ، وإن تفشلت فابعد. وأيم الله لتؤتيني حيث أنت، ولا تترك حتى يخلط زبدك بخائرك، وذائبك بجامدك؛ وحتى تعجل عن قعدتك، وتحذر من أمامك، كحذرك من خلفك. وما هي بالهويني التي ترجو؛ ولكنها الداهية الكبرى، يركب جملها، ويذل صعبها، ويسهل جبلها؛ فاعقل عقلك، واملك أمرك، وخذ نصيبك وحظك، فإن كرهت فتنح إلى غير رحب، ولا في نجاة؛ فبالحري لتكفين وأنت نائم، حتى لا يقال أين فلان. والله، إنه لحق مع محق، وما نبالي ما صنع الملحدون. والسلام.»<sup>٢</sup>

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٥، ج ٣، ص ٧٠.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٦٣، ج ٣، صص ١٢١ - ١٢٢.

## الإمام يعزل وينصب:

من الولاية من يعزله الإمام لتفريطه فيما ولي، كأبي موسى الأشعري، وكابن الجارود العبدى، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله، وكنفر آخرين أمثالهما. ومنهم من يعزله على صلاحه وعدله، يستبدل به من هو أصلح منه وأليق، أو يوليه لما هو أهم ونفعه أعم، لأنه أقوى وأصلح.

١- فمن الأخير محمد بن أبي بكر حينما يستبدل به الأشتر، فمات في الطريق، يعتذر إليه عزله، ويبين له الوجه في ذلك، قائلاً:

«أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الاشتري إلى عملك، وإنني لم أفعل ذلك إستبطاء لك في الجهد، ولا ازديادا في الجهد. ولو نزعنا ما تحت يدك من سلطانك، لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة، وأعجب إليك ولاية. إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر، كان لنا رجلا ناصحا، وعلى عدونا شديدا ناقما؛ فرحمه الله؛ فلقد استكمل أيامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون. أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له...»<sup>١</sup>

وحينذاك، بعد موت الاشتري قبل وصوله إلى مصر، يستبقي الإمام تصرف لواء مصر لمحمد قائلاً:

«... فأصحر لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، وأكثر الإستعانة بالله يكفك ما أهمك، ويُعِنك على ما نزل بك، إن شاء الله». <sup>٢</sup> أجل، إن الإمام يمدح ويطري محمد بن أبي بكر في ولايته في حين، يعزله ويستبدل به الأشتر؛ لأنه أليق وأقوى لمجابهة الأعداء وتأسيس الدولة في مصر. ويكفي له شاهدا ذلك الدستور الدولي الجامع لثقات أسس الملك، الذي يكتبه إليه، وقد فصلنا القول فيه.

١. نفس المصدر، الكتاب: ٣٤، ج ٣، ص ٥٩.

٢. نفس المصدر.

لذلك، إنه عليه السلام يستعيد ولاية محمد عندما مات الأشر في طريقه إلى مصر، لتشميره الحرب على الأعداء، وأن يصحر للعدو، ويمضي على بصيرة في إمارته؛ لأنه لا يجد أليق منه بعد الأشر.

٢ - ومنهم: عمرو بن أبي سلمة المخزومي، عامله على البحرين؛ حيث عزله واستعمل نعمان بن عجلان الزرقي مكانه، قائلاً: «أما بعد فإني قد وليت نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك؛ فلقد أحسنت الولاية، وأديت الأمانة. فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم؛ فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي...»<sup>١</sup>.

أجل، إن عزل الإمام ونصبه واستبداله الولاية في المناصب المختلفة الدولية، لم يكن إلا عن صميم الحق وعلى حد اللياقة والقابلية، دون استئثار بشتى الأثرات من وجهة عائلية أو قوة وثروة أو أيّ عامل، إلا اللياقة فحسب!

لهذا وذيك، إن الإمام بينما يقوم بالأمر بانعزال معاوية الطاغية، لا يصغي إلى ما أشير عليه من استبقائه حتى يستحكم أمره، ثم يعزله؛ حيث إنه ليس ممن يطلب النصر بالجور. لا، ولا أناً قصيراً!

أجل، إن معاوية ليس على شاكلة الحكومة العلوية، بل إنه على النقيض من العدل والدين، لا يريد بحكمه إلا استعادة مجد أمية والقضاء على حكم الإسلام؛ ولذلك يكتب الإمام حينذاك إلى جريز بن عبدالله البجلي، يرسله إلى معاوية، قائلاً:

«أما بعد، فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالامر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته. والسلام»<sup>٢</sup>.

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٢، ج ٣، ص ٦٧ - ٦٨.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٨، ج ٣، ص ٨.

وعلى أية حال، لم يكن معاوية ليطيع الإمام عليه السلام، سواءً استبقاه رجاءً لما أشير إليه - وحاشاه! - أو عزله كما فعل؛ فلم تكن هذه الشجرة الملعونة الجهنمية ليمضي على المحجة، ولا ليقبل الحجة.

لقد أخذ الإمام في حكومته الغراء، يعزل ولاية أمية الأجلال الفساق، ويستبدل بهم من يحق له الحكم، تطبيقاً للكتاب والسنة في الشعوب، وأخذ يرد كل حق، ضيّع في خلافة شيخ أمية، إلى صاحبه، كما كان يقول: «... والله، لو وجدته، قد تزوج به النساء وملك به الاماء، لرددته ...»؛ فهو بذلك، وأنه كان يمر على مرّ الحق دون تخلف عنه قيد شعرة، انتقض عليه أمر الحكم أولاً وأخيراً، وابتلي بمعاوية وأضرابه طوال خلافته، فما دفعه عن حقه إلا ثباته على مرّ الحق، وحرص مناوئيه على غصبه؛ وكما يقول لبعض أصحابه، وقد سأله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به؟»؛ فقال: «... أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسبا، والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطاً (أى: تعلقاً)، فإنها كانت أثرة، شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين! والحكم الله، والمعود إليه القيامة. ودع عنك نهباً، صيح في حجراته، وهلم الخطب في ابن أبي سفيان؛ فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه! ولا غرو والله، فيا له خطباً! يستفرغ العجب، ويكثر الأود! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسد فواره من ينبوعه، وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً؛ فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحق على محضه، وإن تكن الاخرى ﴿... فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ إن الله عليهم بما يصنعون﴾ [فاطر، ٨].».

## عليُّ السَّليمةُ ومعاوية

من هو معاوية؟

لقد آل امر الشورى الأولى الجمهورية غير السليمة! والثانيةُ المستبدَّة، والثالثةُ الكائدة، إلى تخريج الخلفاء الثلاثة الأولين، ومن جراء سوء تديبرهم، تأسيسَ الدولة الأموية، بادئةً من خليفة أمية؛ ثم هو الذي يستحكم قواعد عرش أمية حتى يبلي الإسلام والمسلمين بمعاوية الطاغية، تلکم الشجرة الملعونة، التي تهدف، بتصلُّب أعراقها في أعماق الحكم على المسلمين، التخفيفَ عن أعراق الدين، والقضاءَ على حكم القرآن، ما وُجد إلى ذلك سبيلاً!

وكما أن معاوية كانت كلبة، عوت؛ فاستعوت الكلاب، كذلك هذه الطاغية عوت على عرش متصرفية لواء الشام، فاستوعت كلاب أمية، تهرش على ولي الأمر ومن يواليه!  
... دخل شريك بن الأعور على معاوية، وكان دميماً، فقال له معاوية: «إنك لدميم، والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك وما لله من شريك، وإنَّ أباك أعور، والصحيح خير من الأعور، فكيف سُدت قومك؟!»: فقال له: «إنك معاوية، وما معاوية إلاَّ كلبة، عوت؛ فاستعوت الكلاب! وإنك لابن صخر، والسهلُ خير من الصخر! وإنك لابن حرب، والسلم خير من الحرب! وإنك لابن أمية، وما أمية، إلاَّ أمةٌ صغرت! فكيف صرت أمير المؤمنين؟!»<sup>١</sup>

لذلك، يعطي معاوية ألف ألف درهم لعبد الله بن جعفر الطيار، أن يسميَ أحد أولاده معاوية، زعماً منه بتخفيف الوطأة، أن كان له سميُّ في البيت الهاشمي! لكن خفي عن هذا المغفل المخبط، أن فناء آل هاشم لا يقصر عن أصحاب الكهف، فإن

كلبهم - وهو خير من معاوية - ما دنس ساحتهم، فأنى تدنس الأسماء تلك الألفية المقدسة؟!

هند، أم معاوية، كانت معروفة بالفجور بمكة المكرمة، حتى اشتهر ذلك عنها، ونسب معاوية إلى المسافر، الذي زنى بهند، ولقد كان يُعزى إلى أربعة، منهم: عمارة بن الوليد والصبح، مغنّ أسود، كان لعمارة.

زياد بن أبيه يجيب معاوية عن تعبيره إياه بأمه سمية: «... وأما تعبيرك لي بسمية، فإن كنت ابن سمية، فأنت ابن جماعة!»<sup>١</sup>

وسمية هذه، أم زياد، من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية، وهن: هي، ونابغة (أمّ عمر)، وهند (أم معاوية)، وحمّامة (أم أبي سفيان)، وزرقاء (أم مروان)؛ فقد كنّ من مشهورات البغايا، يُختصم في أولادهن بين الزواني!

يقول أبو سفيان لعثمان بعد ما تسنّم عرض الخلافة: «صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية؛ فإنما هو المُلْك، ولا أدري ما جنّة ولا نار!»

وخليفة أمية يَأتمر أمر أبي سفيان، ويجلب بخيله ورَجِله على آل هاشم والصالحين من أصحاب النبي ﷺ، ويختص، بالملك والتأمر على المسلمين، جذور هذه الشجرة الملعونة، وعلى رأسها معاوية!

من هو أبو سفيان؟

وأبوسفيان، أبوه، هو الذي يجمع رجالاً قبل ذلك من قريش إلى أبي طالب، قائلين له: «إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا! فإما أن تكفه عنا وإما أن تُخلى بيننا وبينه!»

١. نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٨.

وهو أحد المجتمعين بدار الندوة في التآمر على قتل الرسول الأعظم ﷺ أو نفيه أو تثبيتة في قعر السجون!

وهو المنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية ذهب، ويستأجر ألفين من بني كنانة ليقاتل بهم رسول الله ﷺ، سوى من استجاش من العرب.

ويلعنه رسول الله ﷺ في صلاة الصبح بعد الركعة الثانية، بقوله: «اللهم العن أباسفيان وصفوان بن أمية والحرث بن هشام»!

### ويلعنه في سبع مواطن:

١ - يوم لقي رسول الله ﷺ، خارجاً من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين؛ فوقع به، وسبه، وشتمه، وكذبه، وتوعده، وهمَّ أن يبطش به؛ فلعنه الله ورسوله، وصرف عنه.

٢ - يوم العير، إذ عرض لها رسول الله ﷺ، وهي جائية من الشام؛ فطردها أبوسفيان، وساحل بها؛ فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها!

٣ - يوم أحد حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله ﷺ أعلاه، وهو ينادي: «أعلِّ هُبَل! أعلِّ هبل!»؛ فأمر ﷺ المسلمين أن يجيبوه: «الله أعلى وأجل!»؛ فنادى: «إن لنا العزى، ولا عزى لكم!»؛ فأمر ﷺ بالجواب: «الله مولانا، ولا مولى لكم»، ويوم... ويوم...<sup>٢</sup>

### معاوية بين الكتاب والسنة

إنَّ معاوية فرغ من هذه الشجرة الملعونة، وقد يضمّر العداً على الإسلام ورسالته. ومن مقالاته في ذلك: «لا والله، إلا دفنا دفنا»!

١. بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٥٢١، ج ٤٤، ص ٧٧؛ والغدير، ج ١٢، ص ٩٩؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٩٠.

٢. للمزيد من التنقيب والحصول على أسانيد، راجع «الغدير» للعلامة الأميني، ج ١٠، ص ٨١.

يقول لمغيرة بن شعبة: «إنّ أخا هاشم يصاح به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ؛ فأبي عمل يبقى بعد هذا؟ لا أم لك! لا والله، إلا دفنا دفنا!»<sup>١</sup>  
يريد أن الهدف الرئيس، من حكمنا على المسلمين، إنما هو دفن الإسلام والقضاء على رسول الإسلام وحكمه!

إن معاوية كان يريد دفن الإسلام وقتله، وفعل وافتعل لتحقيق هدفه؛ حتى قتل أربعين ألفاً من المهاجرين والأنصار وأولادهم!<sup>٢</sup>  
معاوية يسمع المؤذن، يقول: «أشهد أن لا اله إلا الله»؛ فقالها، فقال: «أشهد أن محمداً ﷺ رسول الله»؛ فقال: «لله أبوك يا ابن عبد الله، لقد كنت عالي الهمة! ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين!»<sup>٣</sup>  
وبالأخير، فمعاوية:

أول من باع الخمر وشربها من الخلفاء في إمارته،<sup>٤</sup> حتى كأن بيته حانوت خمر ودكة الفجور ودار الفحشاء والمنكر بألوانهما!  
وأول من أشاع الفاحشة في الملام الإسلامية!  
وأول من استحل الربا وأكله، خلافاً لنص الكتاب وضرورة الدين!  
ورأى الجمع بين الأختين بالملك، لما ذهب إليه عثمان!  
وغير السنة في الديات وأدخل فيها ما ليس منها!  
وترك تلبية الحج وأمر بتركها خلافاً للإمام ﷺ!

١. كشف الغمة، للعلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، ج ١، ص ٤٢٦.

٢. السفينة، ج ٢، ص ٢٩١، نقلاً عن كتاب الهاوية.

٣. السفينة، ج ٢، ص ٢٩٢، نقلاً عن ابن أبي الحديد.

٤. أحمد بن حنبل في مسنده، ج ٥، ص ٣٤٧؛ تاريخ ابن عساكر، ج ٧، ص ٢١١ - ٣٤٦؛ مسند ابن سفيان، الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٤٠١؛ الاستيعاب لأبي عمر، ج ٢، ص ٤٠١؛ أسد الغابة لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٩٩.

٥. موطأ مالك، ج ٢، ص ٥٩؛ اختلاف الحديث للشافعي هامش كتابه الام، ج ٧، ص ٢٣؛ سنن النسائي، ج ٧، ص ٢٧٩؛ سنن البيهقي، ج ٥، ص ٢٨٠؛ صحيح مسلم، ج ٥، ص ٤٣؛ تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٣٤٩.



وأول من نقض حكم العاهر، وأحيا طقوس الجاهلية، مع أن الولد للفراش وللعاهر الحجر!

وأول من سن سب الإمام عليه السلام، وقتت به في الصلاة، وجعله سنة جارية! وخلفه الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وشوّه خطب المنابر بهذه البدعة المخزية!

وأول من أنفق الأموال لوضع الحديث وتأويل كتاب الله عن مواضعه!

وأول من اشترط البراءة عن الإمام عليه السلام على من بايعه في خلافته الغاشمة أو ملكه العضوض! ومن حُمِلَ إليه رأسُ الصحابي العادل، عمرو بن حمق، وأدير به في البلاد.

وأول من قتل نساء كل من والى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وذبح صبيانهم، ونهب أموالهم، ومثّل قَتْلَاهِم، وشَتَّت شملهم، وفرّق جمعهم، واستأصل شأفتهم، ونفاهم عن عقر دورهم، وأبادهم تحت كل حجر ومدرا!

وأول من سلط رجال الشر والغي والجور على صلحاء أمة محمد صلى الله عليه وآله!

وأول من همّ بنقل منبر الرسول صلى الله عليه وآله عن المدينة المشرفة إلى الشام! ولما حرّكه خسفت الشمس؛ فتركه!

وأول من بدل الخلافة الإسلامية إلى شر ملك وسلطان سوء!

وأول من تجبّر في ملكه بلبس الحرير والديباج، وشرب في آنية الذهب والفضة، وركب السروج المحلاة بها!

وأول من استمتع الغنا، وطرب عليه، وأعطى، ووصل إليه، وهو يرى ويسمى نفسه أمير المؤمنين!

وأول من شنّ الغارة على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله حرّم أمن الله، وأخاف أهليها، وما راعى حرمة ذلك الجوار المقدس!

وأول من هتك دين الله باستخلاف جرّوه الفاجر المستهتر التارك للصلاة!

يكتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: «انظروا من أقامت عليه البيعة، أنه يحب عليا وأهل بيته؛ فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه وورزقه!» ويشفع ذلك بنسخة أخرى: «من اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره؛ فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيّما بالكوفة!»!

زياد، متصرف لواء الكوفة، يجمع الناس بباب قصره، يحرضهم على لعن علي ﷺ والبراءة منه في المسجد والرحبة؛ فمن أبى ذلك عرضه بالسيف!

معاوية يعطي سمرة بن جندب أربعمئة ألف درهم من بيت المال، على أن يخطب في أهل الشام، بأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة، ٢٠٤]، نزلت في علي بن ابي طالب، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة، ٢٠٧] نزل في ابن ملجم، أشقى مراد!

لقد صار لعن الإمام ﷺ سنة جارية في هذه الحكومة، ودُعِمَ في أيام الأمويين سبعون ألف منبر، يُلعن فيها أمير المؤمنين ﷺ؛ حتى أن عمر بن عبد العزيز لما منع عنها لحكمة عملية أو سياسة وقتية أو غير ذلك، فكأنما جاء بطامة كبرى أو اقترف إثما عظيما!

معاوية في لسان النبي ﷺ:

معاوية لعين الرسول ﷺ

لعنه النبي وأباه، كما عن البراء بن عازب، قال: «أقبل أبوسفیان، ومعه معاوية؛ فقال رسول الله ﷺ: اللهم العن التابع والمتبوع! اللهم عليك بالأقيعس! فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس، قال: معاوية!»<sup>٢</sup>

١. تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٣٢؛ وسائر ما في المتن في أفعال معاوية المخزية، نقلناها من الغدير للعلامة الأميني.

٢. كتاب صفين، ط مصر، ص ٢٤٤.

وعن ابن عباس قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان، وأحدهما يجيب الآخر؛ فقال ﷺ: انظروا من هما؟ فقالوا: معاوية وعمرو بن العاصي؛ فرفع ﷺ يديه، فقال: اللهم أركسهما ركساً ودعهما إلى النار دعاً!»<sup>١</sup>

### معاوية خارج عن الملة

إن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي، يحشر على غير ملتي»؛ فطلع معاوية!<sup>٢</sup>

### معاوية من أهل النار

رفع في الحديث المشهور عن النبي ﷺ أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار، في أسفل درك منها، ينادي: يا حنان! يا منان! ﴿أَلَا نَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾! [يونس، ٩١]»!<sup>٣</sup>

### النبي ﷺ يهدر دم معاوية

عنه ﷺ مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه!» وقال الحسن: «فما فعلوا وما أفلحوا!»<sup>٤</sup> وعن أبي سعيد الخدري: «إن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسلّ السيف في عهد عمر، حتى نكتب إليه؛ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا

١. أخرجه احمد في المسند، ج ٤، ص ٤٢١؛ وأبو يعلى، ونصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٢٤٦، ط مصر من طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني في الكبير من طريق ابن عباس، لسان العرب، ج ٧، ص ٤٠٤ و ج ٩، ص ٤٣٩.

٢. أخرجه وما في معناه الطبري في تاريخه، ج ١١، ص ٣٥٧؛ وابن مزاحم في كتاب صفين ٢٤٧ والحافظ البلاذري في ج ١، من تاريخه الكبير وقال العلامة السيد محمد المكي: «ان الحديث الاول رجاله كلهم من رجال الصحيح».

٣. تاريخ الطبري، ج ١١، ص ٣٥٧؛ كتاب صفين ٢٤٣.

٤. كتاب صفين، ص ٢٤٣؛ تاريخ الطبري، ج ١١، ص ٣٥٧؛ تاريخ الخطيب، ج ١٢، ص ١٨١؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٤٨؛ كنوز الدقائق للمناوي ١٠، اللثالي المصنوعة، ج ١، ص ٤٢٤ - ٤٢٥؛ تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٢٨؛ ابن عدى كما في ميزان الاعتدال ورجاله كلهم ثقات، وابن حيان من طريق عباد بن يعقوب.

رأيتهم معاوية، يخطب على الأعواد، فاقتلوه! قالوا: ونحن سمعناه، ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر؛ فكتبوا إليه؛ فلم يأتهم جوابٌ حتى مات!¹

... وإلى غير ذلك من عشرات الكلمات من الرسول ﷺ، يعرف فيها معاوية بالنفاق والكفر والفساد، وأنه من أهل النار، ومهدور الدم و...!

### معاوية في لسان أمير المؤمنين علي ﷺ

ثم نرى أمير المؤمنين علياً ﷺ، وهو أصدق الناس بعد الرسول ﷺ، يصف معاوية في كتاباته إليه وتنديداته به.

فمن كتاب له ﷺ إليه، جواباً عما كتبه: «أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة، نمقتها بضالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ، ليس له بصراً، يهديه، ولا قائد، يرشده! قد دعاه الهوى؛ فأجابه! وقاده الضلال؛ فأتبعه! فهجر لاغطا، وضلّ خابطاً...»²

ومن كتاب له ﷺ إليه: «أما بعد، فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة؛ ففرق بيننا وبينكم أمس، أنا آمننا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم! وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الاسلام كله لرسول الله ﷺ حزبا...»³

ومن كتاب له ﷺ إلى زياد بن أبيه أن: «معاوية كالشيطان الرجيم، يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله؛ فاحذره! ثم احذره! والسلام.»⁴

١. أخرجه البلاذري قال حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٧، ج ٣، ص ٧؛ والعقد الفريد، ج ٢، ص ٢٣٣؛ الكامل للمبرد، ج ١، ص ١٥٧؛ كتاب صفين، ص ٦٤؛ الامامة والسياسة، ج ١، ص ٧٧؛ نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٥٢؛ و ج ٣، ص ٣٠٢.

٣. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٦٤، ج ٣، ص ١٢٢.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٨.

## معاوية عدو القرآن والسنة

ومن خطبة له ﷺ، حين أمر أصحابه بالمسير إلى حرب معاوية، قال: «سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار». ومن خطبة له ﷺ في الدعوة إلى جهاد الرجل: «نحن سائرون، إن شاء الله، إلى من سَفَهَ نفسه، وتناول ما ليس له، وما لا يدركه (معاوية) وجنده الفئة الباغية الطاغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم بغروره»<sup>١</sup>.

هذه، وإلى عشرات كهذه، من كلمات أمير المؤمنين ﷺ حول الطاغية: معاوية! كما ويكتب نفر من اصحاب الرسول ﷺ إليه لعنة الله يكفرونه، ومن ذلك:

## معاوية وثن بن وثن

كتاب قيس بن سعد بن عبادة، أمير الخزرج، إلى معاوية: «أما بعد: فإنما أنت وثن ابن وثن، (أى: وثني ابن وثني) دخلت في الإسلام كرها، وخرجت منه طوعاً! لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك!»

## عزل معاوية وحمله على البيعة

لذاك وذيك، إن الإمام ﷺ لا يرضى تبقية معاوية الطاغية على متصرفية لواء الشام؛ فيكف بالخلافة؟! فرغماً على السياسة الإبليسية، ما ناصحه بها أهلها، من استبقاء معاوية إلى حين؛ حتى يستحكم عرش خلافته، ثم يفعل به ما يريد بعد حين، بالرغم من ذلك، يبدأ في بداية خلافته ﷺ بحَثِّ معاوية على بيعته وخروجه عن متصرفية اللواء، قائلاً: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه...»<sup>٢</sup>. يريد بذلك حمله على بيعته إن كان يتبع سبيل المؤمنين.

١. وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري، ص ١١٣.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٦ (ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية)، ج ٣، ص ٧.

## ويكتب ﷺ إليه:

«إن بيعتي شملت الخاص والعام، وإنما الشورى للمؤمنين من المهاجرين الأولين السابقين بالإحسان من البدريين، وإنما أنت طليق ابن طليق، لعين ابن لعين، وثن ابن وثن، ليست لك هجرة، ولا سابقة، ولا منقبة، ولا فضيلة، وكان أبوك من الأحزاب الذين حاربوا الله ورسوله؛ فنصر الله عبده، وصدق وعده، وهزم الأحزاب وحده»<sup>١</sup>.

## ويكتب ﷺ إليه:

«من عبد الله، علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد، فقد علمت إعداري فيكم وإعراضي عنكم (أي: إقامتي على العذر في أمر عثمان صاحبكم، وإعراضي عنه بعدم التعرض له بسوء) حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل؛ فبايع من قبلك (أي: أنت بمن معك) وأقبل إليّ في وفد من أصحابك»<sup>٢</sup>.

ثم يرسل رسوله، جرير بن عبد الله البجلي، إلى معاوية، يحمله على الفصل والبيعة، قائلاً: «أما بعد، فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل (الحكم المقطوع) وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية؛ فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته. والسلام»<sup>٣</sup>.

أجل، إن الإمام يفصل ويعزل معاوية عن تصرف لواء الشام؛ لأنه يعلم الويلات التي تخلفها ولايته على الإسلام والمسلمين! وإنما تبقيته على تصرفه، ولو ساعةً، هذه رضى منه – وحاشاه! – بتدمير المسلمين في تأمره، والقضاء على الإسلام في أمره وقضائه.

١. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥٧١.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٧٥، ج ٣، ص ١٣٥.

٣. نفس المصدر، الكتاب: ٨، ج ٣، ص ٨.

## معاوية يستبقي حكم الشام

ثم معاوية يكتب إليه عليه السلام، يطلبه البقاء على إمارة الشام! يشترط هذه الشريطة في بيعته الزور، غرورا إليه عليه السلام! يدعوه فيه للشفقة على العرب، الذين أكلتهم الحرب ولم يبق إلا حشاشات أنفس وبقية أرواح! ويخوفه باستواء العدد في رجال الفريقين! ويفتخر بأنه من أمية، وهو وهاشم من شجرة واحدة!

ويرجع جواب الإمام عليه السلام بالامتناع عما يريد معاوية كما يلي:

«فأما طلبك الي الشام، فإنني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس...»<sup>١</sup>؛ حيث لم يكن المنع عن هوى حتى يتبعه الإعطاء عنها، حسب اختلاف الهوى، وإنما منعتك منذ البدء بحكم الله ورضاه؛ فلن يتبدل حكمه، ولم تتبدل أنت إلى خير حتى يلائمك الأمر على المسلمين! فهل تدعوني إلى الخلاف على حكم الله؛ لتوافقني في بيعتك الزور، ولست ممن أرضي نفسي بسخط ربي؛ فلا أبتغي عن مرضاته تعالى حولا ولا عن حكمه بدلا!

«... أتأمروني أن أطلب النصر بالجور...؟!»<sup>٢</sup>

«وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فألى الجنة، ومن أكله الباطل فألى النار!...»<sup>٣</sup>.

فلندع الحرب، ولا تزال تأكل من تأكل، فمن أكلته الحرب في سبيل الله فهو وليه وإليه المصير وكانت عاقبة أمره الحسنی؛ فله الفضل في ذلك، ولماذا يخاف منه؟!

ومن أكلته في سبيل الطاغوت فهو وليه، فألى جهنم وبئس المصير!

«وأما استوائونا في الحرب والرجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة...!»<sup>١</sup>

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٧، ج ٣، ص ١٦.

٢. نفس المصدر، الكلام: ١٢٦، ج ٢، ص ٦.

٣. نفس المصدر، مواصلة الكتاب: ١٧، ج ٣، ص ١٧.

أجل، كيف أستوي أنا وأنت! فإنني أمضي على اليقين وأنت تمضي على الشك، والماضي على اليقين أثبت جأشاً! أم كيف يستوي رجالك ورجالنا؟! ورجالنا أحرص على الآخرة من رجالك على الدنيا؛ حيث يرون إحدى الحسنين، قاتلين ومقتولين ففي الجنة، ولا يرى رجالك إلا حسنى الدنيا...! فماذا تخوّفني؟!<sup>١</sup>

«وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن؛ ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبوسفیان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم...»<sup>٢</sup>

فهب أننا جميعاً بنو عبد مناف، ولكن اتحاد الأصل لا يقضي باتحاد الفرع. كيف وكل الناس بنو آدم، على اختلافهم في الشيم والعقائد والأعمال، كما بين السماء والأرض، وبين البهائم والملائكة!

فأنت من أمية وحرب وأبي سفيان الطليق اللصيق المبطل المدغل، ثم تتبع أسلافك هؤلاء الذين هـوا في نار جهنم!

وأنا من هاشم وعبد المطلب وأبي طالب، ومهاجر ومِن مهاجر، وصريح ومنه، ومحق ومنه، ومؤمن ومنه... ولقد اتبعتُ رسول الله ﷺ اتباع الفصيل لأمه، ولا أزال أتبعه حتى أموت...!

«وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز، ونعشنا<sup>٣</sup> بها الذليل. ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين، إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم؛ فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً ولا على نفسك سيلاً»<sup>٤</sup>.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. أي: رفعنا.

٤. نفس المصدر.



بعد ذا وذيك، فكيف التلاؤم، وقد تختلف الجذور والكرائم الخُلُقِيَّة والخَلْقِيَّة فينا؟! وبماذا تهددني؟ إذ لا أرضى بولايتك على الشام، فإني إلى ربي ذاهب!

ثم افض العجب من هذا الطاغية، كيف يستجرى على أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له إليه عليه السلام...؟! كتاب يخبأ الدهر منه عجا، ويملاً منه عتبا، يذكر فيه اصطفاء محمد صلى الله عليه وآله لدينه، وتأبيده بأصحابه، وأن أفضلهم فلان وفلان. أخذ يرتب مراتب الفضل في الصحابة، ويرجح المفضول على الفاضل؛ دعاية لمن تدعى له الولاية؛ لكي يرجح جانبه على أمير المؤمنين عليه السلام! فيرجع الجواب كما يلي:

«أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدًا لدينه، وتأبيده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً! إذ طفقت تُخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا! فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر! أو داعي مسدده إلى النضال! وزعمت أن أفضل الناس في الاسلام فلان وفلان؛ فذكرت أمرا إن تمّ اعتز لك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلمته! وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟! وما للطلاق وأبناء الطلقاء، والتميز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟! هيهات! لقد حنّ قدح ليس منها،<sup>٢</sup> وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تُربح أيها الإنسان على ظلعك؟!...؛ فهلا تقف على حدك، وتبسط يدك، وتطلق لسانك إلى ما ليس لك؟! «وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أحرک القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر! وإنك للذهاب في التيه [الضلال] رواغ عن القصد! ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكلٍّ فضلٌ! حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء،<sup>٣</sup> وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه! ألا ترى أن قوما قطع أيديهم في سبيل الله، ولكلٍّ فضلٌ؛

١. هجر: مدينة البحرين كثيرة النخيل.

٢. حنّ: صوت، والقدح بالكسر: السهم؛ وإذا كان سهم يخالف السهام كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها، وهو مثل يضرب لمن يفتخر بقوم، ليس منهم.

٣. هو حمزة بن عبد المطلب والقائل رسول الله صلى الله عليه وآله.

حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم،<sup>١</sup> قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه، لذكر ذاكراً فضائل جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين! فدع عنك من مالت به الرمية؛<sup>٢</sup> فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا. لم يمتعنا قديم عزنا، ولا عادي طولنا على قومك، أن خلطناكم بأنفسنا؛ فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك! وأنّى يكون ذلك كذلك، ومنا النبي ومنكم المكذب! ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف! ومنا سيد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار! ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب! في كثير مما لنا وعليكم!...» فهذه الفضائل المعدودة وما إليها لنا، وأضدادها المسرودة وشاكلتها لكم! قليل في كثير مما لنا وعليكم! «فإسلامنا قد سمع وجاهليتنا [أي: شرفنا في الجاهلية] لا تدفع...»؛ فلنا الفضل والسباق عليكم قبل الإسلام وبعده. «وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله: ﴿... وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ...﴾ [الأنفال، ٧٥] و [الأحزاب، ٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، ٦٨]؛ فنحن مرّة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ فلجوا عليهم» وظفروا بهم «فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم!

وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت؛ فإن يكن ذلك كذلك، فليس الجناية عليك؛ فيكون العذر إليك، وتلك شكاة<sup>٣</sup> ظاهرٌ عنك عارها. وقلت: إنني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش<sup>٤</sup> حتى أبايع!<sup>٥</sup> ولعمر الله، لقد أردت أن تدمم فمدحت، وأن

١. «واحدنا»: هو جعفر بن أبي طالب، أخو الامام ﷺ.

٢. الرمية: الصيد يرميه الصائد. ومالت به: خالفت قصده فاتبعها، مثل يضرب لمن اعوج غرضه، فمال عن الاستقامة لطلبه.

٣. شكاة بالفتح أي نقيصة وأصلها المرض.

٤. ظاهر، من ظهر إذا صار ظهراً أي: خلفاً، أي: بعيداً.

٥. الخشاش ككتاب ما يدخل في عظم انف البعير من خشب لينقاد. وخششت البعير: جعلت في أنفه الخشاش.

٦. طعن معاوية على الامام ﷺ بأنه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء.

تَفَضَّحَ فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة<sup>١</sup> في أن يكون مظلوما، ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً ييقينه! وهذه حجتِي، إلى غيرك قصدُها! ...؛ لأنك بمكان بعيد عن مَحْتَدِها، منقطع عن جرثومة الأمر ومرماها! «ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سَنَحَ من ذكرها، ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أَمَّنْ بذل له نصرته فاستقعده واستكفَّه؟ ...» فهو ذا أنا، لَمَّا هَجَمَ عليه الخطر، الذي منه طلع وإليه رجع، وقَبْلَ ذلك! «أمن استنصره فتراخى عنه وبتَّ المنون إليه؟ ...» وهو ذا أنت، وسائر عشيرته الأمويين؛ حيث خذلوه إلى المنون ولم ينصروه حينذاك! «حتى أتى قدره عليه! كالا! واللَّه، لقد علم اللّهُ المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً<sup>٢</sup> وما كنتُ لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً<sup>٣</sup>؛ فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربَّ ملومٍ لا ذنب له. وقد يستفيد الظَّنَّةُ المنتصح<sup>٤</sup>. وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقِي إلا باللَّه، عليه توكلت،<sup>٥</sup> وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي [عندك] إلا السيف! فلقد أضحكت بعد استعبار! متى ألفت بني عبدالمطلب عن الأعداء ناقلين وبالسيف مخوفين؟!<sup>٦</sup> لَبَّثُ قليلاً يلحق الهيجاء حَمَلًا<sup>٧</sup>؛ فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل<sup>٨</sup> نحوك في جحفل<sup>٩</sup> من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديدٍ زحامهم، ساطع

١. الغضاضة: النقص.

٢. اقتباس من الآية: ١٨ من سورة الاحزاب.

٣. نقم عليه: عاب عليه. والأحداث: جمع حدث: البدعة.

٤. أي: ربما تنشأ التهمة من إخلاص النصيحة عند من لا يقبلها.

٥. إقتباس من الآية: ٨٨ من سورة هود.

٦. ألفت: وجدت، وناقلين: متأخرين.

٧. لَبَّثُ: أمهل. والهيجاء: الحرب. وحَمَلٌ: هو ابن بدر، رجل من قشير، أُغِيرَ على إبله في الجاهلية فاستنقذها، وقال: «لَبَّثُ قليلاً يلحق الهيجا حمل \* لا بأس بالموت إذا الموت نزل»؛ فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب. (من شرح عبده على نهج البلاغة).

٨. أي: مُسرَعٌ.

٩. أي: الجيش العظيم.

قَتَامَهُمْ،<sup>١</sup> متسرلين سراويل الموت، أحبُّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريةً بدريةً،<sup>٢</sup> وسيوفٌ هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك<sup>٣</sup> ﴿... وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ [هود، ٨٣]!<sup>٤</sup>

إنَّ معاوية، هذا الداهية الطاغية لما لا يجد عنده من الكفاءة في مجابهة الإمام ﷺ، حينذاك يريد يقضي عليه بقوة المكر والخديعة، وشتى الدعايات العارمة عليه، ومن ذلك: قميص عثمان!

قميص عثمان طيار بكل عار وبوار، معذار للعصاة والثوار! يجعل قميص عثمان شعارا في دعايته، وجنة في بغيه وغيه، ويفتري على الإمام ﷺ أنه الذي أمر بقتله، ودعا إلى انفتاك فتله!

فقد يسأله أن يدفع إليه قتلة عثمان؛ فيجيبه الإمام ﷺ حينذاك قائلاً:

«... وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الامر؛ فلم أراه يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك. ولعمري، لئن لم تنزع عن غيِّك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل، يطلبونك...»<sup>٥</sup>؛ لأنك قاتله حقاً؛ فلتدفع أنت إليهم، لا هم إليك! «لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل، إلا أنه طلب، يسوؤك وجدانه، وزور، لا يسرك لقيانه. والسلام لأهله»<sup>٦</sup>.

ولما كثرت على الإمام دعاية معاوية في عثمان يكتب إليه، قائلاً:

١. أى: منتشرٌ غبارهم.

٢. من ذراري أهل بدر.

٣. أخوه حنظلة، و خاله الوليد بن عتبة، وجده عتبة بن ربيعة. راجع نهج البلاغة للصبحي صالح، بتحقيق فيض الاسلام. (نشر الهجرة، قم، ١٤١٤)، ص ٦٨٣. (م)

٤. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٢٨، ج ٣، صص ٣٢ - ٣٣.

٥. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٩ (ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية)، ج ٣، ص ١٠.

٦. نفس المصدر.

«فسبحان الله! ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتعبة، مع تضييع الحقائق وإطراح الوثائق، التي هي لله طِبَّةٌ، وعلى عباده حجة. فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له! والسلام»<sup>١</sup>.

فإنما تقنطر استنصارك لعثمان بعد قتله، نصرَكَ نفسَكَ، وأنت الذي خذلته، حينما استنصرك!

يا قميص الشر الثوار!

هاه! كيف يرجع الفتك فتلاً والقتل فتكاً! كيف يُحسب الأمين خائناً، والخائن أميناً! لله أنت يا قميص المفتوك بفعلته! يا قميص الضر والشر! فقد كنت قبل ذلك تستر على عورة الخلاعة في الخلافة، المبتورة على جثمان ضئيل من خليفة أمية، وأصبحت الآن تنفرد بالثورة لغير جثمانك، وتستتر العورة عن غير شأنك!

أصبحت تُثير الويلات بعد انخلاع صاحبك، ويلات لثأرك الأخير، وهو من جرّاء الأول.

أو لم يكف ثانيك ما نصره، واستبقاه أولك، حتى ورثه اياك؛ لكي تستبقيه بعده أخذاً بالحائطة لسلطان أمية، فرعون الأمة؛ لكي تزيده خيلاً ورجلاً في صرخته الهدامة العارمة على الإسلام ونبيه ﷺ، ونعرته الجاهلية الأولى على عمه وعيّه: «لا والله، إلا دفنا دفنا...»!

... دَفَنْتَ خليفة أمية خير دفن بمقتله، وأصبحت تنصر سلطانها الطاغية في دفن وإخفاق صوت محمد ﷺ!

١. نفس المصدر، الكتاب: ٣٧ (ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية)، ج ٣، ص ٦٢.

حرقك الله، ومزقك! كما حرقت الإسلام بدعايتك الزور، وقضيت على المسلمين بكل غرور!

لعن الله أولك وآخرك، ولعن كل طاغية، يتخذ الدين جنة فيصور النار جنة!  
لعن لله كل باغية ينشر القرآن بجثمانه، ثم يقضي عليه وعلى برهانه!  
لعن الله كل طاغية يستجلب الدين بشيء من ظاهره، ويجلب على الدين والدينين بخيله ورجله!  
يستجلب ظاهراً ضئيلاً خلوّاً عن أي لب وحقيقة، وينفي زعماء الدين الروحانيين عن أراضي وطنهم!

مؤامرة قاضية على الإسلام، تفكيكا بين القيادة الدينية والسياسية معاوية يريد ليحعل الخلافة في نسله خلفا بعد خلف، رغما لما اختار الله من استخلاف وُلد علي ﷺ خلفا بعد خلف إلى الإمام الثاني عشر ﷺ؛ فأسس حكومة أموية، تُعارض الحكومة المحمدية ﷺ عبر الأجيال.

وأول من يبدأ بموافقة استخلافه، جرّوه المعلن بالفسق، يزيد، ومغيرة بن شعبه؛ حيث أراد معاوية أن يعزله عن متصرفية لواء الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فرأى مغيرة أن يكيد في ذلك؛ استبقاء لحكمه في الكوفة.

ولما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق بإحضار منه، دعا معاوية الضحاک بن قيس الفهري، أن يستأذنه في ضمن خطبته ويكلم في يزيد واستخلافه؛ ففعل.

كتب معاوية إلى مروان يستمزجه في هذا الاستخلاف، حتى إذا تمكن الرأي ليزيد قام مروان في الناس، يخبرهم برأي معاوية في الاستخلاف، فقام عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: «كذب وكذب معاوية! ما الخيار أردته لأمة محمد ﷺ! ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل!».

وقام الحسين بن علي عليه السلام في وجه هذه البدعة الهدامة، ينكر ذلك أشدَّ الإنكار؛ فكتب مروان خلفه وخلاف ابن عمر وابن الزبير إلى معاوية؛ فكتب معاوية كتاباً إليهم. فكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: ...

### كتاب معاوية إلى الحسين عليه السلام

«أما بعد، فقد انتهت إلى أمور عنك، إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله، إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، فإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعزل الناس لذلك، وعظ نفسك، فاذكُر، وبعهد الله أوف؛ فإنك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما تكذبي أكذك! فإتق شق عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة! فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، ولا يستخفك السفهاء والذين لا يعلمون»<sup>١</sup>.

فانظر إلى هذا الوقح، كيف ينسب فعلته الغاشمة الكافرة إلى أنها من عهد الله وموآثيقه! فهل اشتبه عليه أمره أن ادعى الألوهية، أم ادعى أنه نبي، أوحى الله إليه بهذا الميثاق، أم يفترى على الله الكذب؟!

### كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية

حينذاك يكتب الإمام عليه السلام، في جوابه ما يرغمه ويهدده فيما يريد يفتعله من بدعه الملوكية الوراثية.

«أما بعد، فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغك عني أمور، أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير؛ فإن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله. وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميم! وما أريد لك حرباً ولا

عليك خلافاً؛ وأيم الله، إني لخائفٌ لله في ترك ذلك وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الأعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين حزبُ الظلمة وأولياء الشياطين! ألسْتَ القاتلَ حجراً، أختك كندة، والمصلين العابدين؟! الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم! ثم قتلْتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة! ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك! أولست قاتل عمرو بن الحمق، صاحب رسول الله ﷺ؟ العبد الصالح الذي أبلتَه العبادة؛ فحل جسمه، واصفرَّ لونه، بعد ما أمنتَه وأعطيتَه من عهد الله وموآثيقه ما لو أعطيتَه طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأةً على ربك واستخفافاً بذلك العهد! أو لست المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر! فتركت سنة رسول الله تعمداً، وتبعته هواك بغير هدى من الله! ثم سلطته على العراقيين؛ يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل! كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك! أولست صاحب الحضرميين؟! الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين عليٍّ صلوات الله عليه؛ فكتبت إليه أن أقتل كلَّ من كان على دين عليٍّ ﷺ؛ فقتلهم ومثَّل بهم بأمرك! ودين عليٍّ ﷺ والله، الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك به! جلستَ مجلسك الذي جلستَ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين!

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة.

وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد ﷺ علينا أفضل من أن أجاهدك! فإن فعلتُ فإنه قرينة إلى الله، وإن تركته فإنني أستغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري!



وقلت فيما قلت: إني إن أنكرتك تنكرني، وإن أگدك تكديني! فكديني ما بدا لك! فاني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ، وألّا يكون على أحد أضر منه على نفسك؛ لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك. ولعمري، ما وفيتَ بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان، والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا! فقتلتهم مخافة أمر، لعلك لو لم تقتلهم مُتَّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا. فأبشر يا معاوية بالقصاص! واستيقن بالحساب! واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها،<sup>١</sup> وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة، وقتلِكَ أولياءه على التهم، ونفِيكَ أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذِكَ الناس بيعة ابنك، غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب! لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم! والسلام»<sup>٢</sup>.

أجل، يا معاوية! لا فتنّة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها! ولا أعظم ثوابا من القضاء عليك! أفتريد استبقاء هذه الفتنة الكافرة بصورة أفضح وأشنع باستخلاف جرّوك الفاجر، يزيد المستهتر؟!

أجل، إن ولاية مثلك بوار على الشعب، والملكية الوراثةية، كهذه، بوارٌ على بوارٍ، وظلم على ظلم!

١. إشارة إلى الآية: ٤٩ من سورة الكهف.

٢. بحار الانوار، ج ٤٤، صص ٢١٣ - ٢١٤؛ وأيضاً: رجال الكشي، صص ٤٨ - ٥٠؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣١؛ جمهرة الرسائل، ج ٢، ص ٦٧؛ والبحار نقل عن المأخذين باختلاف التعبير.

## الملكية الوراثية والجمهورية!

إن الملكية الوراثية العمياء يزيفها ويضيف مكانتها العقل والدين؛ حيث الوراثة لا تحقق إلا في الأموال، لا المناصب الدينية والسياسية؛ لأنها تدور مدار الصلاحية واللياقة أينما وُجِدَتْ، والوراثة تعمي عن أية مصلحة إلا النسل كيفما كان!

فهذه الملكية أظلم وأطغى من الجمهوريات الظالمة، وتختلف عنها اختلاف الاستبداد الأعمى الصلب الجامد عن التحررية في انتصاب من يريده الشعب للحكم؛ حيث إن الملكية الوراثية المستبدة ما تبقي خيرةً للشعب، أن يختاروا من يستصلحونه للحكم، إلا إذا انقرضت سلسلة منها بلا عقب!

وإن الإسلام حينما يحرر الأفراد في حدود مصالحهم الفردية، فيما لا يزاحم المصالح الجماعية، فبالأحرى يحرر الجماعات في استصلاح أمورهم، ومن أهم ذلك هو الملك والحكم.

فقد يملي، حين افتقاد الرسول والائمة من عترته ﷺ، يملي على الرعيل الأول من صلحاء الأمة ووجهائهم، وعلى العلماء الربانيين، أن ينتصبوا للحكم فيهم من يرتضيه الدين حاكما بين الأمة المسلمة، أو أن يستنيبوا من غيرهم إن لم يكونوا هم من أهله، يستنيبوا من يطبق أحكام الدين ويمثل قول رب العالمين: ﴿... إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ... وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ...﴾ [البقرة، ٢٤٧]؛ فيكون مجمعاً للعلم والقدرة المبسوطيين، ومن أهمها علم تدبير الرعية بالعدل والقدرة، على ذلك؛ ويمثلوا قول الرسول الأعظم ﷺ: «العلماء حكام على الملوك، والملوك حكام على الناس» و«السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم»<sup>١</sup>.

... فالحكم لله العليّ الكبير ولمن يمثله في العدل والنصفة في خلقه كما يرضاه، ملكا كان أو رئيس جمهورية أو ...

وإنما الشعوب المسلمة حينذاك بين فرضين:

١. بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٣٥٤؛ و ج ٧٤، ص ١٦٥.

- ١ - انتصاب من يطبّق الدين بصميمه ولا يخاف في الله لومة لائم.
- ٢ - القضاء على الملوك ورؤساء الجماهير من الظلمة الطغاة، أو حملهم على العدل والنصفة.

ويقول جلّ وعلا: ﴿... وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج، ٤٠ - ٤١].



## قول فصل في ألوان الحكم

### بين الملكية والجمهورية

إننا لسنا ممن يرجح الجمهورية على الملكية بمجرد الجنسية فحسب؛ حيث المقياس الأول والأخير لحق الحكم وباطله، إنما هو تطبيق حكم الله في الأرض وعدمه. فكَم من ملك هو أعدل من الكثير من رؤساء الجماهير، وأعقل وأرأف برعيته! وكم من رئيس جمهورية وحكم جمهوري يمثل حكم الشيطان بكامله، دون رعاية لصالح الشعب، إلا صالح هوساته الجهنمية! كما العكس أيضا كذلك!

هذا، وإنما نروم في ترجيح لون الجمهورية على الملكية من ناحية التعمية في الصلاحية في لون الملوكية والوارثية، دون الجمهورية.

فلو صادف الحكم الملكي عدلاً وتطبيقاً للحكم الإلهي فهو الحكم الحق، ولو أن الجمهوري صادف الباطل والحكم الإبليسي فهو الباطل، مهما كانت التعمية في الأول، والانتخاب الدقيق الشعبي في الثاني.

ثم الانتخاب في الجمهوريات والصواب في الملكيات، كل ذلك لا نستصوبه إلا ما يمثّل الحق، الأمثل فالأمثل.

### أضواء من نظرية الإمام الحسين في الحكم

وفي جواب الإمام الحسين عليه السلام عن كتاب معاوية، نموذج هام من وظائف المسلمين أمام الحكام، الذين سيطروا على الشعوب المسلمة، أنه لا فتنة أعظم على الأمة الإسلامية السامية من ولاية أمثال معاوية عليها، ولا أعظم ثوبا من القضاء عليها؛ فالثورة القاضية على الحكومات اللادينية قربةً إلى الله تعالى، والتقاعد والهوان عن ذلك مأساة، تستوجب الاستغفار؛ فإنه ذنب عظيم!

فليكن الحاكم بين المسلمين منهم وإيهم، يرى أنه منهم وأنهم منه، فليعمل لصالحهم، دون رعاية لمصالحه الشخصية والعائلية، إذا اصطدمت صالح الشعب في قسطاس الحق والعدل.

ليس لحاكم الإسلام إلا بثُّ السلام في المسلمين، والذود عن كرامتهم، والحفاظ على صالحهم بكامله في الدين والدنيا، في الأموال والأنفس والأعراض، في حقوقهم الشخصية والجماعية.

ليس له إلا الدعوة والدعاية لما يدعو إليه الله تعالى؛ فتقديم من قدمه الله وتأخير من أخره الله.

### طوابع الثورات الإسلامية

إن الثورات، التي تندفع بدافع الإسلام، لا تنحو منحى تفتُّح البلاد، والتغلُّب على الحكم، والاستبداد بالإمرة؛ وإنما تهدف تفتُّح القلوب، وانسراح الصدور لحكم الإسلام ومبادئه السامية. وتهدف الذود عن حوزة الإسلام ببلاده

وشعوبه ومقدساته، التي تحتلها السلطات الجبارة الكافرة والأطماع التوسعية الغادرة.

### الحياة الإسلامية

والحياة الإسلامية السامية، أينما كانت، ليست إلا سلسلة معارك وثورات عادلة عاقلة ضد الجور والطغيان، كيفما كانت أعراقه، وحيثما بلغت بها التضحيات بالأنفس والنفائس. **فإنما الحياة عقيدة وجهاد.**

### الوظيفة الجماعية للمسلمين

وإذا هوجمت حكومة إسلامية، أينما كانت، بهجمة استعمارية كافرة، فليس فرض الدفاع على تلك الحكومة خاصة؛ إنما هو على كافة الحكومات الإسلامية، ولا سيما إذا لم تكن في تلك الحكومة كفاية الدفاع؛ حيث المسلمون يد واحدة على من سواهم، تسعى بدمتهم أذناهم.

هذا؛ فكيف إذا هوجم الإسلام ومقدساته السامية من قِبَل السلطات الوحشية الأمريكية والصهيونية الملعونة؟



### احتلال القدس - إحراق المسجد الأقصى

إنني أكتب هذا الملحق لكرّاسي، حينما يمضي على احتلال القدس وسائر الأراضي المقدسة الإسلامية حوالي سنتين، وحين يمضي على إحراق المسجد الأقصى المبارك ثلاثة أيام، وقد أذاعت كافة الإذاعات الإسلامية وغيرها صرخاتها المدوّية بالتنديد الشديد بهذه العملية الوحشية، التي سوّدت وجه التاريخ الإنساني.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها! أيها الزعماء الروحيون والسياسيون الأحرار!

أُحرق المسجد الأقصى وتُهتك حرمت الإسلام هكذا، ونحن نحيا سالمين؟!  
أُحرق المسجد الأقصى بما فيه من الآثار الإسلامية السامية، ونحن قاعدون؟!  
أُحرق المسجد الأقصى المبارك، ثالث الحرمين وثاني القبلتين، ونحن ساكتون؟!  
أُقتل رجالنا، وتُهتك نساؤنا وبناتنا، وتُشرد أطفالنا، وتُخرب بيوتنا في أوطاننا وعلى رؤوسنا، ونحن عاثشون؟!!

أفمن شرذمة ذليلة كافرة عاتية مشردة، من دويلة العصابات الصهيونية الأنكلو أمريكي، من عميلة الاستعمار العالمي، من مليوني نفرٍ من هؤلاء وهم قليلون، نتتكس، نحن المسلمين، على عددنا الضخم؟!!

أفإنّ هذه الحربَ حربُ العرب واليهود حتى تنحصر في نطاق العرب، أم إنه حرب الصهيونية العالمية ضد الإسلام والمسلمين؟

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها! أما حان لنا حين النهضة الجماعية الثائرة؟

### نهضة الإسلامية خاصة

لا عربية ولا أعجمية! لا سنية ولا شيعية! لا قومية ولا طائفية! ولا عنصرية ولا إقليمية! وإنما هي نهضة إسلامية سامية خالصة، تدمر السلطات الصهيونية الأنكلو أمريكية، على تناسي الخلافات والضغائن الطارئة، الخلافات الإقليمية والاقتصادية والمذهبية، وأية خلافات أخرى تفصل بين المسلمين.

فالاختلاف كفر في مذهب القرآن، ولا سيما إذا هوجم المسلمون لأنهم مسلمون، هوجموا في كافة مقدساتهم.

وأنا الآن - حين أحضر كتابي هذا للطبعة الثانية - أسمع ليلَ نهار ضربات القنبلات الإسرائيلية تضرب القرى الآمنة اللبنانية السورية، وليس هنا من دافع!

### عوامل النكسة:

فمن عوامل انتكاسة المسلمين العرب، أنهم اعتبروا هذه الحرب عربية، وهم على قلتهم بين المسلمين لا يعتصمون بحبل الوحدة، ولا يعدون ما استطاعوا من قوة، وبين زعمائهم عملاء خونة.

وجد في هذه الأيام بطولات من المجاهدين السوريين، زادهم الله قوة وصموداً، وكسر ثورة أعداء الإسلام، الألداء الصهاينة المجرمين! آمين!

وأنا في هذا الطابق الثالث، أسمع صرخات الفلسطينيين في انتفاضتهم ضد السلطات الصهيونية، التي تساندها القوات الأمريكية! وأخيراً صرخات المسلمين العراقيين بعد الاحتلال الأمريكي الغادر، شراً على شرّ الصدامية الغادرة! ظلّمتُ بعضها فوق بعض! تحريراً في ظاهر الأمر للعراقيين عن صدام، واحتلالاً أمريكياً كصدم ثان! فعلى المسلمين أجمع تقديم ما استطاعوا من طاقات إسلامية موحّدة، تخليصاً لأقصى المراحل، المسجد الأقصى وما حوله من الأراضي المغتصبة، والعراق، لسائر الأيادي عن اللمس من كرامة المسلمين، وإعداداً لظهور وليّ الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.



### توجيه إسلامي هام

نلفت أنظار المسلمين، بحكوماتهم وشعوبهم، الروحية والسياسية بما يلي:

أيها المسلمون! إن الخطر لعظيمٌ عظيم! ولا دافع إلا الله، ولا يدفع عنا وينصرنا قبال أعدائنا إلا أن نصر دينه - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ...﴾ [آل عمران، ١٦٠] - وَأَلَّا نَعْتَصِمَ إِلَّا  
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا نَتَفَرَّقَ.

ألا، وإن هذا الحبل المتين هو القرآن العظيم! فعلينا الاعتصام به علميا وعقائديا  
وعمليا في شتى مجالاتنا الحيوية، اعتصاما مندغماً في ناحيتين، الطولية والعرضية:

١ - أن نجعل القرآن إمامنا الوحيد، وأمامنا في مختلف المجالات.

٢ - أن ندعم الوحدة العريقة الأخوية فيما بيننا، على دعائم التقوى والقيام لله.  
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ...﴾ [سبأ، ٤٦]

ألا، يا زعماء المسلمين من روحيين وسياسيين! حققوا الصرخة المدوية في الذكر  
الحكيم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [آل عمران، ١٠٣]

جمّعوا وركّزوا كافة الطاقات والإمكانات ضد الاستعمار المثلث الصهيوني الانگلو  
أمريكن: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ  
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ...﴾ [النساء، ١٠٤].

ألا، أيها المسلمون! أيها الفدائيون الانتفاضيون الأحرار! كونوا صامدين في  
الخطوط الأمامية، معركة المجد والشرف، فإلى خط النار للأخذ بالثأر والقضاء على  
العار، إلى الأراضي المقدسة، إلى المسجد الأقصى المحروق وإلى العراق!!

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا  
خَاسِرِينَ﴾ [المائدة، ٢١] دمّروا القوات الإسرائيلية المعتدية! جوسوا خلال الديار لتدميرهم  
وتشريدهم من تلکم الديار الإسلامية الطاهرة، كما قتلوا رجالکم وهتكوا حرمتکم وشردوا  
ذرائکم! فهذه بيوتکم خاوية بما ظلموا! وديارکم خالية بما شردوا!

هذه أراضیکم المقدسة ملونة بدماء الأبرياء، من إخوانکم وأخواتکم! ﴿وَمَا لَكُمْ لَا  
تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ



نَصِيرًا ﴿النساء، ٧٥﴾ فكونوا أنتم الأحرارَ والأولياءَ الأنصار، الذين تواصلون التضحيات بالنفس والنفيس، لاسترجاع قدس الإسلام وقدسياته السامية، لاسترجاع العراق إلى حكم إسلامي سام، لاسترجاع المجد المحطم: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ ... وَهُمْ بَدُّكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [التوبة، ١٣]، ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَبَّوْا لَكَ الْأُمُورَ...﴾ [التوبة، ٤٨]، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، ١٩٣].

فيا لهذا الواقع المرير! هذه الظروف المرّة التي تمر على الإسلام والمسلمين!

يا لثارات إخواننا وأخواتنا وذرياتنا!

يا لثارات الإسلام والمسلمين والمجد المحطم تحت نير الذل!

... انني بصفتي ممثلاً روحياً للحوزة العلمية الإسلامية وعضواً من كيانها، أستنهض المسلمين في أقطار الأرض للثورة المدمّرة على السلطات الصهيونية الانكلو الأمريكية. ... فقد والله، سودت هذه الانتكاسة، في حرب الايام الستة وسواها، وجه التاريخ الإسلامي المنير، وأخيراً إحراق المسجد الأقصى المبارك أحرق قلوب وأكباد المسلمين الأحرار! فالى الانتفاضة حتى النصر الكامل، وجديداً تحرير العراق من الأمريكان المحتلين!

ألا، فأحرقوا الصهاينة المجرمين ومن يساندهم! وجوسوا خلال الديار للانتصار منهم! واسترجعوا مجد الإسلام!

ثورة إسلامية في ضوء الإسلام

وإنني، باسم الإسلام، أرجو من إخواننا العرب في كل مكان - حكوماتٍ وشعوباً - أن يرفضوا كلمة «العالم العربي» عن الإذاعات والجرائد، ويستبدلوا بها كلمة الإسلام؛ ﴿...كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا...﴾ [التوبة، ٤٠].

فإلى الأمام باسم الله الواحد القهار، باسم الإسلام، جهاداً في سبيل الله، إلى إحدى الحسينيين، إلى خط النار والأخذ بالثار.

وأخيراً أعلن للجميع، وكما أعلنت في خطاباتي العالمية في مسجد الكوفة وصحن الكاظمين الشريفين، أعلن: أننا لا ننتصر إلا برفض كافة الميزات: قومية، وطائفية، وعنصرية؛ والإقبال على كلمة التقوى، وتطبيق القرآن العظيم؛ والله من وراء القصد.

أللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا، وغيبة ولينا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا! أللهم وفقنا للجهاد في سبيلك، والعمل بطاعتك، ولاستقامة الحكومة العلوية الغراء، الحكم الخالد الاسلامي المحمدي (عليه وآله أفضل الصلوة والسلام)! أللهم أدخلنا في حزب الإمام الحسين عليه السلام! آمين!

ولقد ألّفت هذا الكتاب الشريف بالنجف الأشرف سنة ١٣٨٩ هجرية قمريّة، وقد منع صدام عن طبعه في النجف الأشرف؛ فطُبِعَ مرتين في بيروت؛ ومن ثمَّ يُطبع الآن لمرّة ثالثة مع إصلاحات وإضافات في بيروت في سنة ١٤٢٥ هجرية قمريّة على هاجرها وآله آلاف التّحية والسّلام.<sup>١</sup>

قم المقدسة - محمد الصادقي الطهراني

الهاتف: ٠٠٩٨٢٥ ٣٢٩٣٤٤٢٥

طريق التواصل القرآني مع مكتب المؤلف:

[www.forghan.ir](http://www.forghan.ir)

Email: [sadeghi@forghan.ir](mailto:sadeghi@forghan.ir)



١. وحالاً، بعد وفاته رحمه الله، سيُطبع للمرة الرابعة سنة ١٤٣٥ هجرية قمريّة. طبعة منقحة محرّره. دام ذكره وطاب ثراه. (م)

## نبذة عن حياة

### آية الله العظمى، العلامة، الإمام الصادق الطهراني عليه السلام وسيرته:

ولد آية الله العلامة محمد الصادق (١٣٠٥هـ. ش/١٣٤٤هـ. ق/١٩٢٦م) بمدينة طهران وترعرع في أسرة علمائية. والده، الحاج الشيخ رضا لسان المحققين، من كبار خطباء إيران وهو في صدر المجاهدين ضد الحكومة البهلوية. أمضى محمد الصادق فترة طفولته وصباه تحت رعاية والده العالم المؤمن، وهو أول معلم أخذ يهتم تربيته وتعليمه، فسجل اسمه - وهو ولد الخمسة - في مدرسة «الإسلام» وانبرى يعرفه تعليمات إسلامية من أوان طفولته. بعد التخرج من المدرسة الثانوية وعمره آنذاك أربع عشرة سنة، فقد اشتد فكرة تعلم العلوم الإسلامية فيه، فورد مدرسة «سپهسالار» العلمية، منهمكا في دروس المقدمات، وبخاصة الأدب العربي. ثم التحق بمحاضرات عرفانية وأخلاقية للعارف الكبير، آية الله الشاه آبادي عليه السلام. كان السيد الشاه آبادي يلقي دراساته في جميع الفروع العلمية - أخلاقا كان أم فلسفة أو عرفانا - بالتركيز على القرآن، وبالتالي فقد أثر هذا المنهج الدراسي تأثيرا بالغا في روحه؛ فجعل القرآن وأبحاثه العميقة مصدرا أساسا مرجعيا في جميع الحقول العلمية وفي جميع أبعاد حياته. ثم توجه الصادق إلى قم المقدسة، تزامنا مع الحرب العالمية الثانية وهرب الشاه رضا البهلوي. ثم اضطره الابتعاد عن الاستفاضة من ذلك البحر الضخم الروحاني - السيد الشاه آبادي - أن يلقي رجلا يشابهه ويقاربه. فبالنتيجة شارك محاضرات السيد الخميني. بيد أنه كان في بداية شبابه، يدرك أبحاث ذلك الفيلسوف العارف بسهولة، حتى لقبه السيد الخميني بـ«شاه آبادي الصغير».

ثم تألقت في أبحاث المرجع الكبير آية الله العظمى البروجردي في الفقه و متعلقاته وأخذ يدلي بأرائه الفقهية، ولكن بما كان تركيز أفكاره ودراساته بأي القرآن العظيم من قبل، فكان له نظريات مختلفة عن الباقيين؛ إذ كان يعرض جميع الآراء والنظريات على كتاب الله، بعد أنه كان يرى الكتاب بجمع آية الكريمة ذا اتحاد واتصال، ولم يجعل القرآن عضيّن بأن يختص الفقه بآيات خاصة قلائل.

وكان يهتم بالجهاد ومكافحة الحكومات الفاسدة والنهي عن المنكر بكل بسالة وإخلاص، بما يستحيل أن نحكيه في سطر واحد، فقد قضى سنوات طويلة من عمره في المنفى من قبل حكومة الشاه والصدام والسعودية.

وله آثار كثيرة قيمة في الفروع والعلوم المختلفة، وأفضلها وأكثرها قيمة وبقاء تفسير «الفرقان» الكبير وهو بالغ ثلاثين مجلدا.

ثم وافته المنية في ١٥ ربيع الثاني من ١٤٣٢ هـ. ق، عن عمر ناهز عن ٨٥ عاما، والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم بيعث حيا.

## من مؤلفات سماحة الشيخ آية الله العظمى الصادق الطهراني رحمته الله باللغة العربية

\* «الفرقان» في تفسير القرآن بالقرآن والسنة «٣٠ مجلداً».  
\* الفرقان في تفسير الموضوعي بالقرآن والسنة «٣٠ مجلداً»؛

- (المجلد ١ و ٢): الله، بين الكتاب والسنة وسائر الكتب السماوية  
(المجلد ٣): القرآن وسائر كتابات الوحي  
(المجلد ٤ و ٥): محمد رسول الله ﷺ  
(المجلد ٦ و ٧): البرزخ والمعاد  
(المجلد ٨ و ٩): الأخلاق والأدعية  
(المجلد ١٠): العرفان  
(المجلد ١١): أولياء الامور بعد الرسول الأعظم ﷺ  
(المجلد ١٢): خلفاء الرسول ﷺ  
(المجلد ١٣): آدم ونوح عليهما السلام  
(المجلد ١٤): ابراهيم واولياؤه عليهم السلام  
(المجلد ١٥): موسى عليه السلام  
(المجلد ١٦): موسى عليه السلام ورسول معه وبعده عليه السلام  
(المجلد ١٧): عيسى عليه السلام  
(المجلد ١٨): الإنسان والذنبا  
(المجلد ١٩): الحياة بين الشياطين من الجنة والناس  
(المجلد ٢٠): السياسة الإسلامية  
(المجلد ٢١): العلوم التجريبية  
(المجلد ٢٢): اصول الإستنباط  
(المجلد ٢٣): الفقه المقارن؛ أحكام وضوابط عامة  
(المجلد ٢٤): الفقه المقارن؛ الحكومة العالمية والعلم  
(المجلد ٢٥): الفقه المقارن؛ الطهارة والصلاة  
(المجلد ٢٦): الفقه المقارن؛ الصوم والحج  
(المجلد ٢٧): الفقه المقارن؛ النكاح والطلاق  
(المجلد ٢٨): الفقه المقارن؛ الإقتصادات الإسلامية  
(المجلد ٢٩): الفقه المقارن؛ الصيد والذباحة، الوصية الميراث، الشهادات، القصاص، الحدود والديات  
(المجلد ٣٠): الفقه المقارن؛ الدعوة الى الله تعالى

- \* «البلاد» في تفسير القرآن بالقرآن
- \* دليل الفرقان في تفسير القرآن
- \* عقائدنا (بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والإنجيل)
- \* المناظرات بين الإلهيين والماديين
- \* حوار بين اهل الجنة والنار
- \* الفقهاء بين الكتاب والسنة
- \* «حوار» بين الإلهيين والماديين
- \* المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية
- \* غوصٌ في البحار بين الكتاب والسنة
- \* رسول الإسلام في الكتب السماوية
- \* تاريخ الفكر والحضارة
- \* عليُّ والحاكمون
- \* فتياتنا
- \* أين «الكراسة»
- \* مقارنات فقهية
- \* علي شاطيء الجمعة
- \* تبصرة الفقهاء بين الكتاب والسنة
- \* تبصرة الوسيلة بين الكتاب والسنة
- \* لماذا نصلى ومتى نقصر من الصلاة؟
- \* لماذا انتصرت اسرائيل ومتى تنهزم؟
- \* شذرات الوسائل والوافي
- \* حق الفرقان رداً على الفرقان الحق
- \* المسافرون



## من مؤلفات سماحة الشيخ آية الله العظمى الصادق الطهراني رحمته الله باللغة الفارسية

- \* ترجمان وحی (ترجمه فارسی و تفسیر مختصر قرآن کریم)
- \* ترجمان فرقان (تفسیر مختصر قرآن کریم - پنج جلدی)
- \* رساله توضیح المسائل نوین
- \* بشارات عهدين
- (در آنچه پیمبران الهی راجع به پیمبر اسلام پیشگویی کرده‌اند).
- \* نقدی بر دین پژوهی فلسفه معاصر؛
- (نقدی قرآنی بر دانش هرمنوتیک و پلورالیسم دینی و قبض و بسط تئوریک شریعت).
- \* ستارگان از دیدگاه قرآن
- \* اسرار، مناسک و ادله حجّ
- \* فقه گویا
- (فقه سنتی، فقه پویا و فقه بشری - نگرشی مختصر در سراسر فقه اسلامی)
- \* آفریدگار و آفریده؛
- (گفتگوی خداپرستان با مادی‌گرایان پیرامون آفریدگار و آفریده)
- \* نگاهی به تاریخ انقلاب اسلامی ۱۹۲۰ عراق و نقش علماء مجاهدین اسلام
- \* ماتریالیسم و متافیزیک؛ (ترجمه حوار بین الهیین والمادیین).
- (گفتمان خداپرستان با مادی‌گرایان درباره اصل توحید)
- \* برخورد دو جهان‌بینی (خلاصه ترجمه حوار بین الهیین والمادیین)
- \* نگرشی جدید بر نماز و روزه مسافران
- (بحث بی نظیر فقهی پیرامون حرمت کاستن از نماز و ترک روزه در سفر).
- \* آیات رحمانی؛ (در پاسخ به کتاب آیات شیطانی)
- \* حکومت قرآن و جلوه آن در میان کتب آسمانی
- \* حکومت صالحان یا ولایت فقیهان

- \* حکومت مهدی عجله الله تعالی فرجه
- \* دعاهای قرآنی
- \* گفت‌وگویی در مسجدالنبی ص
- \* مسیح علیه السلام از نظر قرآن و انجیل
- \* قرآن، تورات، انجیل و خاتم پیمبران ص
- \* سپاه نگهبانان اسلام: امر به معروف و نهی از منکر
- \* مفت‌خواران از دیدگاه کتاب و سنت علیه السلام
- \* علم قضاوت در اسلام از دیدگاه کتاب و سنت علیه السلام
- \* نگرشی جدید بر حقوق بانوان در اسلام از دیدگاه کتاب و سنت علیه السلام
- \* نماز جمعه
- \* نماز مسافر با وسایل امروزی
- \* پرسش و پاسخ‌های احکام قضایی بر مبنای قرآنی
- \* آیین؟ شرح و تفسیر فرازهای مهمی از دعای ندبه
- \* پیروزی اسرائیل چرا و شکست آن کی؟
- \* تفسیر سوره حمد (ترجمه فارسی تفسیر الفرقان)
- \* علم اصول در ترازوی نقد
- \* قرآن و نظام آموزشی حوزه
- \* مفسدین فی الارض
- \* پاسخ به اتهامات مکتوب

\*\*\*

## الکتب الجديدة النشر

- \* ترجمان فرقان (تفسیر مختصر سورہ نجم)، (تفسیر مختصر سورہ یونس)، (تفسیر مختصر سورہ نوح)، (تفسیر مختصر سورہ حجرات)، (تفسیر مختصر سورہ واقعه)، (تفسیر مختصر سورہ ابراهیم)، (تفسیر مختصر سورہ مریم)، (تفسیر مختصر سورہ یاسین)، (تفسیر مختصر سورہ لقمان)، (تفسیر مختصر سورہ یوسف).
- \* وصیت و ارث از دیدگاه کتاب و سنت ﷺ
- \* طهارت و نجاست (۱)، از دیدگاه کتاب و سنت ﷺ
- \* طهارت (۲)، وضو، غسل و تیمم از دیدگاه کتاب و سنت ﷺ
- \* مجموعه مقالات و سخنرانی‌های اولین همایش بیداری قرآنی در تاریخ معاصر، ۱۳۹۱
- \* مجموعه مقالات و سخنرانی‌های دومین همایش بیداری قرآنی در تاریخ معاصر، ۱۳۹۲
- \* مجموعه سی‌دی و دی‌وی‌دی‌های آثار در قالب نرم‌افزار و پی‌دی‌اف، صوتی و تصویری.
- \* علی و زمامداران (ترجمه کتاب علی و الحاکمون)
- \* تاریخ اندیشه و تمدن (ترجمه کتاب تاریخ الفکر والحضارة).
- (بررسی نقش سازنده ادیان توحیدی به ویژه دین خاتم در ایجاد یا اصلاح اندیشه و تمدن)



## جامعة علوم القرآن

پایگاه تخصصی علوم و معارف قرآن کریم

تلفن: ۰۲۵-۳۲۹۳۴۴۲۵

---

### انتشارات شکرانه

مرکز نشر آثار آیت‌الله‌العظمی دکتر محمد صادق‌تهرانی رحمته  
تلفن: ۰۲۵-۳۲۹۲۵۴۹۹ / شماره: ۰۲۵-۳۲۹۲۴۸۶۷

---

نمایشگاه دائمی و مرکز پخش آثار و تألیفات  
حضرت آیت‌الله‌العظمی دکتر محمد صادق‌تهرانی رحمته  
قسم، بلوار امین، کوی ۲۱، پلاک ۷

---

[www.forghan.ir](http://www.forghan.ir)

email: [Sadeghi@Forghan.ir](mailto:Sadeghi@Forghan.ir)